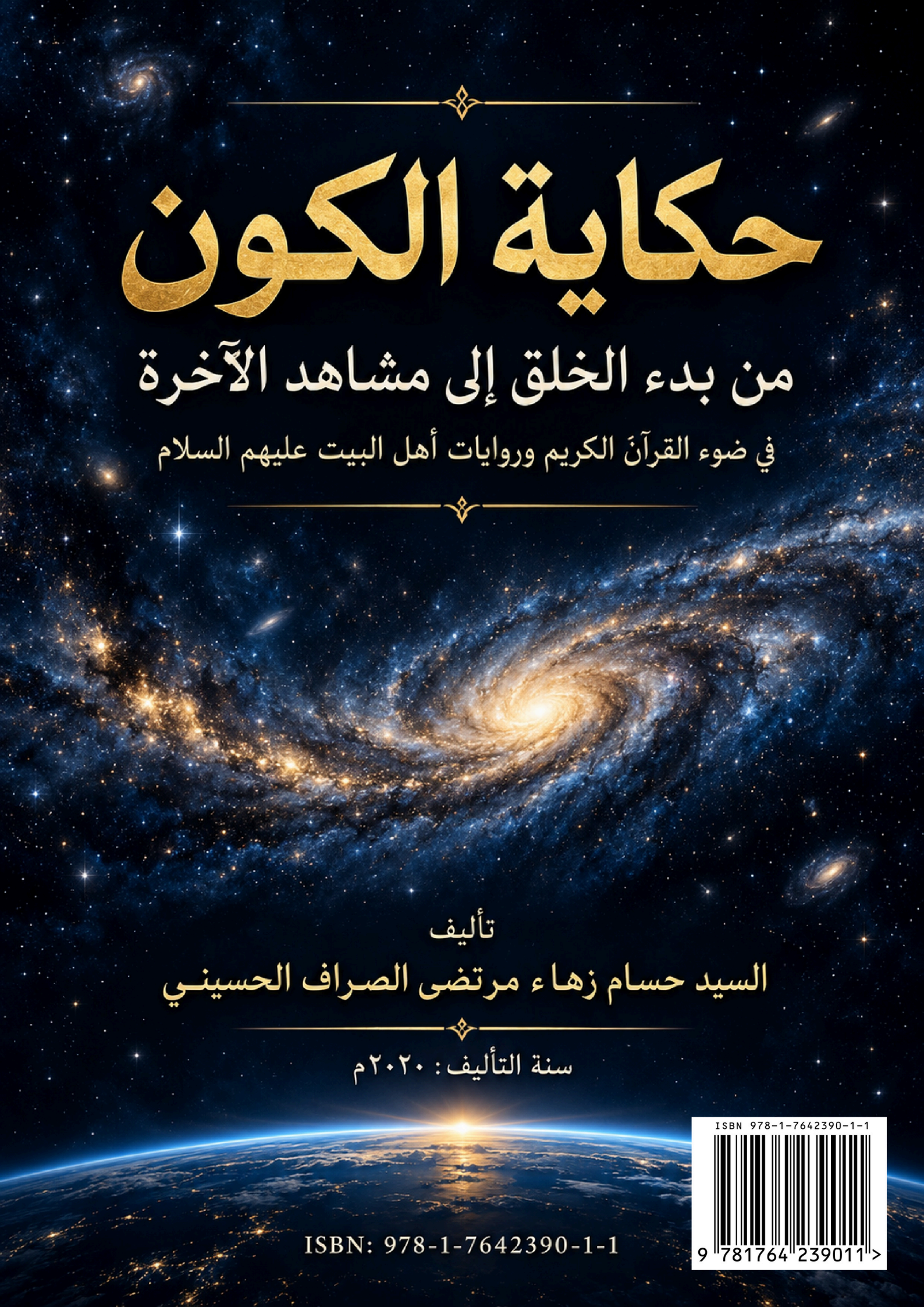

حكاية الكون
من بدء الخلق إلى مشاهد الآخرة
في ضوء القرآنَ الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام
تأليف
السيد حسام زهاء مرتضى الصراف الحسيني
سنة التأليف: ٢٠٢٠م
ISBN: 978-1-7642390-1-1
ISBN 978-1-7642390-1-1
9 781764 239011

بسم الله الرحمن الرحيم

# حكاية الكون

## من بدء الخلق إلى مشاهد الآخرة

في ضوء القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام

مع قراءة للمعرفة العلمية في حدود أدلتها

الكتاب الأول في سلسلة من أحد عشر كتابًا

تأليف الباحث والكاتب

**السيد حسام زهاء مرتضى الصراف الحسيني**

اكتمال التأليف: ١٧ ربيع الأول ١٤٤٢هـ — ٤ نوفمبر ٢٠٢٠م

اكتمال المراجعة الأولى: ٢٥ رجب ١٤٤٤هـ — ١٧ فبراير ٢٠٢٣م

اكتمال مراجعة ٢٠٢٦: ٨ ربيع الآخر ١٤٤٨هـ — ٢٠ سبتمبر ٢٠٢٦م

النسخة العربية

# عن الكتاب وتاريخ مراجعته

«حكاية الكون — من بدء الخلق إلى مشاهد الآخرة» هو الكتاب الأول في سلسلة من أحد عشر كتابًا، يجمعها طلب المعرفة في ضوء القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام، والعناية بأمانة النقل وتقريب المادة إلى القارئ. ويختص هذا الكتاب بالسماوات والأرض وبداية الخلق وانتظام العالم ومشاهد تحوله، مع عرض المعرفة العلمية المتصلة بموضوعاته وفق مصادرها وحدود أدلتها.

بدأ البحث والجمع والعمل على كتب هذه السلسلة مجتمعة سنة ٢٠١٧م. وقد اكتمل تأليف بعض كتبها، بينما لا يزال العمل على بعضها الآخر مستمرًا حتى الآن، مع مواصلة تدقيق ما اكتمل منها ومراجعته. وترتيب الكتب في السلسلة ترتيب موضوعي للقراءة، ولا يعني أن البحث في كل كتاب بدأ بعد اكتمال الكتاب السابق.

## محطات التأليف والمراجعة

أكملتُ تأليف «حكاية الكون» في ذكرى ولادة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، يوم ١٧ ربيع الأول ١٤٤٢هـ، الموافق ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠٢٠م.

أكملتُ التدقيق والمراجعة الأولى في ذكرى استشهاد الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، يوم ٢٥ رجب ١٤٤٤هـ، الموافق ١٧ فبراير (شباط) ٢٠٢٣م.

أكملتُ مرحلة التدقيق والمراجعة لسنة ٢٠٢٦م في ذكرى ولادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، يوم ٨ ربيع الآخر ١٤٤٨هـ، الموافق ٢٠ سبتمبر (أيلول) ٢٠٢٦م. ويظل ما يلي هذه المرحلة من استدراك وتحسين وإخراج امتدادًا لخدمة الكتاب.

أثبتُّ هذه التواريخ لتوثيق مراحل تأليفي للكتاب وتدقيقي له ومراجعتي إياه.

## وحدة المنهج وخصوصية الكتاب

يلتقي هذا الكتاب مع «حكاية الهداية» في تقديم القرآن الكريم، والاستفادة من روايات أهل البيت عليهم السلام ومن جهود علماء المذهب وأهل الاختصاص، وفي التصريح بحدود ما نعرفه. ولكل كتاب موضوعه وإهداؤه ومقدمته وخاتمته؛ فهنا نتتبع سؤال الخلق والنظام والمصير، وهناك نتتبع مسيرة الهداية والأنبياء والأوصياء ومسؤولية الإنسان تجاه الرسالة.

والترتيب بين كتب السلسلة ترتيب للقراءة بحسب موضوعاتها، ولا يثبت بنفسه ترتيباً زمنياً لخلق الموجودات. يأتي هذا الكتاب مدخلًا عامًا، وتحفظ المباحث الموسعة في النبات والحيوان والملائكة والجن والإنسان وغيرها للكتب المخصصة لها، مع الإحالة إليها حيث يحتاج السياق.

**عن هذه النسخة**

تأتي بعد المقدمة الرئيسية كلمتان مستقلتان لمراجعتي ٢٠٢٣م و٢٠٢٦م، مع مقابلاتهما الهجرية، لبيان أسباب المراجعة وضوابطها. وتضم النسخة العربية سبعة أبواب وثمانية وأربعين فصلًا، تتبعها خاتمة وستة ملاحق ومصادر وفهارس. اكتمل إعداد المتن وتوسعته إلى الفصل الأخير، وتلت ذلك مراجعة بنيوية وإحالية، وفحص للنصوص القرآنية المحددة في سجل التحقيق، ومقابلات مصدرية مختارة امتدت عبر أبواب الكتاب. أُعدت هذه البروفة في إخراج طباعي موحد، وقد اخترتُ تأجيل ترقيم الصفحات. ويبين سجل التحقيق حدود ما أُنجز؛ فلا تدعي النسخة استقصاء جميع الروايات أو تحقيق كل أسانيدها استقلالًا، ولا تقوم المقابلات المحددة مقام تحكيم تخصصي مستقل شامل قبل النشر.

# الإهداء

إلى الباحثين عن الحقيقة العلمية والدينية، الذين لا يطفئون أسئلتهم، ولا يستكبرون عن تصحيح ما ظنوه صوابًا؛ إلى من يرفعون أبصارهم إلى السماء، ثم يفتحون كتبهم وقلوبهم طلبًا للفهم، ويجعلون الدليل رفيقًا للرحلة، والتواضع حارسًا لما يتعلمون.

إلى والدي العزيز، عرفانًا بفضلك ودعمك وتشجيعك في بداية الطريق؛ وإلى والدتي العزيزة، وفاءً لمحبة الخير التي غرستماها في نفسي. إليكما أهدي من هذا الجهد ما لا تفي به الكلمات، وأحمل لكما دعاء الابن وامتنانه، راجيًا أن يكون ما أكتبه بابًا من أبواب البر والوفاء.

إلى زوجتي، رفيقة المسيرة، التي ساندتني وصبرت على انشغالي بالبحث والقراءة والكتابة؛ لكِ في هذه الصفحات نصيب من العرفان، ولما منحتِني من عون وصبر أثر أذكره بمحبة. أهديك هذا الكتاب شكرًا للشراكة التي تجعل مواصلة الطريق ممكنة، وللدعم الذي لا تراه العيون في صفحات الكتب.

إلى أولادي الثلاثة، ولديَّ وابنتي؛ أرجو أن تجدوا في هذه الحكاية ما يفتح باب السؤال، ويقرّب جمال الخلق إلى عقولكم، ويزيد محبتكم لله ورسوله وأهل بيته. تعلّموا، واسألوا، وراجعوا الدليل، واجعلوا ما تعرفونه رحمةً بغيركم وأمانةً فيما تقولون وتفعلون.

إلى روح سماحة الشيخ أحمد الوائلي، عميد المنبر الحسيني، رحمه الله؛ وفاءً لأثر أحاديثك وإرشاداتك التي نشأنا على سماعها، وللكلمة التي قرّبت إلينا محبة المعرفة والدين. أهدي هذه الصفحات اعترافًا بفضل بقي حاضرًا في الذاكرة، ورجاءً أن أوفق في خدمة القارئ بشيء من صدق الطلب وأمانة البيان.

إلى معلميّ وأساتذتي، وإلى كل من فتح لي بابًا في العلم وشجعني على القراءة؛ وإلى أولئك الذين حفظوا لنا الكتب وحققوا نصوصها وشرحوا معانيها، حتى وصل إلينا من جهودهم ما نستعين به على مواصلة البحث.

إلى طلابي والشباب الذين ألتقيهم في المدارس الأسترالية وفي مسجد وحسينية الإمام الكاظم عليه السلام بمدينة شبرتون؛ وإلى كل شاب وفتاة يسألان عن الكون والخالق ومكان الإنسان في هذه الحياة. أرجو أن تكون هذه الصفحات رفيقًا للسؤال، وأن تعينكم على الجمع بين محبة الإيمان وأمانة المعرفة.

وإلى محبي القرآن الكريم وأهل بيت النبوة عليهم السلام، وإلى كل من ساندني بفكرة أو ملاحظة أو دعاء، أهدي هذه الحكاية، سائلًا الله أن يجعلها خالصةً لوجهه، وأن ينفع بها الباحثين عن الحق، وأن يزيدنا العلم تواضعًا، والتأمل شكرًا، والقدرة على الأرض رحمةً بأهلها.

الباحث والكاتب

السيد حسام زهاء مرتضى الصراف الحسيني

# كلمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، خالق السماوات والأرض، الذي أنعم علينا بالعقل وفتح لنا أبواب النظر في آياته. والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين. أحمد الله على ما يسر لي من القراءة والجمع والكتابة، وأسأله أن يجعل هذا العمل نافعًا وخالصًا لوجهه الكريم.

حين أفتح كتابًا عن الكون، أشعر أنني أقف عند بداية طريق يتسع كلما تقدمت فيه. فصفحة تقود إلى أخرى، وآية تفتح بابًا للتدبر، ورواية تستدعي العودة إلى مصدرها وشرح أهل العلم لها، ومعرفة علمية تدعوني إلى فهم دليلها وحدودها. ومن هذا الشعور نشأت رغبتي في جمع المادة وترتيبها، وتقديمها في حكاية يستطيع القارئ أن يتابعها.

لا أرى في الكتابة نهاية التعلم؛ فكل مراجعة تكشف موضعًا يحتاج إلى إيضاح، أو نقلًا يحتاج إلى ضبط، أو عبارة يحسن أن تعود إلى قدر ما يدل عليه الدليل. ولهذا أعد الرجوع عن الخطأ جزءًا من الوفاء للكتاب ولقارئه، وأشكر من يعينني على تصحيح لفظ أو استدراك مصدر أو فهم مسألة.

أرجو أن يصل القارئ من هذه الصفحات إلى ما وراء الإعجاب بالمشهد: إلى شكر النعمة، وصيانة الحياة، واحترام جهود العلماء، وإدراك مسؤوليته عن المعرفة التي ينقلها. فالكون الذي يوقظ السؤال في عقولنا يذكرنا أيضًا بحدودنا، وبأن أثر العلم يظهر في الصدق والرحمة وحسن العمل.

وما كان في هذا الجهد من توفيق فمن الله، وما وقع فيه من خطأ أو تقصير فمنّي. أسأله أن يرشدني إلى الصواب، وأن يجعلني أول المنتفعين بما أقرأ وأكتب، وأن يصل هذا العمل بسائر كتب السلسلة على مقصد واحد: طلب الحق وخدمة القارئ بأمانة.

الباحث والكاتب

السيد حسام زهاء مرتضى الصراف الحسيني

# المقدمة — حين يصبح النظر حكاية

أقدّم إلى القارئ الكريم «حكاية الكون» رحلةً في آيات الخلق وأسئلة الإنسان عن العالم الذي يعيش فيه؛ أبدأ فيها من القرآن الكريم، وأرجع إلى ما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام وكتب التفسير والحديث، وأستعين بالمعرفة العلمية الموثقة في وصف ما يمكن رصده ودراسته. وأرجو أن تصل هذه الرحلة بين اتساع المشهد ودقة السؤال، وبين ما نتعلمه وما نحمله من مسؤولية.

### من أنا، وما الذي أقدمه في هذا الكتاب؟

أنا العبد الضعيف، السيد حسام زهاء مرتضى الصراف الحسيني، لست رجل دين، ولا أدّعي أنني عالم؛ وإنما أنا مجرد باحث وجامع لما في بواطن الكتب، أقرأ لأتعلم، وأجمع لأرتب، وأكتب لأقرّب ما أصل إليه من مادة إلى من يشاركونني البحث عن الحقيقة. وأقدّم هذا الجهد للباحثين عن الحقيقة العلمية والدينية، مستندًا في مادته الدينية إلى ما ورد في القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام، ومستعينًا في عرض المعرفة العلمية بمصادرها وأهل الاختصاص فيها.

وتقوم خدمتي على جمع النصوص وبيان مصادرها، وترتيب الموضوعات، وتيسير العبارة، وإظهار الصلة بين المسائل دون أن أضيف إلى النص ما لم يقله. وأعتمد في أحكام الأسانيد والرجال ومواضع التفسير المتخصص على ما يقرره العلماء وأهل الاختصاص، مع نسبة القول إلى صاحبه وبيان الخلاف حيث وجد. أما مقابلة النقل بمصدره والتحقق من لفظه وموضعه فهما من أمانة الجمع التي أحاول القيام بها، ولا أجعل ذلك ادعاءً للاجتهاد أو للأهلية العلمية التي يختص بها أهلها.

ليس جمع المادة وحده كافيًا لتكون جميعها في رتبة واحدة؛ لذلك أبين ما هو قرآن، وما هو رواية منقولة، وما هو تفسير أو رأي علمي، وما هو شرح أقترحه لتقريب المعنى. وإذا بقي خبر بحاجة إلى تحقيق صرحت بذلك، وإذا لم أجد جوابًا ثابتًا أبقيت السؤال مفتوحًا. وأرحب بكل ملاحظة أمينة تعين على تصويب خطأ أو استدراك نقص؛ فالحق مقدم على رأيي، وخدمة القارئ مقدمة على التمسك بعبارة كتبتها.

**دعوة إلى النظر والتفكر**

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

في هاتين الآيتين يجتمع النظر في السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار مع الذكر والتفكر والدعاء. ومن هذا الاجتماع تستمد الحكاية اتجاهها: أن يظل السؤال عن الخلق موصولًا بالمعنى، وأن تقود المعرفة إلى تواضع وشكر ومسؤولية. ونثبت الآيتين كاملتين ليبقى المشهد في سياقه، ثم نمضي إلى فصول الكتاب وما يتصل بكل موضوع من نصوص وأدلة.

في الليلة الصافية يبدو الكون ساكنًا، بينما تكشف المعرفة أن الأرض تتحرك وأن النجوم تمر بأطوار وأن الضوء نفسه يحتاج إلى زمن ليصل إلينا. تتبدل صورة المشهد كلما اتسعت أدواتنا، ولكن السؤال عن معنى وجودنا فيه لا يختفي. من أين جاء هذا النظام؟ ماذا نعرف عن بدايته؟ وما حدود ما يمكن أن تقوله المشاهدة عن نهايته؟

يعالج القرآن الكون في سياق الهداية: خلق السماوات والأرض، اختلاف الليل والنهار، إنزال الماء، إحياء الأرض، انتظام الشمس والقمر، ثم تبدل المشهد عند قيام الساعة. هذه الموضوعات لا تتوزع فيه بوصفها فصولًا في مقرر للفلك، بل تأتي في خطاب التوحيد والبعث والشكر والمسؤولية. ولذلك يحتاج جمعها إلى حفظ سياقاتها، لا إلى اقتطاع ألفاظها لبناء موسوعة من المطابقات السريعة.

ويمثل تراث أهل البيت عليهم السلام مجالًا أساسيًا لفهم التوحيد والتنزيه والتفكر في المخلوقات. غير أن هذا التراث وصل في كتب متعددة المناهج والأسانيد والعصور، ولا يكفي أن نجد خبرًا تحت عنوان بدء الخلق لنعتمده وصفًا نهائيًا لتاريخ الكون. يبدأ العمل بتعيين المصدر، ثم ضبط اللفظ، ثم فحص طريقه ومعناه ومقارنته بالقرآن.

أما المعرفة العلمية فتدرس ما يمكن رصده وقياسه واختبار نماذجه. وهي تصف تاريخًا للكون المرصود، وبنية للنجوم والكواكب، ودورات للماء وحركة للصفائح الأرضية. وتختلف درجة رسوخ نتائجها: فدوران الأرض حول محورها لا يقف في المرتبة نفسها مع تصور افتراضي عن زمن يسبق المرحلة الكونية الحارة. احترام العلم يعني فهم هذه الفروق، لا تقديمه ككتلة واحدة من اليقين أو الشك.

تبدأ الحكاية بسؤال الخلق، ثم تنتقل إلى السماوات والأرض، فالأنوار والزمن، فالأرض الصالحة للحياة، فالنظام ومسؤولية الإنسان، ثم أدوات المعرفة ومشكلة التفسير العلمي، وتنتهي بما يخبر به الوحي عن انقلاب العالم والبعث. هذا انتقال موضوعي؛ وليس جدولًا زمنيًا نزعم أن كل خطوة فيه تلي الأخرى بمدة معلومة.

## رحلة لها أكثر من مقياس

للإنسان في هذا الكتاب موضعان متلازمان: هو جزء من العالم من جهة جسده وحاجاته وعمره، وهو قارئ لآياته من جهة وعيه وقدرته على السؤال. فإذا نظر إلى الماء نظر إلى ما يحتاجه، وإذا نظر إلى السماء نظر إلى ما يتجاوز مدى يده، وإذا سمع خبر القيامة واجه سؤال ما يصنعه بالوقت الذي أتيح له. تتصل هذه المواضع في التجربة الإيمانية، وإن اختلفت الأدوات التي نعرف بها كل واحد منها.

ولهذا لا تسير الحكاية من الصغر إلى الكبر وحده؛ فقد ننتقل من السماوات إلى قطرة ماء، ثم من القطرة إلى مسؤولية إنسان، ثم من مسؤوليته إلى يوم الحساب. الذي يصل الفصول هو سؤال الخلق والمعنى والمصير، لا مقدار الأجسام. وقد تحمل ظاهرة مألوفة من الدعوة إلى الشكر ما لا يستحضره الإنسان عند مشاهدة أبعد المجرات.

وتعبير «حكاية» لا يجعل ما سيأتي قصة متخيلة. ليس لي أن أصف لونًا لم يذكره مصدر، أو أن أضع على لسان مخلوق كلامًا أنسبه إلى الغيب بلا مستند. وظيفة السرد هنا أن يقرب الصلة بين النصوص والأسئلة، وأن يمنح القارئ طريقًا يستطيع تتبعه. أما الحدث الغيبي فيبقى معتمدًا على دليله، ولو بقيت في المشهد فراغات لا يملؤها الوصف.

وقد يجد القارئ في فصل واحد آية وخبرًا وتفسيرًا وسؤالًا علميًا. ليست هذه الشواهد متنافسة على وظيفة واحدة: الآية أصل الاستناد الديني؛ والرواية تدرس من جهة نقلها ومعناها؛ والتفسير محاولة لفهم الخطاب؛ والبحث العلمي يختبر أوصاف العالم المشاهد. وحين نوضح وظيفة كل واحد منها، تصبح المقارنة أقدر على إظهار ما تعلمناه بالفعل.

ويتصل البدء بالمصير من غير أن يصبحا موضوعًا واحدًا. النظر في الخلق يفتح باب السؤال عن القدرة والحكمة، والوحي يخبر عن البعث والجزاء. وبينهما تقع حياة القارئ بما فيها من تعلم وعمل وعبادة. ومن ثم لا يراد للفصول الأخيرة أن تكون استعراضًا للمشاهد العجيبة فحسب؛ بل أن تعيد الإنسان إلى وزن أفعاله، كما أعادته الفصول الأولى إلى النظر في النعمة.

وللقارئ أن يسير مع الفصول من أولها، أو أن يرجع إلى موضوع معين عبر الفهرس. وفي الحالتين ينبغي أن يحمل معه قاعدة واحدة: جمال الحكاية لا يمنحني حق إضافة تفصيل لم يقم عليه دليل.

## موضع هذه الحكاية بين كتب السلسلة

يفتتح «حكاية الكون» النظر في الإطار العام للخلق، ثم تتسع القراءة في «حكاية النبات» و«حكاية الحيوان» و«حكاية الملائكة» و«حكاية الجن» و«حكاية الخلق قبل آدم» و«حكاية الإنسان»، ويأتي «حكاية الهداية» بأجزائه الأربعة متابعًا مسيرة الرسالة ومسؤولية الإنسان عنها. وتتصل بهذا المسار مشروعات «حكاية الروح» و«حكاية الجنة» و«حكاية الخَلْق الذي لا نعلمه»، ولكل كتاب منها مجال يحفظ له خصوصيته.

لهذا أذكر في هذه الصفحات من تلك الموضوعات ما يخدم سؤال الكون، وأحفظ توسعتها المستقلة لكتبها. والروح التي أرجو أن تجمع السلسلة هي صدق البحث، والوفاء لكتاب الله ومحمد وآل محمد عليهم السلام، واحترام أهل العلم، وإتاحة المعرفة للقارئ في لغة واضحة. وأسأل الله أن يعينني على حسن الجمع وأمانة القول، وأن يجعل ما نتعلمه أقرب بنا إلى الحق وحسن العمل.

# مقدمة المراجعة الأولى والتحديث

٢٥ رجب ١٤٤٤هـ — ١٧ فبراير ٢٠٢٣م

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين. أكتب هذه الكلمة لبيان غاية المراجعة الأولى لكتاب «حكاية الكون»: أن يزداد النص دقةً، وأن يصل إلى القارئ أقرب إلى مصادره، وأوضح في عبارته، وأصدق في بيان ما يثبت وما يبقى موضع بحث.

بعد أن أكملتُ التأليف في ١٧ ربيع الأول ١٤٤٢هـ، الموافق ٤ نوفمبر ٢٠٢٠م، عدتُ إلى المادة بعين متأنية في مراجعة سنة ٢٠٢٣م. فقد أكتشف عند إعادة القراءة أن عبارة تحتمل أكثر مما أردت، أو أن نقلًا يحتاج إلى مراجعة أصله، أو أن ترتيب موضوع يحتاج إلى تحسين. ومن واجبي تجاه القارئ أن أستجيب لما يظهر من حاجة إلى التصحيح والاستدراك.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

تبدأ دقة النقل بالتثبت من النص وموضعه: تُقابل الآية بلفظها الكامل، ويضبط اسم السورة ورقم الآية، ويرجع في الرواية إلى مصدرها المتاح. ويُميز كلام المعصوم من شرح العالم وتعليق المحقق، ويُصرح بالمصدر الوسيط عند النقل عنه. فشهرة العبارة أو تكررها في الكتب لا يعفيان الباحث من معرفة أصلها، ولا يكفي تشابه الألفاظ للحكم باتحاد الأخبار.

وتشمل المراجعة أمانة المعنى أيضًا؛ فقد يكون اللفظ منقولًا بدقة، ثم يؤدي اختصاره أو فصله عن سياقه إلى فهم غير مقصود. لذلك يحتاج الجمع إلى قراءة ما قبل النص وما بعده، وإظهار الاختلاف بين الأقوال، ونسبة حكم السند إلى صاحبه من أهل الاختصاص. ودوري في ذلك خدمة النقل وترتيبه وتقريبه، مع الإقرار بحدود معرفتي.

كما أن وضوح العبارة وترابط الفصول جزء من حق القارئ. نراجع المصطلحات والأسماء والإحالات، ونعالج التكرار الذي لا يضيف معنى، ونحفظ التفصيل النافع في موضعه المناسب. وفي المادة العلمية نتحقق من المصدر ومن مقدار ما يدل عليه، ونميز الملاحظة والتفسير والفرضية، حتى لا تعرض المعلومة بدرجة من اليقين لا يحملها دليلها.

وأرى في قبول التصحيح وفاءً للغرض الذي كتب من أجله هذا الكتاب. فالمراجعة تحفظ للجهد السابق قيمته وتعين على استدراك قصوره. وأشكر كل قارئ ينبه إلى خطأ أو يدل على مصدر، وأسأل الله أن يرزقني أمانة الجمع والقول، وأن يجعل هذا العمل نافعًا للباحثين عن الحقيقة العلمية والدينية.

الباحث والكاتب

السيد حسام زهاء مرتضى الصراف الحسيني

# مقدمة المراجعة الثانية والتحديث

٨ ربيع الآخر ١٤٤٨هـ — ٢٠ سبتمبر ٢٠٢٦م

الحمد لله الذي يسر مواصلة التعلم، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين. أعود في هذه المراجعة إلى «حكاية الكون» مستصحبًا مقصد تأليفه: جمع المادة وتقريبها إلى الباحثين عن الحقيقة، مع بقاء الحق مقدمًا على رأيي، والدليل مقدمًا على الرغبة في اكتمال الصورة.

تأتي مراجعة سنة ٢٠٢٦م، في مرحلتها الحالية الموافقة لسنة ١٤٤٨هـ، بعد التأليف والمراجعة الأولى، لتؤكد أن الكتاب يظل محتاجًا إلى القراءة المتجددة. فقد يتاح مصدر لم يكن في متناول الباحث، أو يتبين اختلاف في لفظ أو إحالة، أو يظهر شرح أو بحث يعين على فهم أدق. وعندئذ تكون الاستجابة للمعرفة جزءًا من أمانة الكتابة.

ومن عناية هذه المراجعة إثبات نصوص الآيات كاملة في مواضع الاستدلال، ومقابلة الإحالات بالمصادر، وبيان اختلاف الألفاظ والطرق حيث وجد. ويشمل ذلك مراجعة نسبة الأقوال إلى أصحابها، والفصل بين متن الرواية وتعليق الشارح، وإبقاء ما لم يكتمل بحثه ظاهرًا للقارئ. وهذه أعمال في ضبط المادة، مع الاستفادة من أحكام العلماء وأهل الاختصاص دون ادعاء تحقيق رجالي مستقل.

أما تحديث المعرفة العلمية فيبدأ بمراجعة مصدر المعلومة وتاريخها ونوع دليلها. قد يحتاج رقم إلى تصحيح، أو مصطلح إلى ضبط، أو نموذج إلى عرض أوضح لحدوده. والتمييز بين المعرفة الراسخة والنتيجة الأولية والفرضية يحمي القارئ من المبالغة. كما تبقى قراءة النص القرآني في سياقه، وتدرس الصلة المقترحة بينه وبين المعرفة العلمية على قدر ما يسندها الدليل.

تتجه المراجعة كذلك إلى بناء الكتاب: اتصال موضوعاته، وتناسق مقدماته وخاتمته، ووضوح لغته، وضبط فهارسه ومراجعه. وقد يقود تصحيح موضع واحد إلى تعديل إحالة أو خلاصة في موضع آخر؛ لذلك تنظر المراجعة إلى أثر التغيير في الكتاب كله، مع حفظ المادة النافعة وإبقاء الصلة بين الفصول.

قال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

وأنا في هذه المراجعة باحث وجامع للمادة، لست رجل دين ولا أدّعي أنني عالم. حاجتي إلى التعلم باقية، وملاحظات القراء المتخصصين عون على تصحيح الخطأ واستدراك النقص. وأثبت ما بقي من أعمال البحث

في سجله، وأرجو أن تقرّب كل مراجعة هذا الكتاب من غايته، دون ادعاء الإحاطة بكل ما ورد في موضوع الكون.

أسأل الله أن يجعل ما نضيفه زيادةً في الدقة والنفع، وأن يهدينا إلى الصواب فيما ننقل ونشرح، وأن يرزقنا شجاعة الاعتراف بالخطأ وحسن تصحيحه. وأشكر كل من أعان على هذه الخدمة بعلم أو قراءة أو ملاحظة أو دعاء.

الباحث والكاتب

السيد حسام زهاء مرتضى الصراف الحسيني

# منهج الكتاب ومصادره ومراتب الاستناد

القرآن هو الأصل الأول في هذا الكتاب. تُثبت نصوص الآيات المستدل بها كاملة في الفصل، مع اسم السورة ورقم الآية، ثم تقرأ في سياقها ومع نظائرها. وإذا اقتبس الشرح جزءًا منها لبحث لفظ أو معنى بقي النص الكامل متاحًا في موضع الاستدلال من الفصل نفسه. اعتمدت إضافة النصوص المضبوطة على النص الإملائي لمشروع تنزيل [م١٠٣]، مع حفظ ألفاظه وتشكيله. وتختلف دلالة النص الصريحة عما يُستنبط منه، كما يختلف المعنى اللغوي عن تعيين مصداق فيزيائي حديث.

تأتي الروايات ثانيًا، مع تقديم المصادر الأصلية ما أمكن. ومن مظان البحث: الكافي، والتوحيد وعلل الشرائع والأمالي للصدوق، والتفاسير الروائية المنسوبة إلى القمي والعياشي، وسائر المصادر الإمامية المناسبة للموضوع. هذه قائمة عمل، ولا تعني أن كل كتاب منها استُقصي في هذه النسخة. ويستفاد من بحار الأنوار في الوصول إلى الروايات وجمع طرقها، ثم يرجع إلى مصادرها حيث تتوافر.

يستفاد من نهج البلاغة في قراءة التوحيد والخلق والتنزيه؛ وعند نسبة خطبة أو حكمة يعتمد موضعها المعروف، مع الانتباه إلى اختلاف ترقيم الطبعات. وجود النص في النهج لا يقوم مقام دراسة أسانيده ومصادره الأقدم. وعبارة «ورد في» أدق من «صح عن» حين لا يكون التحقيق قد اكتمل.

في التفسير تُقارن أعمال مثل التبيان للطوسي، ومجمع البيان للطبرسي، والميزان للطباطبائي، ويُذكر الاختلاف بدل صهره في رأي واحد. وجود أثر داخل تفسير لا يحوّله تلقائيًا إلى حديث إمامي؛ فقد ينقل المفسر آراء لغويين أو آثارًا عن مدارس أخرى.

نفرّق في العرض بين نص قرآني، وخبر منقول، ورأي مفسر، ومعرفة علمية، وشرحي لها. وننسب أحكام الأسانيد والرجال إلى أصحابها من أهل الاختصاص، مع بيان مصدر الحكم وحدود المقابلة؛ فخدمتي هنا جمع المادة وضبط نقلها وترتيب عرضها، ولا تعني إصدار حكم رجالي مستقل. كما لا نجعل موافقة خبر لخبرة معاصرة دليلًا كافيًا على صدوره.

تُشرح المفاهيم العلمية بلغة عربية ميسرة، مع مصادر مؤسسية أو بحثية يمكن مراجعتها. ويُفصل تفسير الظاهرة الطبيعية عن إثبات مقصد إلهي خاص لواقعة بعينها. أما الغيب الذي لا يثبت إلا بخبر، فلا يُرسم له جهاز أو مكان أو مقياس بلا دليل.

## ضبط ألفاظ التحقيق

نستعمل «صحيح عند فلان» لنسبة حكم إلى ناقد معين، و«لم يستكمل التحقيق» لوصف ما بقي بحاجة إلى دراسة متخصصة أو مقابلة مصدرية. وتدل مقابلة النص أو الحكم في هذا الكتاب على مراجعة لفظه وموضعه في المصدر المعيّن، ولا تعني ادعاء أهلية مستقلة في علم الرجال. ولا نساوي بين «ضعيف» و«مكذوب»، كما لا نجعل وجود اسم راو في السند حكمًا عليه قبل تعيينه ومعرفة قول أهل الاختصاص فيه.

إذا نُقلت درجة الحديث من مكتبة إلكترونية تعرض حكم المجلسي أو غيره، نصرح بهذه الوساطة. لا تعني قراءة خانة الدرجة أننا قابلنا صفحة الشرح الأصلية أو استقصينا اختلاف النسخ. والإحالة إلى الكتاب والباب ورقم الخبر أضبط في هذه المرحلة من رقم صفحة لم نتحقق من مطابقته للطبعة.

ومن تطبيقات ذلك أن عبارة «لم يخرجه» تحت اسم كتاب منتقى لا تنسب إلى صاحبه حكمًا صريحًا بالضعف. أقصى ما تثبته العبارة بحسب العرض هو عدم الإدراج في ذلك المنتخب. أما سبب عدم الإدراج فيحتاج إلى بيان من صاحب المنهج أو من دراسة عمله.

## للقارئ حق التحقق

يروي الكافي، في باب النهي عن القول بغير علم، خبر محمد بن مسلم عن الإمام الصادق عليه السلام في التصريح بعدم المعرفة عند السؤال. ومن لفظه: «فليقل لا أدري» [م٥٥]. وقد قوبل تصحيح المجلسي وشرحه بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ١، ص ١٣٨ [م١٤٦]؛ وعرض الحديث كاملًا وطريقه وسياق شرحه في الفصل ٣٧. نستشهد به هنا في أدب الجواب، ولا نوسّع مدلوله إلى حكم على كل اختلاف تفسيري.

ولهذا نثبت بجوار المسألة ما ينفع في مراجعتها: موضع الآية، أو هوية الخبر، أو اسم المفسر، أو المرجع العلمي. وإذا أوردتُ وجهًا من عندي سميتُه قراءة أو تقريبًا، ليبقى من الممكن مناقشته من غير أن يختلط بالنص. والإقرار بحدود التحقيق يلزم أن يصحبه عمل في الاستكمال، فلا تتحول عبارة الاحتياط إلى بديل دائم من البحث.

# اختلاف الروايات وحدود المعرفة وحدود الكتاب

قد يكون اختلاف الأخبار اختلاف سياق لا تناقضًا: فالأول في صنف لا يلزم أن يكون الأول في الوجود كله، والأول في الرتبة ليس بالضرورة الأول في الزمن. وقد يكون الاختلاف حقيقيًا ناشئًا من ضعف نقل أو اختلاف لفظ. لا يصح اختيار طريقة الجمع قبل قراءة النصوص وضبط طرقها.

ولا ينبغي أن يُقال عن خبر إنه باطل لمجرد غرابته، أو إنه صحيح لمجرد شهرته. تتصل قيمة الحكم بالسند والمتن والقرائن ومنهج الباحث. لذلك يحفظ الكتاب مواضع التوقف، ويترك ما وراء النص في دائرة السؤال.

ولا نرسم السماوات السبع على هيئة طبقات الغلاف الجوي، ولا نجعل العرش جرمًا فلكيًا، ولا نحدد وقت الساعة من دورة كوكب. كذلك لا نستنتج من قصور نموذج علمي أن رواية بعينها قد ثبتت، أو من نجاح نموذج أن كل الأسئلة الفلسفية قد حُسمت.

موضوع هذا الكتاب هو الكون من جهة الخلق والنظام والمصير. وتذكر النباتات والحيوانات والإنسان والملائكة والجن بقدر اتصالها بهذا الموضوع؛ أما التفصيل المستقل فيحفظ لكتب السلسلة الأخرى. تظل الشخصيات القرآنية المرتبطة بالظواهر والمعجزات حاضرة في مواضعها، من غير تحويل الكتاب إلى موسوعة لسير الأنبياء.

# الباب الأول — بداية الحكاية — الخلق والإيجاد

من سؤال البداية إلى قراءة نصوص الخلق: لا ترتيب زمني مفترض قبل ثبوت الدليل.

## الفصل ١ — الكون في خطاب القرآن الكريم

### من المشهد المألوف إلى السؤال الكبير

حين يرفع الإنسان رأسه إلى السماء لا يبدأ من فراغ. يحمل معه لغة تعلّمها، وصورًا ورثها، وأسئلة صنعتها حياته. فقد يرى في الشمس موعد العمل، وفي المطر رجاء الزرع، وفي الليل سكينة البيت. ويأتي القرآن إلى هذه الخبرة المألوفة، فيفتحها على معنى يتجاوز الاعتياد: ما تراه كل يوم يستحق أن تنظر فيه مرة أخرى، وأن تسأل عن صلته بوجودك وبخالقك وبمصيرك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

في آيات آل عمران ١٩٠–١٩١ يجتمع ذكر السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار مع الذكر والتفكر والدعاء. لا تنتهي حركة النظر عند الإعجاب بالمشهد؛ بل تصل إلى نفي العبث ومساءلة النفس. وهذا الاتصال بين المعرفة والعبادة يرسم وجهة الكتاب: نتعلم عن العالم الذي نعيش فيه، ثم نسأل كيف يغيّر هذا التعلم وعينا ومسؤوليتنا.

ومن الخطأ أن نحصر الخطاب الكوني في الأشياء البعيدة التي لا يبلغها النظر المجرد. فالماء الذي ينزل، والبذرة التي تنبت، والريح التي تتحرك، والبحر الذي تجري فيه السفن، تدخل جميعًا في مجال الآيات. قرب الشيء منا لا يجعله قليل الدلالة؛ وقد يكون الاعتياد هو الحجاب الذي يمنعنا من رؤية السؤال فيه.

## ألفاظ القرآن وخريطة الموضوع

نستعمل كلمة «الكون» عنوانًا جامعًا للكتاب. أما النص القرآني فنقرأ ألفاظه كما جاءت، مثل السماوات والأرض والخلق والعالمين والملك والملكوت، من دون تحويلها جميعًا إلى اسم تقني واحد. حين نجمع الآيات تحت عنواننا، فإننا نصنع ترتيبًا موضوعيًا يساعد على الدراسة، ولا نزعم أن هذا الترتيب هو ترتيب عرض القرآن نفسه.

ويحتاج لفظ السماء خصوصًا إلى قراءة سياقية. فذكر المطر والعلو، وذكر السماوات السبع، وذكر انشقاق السماء يوم القيامة، لا يجيز إلغاء الفروق بين السياقات. لا يثبت معنى مخصوص بمجرد أن اللفظ تكرر؛ بل ينظر القارئ إلى الجملة وما قبلها وما بعدها، وإلى ما توضحه الآيات الأخرى.

كذلك لا يصح مساواة كل استعمال للأرض بتفصيل جيولوجي واحد. قد يكون الحديث عن الأرض بوصفها موطن الناس، أو عن إحيائها بعد موتها، أو عن زلزالها عند التحول الأخروي. والتمييز بين هذه المقاصد لا يغيّر اللفظ، وإنما يمنعنا من تحميله سؤالًا لم يكن هو محور الكلام.

## ثلاثة مسارات متصلة

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

تجمع البقرة ١٦٤ مشاهد متعددة: خلق السماوات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وجريان الفلك، ونزول الماء، وانتشار الدواب، وتصريف الرياح والسحاب. قراءة الآية كوحدة تكشف أن الحياة الإنسانية تقع داخل شبكة من المنافع والعلاقات. الماء ليس مشهدًا منعزلًا، والسفينة ليست منفصلة عن البحر والريح وحاجة الناس إلى الانتفاع والتنقل.

ومن هذه القراءة ينشأ المسار الأول: معرفة النعمة. ليس الشكر مجرد كلمة تأتي بعد الاستهلاك، بل وعي بأن ما يصل إلى اليد يقوم على أسباب كثيرة لا يملك الإنسان جميعها. ومن هنا يمكن أن تبدأ أخلاق الاقتصاد في الماء، والعدل في الانتفاع بالأرض، والرفق بالموجودات.

أما المسار الثاني فهو الاستدلال على الوحدانية والتدبير. وينبغي أن نميز فيه بين عرض الدليل القرآني وشرحي له؛ فما نضيفه من تقريب فلسفي أو مثال تعليمي لا يصبح آية، ولا يكتسب عصمة النص. يظل الشرح قابلًا للتصويب كلما ظهر قصور في مقدماته أو عبارته.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩].

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

والمسار الثالث يصل البدء بالإعادة. ففي العنكبوت ١٩–٢٠ يتجاور النظر في بدء الخلق مع الحديث عن النشأة الآخرة. ولا يُطلب من الباحث أن يجد يوم القيامة داخل تجربة مخبرية؛ إنما يلفت الخطاب نظره إلى أن القدرة التي يتعلق بها الخلق ليست عاجزة عن الإعادة. هنا يحضر الوحي بما لا تستقل أدوات الرصد بإثبات تفاصيله.

## كيف نقرأ آية كونية؟

نبدأ بإثبات النص وموضعه، ثم نحدد السؤال الذي تعالجه الآية. بعد ذلك نقرأ ألفاظها في العربية وسياق السورة، ونقارنها بنظائرها، ونراجع أقوال المفسرين ومصادر الروايات المتصلة بها. وحين نصل إلى المقارنة العلمية نكون قد عرفنا أولًا مقدار ما يدل عليه النص.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

ومن الأمثلة التعليمية أن نقرأ وصف القمر بالنور في يونس ٥. نستطيع دراسة ضوء القمر بأدوات الفلك، لكن لا يجوز أن نجعل كل تفصيل نعرفه عن سطحه ومداره داخلًا بالضرورة في معنى الكلمة. قد يكون بين المعنى القرآني والمعرفة العلمية توافق، مع بقاء التفسير الفيزيائي أكثر تفصيلًا من العبارة التي بين أيدينا.

وإذا تعددت الوجوه المحتملة فلا نخفي ذلك عن القارئ. نبيّن ما يرجحه السياق وما يبقى احتمالًا، ثم نفصل بين قول المفسر وبين تعييني لمصداق معاصر. هذا الفصل يمنح القارئ القدرة على مراجعة النتيجة بدل أن يتلقى تأكيدات لا يعرف الطريق إليها.

**قراءة متصلة لخاتمة آل عمران**

تربط آل عمران ١٩٠ خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار بدلالة الآيات لأولي الألباب، ثم تصف الآية التالية الذكر والتفكر والدعاء. وقد أثبتت الآيتان كاملتين في صدر الفصل. وتظهر في اتصالهما معرفة تتحرك من مشاهدة العالم إلى مخاطبة خالقه؛ فالقارئ يجد نفسه معنيًا بما يترتب على النظر.

وفي مجمع البيان يشرح الطبرسي الألباب بالعقول والبصائر، ويصل التفكر بالاستدلال على الوحدانية والقدرة والعلم والحكمة [م٦٦]. ويعرض استدلالًا من حدوث أحوال العالم إلى حاجته إلى مُحدِث، ثم يستدل بإحكام الصنع وانتظامه على العلم. هذه صياغة كلامية يشرح بها المفسر جهة الدلالة؛ فلا تنقل مقدماتها إلى القارئ بوصفها ألفاظًا واردة في الآية، ولا بوصفها قياسات فلكية أجراها صاحب التفسير.

ويذكر الطبرسي في وصف الذاكرين وجهين: دوام الذكر في أحوال الإنسان، والصلاة بحسب الاستطاعة من قيام أو قعود أو اضطجاع. ويرى إمكان اجتماعهما؛ لأن الصلاة من موارد الذكر. ثم يصل نفي الباطل بالحكمة والغرض الصحيح [م٦٦]. بهذا تتصل في قراءته ثلاثة أمور: نظر يستدل، وذكر يصاحب الحياة، وعمل يستحضر الغاية.

وأستفيد من هذا الموضع طريقةً في عرض التفسير: نثبت قول المفسر، ثم نبين نوع حجته، ثم نسأل عن مقدار ما يدل عليه. فمن أراد مناقشة الاستدلال الكلامي احتاج إلى بحث مقدماته، ومن أراد حساب تعاقب الليل والنهار احتاج إلى أدوات الرصد؛ أما جمع البحثين في صفحة واحدة فلا يجعل أدواتهما متطابقة. تستطيع المعرفة الحديثة أن توسع وصف الظاهرة، ويبقى شرح وجه الاستدلال عليها عملًا آخر ينبغي إظهاره للقارئ.

ويصل التفكر في خاتمة آل عمران ١٩١ إلى نفي العبث، وتنزيه الخالق، والدعاء بالنجاة من النار. لا يمنح التأمل صاحبه شهادة براءة من المساءلة؛ بل يزيد وعيه بأن أعماله تقع في عالم له معنى.

ومن قراءة هذا الترتيب أستخلص أن السؤال عن الكون لا يكتمل في المجال الإيماني باستعراض مقدرة الإنسان على الشرح. فكلما اتسعت معرفته بالأسباب، اتسع سؤاله عن وجه استعمالها. ويمكن لعالم متخصص في ظاهرة محدودة أن يكون متواضعًا في حكمه، كما يمكن لمتعجل أن يستخدم كلمات كبيرة ليستر غياب الدليل.

## بين الآفاق والأنفس

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠].

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

تذكر فصلت ٥٣ الآيات في الآفاق وفي الأنفس، وتذكر الذاريات ٢٠-٢١ الآيات في الأرض وفي الأنفس. وينقلنا هذا الجمع من وهم أن الدلالة لا تكون إلا في البعيد إلى إدراك حضورها في القريب. الإنسان الذي يبحث في السماء يحمل في سمعه وبصره وحياته موضوعًا آخر للتفكر.

ومع ذلك لا يستغني أحد المجالين عن أدواته: دراسة حركة جرم تحتاج إلى رصد وحساب، ودراسة الإنسان تحتاج إلى معرفة تتصل بجسده وإدراكه وسلوكه، وفهم الآية يحتاج إلى لغة وسياق. وحدة الخالق في الرؤية القرآنية لا تجعل كل دليل صالحًا لكل سؤال.

وتلتقي هذه القراءة مع خريطة الكتاب؛ فما يخص البنية العلمية للكون يفصل في الباب السادس، وما يخص مسؤولية الإنسان يفصل في الباب الخامس. ويقدم هذا الفصل الصلة بينهما، كي لا تنقطع المعرفة عن الأمانة ولا تتحول الدعوة إلى التدبر إلى ذريعة لادعاء تخصص لا نملكه.

## أثر القراءة في صاحبها

من الممكن أن يجمع الإنسان أسماء النجوم وهو قليل التأمل في سلوكه، كما يمكن أن يكثر من عبارات التعظيم وهو لا يتحرى صحة معلومة ينقلها. ولا يقدم هذا الكتاب كثرة المعلومات أو كثرة الانفعال معيارًا منفردًا للنظر النافع؛ بل يجمع دقة المعرفة وصدق الاستجابة.

والقارئ الذي يتعلم حدود دليله يتعلم لونًا من التواضع. فإذا لم يجد تفسيرًا حاسمًا قال ذلك، وإذا وجد خطأ أصلحه، وإذا نقل رأيًا نسبه إلى صاحبه. هذه ليست آدابًا خارجة عن حكاية الكون؛ إنها بعض ما يجعل الحكاية جديرة بالثقة.

بهذا المدخل تصبح السماء بداية رحلة في المعنى، وتصبح الأرض مجال عمل. ننظر إلى الموجودات لنتعلم، ونعود إلى أنفسنا لنسأل عمّا يلزمنا بعد التعلم. ومن هنا ننتقل إلى الأصل الذي يحكم هذه القراءة كلها: الله خالق كل شيء.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

إحالات الفصل: البقرة ١٦٤؛ آل عمران ١٩٠-١٩٤؛ يونس ٥ و١٠١؛ العنكبوت ١٩-٢٠؛ فصلت ٥٣؛ الذاريات ٢٠-٢١؛ مجمع البيان، تفسير خاتمة آل عمران [م٦٦].

# الفصل ٢ — الله خالق كل شيء — التوحيد في قراءة الكون

## الخلق علاقة افتقار

قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

تقرر الزمر ٦٢ شمول الخلق والوكالة الإلهية لكل شيء. وحين نقرأ الآية في بناء الرؤية التوحيدية، فإننا نبحث في علاقة الموجودات بخالقها. الشمس والأرض والإنسان، وما لم تصل إليه معرفتنا، لا يمتلك استقلالًا عن الله لمجرد أننا استطعنا وصف بعض خصائصه.

يمكن تقريب الفرق بملاحظة نوع السؤال. السؤال عن المادة التي تكوّن منها جسم ما، أو عن الشروط التي سمحت بظهوره، سؤال عن أسباب وظروف داخل العالم. أما السؤال عن افتقار العالم كله، وعن أصل وجوده وتدبيره، يتصل بمستوى آخر من النظر. وقد يتعاون البحثان، لكن جواب أحدهما لا يقوم تلقائيًا مقام جواب الآخر.

لا يعني ذلك أن كل استدلال فلسفي يقال في الخلق قد صار برهانًا قرآنيًا بلفظه وتفاصيله. يعرض الكتاب المعنى الإيماني الذي ينطلق منه، ويميّز عنه محاولات شرحه. وللقارئ أن يسأل عن مقدمات الشرح ومقدار ما تثبته، دون أن يخلط بين مراجعة عبارتي ومراجعة النص الذي أستند إليه.

## الخالق لا يشبه المخلوق

قال تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الأصل الضابط هو نفي المماثلة في الشورى ١١. فلا ينبغي أن نتصور الله ذا حدود وأبعاد ثم نزيد تلك الأبعاد حتى تصبح هائلة. عظمة الخالق ليست حجمًا، وغناه ليس امتلاك مخزون أكبر من مخزون المخلوقات، وعلمه لا يتوقف على انتقال خبر إليه من مكان بعيد.

ولهذا تكون اللغة المتعلقة بالعرش والاستواء والقرب والمعية بحاجة إلى جمع النصوص وحفظ التنزيه. لا ننتزع صورة من خبر أو استعارة، ثم نبني عليها خريطة لمكان الله. وحين نصل إلى فصل العرش سنبحث ألفاظه ومعانيه ورواياته، لكن القاعدة الحاكمة لا تنتظر الوصول إلى ذلك الفصل.

وفي الخطبة الأولى من نهج البلاغة يجتمع الكلام على إنشاء الخلق مع نفي الحاجة إلى رؤية مكتسبة وتجربة يستفيد منها الخالق. نذكر هذا الاتجاه التوحيدي بوصفه واردًا في النص المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام، مع الفصل بين قراءة معناه وبين دراسة مصادر الخطبة وطرقها [م١].

وتفيدنا هذه القراءة في تصحيح صورة شائعة: الخلق ليس صناعة بشرية أكبر حجمًا. الصانع البشري يحتاج إلى مادة وأداة ووقت وتعلم، ويواجه ما لا يستطيع تغييره. لا يجوز نقل حدود هذه الخبرة إلى فعل الله ثم اتخاذها أساسًا للحكم على قدرته.

## التوحيد والأسباب الطبيعية

حين تسقي الأرض فينبت الزرع، يستطيع الباحث أن يدرس حاجة النبات إلى الماء والضوء والتربة. معرفة هذه العلاقات لا تلغي نسبة الرزق إلى الله في الخطاب الديني. فالحديث عن السبب الطبيعي لا يقرر بنفسه أن السبب مستقل في وجوده، ولا يثبت أنه الغاية الأخيرة لكل تفسير.

وفي المقابل، لا يبيح الإيمان إهمال الأسباب. من يهمل الزرع ثم يطلب محصولًا وفيرًا لا يستطيع أن يجعل طلبه بديلًا من معرفة ما يصلح الأرض. وإذ يعرض القرآن إنزال الماء والإنبات وتسخير ما في السماوات والأرض، فإنه يفتح باب النظر في النعمة والعمل بها، لا باب الاستغناء عن التعلم.

هذه نقطة مهمة في قراءة الظواهر الصعبة. إذا عرفنا سببًا طبيعيًا لحدث لم يتحول إلى واقعة خارج سلطان الخالق. وإذا جهلنا السبب لم يصبح الجهل برهانًا على تفسير ديني تفصيلي نختاره. إسناد الخلق إلى الله أوسع من مساحة ما لم تفسره علومنا.

ولا ينبغي للباحث المؤمن أن يخاف من سؤال تجريبي قابل للفحص. المشكلة ليست في أن نعرف أكثر عن عمل الظاهرة، بل في الانتقال غير المبرهن من هذه المعرفة إلى دعاوى في المعنى والغاية لا تكفي المعادلة وحدها لإثباتها أو نفيها.

## الإرادة و«كن فيكون»

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

تقرر يس ٨٢ نفاذ الأمر الإلهي عند إرادة الشيء، وترد الصيغة نفسها في سياقات أخرى، منها النحل ٤٠. وليس المقصود في هذا الفصل أن نلحق بالله آلة نطق أو أن نجعل إيجاد الموجودات محتاجًا إلى انتقال صوت في وسط سابق عليها. يقتضي التنزيه أن نفهم الكلام في ضوء مجموع النصوص.

ومن الشواهد المباشرة خبر صفوان بن يحيى عن أبي الحسن عليه السلام في الكافي، باب الإرادة أنها من صفات الفعل وسائر صفات الفعل، الحديث الثالث. وطريقه: أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان. يقابل الخبر إرادة المخلوق بما يصاحبها من ضمير وفعل، بإرادة الله التي يعبّر عنها بالإحداث، وينفي عنه التروي والتفكير على نحو المخلوق. وفيه: «بلا لفظ ولا نطق بلسان» [م٥٦].

وقد قوبل حكم المجلسي بنص مرآة العقول الإلكتروني، ج ٢، ص ١٦، حيث وصف الحديث الثالث بأنه صحيح [م١٥٣]. وقوبل الخبر كذلك بصورة صحيح الكافي، ج ١، ص ١٦، برقم ٤٨ في تسلسل المختار [م٣٠٧]. فثبت إدراج البهبودي له ضمن ما اختاره صحيحًا على المنهج الذي بيّنه في مقدمة كتابه [م٣٠٥]. هذه نسبة لحكم صاحب المختار، وليست تصحيحًا مستقلًا أصدره أنا.

ويبدأ المجلسي شرح الخبر بنقل عن بعض المحققين في معنى الإرادة المرجحة لأحد الطرفين، ثم يورد احتمالات في تركيب عبارة الخبر. وفي الصفحة التالية ينتقل إلى تعليقه بلفظ «أقول»، ثم ينقل كلامًا للشيخ المفيد [م١٥٣]. هذه العلامات تحدد المتكلم؛ فما صدر بصيغة النقل لا يُنسب إلى المجلسي بوصفه عبارته المستقلة، وما يقوله الشارح لا يضاف إلى متن الإمام.

والفائدة التي أستخلصها هنا أن اشتراك الخالق والمخلوق في لفظ الإرادة لا يبيح نقل جميع مقدمات الفعل الإنساني إلى الله. فالإنسان قد يجمع معلومات ناقصة، ويوازن مصالح، ويتراجع عن قرار، ثم يحتاج إلى آلة ينفذ بها اختياره. يعالج الخبر هذا القياس البشري بالتنزيه، ولا يقدم وصفًا لحوار باطني أو آلة نطق أو تجربة سابقة على الخلق.

ومن ثم لا نقرأ «كن فيكون» وكأنها تجربة صوتية: لا يلزم منها هواء ينقل الحروف، أو أذن تستقبلها، أو مسافة يقطعها الأمر. هذه الصور مأخوذة من مخاطباتنا نحن. والمراد في هذا السياق بيان نفاذ الفعل الإلهي من غير أن تتحول ألفاظ التقريب إلى أعضاء أو وسائط مفروضة على الخالق.

ولا تعطينا الرواية زمنًا تقاس به مراحل كل مخلوق. نفاذ الإرادة شيء، ووصف الترتيب الذي يوجد عليه العالم شيء آخر. إذا كان المخلوق ذا أطوار، كانت الأطوار من وصفه؛ فلا يلزم من تعاقبها تردد في الإرادة أو تعلم

بعد جهل. كما لا تُستخرج من هذا الخبر وحده مدة تشكل جرم أو عدد مراحل نشأته؛ فهذه تعيينات تحتاج إلى أدلتها الخاصة.

ومن هنا تنضبط قراءة عبارة «ستة أيام» قبل بحث عددها ومدلولها. فالكتاب لا يفترض أن الزمن قوة تقف في وجه الله أو مورد ينفد منه. إنما يبحث فيما أخبر به عن خلقه، مع بقاء التنزيه حاكمًا على كل صورة نقرب بها الفهم.

## بديع السماوات والأرض

قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

ترد تسمية الله بديع السماوات والأرض في البقرة ١١٧ والأنعام ١٠١. في الأولى يقترن الوصف بنفاذ الأمر، وفي الثانية يأتي في سياق نفي الولد وعموم الخلق والعلم. ويمنعنا جمع السياقين من عزل الخلق عن التنزيه، أو تفسير الصلة بين الخالق والمخلوق على هيئة تناسل أو امتداد مادي.

وقد يصنع الإنسان شيئًا لم يسبقه إليه أحد في خبرته، لكنه يظل يعمل بموجودات وقدرات لم يمنح نفسه أصلها. الإبداع البشري بهذا المعنى مجال إنجاز حقيقي، ولا يلزم أن ننكره حتى نقرر غنى الخالق. إنما نميز اختلاف النسبة: الإنسان يغير ويركب ويكتشف داخل العالم، وحديثنا عن الله يتعلق بأصل افتقار العالم إليه.

وهذه قراءة تجمع معاني الآيات وتقرّبها للقارئ؛ وليست تعريفًا تقنيًا ندعي أن كل مدارس الكلام والفلسفة صاغته بعبارات واحدة. وسيأتي في الفصل التالي شاهد يوضح خصوصًا معنى الخلق «لا من شيء»، ويبين لماذا لا يصح جعل العدم مادة خفية.

## وحدة التدبير ودلالة النظام

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ترد في الأنبياء ٢٢ الحجة المتعلقة بتعدد الآلهة والفساد، وفي الأعراف ٥٤ يجتمع الخلق والأمر. هذان الموضعان يوجهان النظر إلى التوحيد في التدبير، لكن الشرح التفصيلي لهما يحتاج إلى ضبط معنى الإله والاستقلال والقدرة. لا تكفي مقارنة سطحية بتعاون عدد من البشر على بناء واحد؛ لأن البشر الذين يتعاونون محدودون ويعملون داخل نظام سابق عليهم.

يقرأ المؤمن انتظام العالم بوصفه آية حكمة. غير أن «النظام» لا يعني أن كل ما يحدث مريح للإنسان أو موافق لرغبته الآنية. تعاقب الفصول، وتغير الأجسام، ومحدودية الأعمار، وما يقع من آلام، تثير أسئلة مختلفة لا يحسمها وصف الجمال وحده.

لذلك لا نَعِد في هذا الباب بإجابة مختصرة عن كل مسألة في الشر والابتلاء. نثبت أن تأمل الكون لا يعفينا من مواجهة المعاناة، وأن تفسير سبب الظاهرة لا يمنحنا علمًا بمقصد إلهي خاص في كل واقعة. وسيأتي عند الكوارث الطبيعية بحث مسؤولية الإنسان في الوقاية والإغاثة، وحدود نسبة العقاب إلى حادثة بعينها.

## من المعرفة إلى التواضع

يمس التوحيد نظرة الإنسان إلى ملكيته وقدرته. فهو يعمل ويتعلم ويصنع، لكنه لا يملك أصل العالم الذي يعمل فيه، ولا يستطيع أن يجعل نفعه الخاص معيارًا وحيدًا لاستخدامه. وفي هذا الوعي ما يحد من الغرور من دون أن يلغي الطموح إلى المعرفة.

وحين يتحدث الكتاب عن التسخير، ينبغي ألا يفهمه القارئ إذنًا بالإفساد. الانتفاع بالأرض يلزم أن يقترن بالسؤال عن أثره في الآخرين وفي إمكان استمرار الحياة. وهذه نتيجة أخلاقية أبنيها من اجتماع معاني النعمة والمسؤولية، وليست تحويلًا لآية منفردة إلى برنامج تقني مفصل.

نخرج من هذا الفصل بأصل يرافق ما بعده: وصف مراحل الخلق لا يستبدل الخالق بمراحل، ومعرفة الأسباب لا تحولها إلى آلهة. وسؤال البداية، الذي سنفتحه الآن، ينبغي أن يحمل معه هذا التمييز حتى لا يلتبس زمان العالم بحقيقة افتقاره.

إحالات الفصل: البقرة ١١٧؛ الأنعام ١٠١؛ الأعراف ٥٤؛ النحل ٤٠؛ الأنبياء ٢٢؛ يس ٨٢؛ الشورى ١١ ؛ الزمر ٦٢؛ نهج البلاغة، الخطبة الأولى [م١]؛ الكافي، خبر صفوان في الإرادة [م٥٦]. وقوبل حكم المجلسي في مرآة العقول [م١٥٣].

# الفصل ٣ — بدء الخلق وحدود السؤال عن البداية

## أي بداية نسأل عنها؟

يحمل سؤال البداية وعدًا جذابًا: لو عرفنا أول مشهد، أمكن أن نفهم الحكاية كلها. ولكن بدايات الأشياء ليست من نوع واحد. ولادة نجم، وتشكل كوكب، وظهور حالة فيزيائية نعيد بناءها بالحساب، والقول بخلق العالم، أسئلة تتداخل في اللغة ولا تتطابق في موضوعها.

حين يسأل طفل عن بداية بيت، قد يكون مراده يوم وضع أساسه، أو مصدر حجارته، أو الشخص الذي خطط له. كذلك ينبغي أن نحدد السؤال عن الكون قبل الشروع في الجواب. المثال يقرب اختلاف الأسئلة، ولا يجعل خلق الله مماثلًا للبناء البشري.

وفي الاستعمال الفلسفي يمكن التفريق بين تقدم شيء على شيء في الزمان، وبين افتقار شيء إلى غيره في وجوده. ليس كل بحث في الافتقار محاولة لتحديد تاريخ، وليس كل تاريخ نصل إليه جوابًا عن الافتقار. نحتاج هذا التمييز حتى لا نطلب من كلمة «البداية» أن تؤدي أعمالًا مختلفة دفعة واحدة.

## البدء والإعادة في النص القرآني

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩].

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥].

في الروم ٢٧ يرد بدء الخلق وإعادته في سياق بيان القدرة. وفي العنكبوت ١٩–٢٠ يقترن الموضوع بالأمر بالسير والنظر. ويعود الاستدلال في ق ١٥ إلى الخلق الأول في مواجهة الالتباس بالنشأة الجديدة. هذه المواضع لا تعرض تسلسلًا لكل مخلوق، لكنها تمنح السؤال عن البدء مكانًا واضحًا في خطاب الإيمان بالبعث.

والاستدلال بالإيجاد الأول على الإعادة لا يلزم أن يكون وصفًا لتكرار جميع المراحل المادية بالطريقة نفسها. فالآيات تتحدث عن قدرة الله، وليس للباحث أن يضيف من عنده آلية تفصيلية للبعث ثم ينسبها إلى هذا الاستدلال.

قال تعالى: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١].

كما لا يجوز أن يتحول الأمر بالنظر إلى إذن باختلاق أخبار الماضي. في الكهف ٥١ نفي لإشهاد المشار إليهم على خلق السماوات والأرض وخلق أنفسهم. ويذكّرنا هذا الموضع بفارق كبير بين من يشاهد الحدث وبين من يروي تصورًا عنه؛ ولا يجعل مجرد شغف الإنسان بالبدايات شهادة له على ما لم يحضره.

## كيف نعرف ماضيًا لم نشهده؟

لا تتوقف المعرفة بالماضي على حضوره المباشر. يستطيع الباحث دراسة أثر محفوظ، ثم مقارنة تفسيرات نشأته. غير أن قوة الاستنتاج تتعلق بنوع الأثر، ودقة القياس، وملاءمة النموذج، واستبعاد التفسيرات البديلة. ليست كل رواية ممكنة للأثر مساوية لغيرها، وليست كل رواية جذابة مؤيدة بالدليل.

وفي علم الكون تُجمع مشاهدات مختلفة لإعادة بناء مراحل مبكرة. يشرح العرض العلمي لدى ناسا تاريخًا بدأ بحالة شديدة الحرارة والكثافة، ثم تطور مع التوسع والتبريد؛ كما يميز بين ما تدعمه المشاهدات وما تبقى آليته غير محسومة في البدايات [ع١]. ولا ينبغي أن نحول هذا العرض إلى ادعاء أن العلم شاهد مباشرة كل ما نصفه أو حسم السؤال عن السبب النهائي للوجود.

من أمثلة التفكير التاريخي أن تقود آثار متعددة مستقلة إلى نتيجة واحدة، فتزداد الثقة بها. أما إذا اعتمد تصور واسع على شاهد محتمل واحد، بقي أضعف من تصور تتلاقى عليه شواهد مختلفة. هذه قاعدة في تقدير الأدلة، وليست امتيازًا نمنحه لتصور لأن نتيجته توافق رغبتنا.

## ماذا تعني كلمة «قبل»؟

في حياتنا اليومية نقول إن الفجر قبل الظهر، وإن حدثًا سبق آخر بمدة معينة. يستند هذا الكلام إلى ترتيب زمني يمكن تصوره وقياسه داخل خبرتنا. وحين نسأل عما قبل الكون، نحتاج أولًا إلى بيان ما إذا كنا نفترض زمنًا مستقلًا عن العالم الذي نتحدث عنه.

لا يكفي أن ننقل السؤال اليومي إلى أقصى الماضي ونفترض بقاء معناه بلا تغيير. بعض التصورات الفيزيائية تجعل حدود الوصف مرتبطة بطبيعة الزمان نفسه، وغيرها يبحث مراحل أسبق. ولا يعتمد الكتاب نموذجًا واحدًا من هذه التصورات بوصفه جوابًا نهائيًا عن الغيب، ولا يرفض السؤال لمجرد أنه صعب.

كذلك لا نحول عجز نموذج عن وصف حالة إلى خبر إيجابي عما كان فيها. القول «لا يصف نموذجنا هذه المرحلة» يختلف عن القول «نعرف أن هذه المرحلة اتصفت بكذا». الانتقال بينهما يحتاج إلى دليل جديد.

## العدم والفراغ ليسا لفظًا واحدًا

قد يرد في الكلام الشعبي أن شيئًا خرج من «الفراغ»، ثم يفهم القارئ أن العدم المحض أصبح مادة. لكن الفراغ الذي يدخل في وصف فيزيائي يُعرّف داخل نظرية وبخصائص وقوانين؛ أما العدم المحض فليس مخزنًا خفيًا ولا مجالًا له صفات.

لذلك، حين يستخدم المتكلم تعبير الخلق «لا من شيء»، فإنه ينفي افتراض مادة أزلية يلزم الخالق أن يصنع منها. ولا يقصد جعل العدم نفسه مادة صنع. وهذا التوضيح لغوي وفلسفي ضروري قبل مقارنة العبارات الدينية بأخبار الفيزياء.

ومن الخطأ في الاتجاه المقابل أن نستشهد بكل استعمال علمي لكلمة الفراغ وكأنه إنكار للخالق. يجب أن نقرأ التعريف الذي يستخدمه الباحث قبل أن نحكم على كلامه. كثير من الخلافات اللفظية تتضخم حين يظن كل طرف أن الآخر يستخدم مصطلحه بالمعنى نفسه.

## شاهد الخلق «لا من شيء» وفصل النص عن شرحه

في أول أخبار باب جوامع التوحيد من الكافي خطبة منسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام ترد فيها عبارة: «ولا من شيء خلق ما كان» [م٥٧]. ويبدأ طريقها بمحمد بن أبي عبد الله ومحمد بن يحيى، ثم ترد عبارة «جميعًا رفعاه» إلى الإمام الصادق عليه السلام. وقوبل حكم المجلسي بنص مرآة العقول، ج ٢، ص ٨٤، وفيه وصف الحديث الأول بأنه مرفوع [م١٥٥]. هذا نقل لحكمه، تؤيده صيغة الطريق الظاهرة، وليس تحقيقًا مستقلًا لأسماء وسائط لم يذكرها النص.

واجتماع الاسمين في افتتاح الطريق لا يملأ موضع الرفع بينهما وبين الإمام. لذلك لا نقدم الخبر للقارئ على أنه طريقان متصلان أُحصيت أسماء رجالهما، ولا نحذف علامة الرفع حين نختصر السند. ويمكن عرض دلالة الخطبة مع إبقاء هذا القيد، من غير تسوية صحة المعنى العام بثبوت جميع ألفاظ النسبة.

ويشرح المجلسي في الصفحة التالية نفي الخلق من شيء بأنه نفي توقف الإحداث على مادة أو شيء ليس الله موجده [م١٥٥]. يحدد هذا الشرح موضع السؤال: هل يفترض الخلق أصلًا خارجًا عن إيجاد الخالق؟ أما انتقال مادة مخلوقة إلى صورة أخرى داخل العالم فله بحث مختلف. هذا توجيه الشارح للعبارة، ولا يُستعمل لتعيين حالة فيزيائية بعينها قبل نشأة الكون المرصود.

ويلي الخطبة في نص الكافي تعليق يشرح وجه الاستدلال بهذه الصيغة، ويواجه افتراض أن الخالق لا بد أن يصنع من أصل قديم [م٥٨]. موضع هذا التعليق بعد انتهاء الخطبة مؤثر في الأمانة: هو شرح المصنف، فلا تُضم عباراته إلى كلام الإمام ثم تنقل على أنها حديث واحد.

والفائدة التي أعرضها هنا هي الفصل بين نفي الأصل المادي المفروض وبين نفي الأسباب في داخل العالم. فالإقرار بأن الله لم يحتج إلى مادة مستقلة عنه لا يعني أن النبات لا ينشأ من بذرة أو أن الإنسان لا يمر بأطوار. اختلاف مستوى السؤال يمنع أن يُجعل وصف نمو شيء اعتراضًا على أصل الخلق.

وتظهر فائدة أخرى في قراءة النصوص الطويلة: قد ينتقل الكلام من الرواية إلى تعليق ناقلها من غير عنوان كبير أو لون مختلف. ولهذا لا يكفي نسخ فقرة وجدناها في صفحة دينية؛ ينبغي معرفة المتكلم وحدود المقتبس. يحفظ هذا التمييز قيمة النص وقيمة الشرح معًا، ويمنع صناعة أسانيد لعبارات لم يدع أصحابها أنها روايات.

## سؤال المكان قبل العالم

ويروي الكافي، في باب الكون والمكان، الحديث الثاني بطريق عدة من أصحاب الكليني، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن الإمام الرضا عليه السلام. يحكي المتن قدوم رجل من وراء نهر بلخ يسأل عن ربه بعبارات تتناول الزمن والكيفية والاعتماد [م٥٩]. وقوبل تصحيح المجلسي لهذا الطريق بنص مرآة العقول الإلكتروني، ج ١، ص ٣٠٨ [م١٥٤].

وفي الصفحة نفسها يرجح المجلسي قراءة «أين كان» بدل «متى كان»، وينسب الأولى إلى التوحيد وعيون أخبار الرضا، ثم يوجه اللفظ الموجود في النسخة التي يشرحها [م١٥٤]. وأظهرت المقابلة المباشرة للنصين الإلكترونيين

لفظ «أين كان» في التوحيد، باب القدرة، ح ٣، ص ١٢٥ [م٢٨١]، وفي العيون، ج ١، باب ١١، ح ٦، ص ١١٧ [م٢٨٢]. ويذكر نصاهما جماعة من وراء النهر، بينما يذكر موضع الكافي رجلًا من وراء نهر بلخ. تثبت المقابلة ما في هذه النصوص المعروضة، ولا تعني اتفاق جميع النسخ أو استبدال لفظ الكافي.

ويتبع الخبر في كتابي الصدوق تعقيب يبدأ بتصريح المصنف بأنه كلامه؛ يشرح فيه الاعتماد على القدرة، وصلتها بالذات [م٢٨١-م٢٨٢]. فهذا تفسير للصدوق بعد انتهاء الحوار، وليس زيادة في جواب الإمام. كما يختلف الطريق الذي أورده الصدوق قبل أحمد بن أبي نصر عن طريق الكافي، فلا يكفي تشابه المتن للحكم على استقلال الطرق أو صحتها جميعًا.

ويظهر أثر الفرق في جهة السؤال: «متى» تسأل عن موقع زمني، و«أين» عن موضع، أما الجواب فيرد فرض احتياج الخالق إلى المكان والكيفية. لذلك يبقى لفظ الكافي المعروض في موضع النقل، ويُذكر الوجه الآخر في الشرح. لا تستبدل كلمة بأخرى من غير تنبيه ثم تُنسب العبارة المعدلة إلى المصدر الأول.

ويشرح المجلسي الاعتماد الوارد في الجواب بنفي الاستناد إلى غير الله، ويربط حاجة الموجود إلى ما يعتمد عليه بنقصانه؛ بينما يجعل افتقار المخلوقات إلى قدرته هو جهة العلاقة [م١٥٤]. هذه خلاصة شرح المجلسي، لا تتمة جديدة نضيفها إلى كلام الإمام.

وأستخلص من ذلك أن صيغة السؤال قد تحمل افتراضًا يحتاج إلى الفحص قبل طلب الجواب. فمن يسأل عن موضع جسم يكون قد أثبت له، ابتداءً، خصائص الجسم؛ وإذا نقل السؤال نفسه إلى الخالق لم يكف تغيير الاسم مع إبقاء تلك الخصائص. مراجعة الفرض هنا جزء من فهم السؤال، وليست دعوة إلى إسكاته.

ولا نحول هذا الشاهد إلى نظرية في الأبعاد الفيزيائية؛ موضوعه علاقة الخالق بالمكان، لا عدد أبعاد الكون ولا هندسة الزمكان. قد يجيب الباحث عن شكل حيز مادي أو عن تغير مسافاته، ويبقى السؤال التوحيدي مختلفًا في موضوعه. كما لا تمنحنا الرواية خريطة للمادة بمجرد أنها تحدثت عن المكان.

## التواضع دون تعطيل السؤال

لا يطالب الكتاب قارئه باختيار صورة مفصلة لما قبل أول حالة موصوفة علميًا. يطالبه بأن يعرف الفرق بين الدليل والاحتمال، وبين الوصف الطبيعي والبحث الفلسفي والخبر الديني. وقد يبقى السؤال مفتوحًا من دون أن يصبح كل جواب عنه متساويًا في القيمة.

ولا ينقص من الإيمان أن نقول إن تفصيلًا ما لم يثبت عندنا، كما لا يزيد في العلم أن نعطي للمجهول اسمًا يوحي بحسمه. تبقى الرحلة المعرفية أمينة حين تعرف أين وصلت، وما الطريق الذي سلكته، وما الذي لا يزال أمامها.

وبهذا الاستعداد ندخل روايات أول المخلوقات. لن نبدأ بمحاولة ترتيب كل اسم ورد في الذاكرة، بل سنبدأ بتعيين النصوص: من نقلها؟ وما ألفاظها؟ وأي معنى للأولية تدل عليه؟ وما الذي تسمح طرقها بإثباته؟

إحالات الفصل: العنكبوت ١٩–٢٠؛ الروم ٢٧؛ ق ١٥؛ الكهف ٥١؛ الكافي، باب جوامع التوحيد، ح ١ وتعليق المصنف [م٥٧، م٥٨]؛ باب الكون والمكان، ح ٢ [م٥٩]؛ ناسا، تاريخ الكون [ع١]. ومقابلتا مرآة العقول في الكون والمكان وجوامع التوحيد [م١٥٤، م١٥٥]. وللمقابلة المباشرة في كتابي الصدوق وتعقيبه على الخبر: [م٢٨١–م٢٨٢].

# الفصل ٤ — روايات أول المخلوقات — الجمع والتحقيق

## القلم والعلم في أصل العرض القرآني

قبل البحث في أولية القلم في الروايات، نثبت ما ورد فيه في القرآن. ففي مطلع سورة القلم يقترن القسم بالقلم وما يُسطر بالدفاع عن الرسول صلى الله عليه وآله، وذكر أجره وخلقه:

قال تعالى: ﴿ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢].

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ٣].

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

القسم في هذا الموضع لا ينص على زمن خلق القلم، ولا يسمي مادة صناعته. تظهر صلته بالرسالة في الآيات التالية، حين تُنفى تهمة الجنون ويُذكر الخلق العظيم. ومن قراءة هذه الوحدة يستفاد أن البحث في العلم والكتابة لا ينفصل عن أمانة حامل المعرفة واستقامة فعله. أما ترتيب المخلوقات فمسألة أخرى لا تحسمها صيغة القسم وحدها.

وفي مطلع سورة العلق يتصل الخلق بالتعليم:

قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢].

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣].

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤].

﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥].

تبدأ الآيات بالقراءة باسم الرب الخالق، وتذكر أصل الإنسان، ثم كرم الرب وتعليمه بالقلم. يبقى الإنسان متعلمًا مفتقرًا، مهما اتسعت قدرته على حفظ المعارف وتناقلها. وتسمية القلم هنا في سياق التعليم واضحة، بينما لا ترد عبارة تجعله أول جميع المخلوقات.

بهذا تتحدد نقطة البدء: أصل قرآني في منزلة العلم والكتابة، ثم أخبار تحتاج إلى دراسة حين تنتقل إلى خلق القلم وترتيبه في الموجودات. لا نستخرج من الآيات سلسلة زمنية لم تذكرها، ولا نسقط الأخبار لمجرد أن القرآن لم يفصل موضوعها؛ بل نطلب لكل زيادة مستندها.

## من العبارة المشهورة إلى النص المحقق

تبدأ دراسة أخبار الأولية بخطوة بسيطة كثيرًا ما تُتجاوز: هل العبارة التي نناقشها هي نص الرواية، أم تلخيص متأخر لها؟ قد يسقط من التلخيص قيد يغير المعنى، أو يلتحق به شرح يبدو بعد كثرة التداول جزءًا من كلام المعصوم. ولهذا نحفظ لفظ المصدر قبل أن نحاول حل التعارض.

ثم نثبت اسم الكتاب وبابه وموضع الخبر، ونفصل سلسلة الرواة عن المتن والتعليق. إذا نقل كتاب متأخر خبرًا من كتاب أقدم، فإن تكرار الخبر في الكتابين لا يصنع وحده طريقين مستقلين. وإذا اختلف اللفظ، نسجل الاختلاف بدل أن ننتقي من كل نسخة ما يلائم تصورنا.

وأخبار البداية تحتاج إلى هذا الاحتياط خاصة؛ لأنها قد تتناول عالمًا لا نستطيع اختباره مباشرة. كلما اتسعت الدعوى قلّت قدرتنا على الاكتفاء بإشارة غامضة أو نسبة شائعة. لا يرفع جمال الصورة عبء الإثبات عن ناقلها.

## أقسام الأولية وحدود الجمع

يمكن للأولية في الاستعمال أن تكون زمنية مطلقة، أو مقيدة بصنف، أو متصلة بالرتبة والشرف. لكن هذه احتمالات للفحص، وليست مفاتيح جاهزة نفتح بها كل اختلاف. فلا نحمل «الأول» على الأشرف لمجرد أنه يزيل إشكالًا، كما لا نجعله أول لحظة فيزيائية إذا كان النص يقيده بعالم مخصوص.

لنتصور على سبيل التعليم عبارتين: «أول من دخل المدينة» و«أول من دخل المدرسة». لا يقع التناقض بينهما بمجرد اختلاف الاسمين، لأن مجال المقارنة مختلف. أما إذا اتحد المجال والزمان والمراد، فإن دعوى الأولية تحتاج إلى بحث آخر. هذا المثال يوضح المنهج ولا يثبت مسبقًا طريقة الجمع بين أخبار الباب.

والجمع المقبول ينبغي أن يحفظ ما يدل عليه اللفظ، ويستند إلى قرينة قابلة للمراجعة. أما اختراع طبقات كثيرة من الوجود ثم توزيع الأخبار عليها بلا شاهد، فيحوّل المشكلة من اختلاف محدود إلى تصور أوسع غير موثق.

## شاهد العقل في الكافي

يروي الكليني حديث جنود العقل والجهل في كتاب العقل والجهل، الحديث الرابع عشر. وطريقه يبدأ بعدة من أصحاب الكليني، ثم أحمد بن محمد، ثم علي بن حديد، ثم سماعة بن مهران، الذي يروي مجلسًا عند أبي عبد الله عليه السلام. وترد فيه العبارة: «وهو أول خلق من الروحانيين» في وصف العقل [م١٧].

القيد «من الروحانيين» حاضر في النص، فلا يجوز حذفه ثم إعلان أن الرواية حسمت ترتيب كل الأجرام والعناصر. كما أن بقية الخبر تعرض جنود العقل والجهل في صفات متقابلة، مثل العدل والجور والصدق والكذب. هذا السياق الأخلاقي مؤثر في فهم المقصود، من دون أن يلزم منه نفي كل دلالة وجودية عن الخبر.

وقوبل تضعيف المجلسي لهذا الطريق بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ١، ص ٦٥، عند شرحه الحديث الرابع عشر [م٩٧]. تثبت الحكم منسوبًا إلى صاحبه، ولا تعني مقابلة موضعه استقصاء مباني التصحيح والتضعيف أو طرق الخبر الأخرى.

النتيجة المنهجية أن هذا الطريق لا يُعرض في الكتاب بوصفه صحيحًا متفقًا عليه. ويمكن دراسة الدلالة الأخلاقية للنص ومقارنة معانيها بالأصول الثابتة، مع بقاء دعوى الأولية الغيبية محتاجة إلى مقدار الإثبات المناسب لها. ضعف الطريق لا يعني آليًا أن كل معنى في المتن باطل؛ كما أن صحة معنى عام لا تثبت صدور جميع التفصيلات.

## حديث خلق العقل غير حديث جنوده

في أول كتاب العقل والجهل من الكافي خبر محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام، يبتدئ بقوله: «لما خلق الله العقل استنطقه». وطريقه: عدة من أصحاب الكليني، منهم محمد بن يحيى العطار، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم. ويعرض إقبال العقل وإدباره وموقعه من الأمر والنهي والثواب والعقاب [م٦٠].

وقوبل تصحيح المجلسي لهذا الخبر بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ١، ص ٢٥ [م١٥٦]. وثبت في صورة صحيح الكافي، ج ١، ص ١، أن البهبودي افتتح مختاره بهذا الخبر، برقم ١ [م٣٠٦]؛ فتستند نسبة تصحيحه إليه إلى إدراجه ومنهجه المصرح به في المقدمة [م٣٠٥]. هذا هو الحديث الأول، وليس الحديث الرابع عشر المتقدم؛ فلا يؤخذ حكم أحدهما ويوضع على طريق الآخر أو ألفاظه.

وفي افتتاح الشرح يميز المجلسي بين العقل بمعنى إدراك الخير والشر والقدرة على التمييز، وبين الحالة التي تحمل النفس على اختيار الخير واجتناب الضرر. ثم يناقش صلة المعرفة بالعمل واستعداد الإنسان للتحصيل [م١٥٦]. نعرض هذه المعاني بصفتها شرحًا للمجلسي؛ فلا نزعم أن لفظ العقل في كل خبر يحمل اصطلاحًا فلسفيًا واحدًا.

وتساعد هذه القراءة على فهم صلة الخبر بمخاطبة الإنسان وتكليفه. فالمعرفة ليست كثرة أسماء وصور فحسب؛ قد يعرف المرء وجه الصواب ثم يضعف عن العمل به. ومن تأمل هذا الفرق أمكنه أن يسأل عن أثر علمه في ضبط سلوكه، بدل أن يجعل القدرة على الجدل دليلًا كافيًا على كمال العقل.

وأما صيغة «لما خلق» فتحكي ما جرى عند الخلق، ولا تتضمن بنفسها كلمة «أول». لذلك لا يتوقف إثبات منزلة العقل في المسؤولية على حسم ترتيبه بين جميع الموجودات. يحفظ النص مكانه في الحديث عن الفهم والطاعة، ويبقى ترتيب المخلوقات سؤالًا آخر يحتاج إلى لفظ ودليل يناسبانه.

## شاهد الماء في التوحيد

أورد الصدوق في باب التوحيد ونفي التشبيه، الحديث العشرين، خبرًا عن جابر الجعفي في سؤال رجل من أهل الشام لأبي جعفر عليه السلام عن أول المخلوقات. ويذكر المتن الماء، ثم يناقش الخلق لا من مادة سابقة. ومن رجال الطريق المصرح بأسمائهم أبو سمينة، بين الحسين بن الحسن وإسماعيل بن أبان [م١٨].

وليس إثبات وجود الخبر في كتاب التوحيد كافيًا للحكم بصحته. فالنجاشي يذكر محمد بن علي الملقب بأبي سمينة في الترجمة رقم ٨٩٤، ويصرح بتضعيفه وعدم الاعتماد عليه [م٢٢]. بناء على هذا التضعيف لا نعتمد هذا الطريق وحده لإثبات ترتيب قطعي لأول الموجودات، مع بقاء دراسة الطرق والقرائن الأخرى مسألة مستقلة.

ونميز هنا بين فائدتين: الأولى معرفة أن لهذا التصور شاهدًا نصيًا معينًا يمكن الرجوع إليه، والثانية إثبات التصور نفسه. لقد أنجزنا الأولى، وحددنا مانعًا سنديًا في الطريق المعروض؛ فلا ينبغي أن نستبدل هذا البيان بعبارة مطلقة توهم أن التحقيق انتهى إلى صحة الخبر أو إلى استقصاء كل ما في موضوعه.

## القلم: تعيين خبر الأولية وتمييزه من خبر الكتابة

كان المتاح في المراجعة السابقة نقل المجلسي لخبر أولية القلم عن تفسير علي بن إبراهيم، في مرآة العقول، ج ٢٥، ص ٢٢٥ [م١٠٦]. وأمكن الآن مقابلته بموضعه في النص الإلكتروني للتفسير، ج ٢، ص ١٩٨، عند سورة

سبأ. يرد الطريق فيه عن الأب، عن ابن أبي عمير، عن «هشام»، إلى الإمام الصادق عليه السلام، ويذكر أولية القلم وكتابته ما كان وما يكون إلى يوم القيامة [م١٥٧].

والفرق الذي تحفظه المقابلة أن النص المقروء من التفسير يذكر هشامًا دون اسم أبيه، بينما يسميه المجلسي هشام بن سالم [م١٠٦]. تثبت نسبة هذا التعيين إلى نقل المجلسي، ولا ندخله خفية في اقتباس نص التفسير. العثور على موضع الخبر أزال نقص الإحالة السابقة، لكنه لا يغني عن دراسة نسبة مادة التفسير ومقابلة نسخه وطريق هذا الموضع.

ويتصل ورود الخبر هناك بسياق علم الغيب والكتاب المبين في قوله تعالى:
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

تجيب الآية عن إنكار الساعة بتأكيد مجيئها وإحاطة العلم بما في السماوات والأرض. فالكتاب مذكور في سياق لا يغيب عنه صغير ولا كبير، وليس في لفظ الآية نفسها تعيين ترتيب القلم بين المخلوقات. يفيد حفظ هذا السياق في منع نسبة تفصيل الخبر إلى ألفاظ القرآن، وفي وصل البحث في الكتابة بمسؤولية الإنسان والبعث.

وأما الخبر المفصل الذي يبدأ بالسؤال عن «ن والقلم»، فقد قوبل أيضًا بالنص الإلكتروني للتفسير، ج ٢، ص ٣٧٩-٣٨٠ [م١٥٨]. يمر بابن أبي عمير والقصير إلى الإمام الصادق، ويتحدث عن شجرة في الجنة ونهر يصير مدادًا، وعن الكتابة في رق وحفظ الكتاب عند العرش. وتعرض هذه النسخة اسم عبد الرحمن، ومعه عبد الرحيم بوصفه قراءة أخرى. لا يفتتح هذا الخبر بصيغة أولية القلم؛ فهما خبران مختلفان في الطريق والمقدار المنقول.

وعند ترجمة عبد الرحيم القصير في معجم رجال الحديث، يسجل السيد الخوئي هذا الاختلاف بعينه، ويرجح عبد الرحيم استنادًا إلى المقارنة بالروايات، ويربطه بعبد الرحيم بن روح الأسدي. ويناقش كذلك تمييزه من ابن عتيك وقرائن الانصراف [م١٥٩]. بهذا صار اختلاف الاسم مرتبطًا ببحث رجالي مسمى، بدل أن يبقى ملاحظة بلا مرجع.

وفي الترجمة نفسها يضعّف الخوئي طريق الصدوق إلى القصير بسبب جعفر بن علي [م١٥٩]. هذا طريق يورده في المشيخة؛ فلا يُنقل حكمه إلى طريق ابن أبي عمير في خبر القلم لمجرد اشتراكهما في الراوي الأخير. وبالمثل، لا يصير ترجيح اسم راوٍ أو توثيقه تصحيحًا آليًا لكل ما نُسب إلى كتاب وصلنا فيه الخبر.

ومن هذه المقابلة أستخلص أدبًا في النقل: نثبت الاسم الذي تقرؤه النسخة، ثم نذكر الترجيح ودليله وصاحبه. يحتفظ القارئ عندئذ بالفرق بين ما في النص وما انتهى إليه ناقده، ويمكنه متابعة البحث إذا ظهرت طبعة أو نسخة أخرى.

## الأولية الإضافية: وجه في الشرح يحتاج إلى قرينته

اقترح المجلسي في شرحه حمل أولية القلم على أولية مقيدة، واستأنس بخبر الشجرة والجنة [م١٠٦]. نفهم من ذلك محاولة للجمع بين خبر يذكر الأولية وخبر يفترض في تصويره موجودات أخرى. هذه قراءة للشارح، وليست قيدًا يجوز إضافته داخل نص الرواية من غير تنبيه.

والموازنة هنا أدق من الاختيار بين قبول جميع الصور أو رفضها كلها. يبدأ الباحث بتعيين كل لفظ وطريقه، ثم يسأل: هل ثبتت النصوص التي يراد الجمع بينها؟ وهل الأولية في كل واحد منها واقعة في المجال نفسه؟ فإذا لم يثبت أحد الطرفين، لم يصبح تأويل الطرف الآخر واجبًا بمجرد الرغبة في بناء قصة متصلة.

وفي تفسير هود ٧ ورد أيضًا عرض يبدأ بالهواء ثم القلم، ويتابع ذكر أشياء خُلقت من الهواء [م١٠٨]. لا يظهر في افتتاح هذا المقطع سند مسمى لكل هذه التفاصيل، فلا ندرجه في رتبة واحدة مع خبر عُين طريقه. وتفيد المقارنة بأن المادة المتداولة تحت عنوان «أول المخلوقات» ليست نصًا واحدًا متجانسًا.

## الكتاب والعلم والمسؤولية

وفي خبر القلم المفصل إحالة إلى الاستنساخ والكتاب [م١٠٧]. ونثبت الآية كاملة حتى لا تذوب دلالتها في اختصار الرواية:

قال تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

يواجه الخطاب الإنسان بعمله الذي يُشهد عليه بالحق. والانتقال من إثبات العلم بالعمل وكتابته إلى القول إن الإنسان مكره على فعله يحتاج إلى حجة مستقلة؛ فالمعرفة بالفعل ليست في ذاتها وصفًا لسبب وقوعه. تُبحث صلة العلم والتقدير والاختيار في فصل الميزان والسنن، ولا نجعل خبر القلم وحده بديلًا عن ذلك البحث.

قال تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

وتمنعنا قراءة هذه الآية مع آية الكتاب من بناء تصور مبتور يقتطع لفظ الكتابة ثم يغفل سائر نصوص المشيئة والتدبير. لا نزعم أن هاتين الآيتين تفصلان جميع مسائل القضاء والقدر، إنما نحفظ حضور النصوص ذات الصلة قبل صياغة نتيجة عامة.

**اللوح والمداد: ما يثبته القرآن وما تضيفه الرواية**

يرد ذكر اللوح المحفوظ في ختام سورة البروج:

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١].

﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢٢].

يثبت هذا الموضع وصف القرآن بالمجد وكونه في لوح محفوظ. ولا يذكر مادة اللوح أو أبعاده أو زمن خلقه، ولا يجعل لفظه وحده جدولًا لترتيب الموجودات. وحين ننتقل إلى روايات الكتابة نحفظ هذا الحد، فتظل الزيادة الروائية منسوبة إلى خبرها وطريقها.

وفي صورة أخرى تتسع دلالة المداد إلى ما لا تحيط به قدرة الإنسان:

﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

من قراءة الصورة يتبين الفرق بين نفاد المورد الذي نكتب به وبين كلمات الرب التي لا يستوعبها ذلك المورد. لا يقيس القارئ علم الله بحجم بحر، ولا يحول الصورة إلى حساب لكمية حبر غيبية. وهي ترد الباحث، بعد كل ما يجمعه، إلى تواضع من يعرف أن مجموع ما كتبه لا يحيط بموضوع العلم الإلهي.

ويرد شاهد آخر في معاني الأخبار للصدوق، في أول أحاديث باب معنى الحروف المقطعة، ص ٢٢-٢٣ [م١٦٠]. ينقل عن سفيان بن سعيد الثوري سؤاله الإمام الصادق عليه السلام، ويتضمن ذكر نهر يصير مدادًا، ووصف المداد والقلم واللوح بالنور، ثم بيانًا يذكر الملك والتأدية إلى الملائكة والرسل. هذا عرض لمضمون الخبر، لا تقرير منا لثبوت جميع تفصيلاته، ولا استبدال له بخبر القصير.

ويبدأ طريقه بإخبار محمد بن هارون الزنجاني للصدوق كتابةً على يدي علي بن أحمد البغدادي الوراق، ثم معاذ بن المثنى العنبري، وعبد الله بن أسماء، وجويرية، وسفيان [م١٦٠]. ولصيغة وصول الكتاب أهميتها؛ فلا يعاد تحريرها على أنها سلسلة سماع مباشر بألفاظ لم يذكرها المصدر.

وقد ناقش الشيخ حسين الخشن هذا الطريق في بحثه «الروايات التأويلية»، ووصفه بالضعف الشديد، مستندًا إلى عدم ثبوت التوثيق لعدد من رجاله [م١٦١]. نثبت هذا حكمًا منسوبًا إلى صاحبه، مع بقاء استقصاء أقوال الرجال ونسخ الأسماء مفتوحًا. لذلك يرد الخبر هنا ضمن المقارنة، ولا يعتمد وحده لإثبات خريطة تفصيلية للعالم الغيبي.

وتبين المقارنة أن الألفاظ المتداولة في هذا الباب لا تنتمي إلى رواية واحدة: خبر هشام يذكر الأولية، وخبر القصير يذكر الشجرة والكتابة، وخبر سفيان يجمع بين النور والملك والتأدية. وقد يتناول الشراح العلاقة بينها، لكن لا يجوز دمج مقاطعها في حديث طويل ثم منحه سند واحد.

ومن جهة الفهم، لا يكفي وجود كلمة النور في هذا الخبر لجعل القلم ضوءًا بالمعنى الذي تقيسه الفيزياء، كما لا يكفي ورود كلمة الملك لإثبات تفسير واحد لكل استعمال للقلم. يحمل كل نص سياقه، ويمتد البحث بقدر ما يثبت منه. وتظل فضيلة الكتابة في حياة القارئ متصلة بأمانة الكلمة: ما لا يملك له دليلًا لا يزداد صدقًا بحسن ترتيبه على الصفحة.

## خبر مرازم في النور: النص والطريق والحكم

سبق عرض خبر مرازم في الكافي، باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ووفاته، الحديث الثالث [م٦١]. وفي هذه المراجعة قوبل طريقه وحكم المجلسي مباشرة بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ٥، ص ١٨٦ [م١٠٩]. يبدأ الطريق بأحمد بن إدريس، ثم الحسين بن عبد الله، ويذكر محمد بن عيسى ومحمد بن عبد الله، ثم علي بن حديد ومرازم. وحكم المجلسي على هذا الخبر بأنه ضعيف.

بهذه المقابلة صار موضع الحكم معروفًا في كتاب صاحبه، بعد أن كان منقولًا بواسطة فهرسة الحديث. ولا ننقل التضعيف إلى جميع أخبار النور، ولا نجعله حكمًا على مقام النبي وأهل بيته؛ موضوع الحكم هو الطريق المعين الذي ندرسه.

يذكر المتن خلق النبي والإمام علي نورًا قبل السماوات والأرض والعرش، ثم يتحدث عن الحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام. وتظهر في ألفاظه التهليلات والتمجيد والتقديس. يبقى عرض هذا المضمون وصفًا لما تقوله الرواية، ولا يتحول بمجرد نقله إلى إثبات مستقل لكل تفاصيله.

وفي الصفحة التالية يعرض المجلسي وجوهًا لفهم القبلية والروح والجمع والقسمة، ويذكر احتمالًا في التقدير واحتمالًا في الرتبة إلى جانب شرحه الآخر [م١١٠]. تنوع هذه الوجوه يبيّن أن نسبة الحديث إلى مصدر لا تحسم تلقائيًا كيفية قراءته. ولا يصح أن نختار شرحًا ثم ندرجه بين علامتي اقتباس على أنه من كلام الإمام.

## النور في الآية وفي الخبر

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

في الآية تصريح بالمثل والهداية والعلم. وفي خبر مرازم كلام عن خلق نور ومقامات أشخاص. اشتراك الموضعين في لفظ النور لا يجعل جميع تفاصيلهما متطابقة، ولا يسمح بنسبة خبر الخلق إلى الآية باعتباره تفسيرها الوحيد.

والتمييز بين نور مخلوق يذكره خبر وبين وصف الله في آية النور لازم حتى لا تتوهم المخيلة مادة تتجزأ من ذات الخالق. لا نرسم خروج أشعة من جسم إلهي، ولا نحول المصباح والزجاجة والزيتونة إلى أعضاء أو أجزاء منه. نحفظ أصل التنزيه، ونقرأ المثل في إطار الهداية التي صرحت بها الآية.

ولا يقاس النور الوارد في هذه الأخبار بمقادير الطيف لمجرد تشابه الاسم مع الضوء الفيزيائي. يستطيع الباحث دراسة استعمال النور في الهداية والظهور والخلق، لكن تعيين طول موجي أو سرعة أو كتلة يحتاج إلى دليل من نوع آخر. ولهذا لا نضع في الكتاب صورة فلكية بوصفها تصويرًا للنور الذي تصفه الرواية.

أما الصيغة المتداولة المنسوبة إلى جابر وغيرها من الصيغ، فلا تُستبدل بخبر مرازم، ولا يغني تحقيق أحدها عن البقية. انتهى هذا المقطع إلى شاهد معين ومقابلة حكمه وبيان حدود دلالته؛ وتبقى بقية الطرق في برنامج الاستقصاء.

## حصيلة الفصل

تميزت في هذا الفصل هوية حديث خلق العقل عن حديث جنوده، وقوبل تصحيح الأول وتضعيف الثاني بكتاب المجلسي. وعُرض خبر أولية الماء، ثم عُين أصل خبر أولية القلم عند سبأ ٣، وقورن بخبر الكتابة عند مطلع القلم، مع نقل بحث الخوئي في اسم القصير. وأضيف شاهد اللوح والقلم والنور من معاني الأخبار مع بيان طريقه والحكم المنقول عليه، وقوبل حكم خبر مرازم من قبل. وسبقت هذه المقارنات الآيات بنصوصها الكاملة. لا تنتج

الأخبار بمجرد تجاورها ترتيباً شاملًا لأول الموجودات؛ إذ تختلف ألفاظها وطرقها ودلالاتها. وتستكمل المقارنة بخبري الماء في روضة الكافي في الفصل التالي.

ومن هنا ينتقل البحث إلى الماء في القرآن. سنفصل بين ما تثبته الآيات بنفسها، وبين ما تقترحه الروايات وشروحها، حتى لا تتوقف دلالة نص ثابت على اعتماد خبر مختلف في طريقه.

إحالات الفصل: القلم ١-٤؛ العلق ١-٥؛ الجاثية ٢٩؛ الرعد ٣٩؛ النور ٣٥؛ الكافي، كتاب العقل والجهل، ح ١ وح ١٤ [م٦٠، م٢، م١٧]؛ التوحيد، باب التوحيد ونفي التشبيه، ح ٢٠ [م١٨]؛ النجاشي، ترجمة أبي سمينة رقم ٨٩٤ [م٢٢]؛ خبر مرازم [م٦١، م١٠٩، م١١٠]؛ نقل أولية القلم [م١٠٦]؛ والتفسير المنسوب إلى القمي عند القلم وهود [م١٠٧، م١٠٨]. وأضيفت سبأ ٣؛ البروج ٢١-٢٢؛ الكهف ١٠٩. مقابلة حديث خلق العقل [م١٥٦]؛ أصل خبر أولية القلم [م١٥٧]؛ خبر القصير وبحث اسمه [م١٥٨، م١٥٩]؛ معاني الأخبار ومناقشة طريقه [م١٦٠، م١٦١].

# الفصل ٥ — الماء في نصوص بدء الخلق

## لفظ واحد في سياقات مختلفة

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود: ٧].

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠].

يظهر الماء في القرآن في مواضع تتصل بالخلق والحياة والرزق والابتلاء. لكن جمع هذه المواضع لا يعني أن السؤال في كل منها واحد. ففي هود ٧ يرد ذكر العرش على الماء في سياق خلق السماوات والأرض والابتلاء بالعمل، وفي الأنبياء ٣٠ يرتبط الماء بالحياة، وفي الملك ٣٠ يسأل الخطاب عن الماء الذي يمكن أن يغور وعن القدرة على الإتيان بماء معين.

والقارئ الذي ينتقل بين هذه الآيات يحتاج إلى حفظ الفرق بين خبر عن بدء الخلق، وبين وصف نعمة يشاهد أثرها، وبين احتجاج يهز شعوره بالأمان. هذا التنوع يجعل موضوع الماء أوسع من مادة نعرّف خصائصها، لكنه لا يبيح تبديل المعاني بعضها ببعض بلا قرينة.

ومن هنا لا نبدأ بادعاء أن كل ماء مذكور هو الحالة نفسها أو أن كل سياق يصف التركيب نفسه. كما لا ننفي إمكان الحقيقة بدعوى أن اللفظ ديني. نثبت ما يثبته الموضع، ونؤجل التفصيل الذي لم يدل عليه إلى بابه من البحث.

## قراءة آية هود

تجمع هود ٧ بين خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وذكر العرش على الماء، وغاية الابتلاء بأحسن العمل. فمن يقتطع العبارة المتعلقة بالماء وحدها قد يفقد اتصال الخبر بالسؤال عن مسؤولية المخاطبين. لا تقدم الآية مقدار الماء ولا حدوده ولا صفاته الفيزيائية.

كما أن الآية لا تصرح بنفسها بأن الماء أول المخلوقات على الإطلاق. إثبات وجوده في هذا السياق شيء، وإثبات أوليته المطلقة شيء آخر. تحتاج الزيادة إلى دليل مستقل، ولا يصح إدخالها في الترجمة التفسيرية ثم التعامل معها كأنها جزء من النص.

قال تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

والعرش ليس في الآية اسمًا لجسم يحمل ذات الله. نقرأها مع أصل التنزيه في الشورى ١١، ولا نرسم فوق الماء مشهدًا بشريًا لجلوس ملك على سرير. سيأتي شرح العرش في موضعه، أما هنا فيكفينا ألا نحول خبرًا مجمل الكيفية إلى صورة تحد الخالق.

## شاهدان روائيان وحدود الاستفادة

في باب «وكان عرشه على الماء» من كتاب التوحيد يورد الصدوق خبر داود الرقي عن الإمام الصادق عليه السلام. يبدأ طريقه بعلي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق، عن محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن محمد بن إسماعيل البرمكي، عن جذعان بن نصر أبي نصر الكندي، عن سهل بن زياد الآدمي، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الرحمن بن كثير، عن داود [م١٩].

يبدأ المتن بسؤال عما يقوله الناس، ثم يرد فيه القول بأن الرب فوق العرش على الماء، ويتلوه رد الإمام بحسب الرواية. فمن نقل قول السائل وحده فقد يعكس جهة الخبر، وينسب إلى الإمام ما ورد النص لإنكاره. ويتابع الخبر الحديث عن العلم والدين والميثاق، وهذه مضامين تحفظ بهويتها، ولا تتحول إلى وصف لطبيعة سائل فيزيائي.

ويليه خبر أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي عن سؤال المأمون للإمام الرضا عليه السلام. وطريقه في التوحيد: تميم بن عبد الله بن تميم القرشي، عن أبيه، عن أحمد بن علي الأنصاري، عن أبي الصلت [م١٩]. هنا ينتهي الطريق إلى راوٍ آخر ومجلس آخر، فلا يصح أن يسمى الخبران سندين متطابقين لمتن واحد.

وفي المفيد من معجم رجال الحديث، ص ٩٥، يصف محمد الجواهري تميم بن عبد الله بن تميم القرشي بأنه مجهول، مع ذكره في مشايخ الصدوق [م١٦٢]. هذا حكم على راوٍ في صدر الطريق، ننقله باسم صاحبه، ولم تُنجز هنا دراسة مستقلة لبقية رجاله أو استقصاء جميع مباني قبول روايته. فلا نقدم هذا الطريق بوصفه صحيحًا بمجرد وروده في التوحيد.

ومع حفظ هذا القيد، يذكر متن الخبر خلق العرش والماء والملائكة قبل السماوات والأرض، ويؤكد غنى الله عن العرش وينفي الجسمية. ويصل تدرج الخلق باستدلال الملائكة بما يحدث أمامها [م١٩]. نعرض ما تقوله الرواية، ثم نفصل قيمة معاني التنزيه العامة عن درجة ثبوت هذه التفاصيل بعينها.

ويعود أثر ذلك إلى قراءة آية هود: لا نحتاج إلى تصور الله محتاجًا إلى حامل كي نفهم ذكر العرش، ولا إلى دمج الأخبار لتكوين مشهد مادي مكتمل. وقد يبقى في التحقيق ما لم يثبت، بينما يبقى الأصل القرآني في غنى الخالق وتنزيهه حاضرًا في كل مرحلة من مراحل البحث.

ومع ذلك، تفيد المقارنة في كشف خطأ قراءة الخبر قراءة تجسيمية تلقائية. فالتراث الذي نستشهد به في الباب نفسه يتضمن اعتراضًا على حمل الله ووصفه بصفة الأجسام. لكن اعتماد التنزيه في هذا الكتاب يستند أولًا إلى الأصل القرآني، ثم تُدرس الأخبار في ضوئه.

وأما خبر أولية الماء في باب التوحيد ونفي التشبيه، فقد عُرض طريقه في الفصل الرابع، وبُين موضع أبي سمينة فيه وتضعيف النجاشي له [م١٨، م٢٢]. لذلك لا نعيد تقديمه هنا بوصفه حقيقة تاريخية قطعية. ويمكن أن يبقى شاهدًا في سجل الأقوال والأخبار دون أن يصبح أساسًا لخريطة نشأة العالم.

### روايتان في الروضة توسعان ملف الماء

لا يقتصر البحث على خبر التوحيد الذي يمر بأبي سمينة. ففي روضة الكافي، الحديث ٦٧، خبر محمد بن عطية عن الإمام الباقر عليه السلام في سؤال رجل من أهل الشام عن أول الخلق [م٦٢]. وقوبل حكم المجلسي عليه بأنه مجهول بمرآة العقول، ج ٢٥، ص ٢٢٢ [م١٠٤]. يبدأ الخبر بضمير يعود، بحسب السياق السابق، إلى محمد بن يحيى؛ ثم يذكر أحمد بن محمد والحسين بن سعيد ومحمد بن داود ومحمد بن عطية. ويعرض المتن الماء والريح والزبد والنار والدخان، ثم ينتقل إلى تفسير الرتق والفتق.

لهذا الخبر هوية مستقلة، فلا ننقل إليه تضعيف أبي سمينة الذي لم يرد في الطريق المعروض. التشابه في بعض المضمون أو في منشأ السائل لا يكفي لدمج السندين، كما لا يكفي لعدهما طريقين مستقلين إلى واقعة واحدة من غير دراسة. يحتفظ سجل الكتاب بالخبرين، ويبقى بحث علاقتهما مفتوحًا.

ويليه في الروضة الحديث ٦٨، عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام، بلفظ افتتاحي: «كان كل شيء ماء وكان عرشه على الماء». يذكر النار والدخان وخلق السماوات والأرض، ويختم بالماء والنار والريح

[م٦٣]. وقوبل تصحيح المجلسي مباشرة بمرآة العقول، ج ٢٥، ص ٢٣٢ [م١٠٥]. يظهر في سنده ابن محبوب والمجال والعلاء بن رزين قبل محمد بن مسلم؛ وتُحفظ صيغة العطف في الطريق عند مقابلته، ولا تدمج الأسماء بسند الخبر السابق.

تؤكد المقابلة اختلاف الحكم على خبري الروضة: الأول عند المجلسي مجهول، والثاني صحيح. لذلك لا يصح أن توحي الإحالة إلى خبر التوحيد الذي يمر بأبي سمينة بأن جميع روايات الماء ذات حكم واحد. وفي الوقت نفسه لا يُختصر تقويم المتون المتعددة في جمع درجاتها؛ فما يصح في خبر لا ينتقل إلى خبر آخر بمجرد وحدة الموضوع.

## اختلاف المتن جزء من البحث

يظهر في الخبرين اختلاف في وصف ما خلقت منه الأرض؛ فالحديث الأول يذكر الزبد، والثاني يذكر الرماد. لا نطمس هذا الاختلاف باختيار كلمة من أحدهما ووصلها ببقية الآخر. إذا أراد الباحث الجمع بينهما فعليه أن يقيم قرينة على اتحاد المراد أو اختلاف المرحلة، لا أن يكتفي بأن قصة موحدة تبدو أسهل للقارئ.

## الزبد والرماد في تفسير الشارح

حاول المجلسي تفسير اختلاف الزبد والرماد، فعرض احتمالات تتعلق بمادة الأرض بعد الدحو، أو بمرحلة تسبق تكوّن الرماد، أو باجتماع المادتين [م١٠٥]. لم يورد في هذا الموضع رواية جديدة تفصل واحدًا من هذه الاحتمالات؛ بل كان يشرح كيفية إمكان الجمع بين النصوص.

الفرق مؤثر في بناء حكاية متصلة. إذا كتبتُ أن الزبد احترق فصار رمادًا ثم تكونت الأرض، وجب عليّ أن أبيّن أن هذا ترتيب استنبطتُه في مقام الجمع، لا أن أسرده بصفة حدث ورد كاملًا في الروايتين. وصف المجلسي لاحتمال لا يزيل الحاجة إلى القرينة التي ترجحه على الاحتمالات الأخرى.

كما أن بقاء وجه الجمع غير متعين لا يبيح حذف أحد اللفظين. يحسن بالقارئ أن يرى موضع الاختلاف نفسه، ثم مقدار ما قدمه الشرح في تفسيره. وما لم يحسم بهذه المقابلة يبقى سؤالًا مضبوطًا، بدل أن يختفي خلف قصة مؤلفة من أجزاء متفرقة.

ويقوم هنا فصل آخر بين ثلاث مسائل: وجود النص في الكتاب، والحكم على نقله، وفهم مدلوله. يمكن أن يتقدم العمل في الأولى والثانية وتبقى الثالثة محتاجة إلى دراسة اللغة والسياق والنظائر. والاحتفاظ بهذه المراتب ليس تقليلًا من الرواية؛ بل يمنع تحميلها تفاصيل لم يعينها أصحاب الشرح أنفسهم.

ولا نساوي بمجرد التداول بين الماء المذكور في أخبار البدء والماء الذي نصفه بتركيب كيميائي في المختبر. كما لا نجعل الاسم رمزًا لمعنى بعيد من دون شاهد. يثبت الباحث اللفظ، ويعرض ما في تفسيره من وجوه، ثم يصرح بالقدر الذي لم يتعين له.

وتحال تتمة الحديث ٦٧ في المطر والنبات إلى الفصل السابع، ومقارنة الدخان إلى الفصل السادس. الإحالة تعيد القارئ إلى الخبر نفسه، ولا تزيد عدد الأخبار. أما خبر ٦٨ فيبقى شاهدًا مستقلًا في سجل الروايات، مع المحافظة على تفاصيله المميزة ودرجته المنقولة.

## ما قبل الماء وحدود دعوى التسلسل

في عرض تفسير القمي عند هود ٧ يبدأ الترتيب بالهواء، ثم ترد تفاصيل أخرى في القلم والماء والعرش [م١٠٨]. أما رواية رجل الشام فتناقش أن يكون الشيء الأول متولدًا من شيء قبله على نحو يستمر بلا انقطاع. تكشف المقارنة أن كلمة «أول» لا تُقرأ منفردة عن السؤال الذي أجاب عنه كل نص.

يرتبط جانب من هذا الحوار بمعنى افتقار العالم إلى الخالق. فإذا عُرّفت البداية بأنها تحول مادة إلى أخرى، بقي السؤال عن المادة السابقة مطروحًا. وينبغي الفصل بين هذا السؤال وبين وصف مرحلة في تاريخ عالم مخلوق؛ فالقول إن جسمًا تكون من مادة سابقة لا يعني أن مادته مستقلة عن الله أو أنها قديمة بذاتها.

وهنا تظهر فائدة الفصل الثالث في الخلق «لا من شيء»: لا يطلب المؤمن مادة أزلية تساعد الخالق، ولا يجعل بحث الأسباب الطبيعية منافسًا للإيمان بالخلق. الأسباب التي نرصدها تتصل بأحوال الموجودات وعلاقاتها، بينما يبحث الكلام في افتقار الموجود نفسه. هذه موازنة أقترحها لترتيب السؤال، وليست عبارة مضافة إلى متن رواية الماء.

بعد هذا التمييز نستطيع الانتقال إلى الماء المشاهد من غير دعوى أننا عيّنّا مادة ما قبل السماوات تعيينًا مخبريًا. فلا ننقل خصائص مياه الأنهار تلقائيًا إلى أخبار البدء، ولا ننزع عن الماء المشاهد قيمته الآياتية لأننا لم نحسم مسائل البداية.

## الماء والحياة

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥].

تضع الأنبياء ٣٠ الماء في صلة مباشرة بكل شيء حي، وتذكر النور ٤٥ خلق كل دابة من ماء. يقودنا هذان الموضعان إلى التأمل في الحياة التي نعرفها وتنوعها، من غير أن نلغي الفروق بين تعبير «شيء حي» وتعبير «دابة» أو نضيف تعريفًا غيبيًا شاملًا لم تذكره الآيتان.

ولا تقول الآية إن وجود الماء وحده يكفي لظهور الحياة حيثما وجد. الفرق كبير بين كون شيء لازمًا لظاهرة وبين كونه كافيًا لإحداثها. فإذا كان الماء شرطًا في البيئة التي ندرسها، بقيت أسئلة أخرى عن بقية الشروط والعمليات. هذا تمييز منطقي يمنع قراءة النص على هيئة وعد تجريبي لم يصدر عنه.

وكذلك لا تستقل العبارة بحسم جميع النظريات المتعلقة بأصل الحياة. يمكن للعلوم أن تبحث كيف بدأت العمليات الحيوية وما الأدلة على سيناريوهاتها، بينما يظل الاستدلال القرآني متصلًا بالخلق والهداية. لا تنقص قيمة الآية إذا لم تتحول إلى جواب تفصيلي عن كل تجربة.

## من الثبات المتوهم إلى الشعور بالنعمة

يفتح سؤال الملك ٣٠ زاوية أخرى: الماء الذي نعده مضمونًا قد لا يكون في متناولنا. الآية توقظ إدراك الافتقار، ولا تحتاج في ذلك إلى أن يمر كل قارئ بأزمة عطش حتى يفهمها. حضور النعمة قد يخفي قيمتها، والسؤال عنها يعيدها إلى مجال الوعي.

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨].

﴿أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٩].

﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٠].

وفي الواقعة ٦٨–٧٠ ينتقل النظر إلى الماء الذي نشربه وإلى إمكان تغير صفته وما يستدعيه ذلك من شكر. يضع هذا الانتقال الحاجة اليومية داخل خطاب التوحيد. ليست بدايات الكون وحدها موضع العبرة؛ الكأس التي تمسكها اليد يمكن أن تكون بداية تأمل أيضًا.

ومن هذا المعنى أستخلص مسؤولية عملية: لا يكتمل تقدير الماء مع إهداره أو تلويثه أو احتكار الانتفاع به على وجه يضر بالناس. وتحتاج تفاصيل السياسات والحقوق إلى بحثها المختص، لكن أصل السؤال الأخلاقي حاضر: كيف نقابل النعمة بالفعل؟

**ما الذي خرجنا به؟**

ميزنا دلالة الآيات عن دعوى الأولية المطلقة، ووسّعنا الجمع بإضافة حديثي الروضة ٦٧ و٦٨، مع حفظ اختلاف المتن والدرجات المنقولة. ثم عدنا إلى الماء في الحياة المشاهدة وإلى الشكر والمسؤولية. لم نعين تركيب ماء بدء الخلق أو مقداره؛ فهذه زيادة لا تستقل النصوص المعروضة بإثباتها.

وحين ننتقل إلى وصف السماء بالدخان، سنحمل معنا القاعدة نفسها: يبدأ الفهم من اللفظ والسياق، ثم ينظر في الشرح والمقارنة، ولا تُضاف تفاصيل فيزيائية لمجرد أن الصورة أصبحت بها أكثر اكتمالًا في الخيال.

إحالات الفصل: هود ٧؛ الأنبياء ٣٠؛ النور ٤٥؛ الواقعة ٦٨–٧٠؛ الملك ٣٠؛ التوحيد، باب «وكان عرشه على الماء»، ح ١–٢ [م١٩]؛ خبر أولية الماء [م١٨، م٢٢]؛ روضة الكافي، ح ٦٧–٦٨ [م٦٢، م٦٣]؛ أحكام المجلسي وشرح اختلاف المتن [م١٠٤، م١٠٥]؛ عرض تفسير القمي عند هود ٧ [م١٠٨]؛ وانظر الفصول ٣ و٤ و٦ و٧ و١٤. ولتعيين طريق أبي الصلت ونقل حكم الجواهري على تميم بن عبد الله: [م١٦٢].

# الفصل ٦ — الدخان في قصة خلق السماء

## موضع الدخان في الحكاية

قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

تصف فصلت ١١ السماء بأنها دخان ضمن سياق يمتد من خلق الأرض إلى تسوية السماوات وتقدير أمرها وزينة السماء الدنيا. وإذا أردنا فهم الوصف فعلينا أن نقرأ هذه الوحدة قبل أن نبحث عن صورة علمية تشبهه. فاللفظ ورد في جملة لها مقصد، لا تعليقًا منفصلًا على صورة لسديم.

الحد الذي نثبته مباشرة هو أن النص يصف السماء في الموضع المذكور بالدخان. أما درجة الحرارة والكثافة والتركيب الكيميائي والمسافة والمدة، فليست مقادير تذكرها الآية. ينبغي أن تبقى هذه الحدود واضحة مهما كانت المقارنة المعاصرة جذابة.

ولا تصبح المعاني التي نسكت عن تعيينها منفية. عدم قدرتنا على استخراج تركيب مادي من اللفظ لا يعني أن الحقيقة الموصوفة بلا خصائص؛ إنما يعني أن تعيين تلك الخصائص يحتاج إلى دليل إضافي.

## الصورة اللغوية والتعيين الفيزيائي

تستدعي كلمة الدخان في الخبرة اليومية مشهدًا منتشرًا يختلف عن الجسم الصلب المحدد. لكن اللفظ اليومي ليس قائمة قياسات مخبرية. وقد تتشابه الأشياء في منظرها أو بعض صفاتها، بينما تختلف في كيفية تكوّنها وتركيبها وحركتها.

ومن هنا نميز بين القول إن وصفًا يوحي بانتشار وعدم تماسك صلب، وبين القول إنه يحدد سحابة كونية بعينها. الأول تقريب يحتاج إلى مراعاة اللغة، والثاني دعوى أضيق بكثير تحتاج إلى قرائن لمجرد تعيين الشيء الذي نقارنه.

ولا يجوز تحويل كل لفظ مألوف في العربية إلى مصطلح علمي حديث بتغيير عنوانه. إذا قلنا إن الدخان يعني بالضرورة حالة محددة من المادة، وجب أن نبين لماذا اختيرت هذه الحالة دون غيرها، وكيف دل النص على الخصائص الفارقة بينها.

## قراءة المشهد كاملًا

لا يقف السياق عند وصف الدخان، بل يعرض الخطاب الموجه إلى السماء والأرض واستجابتهما. وقد يقرأ المفسر في هذا بيان الانقياد للأمر الإلهي، وقد يبحث في نوع إدراك الموجودات وكيفية استجابتها. لكن لا يحق لي أن أضيف أعضاء نطق أو موجات صوتية أو حوارًا مسجلًا على هيئة كلام البشر.

والتوقف عن هذه الإضافات لا يساوي إلغاء حقيقة الخبر. فنحن نثبت ما ورد، ثم نفصل بينه وبين الصورة التي يصنعها خيالنا. وسيأتي موضوع تسبيح الموجودات وسجودها لبحث العلاقة بين ظاهر الخطاب وحدود ما نعلمه عن كيفية استجابة غير الإنسان.

قال تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

وبعد ذلك تذكر فصلت ١٢ تسوية السماوات سبعًا وأمر كل سماء وزينة السماء الدنيا بالمصابيح والحفظ. اتصال هذه العناصر يضع وصف الدخان في إطار أوسع من مجرد سؤال عن مادة أولى. فالخلق والتقدير والنظام حاضرة في الوحدة كلها.

## قراءة الميزان للاستواء والدخان

يوضح الطباطبائي عند تفسير فصلت ١١ أن التوجه إلى السماء في هذا السياق يتعلق بخلقها، لا بانتقال مكاني للخالق. ويقرأ الدخان بوصفه حال السماء قبل تسويتها سبعًا، ويصل خطاب الإتيان بالأمر التكويني [م٦٤]. نثبت هذا بوصفه اختيار الميزان، فلا يذوب اسم صاحبه في عبارة عامة مثل «أجمع المفسرون».

وفي هذا الاختيار رابط بين أجزاء الآية: حال سابقة يذكرها النص، ثم الأمر والتسوية. لكنه لا يعطينا من هذه الألفاظ وحدها نسب العناصر أو مقادير الحرارة. يستطيع القارئ فهم المعنى التفسيري العام من غير أن يُلزم بتفصيل فيزيائي لم يُذكر معه دليل.

أما ما ذكره الميزان في توجيه «ثم» وعلاقته بترتيب الخلق، فمحله المقارنة في الفصل الثامن. الفصل بين السؤالين مفيد؛ فقد يقبل قارئ شرح لفظ الدخان، ثم يناقش استنتاجًا آخر في الترتيب الزمني، ولا يكون ذلك رفضًا لكل ما في التفسير.

## الدخان والكون المبكر والسدم

قد يعرض المصور الفلكي سحابة غاز وغبار جميلة، فيكتب قارئ تحتها أنها الدخان المذكور في الآية. هذا الانتقال لا يكفي فيه تشابه الصورة؛ إذ يجب أولًا معرفة ما تمثله الصورة، وفي أي مرحلة يقع الجسم المصور، وما نوع المادة التي ترصدها أداة التصوير.

يشرح العرض العلمي لتكوّن النجوم أنها تنشأ في سحب من الغاز والغبار، وأن النجوم تمر بمراحل من التطور [ع١٤]. هذه قضية عن نشوء نجوم في تاريخ الكون، ولا تعني وحدها أن كل سحابة نراها هي الحالة التي تصفها آية خلق السماء.

كما أن الحديث العلمي عن الكون المبكر يختلف عن الحديث عن نشوء نجم متأخر داخل مجرة [ع١]. فإذا جمعنا الموضوعين تحت اسم الدخان ثم تجاهلنا الفرق في المرحلة والمقياس، فقد صنعنا المطابقة بأيدينا قبل أن نختبرها.

المقارنة النافعة تبدأ بسؤال محدد: ما وجه الشبه الذي نزعم وجوده؟ إن كان العموم وحده، كوجود حالة منتشرة، قلنا إنه تشابه عام. وإن ادعينا تطابقًا في المراحل أو التركيب، طلبنا الأدلة التفصيلية. هكذا يستطيع القارئ تقدير حجم النتيجة بدل أن يتلقى كلمة «إعجاز» بديلًا عن الشرح.

## الرواية لا تملأ كل فراغ تلقائيًا

قد تعرض بعض الأخبار وصفًا أوسع للماء والدخان والنار والريح. ولا يصبح هذا الوصف جزءًا من دلالة الآية لمجرد مجاورته لها في كتاب تفسير. يجب تخريج الخبر أولًا، ثم معرفة ما إذا كان تفسيرًا مأثورًا أو قولًا منقولًا أو محاولة للجمع بين نصوص.

كذلك لا يجوز اختصار الطريق بقول إن الخبر قديم، ومن ثم يستحيل أن يكون إلا علمًا غيبيًا. قدم النص لا يعفي من فحص نسبته ودلالته، والغرابة لا تمنح سندًا صحيحًا. وقد يكون تفسير القدماء شاهدًا مهمًا على تاريخ الفهم، مع بقاء حجيته مسألة أخرى.

وفي الاتجاه المقابل، لا نرفض كل لغة غير تقنية لأنها لا تشبه لغة الفيزياء. النص الذي يخاطب الناس في باب الهداية يمكن أن يستخدم وصفًا مفهومًا في العربية من دون أن يقدّم معادلة. المطلوب أن نحترم نوع الخطاب، ثم نميز مقدار المعرفة التي نستطيع استخراجها منه.

**الدخان بين الآية والرواية والصورة**

يستند الشاهد الروائي في هذا الفصل إلى خبر الروضة، الحديث ٦٨ [م٦٣]، وقد قوبل تصحيح المجلسي له بكتاب مرآة العقول [م١٠٥]. وتقدم في فصل الماء التفريق بين لفظ الخبر ووجوه الشارح في الجمع بين الزبد والرماد. فالإحالة هنا تعود إلى ذلك التحقيق المحدد، ولا تعيد إنشاء خبر آخر أو طريق جديد.

والفرق بين الشاهد القرآني والشاهد الروائي أن فصلت ١١ تثبت وصف الدخان في موضعها، بينما يتضمن الخبر تفاصيل إضافية. يدرس الباحث هذه الزيادات بحسب دليلها، ولا يدخلها في ترجمة الآية وكأن القارئ سيجدها كلها في ألفاظها.

ومن تطبيقات هذا التمييز أن الصورة الفلكية لا تكفي لإثبات هوية الشيء الموصوف. قبل أن نضع صورة إلى جانب نص، ينبغي معرفة ما تصوره وأداة التقاطها ودلالة ألوانها وموضع الجسم في تاريخه. وبعد معرفة ذلك تبدأ المقارنة، ولا تنتهي بمجرد الشبه البصري.

ويصح في الشرح أن نقول إن ذهن القارئ يستطيع تصور مادة منتشرة حين يسمع اللفظ، مع التصريح بأن هذا تقريب عام. أما إعلان أن الآية أو الرواية تحدد سديمًا بعينه، فيحتاج إلى ما يصل النص بذلك الجسم تحديدًا. لهذا لا نعتمد في الكتاب صورة لسديم بوصفها رسمًا لسماء بدء الخلق.

**نتيجة القراءة**

وصف الدخان ثابت في موضعه القرآني، وتعيينه في مصداق علمي تفصيلي لم يثبت في هذا الفصل. وبين هذين الحكمين مساحة واسعة للتأمل والبحث المنضبط. لا حاجة إلى توسيع الادعاء حتى يصير النص رهينة للصورة العلمية التي تعجبنا اليوم.

وتكتمل دلالة المشهد في انتقاله إلى التسوية والتقدير والاستجابة لأمر الله. العالم الذي نقرأ عنه ليس مادة مستقلة عن الخالق في الرؤية القرآنية، وما نجهله من كيفية المراحل لا يبيح لنا اختراعها. بهذا ننتقل إلى الرتق والفتق، حيث تزداد الحاجة إلى مقارنة وجوه التفسير قبل تعيين حادثة كونية واحدة.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فصلت: ٩].

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠].

إحالات الفصل: فصلت ٩-١٢؛ الميزان، ج ١٧، تفسير هذه الآيات وص ٣٦٥ [م٧، م٦٤]؛ روضة الكافي، ح ٦٨ [م٦٣]؛ ناسا، تاريخ الكون [ع١]، والنجوم وتكوّنها [ع١٤].

# الفصل ٧ — الرتق والفتق — قراءة في نشأة السماوات والأرض

## الآية قبل عنوانها العلمي

ترد آية الرتق والفتق في سورة الأنبياء بعد حديث عن التوحيد وتنزيه الله وما اتخذه المشركون من دونه، وتليها آيات في الأرض والسماء والليل والنهار والشمس والقمر. هذا الاتصال مهم؛ فالآية جزء من احتجاج وهداية، وليست سطرًا مقتطعًا من سجل مستقل للأحداث الفلكية.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

تجمع الأنبياء ٣٠ بين الرتق والفتق وجعل كل شيء حي من الماء، وتختم بسؤال عن الإيمان. قراءة الآية كاملة تحفظ الصلة بين هذه المعاني، وتمنع إهمال الحياة والمقصد التوحيدي عند الانشغال بصورة البداية.

وفي التبيان يفسر الطوسي الرؤية في هذا الموضع بالعلم، فلا يلزم أن يكون المخاطبون قد شهدوا بداية الخلق بأعينهم [م٢٠]. وهذه ملاحظة تفتح باب النظر والاستدلال، ولا تمنح أي نموذج لاحق حق احتكار معنى الآية.

## ما الذي تقوله اللغة؟

يدور الرتق حول الانضمام والالتحام أو الانسداد، والفتق حول الفصل والفتح. ويبين هذا التقابل انتقالًا من حال إلى أخرى، لكنه لا يعين وحده المقاييس والمواد والمدة وطبيعة العملية. نحتاج إلى السياق وإلى النظر في مصداق الوصف، ولا يكفي أن نستبدل الكلمتين بمصطلحين حديثين.

وقد يتساءل القارئ عن ضمير التثنية مع لفظ السماوات الجمع. يشرح الطوسي ذلك باعتبار السماوات صنفًا والأرض صنفًا، ويذكر أن «رتقًا» مصدر وصف به [م٢٠]. هذا توضيح في بناء العبارة، وليس حكمًا بأن العالم قبل الفتق كان جسمًا كرويًا واحدًا ذا حجم يمكن حسابه من اللفظ.

ومن المفيد أن نقف عند هذا الفرق: النحو واللغة يزيلان إشكالًا في الفهم، لكنهما لا ينتجان تلقائيًا جميع التفاصيل الطبيعية. لا بد من دليل آخر لكل زيادة نريد نسبتها إلى النص.

### وجه الاتصال ثم الفصل

ينقل التبيان قولًا يفسر الآية باتصال السماوات والأرض ثم الفصل بينهما. كما يعرض وجوهًا أخرى، فلا يصح اختزال عرضه في تأويل واحد ونسبته إلى جميع المفسرين [م٢٠].

ويشرح الميزان الرتق والفتق من جهة الضم والاتصال ثم الفصل، ويقرأ الآية وما يليها ضمن الاستدلال على وحدة الربوبية والتدبير [م٤]. هذا هو القدر الذي ننسبه هنا إلى الموضع المشار إليه، ولا نستخرج منه قائمة تفصيلية بمراحل النموذج الكوني المعاصر.

تستحق هذه القراءة أن تناقش في ضوء استعمال الألفاظ وسياق السورة ونظائر الآية. لكنها حين تتحول إلى دعوى عن تركيب الحالة السابقة وحرارتها وحدودها، تكون قد انتقلت إلى مستوى آخر من التعيين يحتاج إلى مستند مستقل.

### وجه المطر والنبات

يسجل الطوسي أيضًا تفسير الرتق بكون السماء لا تمطر والأرض لا تنبت، والفتق بفتح السماء بالمطر والأرض بالنبات. ويذكر أنه مروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام [م٢٠]. إثبات هذه النسبة في عرض الطوسي لا يساوي تخريج أسانيد الأخبار التي اعتمد عليها؛ لذلك نثبت الوجه التفسيري ونبقي التحقيق الحديثي مستقلًا.

ولهذا الوجه صلة ظاهرة بما يأتي في الآية من ذكر الماء والحياة. غير أن وجود الصلة لا يعفينا من فحص سائر عناصر العبارة، كما لا يوجب أن نحذف الوجه الآخر. القراءة المقارنة تسأل عما يفسره كل وجه، وما يحتاج فيه إلى بيان إضافي.

ولا نصنع تعارضًا بين «قراءة علمية» و«قراءة غير علمية» لمجرد أن إحدى القراءتين تتصل بالمطر والإنبات. الظواهر القريبة من حياة الناس موضوع معرفة أيضًا. محل النزاع الحقيقي هو دلالة الآية، لا مقدار البعد الفلكي للشيء الذي نتخيله.

### من النسبة التفسيرية إلى شاهد روائي مسمى

كان عرض وجه المطر والنبات مستندًا إلى التبيان. وقد أمكن الآن تعيين شاهد في روضة الكافي، الحديث ٦٧ ، عن محمد بن عطية، يعرض هذا المعنى صراحة ويرد في سياقه فهم الالتصاق والفصل الذي ذكره السائل [م٦٢

]. لا يعني ذلك إثبات أن هذا الطريق هو بعينه أصل كل نسبة وردت عند الطوسي؛ إنما صار إلى جانب النقل التفسيري نص روائي معلوم الموضع.

والفارق بين إثبات الشاهد وإثبات الحصر مهم هنا. فالحديث سبق بيان درجته المنقولة في فصل الماء، ولا نرفعها لأن معناه وافق وجهًا تفسيريًا قديمًا. كما لا يحسم وجوده وحده الموازنة بين جميع الأقوال قبل جمع طرق الباب ونظائره.

وتمنع هذه الملاحظة جمعًا متسرعًا يقول إن كل الروايات تقصد الانفصال الكوني نفسه وإن اختلفت تعابيرها. ففي المتن المعروض اعتراض على فهم محدد وتقديم لفهم آخر. ليس من الأمانة حذف الاعتراض ثم الاحتفاظ باسم الإمام لتأييد النتيجة التي اخترتُها مسبقًا.

## موضع الاعتراض في حوار رجل الشام

قوبل المقطع المتصل بالرتق والفتق بمرآة العقول، ج ٢٥، ص ٢٣١. يذكر المتن تصور السائل للالتصاق ثم الفصل، ثم يأتي الرد بتفسير الرتق بعدم المطر والإنبات. وفي الصفحة التالية تكتمل العبارة بذكر فتح السماء بالمطر والأرض بالنبات [م١١٢].

هذه البنية الحوارية تمنع اقتطاع مجرد ورود كلمة الفتق لإثبات أن الإمام أقر الصورة التي ذكرها السائل. فالقارئ يحتاج إلى معرفة من المتكلم في كل جملة، ومتى ينتقل النص من عرض السؤال إلى الجواب. يصح لي أن أنقل تصور السائل لدراسة الحوار، لكنني لا أنسبه إلى الإمام بوصفه جوابه.

ومن جهة أخرى، لا تكفي هذه المقابلة لإعلان انحصار تفسير الآية في هذا الوجه؛ إذ سبق بيان حكم المجلسي على الطريق. تتحدد النتيجة التي أُنجزت هنا في حفظ هوية النص ومضمون جوابه، ويظل تقويم حجيته وموازنته بسائر الأدلة بابًا آخر.

وترد في صفحة الشرح نفسها أقوال تفسيرية ينقلها المجلسي عن البيضاوي. وجودها تحت متن الخبر لا يجعلها تتمة له. عند استخدام النص الإلكتروني يجب ملاحظة الفاصل بين متن الكافي وشرح المجلسي، ثم ملاحظة الانتقال من كلام الشارح إلى كلام المفسر الذي ينقل عنه. هذا مثال عملي على أثر تنظيم الصفحة في صحة نسبة القول.

## كيف نبني المقارنة دون خلط؟

للمقارنة هنا ثلاثة أسئلة مختلفة: ماذا تحتمل اللغة؟ وما الذي رجحه المفسر؟ وما الذي يرويه الخبر؟ يمكن لجواب عن أحدها أن يساعد في الآخر، لكنه لا يقوم مقامه. فإذا أثبتت اللغة احتمالًا، لم يثبت بذلك أن الرواية صدرت؛ وإذا نسب قول إلى مفسر، لم يصبح القول حديثًا.

ولنفترض أن قارئًا أراد ترجيح وجه الاتصال ثم الفصل. عليه أن يشرح سبب ترجيحه في ضوء السياق، وأن يواجه الخبر الذي عرض الوجه الآخر بحسب قواعده في الحجية. وإذا رجح وجه المطر والنبات، لزمه أن يبين وجه حمل ألفاظ الآية عليه. لا يكفي في الاتجاهين أن يصف رأيه بأنه «الأقرب إلى العلم».

أما الاستفادة المشتركة فتظهر في دعوة الإنسان إلى الخروج من الغفلة عن علاقات الخلق والحياة. وهذه استفادة من سياق الآية، لا صيغة توفيق تمحو محل الخلاف. ويمكن أن نحفظ هذا المعنى ونظل مختلفين في تعيين المصداق التفصيلي، مع بيان حدود كل استدلال.

## هل المقصود هو الانفجار العظيم؟

يعرض النموذج الكوني الحديث تطور الكون من حالة مبكرة حارة وكثيفة مع توسع وتبريد [ع١]. ولا ينبغي تصويره كقنبلة انفجرت في فضاء فارغ، ثم التنقل من هذه الصورة الشائعة إلى كلمة الفتق وكأن المسألة قد حُسمت.

لكي نقول إن الآية تعين هذا النموذج تحديدًا، نحتاج إلى أكثر من التشابه العام في فكرة الانتقال أو الفصل. يجب أن نبيّن دلالة الألفاظ على موضوع النموذج ومراحله، وأن نفسر موقع الأرض والسماوات في المقارنة، وأن نحفظ جميع أجزاء الآية وسياقها.

ولو احتمل اللفظ أكثر من وجه، بقي القول بالمطابقة تعيينًا اجتهاديًا، لا نصًا صريحًا باسم النظرية. ويمكنني أن أقول إن قراءة ما تتسع لتوافق عام، مع التصريح بأن التوافق لا يثبت الحصر ولا يحول الشرح العلمي إلى مراد قطعي.

كما لا يصح الحكم على النموذج العلمي بالصحة أو البطلان اعتمادًا على هذه المطابقة وحدها. يقوم تقويمه العلمي على مشاهداته وحساباته وقدرته التفسيرية وحدوده؛ ويقوم التفسير على النص وأدوات فهمه. الخلط بين الطريقين قد يضر بكليهما.

**طريقة العمل حين تتعدد الأقوال**

نثبت أولًا العناصر المشتركة: وجود وصف الرتق والفتق، وذكر الماء والحياة، والمقصد الاستدلالي. ثم نعرض مواضع الاختلاف في تعيين الوصف، وننسب كل قول إلى مصدره. وإذا رجح الباحث قولًا فعليه أن يذكر سبب الترجيح، وأن يجيب عن الاعتراضات المؤثرة.

ولا نركب من الأقوال قصة جديدة فنأخذ بداية من وجه ونهاية من آخر، ثم نزعم أنها رواية المفسرين جميعًا. قد يكون الجمع ممكنًا في بعض المسائل، لكنه يحتاج إلى برهان بقدر ما يحتاج إليه الترجيح.

الحصيلة أن الآية توقظ النظر في الخلق والحياة والتدبير، وأن تاريخ تفسيرها يتضمن أكثر من تعيين. أما تعيينها في حدث فيزيائي تفصيلي واحد فلم يثبت في هذا الفصل. وحفظ هذا الحد يجعل المقارنة نافعة للقارئ من دون أن تحمله يقينًا لا يسنده ما عرضناه.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١].

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

إحالات الفصل: الأنبياء ٢٦–٣٣؛ الطوسي، التبيان، تفسير الأنبياء ٣٠ [م٣، م٢٠]؛ الطباطبائي، الميزان، ج ١٤، ص ٢٧٧ [م٤]؛ روضة الكافي، ح ٦٧ [م٦٢]؛ مقابلة الحكم والحوار في مرآة العقول [م١٠٤، م١١٢]؛ ناسا، تاريخ الكون [ع١].

# الفصل ٨ — خلق السماوات والأرض في ستة أيام

**سبعة مواضع وسؤال واحد**

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود: ٧].

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۛ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

يرد خلق السماوات والأرض في ستة أيام في الأعراف ٥٤، ويونس ٣، وهود ٧، والفرقان ٥٩، والسجدة ٤ ، وق ٣٨، والحديد ٤. لا يأتي الخبر في جميعها لغرض منفصل عن بقية الآية؛ بل يقترن بالتدبير أو العلم أو العرش أو نفي التعب أو مسؤولية الخلق.

وتمنحنا قراءة المواضع معًا أصلًا ثابتًا هو العدد المذكور، لكنها لا تمنحنا بمجرد العدد مقدار كل يوم بالساعات الأرضية. ينبغي أن نفرق بين ما تكرر النص عليه، وبين وحدة القياس التي يتخيلها القارئ من خبرته اليومية.

والمنهج الذي اتبعناه في الماء والدخان يبقى صالحاً هنا: لا ننفي المعنى لأن كيفيته لم تتعين، ولا نضيف تعييناً لأن أذهاننا تستريح إلى الجدول الزمني المفصل.

## اليوم بين اللفظ والمقدار

قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥].

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

يربط الناس يومهم بتعاقب الليل والنهار، لكن استعمال «اليوم» في الخطاب قد يتسع بحسب السياق. ويعرض القرآن مقادير مختلفة في مواضع مثل الحج ٤٧ والسجدة ٥ والمعارج ٤. لا يلزم من ذكر تلك المقادير أن تكون أحدها وحدة أيام الخلق.

فالاستدلال الصحيح من تنوع الاستعمال هو الحذر من فرض مقدار واحد على كل سياق. أما اختيار ألف سنة أو خمسين ألف سنة ثم ضربها في ستة، فهو يحتاج إلى دليل يربط الموضعين. مجرد اشتراكهما في اللفظ لا يصنع هذه الرابطة.

وكذلك لا نحصل على تفسير موثق إذا قسمنا تقدير عمر الكون على ستة، ثم جعلنا حاصل القسمة مقدار اليوم القرآني. هذه عملية حسابية مبنية على فرض لم يثبته النص. والنتيجة العددية لا تصبح أكثر حجية لأنها كُتبت بدقة كبيرة.

وإذا استعمل الباحث عبارة «أطوار» أو «مراحل» للتقريب، فعليه أن يوضح أنها اختيار تفسيري، وأن النص لم يسم لنا هنا المحتوى التفصيلي لكل مرحلة. لا ينبغي أن نبدل اسمًا بآخر ثم نظن أن الإشكال كله قد زال.

## حساب الأيام في سورة فصلت

قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فصلت: ٩].

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠].

﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

تذكر فصلت ٩ خلق الأرض في يومين، وتذكر الآية التالية تقدير الأقوات في أربعة أيام، ثم تذكر الآية ١٢ تسوية السماوات في يومين. وقد يقرأ القارئ الأعداد على أنها مدد مستقلة متتابعة فيجمعها إلى ثمانية. لكن صحة الجمع تتوقف على معرفة ما الذي تتعلق به كل مدة، وهل تشمل ما سبقها أم تستأنف مدة أخرى.

يعرض مجمع البيان تفسير الأربعة بأنها تتمة أربعة من ابتداء خلق الأرض، فيدخل اليومان الأولان فيها [م٥]. ولتقريب الفكرة بمثال من عندي: إذا قلت إنك وصلت إلى محطة أولى في ساعتين، ثم إلى نهاية الرحلة في أربع ساعات من البدء، فلا يكون مجموع الرحلة ست ساعات. المثال يوضح إمكان التعبير عن المدة الكلية بعد ذكر جزء منها، ولا يثبت وحده أن هذا هو المراد القرآني.

ويختار الميزان في الموضع المشار إليه قراءة أخرى، فيربط الأيام الأربعة بتقدير الأقوات في الفصول الأربعة، ويميز ذلك من أيام خلق السماوات والأرض [م٦]. نذكر هذا الاختيار منسوبًا إلى مؤلفه، ولا ندمجه في القول الأول كأنهما تفسير واحد.

فالقول الأول يجعل الأربعة مدة شاملة لبعض ما سبق، والثاني يوجهها إلى تقدير الأقوات في دورة الفصول. اختلافهما حقيقي في تفسير العبارة، ويحتاج تقويمه إلى النظر في تركيب الجملة وسياقها ونظائرها. لا ننسب إلى العدد المجرد قدرة على ترجيح أحد الوجهين.

**الخلق والدحو وترتيب العرض**

قال تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧].

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ [النازعات: ٢٨].

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٩].

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠].

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: ٣١].

﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٣٢].

﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣].

تثير المقارنة بين آيات فصلت والنازعات سؤال الترتيب. ففي النازعات ٢٧-٣٣ يرد بناء السماء ثم ذكر دحو الأرض وإخراج مائها ومرعاها وإرساء الجبال. وقبل أن نعلن التناقض أو الحل، ينبغي أن نسأل: هل الأفعال في الموضعين متطابقة المعنى؟

يفسر مجمع البيان الدحو بالبسط، ويعرض من وجوه الجمع التمييز بين أصل خلق الأرض ودحوها، كما ينقل وجهًا آخر في فهم علاقة العبارة بما قبلها [م٢١]. المهم منهجيًا ألا نستبدل «دحاها» بعبارة «خلقها أول مرة» من غير بيان، ثم نبني الاعتراض على هذا الاستبدال.

ولا يتبنى الكتاب كل تفصيل قصصي يرويه المفسر عند عرض الأقوال؛ فشرح الكلمة شيء، والخبر المتعلق بموضع بدء الأرض أو هيئتها شيء آخر له طريقه. يستفاد من المصدر بتمييز طبقاته، لا باعتبار جميع ما في الصفحة دليلًا من رتبة واحدة.

كذلك لا ننسب إلى لفظ الدحو وحده قياسًا لشكل الأرض أو انبعاجها. البحث في شكل الكوكب له أدلته الطبيعية، ودراسة اللفظ لها أدواتها اللغوية. يمكن أن يجتمعا من دون أن نحول كلمة واحدة إلى تقرير هندسي تفصيلي.

## اختلاف حقيقي في الجمع بين فصلت والنازعات

لا يكفي عند المقارنة أن نذكر وجه التمييز بين الخلق والدحو ثم نعرضه كأنه الحل الوحيد. فالميزان، ج ١٧، ص ٣٦٥، يناقش هذا الوجه، ويرجح في موضعه حمل «ثم» على ترتيب البيان، مستندًا إلى قراءته لآيات النازعات [م٦٤]. وهذا يختلف عن وجه الجمع الذي عرضه مجمع البيان [م٢١].

نثبت الخلاف كما هو: وجه يفرق بين أصل الإيجاد ودحو الأرض، ووجه يعالج ترتيب العرض ولا يجعل «ثم» في هذا الموضع فاصلة زمنية على الصورة المتبادرة. لا نستعير أول نتيجة من أحد الوجهين وآخر نتيجة من الثاني ثم ننسب التركيب إليهما معًا.

ويبقى البحث في صحة كل وجه متعلقًا باللغة وسياق الآيات وما يستند إليه صاحبه. عرض الاختلاف لا يساوي الحكم بتساوي الحجج، لكنه يتيح للقارئ أن يعرف أن ترجيحًا قد وقع وأنه قابل للنظر. كما لا يجيز لي أن أدّعي حل كل أسئلة نشأة العالم بمجرد بيان احتمال نحوي.

ويجب التمييز أيضًا بين نشوء السماوات والأرض في الخطاب القرآني، وبين تشكل الأرض بوصفها كوكبًا في نموذج علمي. لا يبدأ الترتيب المقارن إلا بعد تعيين المقصود بكل طرف؛ وإلا كنا قد رتبنا شيئين يبدوان متشابهين في الاسم وهما مختلفان في مجال البحث.

## المراحل والقدرة ونفي التعب

تنفي ق ٣٨ اللغوب عن الله بعد ذكر الخلق في ستة أيام. يمنع هذا النفي تصور الأيام زمنًا احتاجه الخالق لاستعادة قوة أو تحمل مشقة. وما يوصف من تدرج في المخلوقات لا يجيز قياس قدرة الله على قدرة صانع بشري محدود.

ويورد الصدوق في خبر أبي الصلت عن الإمام الرضا عليه السلام، ضمن باب العرش على الماء، معنى يتصل بإظهار المخلوقات للملائكة شيئًا بعد شيء، مع تأكيد قدرة الله وغناه عن العرش [م١٩]. وقد فُصل طريقه في الفصل الخامس، ونُقل وصف الجواهري لتميم بن عبد الله بالمجهول [م١٦٢]؛ فلا يختفي القيد السندي عندما ينتقل الاستشهاد من فصل الماء إلى فصل الأيام.

وعلى مستوى دلالة هذا المتن، ينسب التدرج إلى ما تستدل به الملائكة، لا إلى حاجة الخالق إلى استراحة أو تعلّم. ويختم بتفسير الابتلاء بالطاعة والعبادة، مع نفي أن يكون طلبًا لعلم لم يكن حاصلًا [م١٩]. هذا هو اتجاه الرواية التي نعرضها، ولا نجعله الحكمة الوحيدة المقطوع بها للأيام الستة.

ومن قراءة هذا الاتجاه أستخلص فرقًا بين ظهور المخلوق لمن يشهده وبين علم الخالق به. فالتعاقب قد يصف خبرة المخلوق: يرى أمرًا ثم يرى ما بعده؛ ولا يلزم أن يكون وصفًا لعلم الله. ولا يمنحنا ذلك، من جهة أخرى، مقياسًا عدديًا لطول كل مرحلة أو ترتيبًا تفصيليًا لم يُذكر.

أما ربط كل يوم باسم من أيام الأسبوع، فلا يثبت من المواضع القرآنية المذكورة. لا يدخل في الكتاب إلا بعد تعيين الخبر الذي يستند إليه وفحصه، ولا يكفي تداول جدول جاهز في الكتب العامة أو المجالس.

## رواية مسماة في أيام الأسبوع

ورد خبر عبد الله بن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام في روضة الكافي، الحديث ١١٧، بتوزيع الخلق على أسماء أيام الأسبوع، من الأحد إلى الجمعة [م٦٥]. وقوبل تصحيح المجلسي له بالنص الإلكتروني لمرآة العقول،

ج ٢٥، ص ٣٤٧ [م١٠١]. نعتمد هذا الموضع في الإحالة؛ أما رقم الجزء الخامس عشر الظاهر في صفحة الثقلين فلا يطابق الجزء الذي راجعنا فيه شرح الخبر.

ويبتدئ الطريق بضمير «عنه». لم يعد بحث التعليق مقصوراً على الخبر السابق مباشرة؛ إذ تتبعنا السياق من الحديث ١١٣، الذي يذكر محمد بن يحيى وأحمد بن محمد وابن محبوب، ثم الأحاديث ١١٤-١١٦ التي تبدأ بابن محبوب، حتى يصل النص إلى الحديث ١١٧ [م١١١، م١٠١].

وعليه، يكون وصل الطريق بحسب هذا السياق: الكليني عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن الإمام الصادق عليه السلام. هذا بيان لطريقة قراءة الاختصار في النسخة الإلكترونية، لا ادعاء أن الأسماء كلها مكررة في صدر الحديث ١١٧. وتبقى مقابلة النسخ والبحث الرجالي المفصل مستقلين عن هذا الوصل.

وفائدة هذا التتبع أنه يمنع وصف الخبر بالإرسال لمجرد افتتاحه بضمير، كما يمنع ملء الفراغ بأسماء مأخوذة من طريق يشبهه في موضوعه. القرينة هنا ترتيب الأخبار واتصالها، لا النتيجة التي يريد الباحث إثباتها.

وتختلف قراءة السند عن سؤال مدلول اليوم. قبول ناقد لطريق الخبر لا يحوّل أسماء الأيام تلقائيًا إلى أربع وعشرين ساعة محسوبة بدوران الأرض الحالي. وفي المقابل لا يجوز إسقاط الخبر لمجرد أنني أفضّل صياغة المراحل. ينبغي عرض احتمالات الفهم ومناقشة قرائنها مع حفظ لفظ الرواية.

ويبحث المجلسي نفسه إشكال اليوم قبل وجود الشمس والقمر، فيعرض تفسير الأيام بالأوقات، ويورد تفسيرها بمقدار ستة أيام، ويرجح الثاني بوصفه أنسب بلفظ الآية وأوفق بالخبر [م١٠٢]. فشرحه لا يفترض طلوع الشمس وغروبها أثناء المراحل السابقة لخلقها، بل يجيز التعبير عن المدة بمقدار يقاس بالأيام. وبهذا تتميز ثلاثة أمور في القراءة: تسمية الأيام في الرواية، وتفسير الشارح لمقدارها، ثم محاولة ربطها بقياس فيزيائي حديث؛ والأخيرة تحتاج إلى دليل زائد لم يقدمه مجرد هذا الشرح.

وفي البحث الروائي للميزان عند آيات فصلت مناقشة للأخبار التي توزع الخلق على الأسبوع، تتناول خصوصًا إشكال تعريف اليوم الأرضي قبل تمام الأرض والشمس [م٧]. هذه مناقشة للدلالة والمقارنة، وليست حكمًا سنديًا واحدًا يمكن نقله إلى كل خبر من أخبار الباب.

## أسماء الأيام ومقدار التفصيل الذي يحمله الخبر

يتوزع المتن الذي راجعناه على الأحد والاثنين لخلق الأرضين، والثلاثاء لأقواتها، والأربعاء والخميس للسماوات، والجمعة لأقواتها [م٦٥، م١٠١]. هكذا يعرض الخبر تخصيصًا لا تصرح به آيات الأيام الستة نفسها. وتُحفظ نسبة هذا التخصيص إلى الرواية بدل أن يُكتب داخل شرح الآية كأنه لفظها.

ولا يُزاد على هذا العرض تعيين ساعة لبدء كل مرحلة، أو حساب تاريخ لها بتقويمنا، أو مساواة تلقائية بين اليوم الروائي واليوم الناتج من دوران الأرض الحالي. هذه تفاصيل لا يقدمها المتن الذي نناقشه. كما لا يصح حذف أسماء الأسبوع منه واستبدالها بأسماء عصور جيولوجية؛ فذلك يصنع نصًا آخر.

## إشكال الأقوات في شرح المجلسي

بعد تصحيح الخبر، يعرض المجلسي في شرحه إشكالًا بين توزيع الأقوات في الرواية وظاهر آيات فصلت: أحد يومي الأقوات في الرواية يأتي بعد خلق السماوات، ويُنسب إلى السماء. ويقترح أن تكون الأقوات السماوية أسبابًا لأرزاق أهل الأرض، وأن يعالج الترتيب بحمل «ثم» على غير التراخي الزمني [م١١٣].

ويذكر بعد ذلك احتمالًا آخر يجعل خلق السماوات داخلًا في جملة تقدير الأقوات، ويحكي أنه خطر له في رؤيا [م١١٣]. نثبت هذه النسبة كما ذكرها؛ فهي تشرح منشأ احتمال عند الشارح، ولا تمنح الاحتمال منزلة حديث جديد أو حجة قرآنية مستقلة.

تكشف هذه المناقشة أن تصحيح السند لم يمنع المجلسي من بحث إشكال الدلالة. ومن ثم لا يصح أن نكتفي بعبارة «الخبر صحيح عنده» ثم نوهم القارئ أن صاحبه رأى جميع تفاصيل المقارنة خالية من السؤال. الأمانة تقتضي نقل موضع الحكم مع مقدار البحث الذي أعقبه.

ويظل الفرق قائمًا بين احتمال لغوي له قرائن، وبين وصف تجريبي لمسار تشكل الأرض والسماوات. عرض الشارح لأسباب الرزق لا يحدد مادة سماوية تُقاس، ولا يضع تسلسلًا يقارن مباشرة بجداول تكوّن الكواكب. إنما يفسر علاقة عبارات داخل النصوص التي أمامه.

## حصيلة المقابلة في هذا الفصل

أُنجز في هذه المرحلة وصل السند المختصر بسياقه، وتعيين موضع حكم المجلسي، وقراءة جانب من مناقشته لمعنى اليوم والأقوات. وبقيت دراسة النسخ وجميع طرق الباب وتقييم وجوه الترجيح مفتوحة. هذا تقدم محدد يمكن البناء عليه، ولا يتحول إلى إعلان أن جدولًا زمنيًا كاملًا لنشأة الكون قد ثبت.

وعند نقل نتائج الفصل إلى فصول السماوات والأرض، يُنقل معها مستوى الاستناد: العدد القرآني في موضعه، وتفصيل الخبر منسوبًا إليه، واختيار المفسر باسمه. بهذه الطريقة يستطيع القارئ متابعة الحكاية من غير أن تختلط مراتب المعرفة كلما انتقلنا إلى موضوع جديد.

## معنى استكمال الباب

تقدمت المراجعة هنا في تعيين نصوص لم تكن مسماة وفي بيان اختلاف تفسير الترتيب. ولم تثبت بذلك مدة تفصيلية لكل مخلوق أو مقابلة عددية بين الأيام وعمر الكون. فهذان سؤالان زائدان لا تكفي للإجابة عنهما إعادة تسمية الأيام أو اختيار مقدار من سياق آخر.

ويقرأ القارئ أخبار الباب مع نفي اللغوب في ق ٣٨، ومع غنى الخالق عن المكان والمادة المستقلة والتروّي البشري. اجتماع هذه الأصول يحفظ معنى القدرة، ويمنع تحويل وصف مراحل الخلق إلى صورة صانع يضعف ويستريح. ثم تتجه الحكاية إلى السماوات والأرض لبحث ما أخبر النص عن عددهما وأوصافهما.

## خاتمة الباب الأول

انتهينا إلى إثبات الخبر القرآني، وإلى عرض اختلاف المفسرين في بعض تفاصيله، مع التوقف عن تحويله إلى تقويم فيزيائي. لم يعطنا هذا الباب تصويرًا كاملًا لكل مراحل الوجود، لكنه وضع أصولًا تمنع خلط النص بالتخمين.

وسنحتاج هذه الأصول عند الكلام على السماوات السبع والأرض وما بينهما. فقد يثبت الاسم والعدد في النص، بينما تبقى الكيفية والمقياس خارج ما نملك تعيينه. والقراءة الأمينة تتابع السؤال من هذا الحد، ولا تتجاوزه إلا بدليل.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

إحالات الفصل: الأعراف ٥٤؛ يونس ٣؛ هود ٧؛ الفرقان ٥٩؛ السجدة ٤-٥؛ ق ٣٨؛ الحديد ٤؛ الحج ٤٧ ؛ المعارج ٤؛ فصلت ٩-١٢؛ النازعات ٢٧-٣٣؛ مجمع البيان [م٥، م٢١]؛ الميزان، ج ١٧، ص ٣٦٤-٣٦٥ والبحث الروائي [م٦، م٦٤، م٧]؛ التوحيد، باب «وكان عرشه على الماء»، ح ٢ [م١٩]؛ روضة الكافي، ح ١١٧ [م٦٥]. وتتبع سياق السند [م١١١]؛ ومناقشة المجلسي للأقوات [م١١٣]. وللقيد المتعلق بطريق خبر أبي الصلت: [م١٦٢]؛ وتفصيله في الفصل ٥.

# الباب الثاني — السماوات والأرض وما وراء المشاهدة

إثبات النصوص مع التوقف عن رسم الغيب بما لا دليل عليه.

## الفصل ٩ — السماوات السبع — النصوص وحدود التصور

### من السماء التي نراها إلى الخبر الذي نتلقاه

يرفع الإنسان رأسه فيرى صفحة واحدة تتبدل ألوانها بين النهار والليل. تظهر فيها الشمس، ثم القمر والنجوم، ولكن وحدة المشهد للعين لا تعني أن كل ما وراءه شيء واحد أو أن البصر أحاط ببنيته. هنا يفتح القرآن بابًا آخر للمعرفة، فيخبر بالسماوات السبع، ويصل خبرها بخلق الله وتدبيره وإحكام صنعه.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣].

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح: ١٥].

ولا تبدأ الحكاية برسم دوائر ثم وضع اسم سماء على كل دائرة؛ بل تبدأ بالسؤال عما قاله النص. ففي البقرة ٢٩ يأتي خبر التسوية إلى سبع سماوات، وفي الإسراء ٤٤ يرد تسبيح السماوات السبع، وفي فصلت ١٢ يأتي القضاء بهن

والوحي في كل سماء أمرها. وتذكر الطلاق ١٢ العدد في سياق القدرة والعلم، والملك ٣ ونوح ١٥ تصفانه بالطباق. هذه المواضع يضيء بعضها بعضًا من غير أن يتطابق غرضها في كل سورة.

## العدد والطباق والإتقان

يفتتح صدر الآية الثالثة من سورة الملك، المثبتة كاملة أعلاه، خبر السماوات السبع ووصفها بالطباق. العدد هنا جزء من الخبر، فلا يصح إهماله لمجرد أننا لا نعرف كيفيته. وفي الوقت نفسه لا يكفي إثبات العدد لإثبات مادة كل سماء أو سمكها أو المسافة الفاصلة بينها وبين غيرها.

يعرض الطبرسي في مجمع البيان معنى كون بعضها فوق بعض، ويذكر أيضًا قولًا يتصل بتشابهها في الإتقان والانتظام [م٢٣]. يفيد هذا العرض في تمييز الشرح اللغوي والتفسيري من الصورة التي يرسمها الخيال. فالقول بالفوقية لا يعطينا بمفرده مركزًا هندسيًا ولا أنصاف أقطار، والقول بالإتقان لا يلغي العدد الوارد في الآية.

وتنفي الآية نفسها رؤية التفاوت في خلق الرحمن [الملك: ٣]. يشرح مجمع البيان التفاوت هنا من جهة الخلل والتناقض في الحكمة، مع بقاء اختلاف الصور والهيئات [م٢٣]. ومن ثم لا تعني الآية أن الموجودات متساوية الأحجام أو الألوان أو الأحوال، بل توجه النظر إلى انتظام الخلق، فلا يتحول التنوع نفسه إلى اعتراض على الإتقان.

## فارجع البصر

قال تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٤].

تطلب آيتا الملك ٣–٤ إعادة النظر. وهذا الطلب يجعل الإنسان مشاركًا في التأمل، لا حافظًا لعدد منفصل عن دلالته. يعود البصر مرة بعد مرة، ويكتشف الناظر أن اتساع ما يراه لا يساوي إحاطته به. وتلك منزلة تجمع بين الثقة بمشروعية السؤال والتواضع أمام حدود الأداة.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦].

﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧].

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٨].

وفي سورة نوح يقترن ذكر السماوات الطباق بذكر القمر والشمس ثم بنشأة الإنسان من الأرض وعودته إليها وإخراجه منها، في الآيات ١٥–١٨. ينتقل الخطاب من الكون إلى المصير الإنساني، ولا يقدم قائمة بأسماء

السماوات وموادها. حفظ هذا السياق يمنع اختزال الآيات في جدول فلكي، ويعيد خبر الخلق إلى مقصد التوحيد والبعث.

## سبع طرائق وأمر كل سماء

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧].

تذكر المؤمنون ١٧ سبع طرائق، ويعرض مجمع البيان تفسيرها بالسماوات المتطارقة، كما ينقل تفسيرًا يتصل بطرق الملائكة [م٢٤]. ليست كلمة «طرائق» وحدها تصريحًا بمدارات الكواكب السبعة في التصورات القديمة، ولا بشبكة محددة اكتشفتها أداة حديثة. تعيين المصداق يحتاج إلى حجة تزيد على الاشتراك في صورة الطريق.

أما الميزان في تفسير فصلت ١٢ فيربط الكلام على أمر كل سماء بآيات تدبير الأمر وتنزله، ويقرأها ضمن علاقة السماوات بالعالم الأرضي [م٧]. هذا توجيه تفسيري منسوب إلى صاحبه. نستفيد منه أن الخبر القرآني لا يقف عند العدد، من غير تحويل التوجيه إلى قياس مادي لحركة الأمر أو سرعته.

## الروايات وصورة السماوات

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧].

ينقل مجمع البيان عند الذاريات ٧ خبرًا عن الإمام الرضا عليه السلام من طريق علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسين بن خالد، يتضمن وصف السماوات والأرضين وعلاقة بعضها ببعض [م٢٥]. سيعرض الفصل التالي مضمونه وحدود الاستناد إليه. ذكر الطريق هنا يميز الخبر المعين من عبارة عامة مثل «قالت الروايات»، التي قد تخفي اختلاف النصوص ومصادرها.

لا تُنقل رسوم الطبقات المتداولة بوصفها صورة متفقًا عليها عن أهل البيت عليهم السلام. كما أن إطلاق الضعف على كل الأخبار من غير فحص ليس تحقيقًا. الواجب إبقاء ما يثبته القرآن واضحًا، ثم دراسة كل زيادة روائية على حدة، وتحديد ما إذا كانت لفظًا في المتن أو شرحًا لاحقًا له.

## رب السماوات السبع في حجة التوحيد

قال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤].

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٥].

﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦].

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٧].

﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٩].

في سورة المؤمنون ينتقل الخطاب من سؤال عن ملك الأرض إلى سؤال عن رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، ثم إلى السؤال عمن بيده ملكوت كل شيء، ويتلو الاعترافَ توجيهٌ إلى التذكر والتقوى والتبصر في حال المخاطبين (المؤمنون ٨٤-٨٩). نقرأ هنا عدد السماوات داخل حجة لها مقصد: أن تتصل معرفة الإنسان بمن خلقه ويدبره بسلوكه، وأن يتحول الإقرار اللفظي بالربوبية إلى عبادة لا تشرك بالله غيره. وإضافة العرش إلى هذا المشهد تهيئ لما سيأتي في الفصل الرابع عشر، من غير أن تزود القارئ بقياسات أو مسافات بين السماوات.

وهذا التدرج يغير زاوية النظر. فقد يبدأ المتأمل من الرقعة التي يسكنها، ثم يرفع بصره إلى ما يعجز عن بلوغه، ثم يسأل عن نظام الأمر كله. ليست الأرض في هذا السياق خارجة عن سلطان رب السماوات، وليس البعيد ربًّا للقريب بسبب علوه. جميع ما يذكره السؤال متعلق برب واحد. وهذه قراءة في ترتيب الاحتجاج القرآني، وليست رواية تضاف إلى أقوال المعصومين.

## التسبيح والخلق والأمر: وجوه تجتمع ولا تتطابق

ترد السماوات السبع في الإسراء ٤٤ ضمن التسبيح، وفي فصلت ١٢ ضمن القضاء والإيحاء بأمر كل سماء، وفي الملك ٣ ضمن إحكام الخلق، وفي نوح ١٥ ضمن دعوة المخاطبين إلى النظر. يجمعها أن السماوات مخلوقة لله، لكن لكل موضع جهة يبرزها. فآية التسبيح توجه السمع إلى عالم أوسع من أصوات البشر، وآية فصلت تصل الخلق بالتدبير، وآية الملك تستدعي مراجعة البصر، ودعوة نوح تأتي في خطاب قوم يحتاجون إلى تجديد معرفتهم بربهم.

ومن تأملي في جمع هذه المواضع أن كثرة السياقات تحرر العدد من أن يصبح معلومة معزولة. فالإنسان قد يحفظ أن السماوات سبع ثم يمضي كأن معرفته لم تغير شيئًا؛ بينما يربط القرآن الخبر بالاعتبار وبالعبودية. ويبقى معنى التسبيح وكيفيته موضوعًا له أدلته في الفصل الرابع والثلاثين، فلا نختزل تسبيح السماوات هنا في حركة الأفلاك، ولا ننقل كل قول عن كيفية التسبيح إلى وصف هندسي لبنيتها.

## هل معنى الإتقان أن العالم لا يتغير؟

قد يتوهم القارئ أن نفي التفاوت في سورة الملك يوجب أن تبقى كل هيئة من هيئات العالم على حالها أبدًا. غير أن السورة نفسها تبدأ بالملك والقدرة وخلق الموت والحياة والابتلاء، ثم تأتي آيات السماوات. وفي مواضع أخرى يصف القرآن انشقاق السماء وطيها عند انتهاء المشهد الدنيوي. لذلك نفرق في قراءة الكتاب بين إحكام الخلق وبين دوام صورة معينة منه: وقوع التحول لا يصير بذاته برهانًا على نقص في الخلق، كما أن الإتقان لا يمنحنا موعدًا نستخرجه لنهاية الكون.

ويظهر هنا موقع القارئ من الحكاية؛ إنه ينظر من داخل عالم جعله الله ميدانًا للابتلاء، لا من موضع يحيط فيه بجميع أطواره. وما يجده من انتظام يدعوه إلى التعلم والشكر، وما لا يفهمه يدعوه إلى السؤال. وبهذا يظل النظر عملًا يتجدد، ويظل الاعتراف بحدود المعرفة جزءًا من صدق ذلك العمل.

## سجود الملائكة واتصال المعرفة بالعبادة

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٤٩].

قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾ [النحل: ٥٠].

تقع هاتان الآيتان في سورة النحل، فتجمعان ذكر ما في السماوات وما في الأرض بالملائكة ونفي الاستكبار. ثم يأتي الخوف من الرب وفعل ما يؤمرون. يظهر من ترتيب الكلام أن عظمة المخلوق لا تخرجه من العبودية، وأن اختلاف مواضع الخلق لا يجعل بعضه مستقلًا عن أمر الله. هذه قراءة في النص القرآني، ولا تتضمن توزيع الملائكة على طبقات معلومة الأسماء أو الوظائف.

وحين يصف الكتاب السماوات السبع، فإن هذا المعنى يصحب وصف العدد والطباق: ليس العلو في المخلوقات ترخيصًا بالتأله، ولا اتساع العالم سببًا لأن يغيب خالقه عن سؤال الناظر. يستطيع الإنسان أن يدرس ما يراه، ثم يحمل علمه إلى عمل يزول فيه الاستكبار. أما معرفة كيفية سجود كل مخلوق وتفصيل مواضع الملائكة، فلا تستخرج من مجرد جمع هاتين الآيتين بآيات السماوات السبع؛ وللتسبيح والسجود بحثهما في الفصل الرابع والثلاثين.

### حدود المقارنة مع المعرفة العلمية

يختلف تقسيم الأشياء بحسب الغرض الذي نصنفها من أجله. لذلك لا يكون العثور على سبع طبقات أو سبعة أقسام دليلًا كافيًا على أنها السماوات السبع. ينبغي أولًا بيان أن معيار التقسيم نفسه مستفاد من النص أو مؤيد بدليل مستقل، لا أنه اختير للحصول على العدد المطلوب.

ويصح أن تتوسع معرفتنا بالكون المرصود ويبقى السؤال عن تمام مدلول السماوات السبع مفتوحًا. عدم تعيينها بأداة رصد لا ينفي الخبر الديني، لكنه لا يمنح أي تعيين مقترح صفة اليقين. الفرق هنا بين الإيمان بخبر الوحي وبين الزعم بأننا فرغنا من تفسير كيفيته.

### ثمرة الفصل

ثبت في النص العدد ووصف الطباق واتصال الخلق بالتدبير والتسبيح. وعُرضت وجوه تفسيرية تساعد على القراءة، مع التوقف عن رسم ما لم يتعين. بهذه القاعدة نعبر إلى الأرض: نقرأ المماثلة الواردة فيها في سياقها، ونفرق بين الأرض التي نسكنها والتفاصيل التي تضيفها الأخبار إلى معرفتنا.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥].

إحالات الفصل: البقرة ٢٩؛ الإسراء ٤٤؛ المؤمنون ١٧، ٨٤–٨٩؛ فصلت ١١–١٢؛ الطلاق ١٢؛ الملك ١–٥؛ نوح ١٥–١٨؛ الميزان [م٧]؛ مجمع البيان [م٢٣–م٢٥]؛ ولأصل خبر الحسين بن خالد [م٦٧] والفصل ١٠. ومن نصوص العبودية المضافة: النحل ٤٩–٥٠.

# الفصل ١٠ — الأرض وما ورد عن الأرضين

## الأرض القريبة والسؤال البعيد

نقف على الأرض فنحسب أن قربها يجعل معناها أبسط من معنى السماء. لكنها في القرآن تُذكر موطنًا للمعاش، ومسرحًا للاستخلاف، وآية للقدرة، ثم يرد خبر تبديلها عند البعث. ولا يصح أن تُحمل جميع استعمالاتها على سؤال واحد عن طبقات الكوكب أو عدد العوالم.

قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١].

فقد يدل اللفظ على أرض معينة في سياق جماعة أو بلد، كما في التعبير عن الأرض المقدسة في المائدة ٢١؛ وقد يأتي في المقابلة الشاملة بين السماوات والأرض. معرفة المقام تسبق رسم المصداق. ولهذا لا نعزل عبارة من سياقها ثم نجعلها جوابًا عن كل استعمال آخر للكلمة.

## ومن الأرض مثلهن

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

يأتي خبر السماوات السبع والمثلية في الأرض في أول الآية الثانية عشرة من سورة الطلاق، المثبتة كاملة أعلاه. ثم تذكر الآية تنزل الأمر، وتختم بالقدرة الإلهية وإحاطة العلم. فلا يكتمل تناولها بالوقوف عند لفظ المماثلة ونسيان ما عُطف عليه وما ختم به.

يقرأ الطباطبائي ظاهر المماثلة من جهة العدد، ويعرض احتمالات قيل بها: كرات أرضية متعددة، أو طبقات، أو أقاليم. ويعرض في الموضع نفسه أقوالًا أخرى، فلا يجوز جعل جميع ما سرده اختيارًا نهائيًا له [م٨]. نثبت هذه الفروق لأن عرض قول في كتاب تفسير لا يعني تبنيه، ولأن اختلاف الوجوه لا يرفع الخبر القرآني من أصله.

المماثلة في وجه لا تستلزم المماثلة في جميع الوجوه. فمن فهمها هنا في العدد لم يحصل بذلك على دليل أن لكل أرض بشرًا كأهل أرضنا، أو تاريخًا مكررًا، أو أنبياء يحملون الأسماء نفسها. هذه دعاوى إضافية تحتاج إلى أدلتها الخاصة، ولا يكفي لتقريرها استعمال كلمة «مثل» من غير تحرير جهة التشبيه.

## خبر السماوات والأرضين في مجمع البيان

عند تفسير ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧] ينقل الطبرسي عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسين بن خالد، عن الإمام الرضا عليه السلام، خبرًا يصف الأرض الدنيا وسماءها، ثم أرضًا أخرى فوق السماء الدنيا وسماءً فوقها، حتى يتم العدد، ويتضمن أن الأرضين الست فوق الأرض التي نحن عليها [م٢٥]. هذه خلاصة للخبر المعين، وليست وصفًا نعتمده هنا بوصفه حقيقة فلكية محققة.

قوبل موضع هذا الخبر بالنص الإلكتروني للتفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم عند الذاريات ٧ [م٦٧]، فانتقل التحقيق من الاكتفاء بإحالة مجمع البيان إلى مراجعة الأصل الذي يحيل إليه. بقيت دراسة نسبة مادة التفسير واتصال هذا الطريق ورجاله ومقابلة نسخه غير مكتملة؛ فلا تعني هذه الخطوة تصحيح الخبر. وتعرض الفقرة الآتية نتائج المقابلة وحدودها.

ولهذا الخبر فائدة بحثية محددة حتى قبل الحكم عليه: فهو يبين أن بعض المادة التفسيرية المتداولة لا تصف الأرضين على صورة طبقات باطن كوكبنا. ومن ثم لا يجوز مزجها بتفسير جيولوجي ثم تقديم المزيج كأنه مضمون الرواية. وينبغي أيضًا ألا يتحول عدم اعتماد تفاصيل الخبر إلى جزم بوضعه؛ فالتوقف حكم بحدود ما أُنجز من البحث.

## مقابلة أصل الخبر وما تغير بها

أمكن في هذه المراجعة الرجوع إلى النص الإلكتروني للتفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمي عند الذاريات ٧ [م٦٧]. وفيه الطريق الذي أحال إليه مجمع البيان، مع عرض تعاقب السماوات والأرضين وذكر الأرض الواحدة التي تحتنا. والنتيجة المحددة هي توثيق موضع الخبر في الأصل التفسيري المشار إليه؛ أما نسبة جميع مادة الكتاب ودرس رجال هذا الطريق فلا يحسمهما العثور على النص. كذلك لا يعد وجوده في القمي ثم نقله في مجمع البيان شاهدين مستقلين على صدوره.

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣].

وفي النص الإلكتروني تنبيه يحتاجه ضبط الاقتباس: ترد صيغة تجمع عبارة خلق السماوات طباقًا بعبارة المثلية وتنزل الأمر. أما الآيتان في المصحف فموضعهما الملك ٣ والطلاق ١٢، ولكل منهما لفظه وسياقه. لهذا لم تنقل الصيغة المركبة بوصفها آية واحدة، ولم يُحكم من اختلاف النقل الإلكتروني بأن الإمام جمع اللفظين على هذه الصورة؛ فهذه نقطة مقابلة نصية تحتاج إلى مراجعة النسخ.

ويقع عقب الخبر في الصفحة تفسير تأويلي للسماء والحبك بأسماء أشخاص، وهو انتقال في طريقة البيان ينبغي تمييزه من العرض السابق. وجود الكلامين في موضع واحد من التفسير لا يبيح دمجهما في جملة واحدة منسوبة إلى الإمام. وتظهر فائدة قراءة الأصل هنا: نستطيع أن نعين موضع كل مادة، وأن نميز الشرح والتأويل والخبر، بدل أن يصير كل ما يلي اسم السورة حديثًا واحدًا.

## المثلية في خاتمة سورة الطلاق

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الطلاق: ٨].

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: ٩].

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق: ١٠].

﴿رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١١].

تأتي آية السماوات والأرض في ختام سورة اشتملت على أحكام تمس حياة البيوت وعلى التحذير من العتو عن أمر الله ورسله. ثم يختم السياق بذكر القدرة والعلم المحيطين (الطلاق ٨–١٢). ومن قراءة هذا الترتيب نفهم أن الانتقال إلى الخلق الواسع يصل مسؤولية الإنسان اليومية بسلطان الله الشامل. فالعدل في الحقوق، والالتزام بالحدود، والوعي بالمحاسبة ليست أمورًا صغيرة لأنها تقع في بيت أو بين شخصين.

وأما مثلية الأرض للسماوات، فقد سبق عرض قراءة الميزان لظاهر العدد [م٨]. وتبقى جهة المثلية هي السؤال الذي يضبط ما يمكن استنتاجه: الاشتراك في العدد لا يثبت اشتراكًا في الحجم أو التركيب أو السكان، كما أن إثبات سبع أرضين لا يعين بمجرده ترتيبًا تفصيليًا بينها. هذه لوازم يجب طلب دليلها الخاص، ولا تدخل كلها في اللفظ بطريق واحد.

وفي هذا الفصل نحفظ لذلك مستويين من المعرفة: خبرًا قرآنيًا يثبت على لفظه، ومحاولات تفسيرية تسأل عن الكيفية. والإنسان ينتفع بما وصل إليه من معرفة الأرض التي يعيش عليها، من ماء وتربة وعمران، من غير أن يجعل هذه المعرفة مقياسًا يحصر به سائر الخلق. وفي الاتجاه المقابل، لا يتخذ ما غاب عنه ذريعة إلى إهمال ما صار مسؤولًا عنه في أرضه المشاهدة.

## بث الدواب: ما يثبته اللفظ وما يبقى سؤالًا

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩].

تضيف آية الشورى إلى الحديث عن السماوات والأرض ذكر ما بث الله فيهما من دابة وقدرته على جمعهم. ونقف عند لفظ الآية كاملًا قبل أي تعيين: إنها تجعل الخلق والبث والجمع آيات للقدرة. أما قائمة أنواع هذه الدواب، ومواقعها، وكيفية حياتها، فلا تسميها الآية. لذلك لا يجوز أن نستبدل بهذه الدلالة العامة قصة مفصلة عن سكان كواكب معينة أو حضارات نعرف أسماءها.

ومن جهة الحجة، يختلف السؤال: هل يدل النص على سعة الخلق؟ عن السؤال: هل أثبت أن رصدًا معاصرًا بعينه كشف المقصود؟ الثاني يحتاج إلى دليل إضافي يصل الرصد بالدلالة. وكذلك لا تكفي الآية وحدها لإثبات أن لكل أرض من الأرضين السبع جماعة بشرية مماثلة لنا. فبث الدواب، ومثلية الأرض، وتعيين البشر، ثلاث دعاوى لا يتساوى مقدار البيان القرآني المتعلق بها.

ويفيد ختام الآية في حفظ مقصد القراءة؛ فالخلق المبثوث لا يخرج عن القدرة على الجمع. وتظل هذه الصلة بين التفرق والجمع حاضرة في انتقال الحكاية إلى المعاد، من غير تحديد شكل ذلك الجمع أو وقته بتخمين فلكي.

## القارات والطبقات والكواكب

لا يجعل الكتاب القارات السبع معنى الآية لمجرد توافق العدد؛ فهذا يقتضي إثبات أن تقسيم اليابسة إلى قارات هو المراد أصلًا. كذلك لا يبدأ من سبعة أسماء مختارة لطبقات الأرض ثم يعود بها إلى النص. اختلاف معايير التقسيم سبب إضافي لعدم الاكتفاء بالعدّ.

أما فرض أن الأرضين كواكب أخرى، فمجرد إمكان وجود أجرام تشبه أرضنا في بعض الصفات لا يثبت أنها المقصودة. هناك فرق بين وجود أشياء في العالم وبين تعيين تلك الأشياء تفسيرًا لعبارة قرآنية. وقد تتوفر أدلة على الأول وتبقى حجة الثاني غير مكتملة.

ولا يستفاد من هذا الاحتياط إغلاق البحث العلمي. على العكس، يترك للبحث أن يصف ما يصل إليه من غير أن يحمّله مسؤولية إثبات قراءة تفسيرية لم تنضج. كما يترك للنص دلالته من غير أن يجعل مصيره تابعًا لكل تغيير في التصنيفات.

### تنزل الأمر والغاية من الخبر

يفسر الميزان تنزل الأمر في الطلاق ١٢ بما يتصل بالإيجاد والتدبير، ويستبعد حصره في التشريع وحده [م٨]. وبصرف النظر عن تفصيل هذا التوجيه، فإن خاتمة الآية صريحة في توجيه الإنسان إلى معرفة القدرة والعلم. ليس عالمه المحدود حدًا لما يقدر الله عليه أو يحيط به علمًا.

ويأتي هذا الختام بعد أحكام تمس حياة الأسرة، ثم التذكير بعواقب مخالفة الأمر والحديث عن الرسول والإيمان والعمل الصالح في الطلاق ٨–١١. في هذه القراءة للسياق يلتقي الخلق والتكليف: الذي لا يغيب عن علمه هذا العالم الواسع لا يغيب عنه ظلم يقع في البيت الصغير.

### خبر القمي وخبر العطارة: اختلاف يجب إبقاؤه ظاهرًا

سبق في هذا الفصل أن خبر الحسين بن خالد يضع الأرضين الست فوق الأرض التي نحن عليها بحسب النص الإلكتروني لتفسير القمي [م٦٧]. وعند مقابلة خبر زينب العطارة في التوحيد، ص ٢٧٦، نجد ابتداءه بذكر الأرض التي تحت هذه الأرض، ثم التدرج إلى السابعة [م١٢٤]. هذا اختلاف في جهة الوصف بين متنَين معينين؛ فلا يصح جمع عباراتهما في رسم واحد ثم نسبة الرسم إلى جميع الروايات.

إثبات الاختلاف النصي أضيق من الحكم بأن أحد الخبرين موضوع، وأضيق كذلك من إثبات إمكان الجمع بينهما. يمكن للباحث أن يقترح اختلاف جهة الإشارة أو معنى الفوقية والتحتية، لكن الاقتراح يحتاج إلى قرينة من النصوص. ولهذا تحيل هذه المقارنة إلى دراسة خبر العطارة في الفصل الخامس عشر، وتبقي أصل القرآن ظاهرًا، مع عدم الجزم بصورة تفصيلية لم يكتمل تحقيق دليلها.

## كيف عرض المجلسي اختلاف صور الأرضين؟

عاد المجلسي إلى خبر الحسين بن خالد عند شرحه خبر زينب العطارة في روضة الكافي. ففي مرآة العقول، ج ٢٦ ، ص ٥-٦، عرض أقوالًا تجعل العدد مرتبطًا بالأقاليم أو بتقسيم الأرض وما يتصل بها من الماء والهواء والنار، ثم استبعد تنزيل الآيات والأخبار على تلك الوجوه [م١٦٥، م١٦٦]. لا تُقرأ هذه الأقوال باعتبارها نتائج جيولوجية يقررها الكتاب، إنها مادة من تاريخ تفسير العدد، ويجب إبقاء عرضها منفصلًا عن اختيار الشارح.

ثم نقل خبر الرضا من تفسير علي بن إبراهيم بطريق أبيه عن الحسين بن خالد، وفيه تعاقب الأرض والسماء [م١٦٦ ]. وجود هذا النقل داخل شرح خبر العطارة مهم في المقارنة: فالشارح نفسه يضع أمام القارئ وجهًا آخر للخبر، ولا تصبح الرواية المنقولة جزءًا من متن الكافي الذي يشرحه. كما لا ينشأ من إعادة نقل طريق القمي سند مستقل جديد إلى الإمام.

ومن جهة ترتيب الأرضين، يظل النصان المعروضان مختلفين: افتتاح خبر العطارة يذكر التي تحت هذه الأرض، وخبر الحسين بن خالد يصف الأرض التالية فوق السماء الدنيا. ولا تستكمل أمانة الجمع بمحو إحدى الجهتين من العرض. نعطي القارئ موضع كل وصف، ثم نبين أن ترجيح أحدهما أو اقتراح جمع بينهما عمل آخر لم يحسمه مجرد وجودهما في كتب التراث.

وبهذه المقابلة صار للبحث موضع محدد في شرح الكافي، بعد أن كان يعرض هنا من خلال التوحيد وتفسير القمي ومجمع البيان. لكنها لا تغني عن فحص نسبة مادة التفسير، أو رجال طريق الحسين بن خالد، أو صور النسخ؛ فهذه مسائل تبقى في سجل التحقيق، ولا يستعاض عنها بكثرة الكتب الناقلة.

## الأرض المتبدلة وإحالة البحث

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

يخبر القرآن في إبراهيم ٤٨ عن تبديل الأرض غير الأرض والسماوات. لا يصح جعل هذا الخبر وحده تفسيرًا للمماثلة في سورة الطلاق؛ فموضعه مشهد أخروي، وسيدرس في الفصل السابع والأربعين. ويحفظ الفصل الحالي حدود موضوعه: عدد الأرضين ودلالة المماثلة وما أضيف إليهما من أخبار.

إحالات الفصل: المائدة ٢١؛ إبراهيم ٤٨؛ الطلاق ٨-١٢؛ الملك ٣؛ الذاريات ٧؛ الميزان، ج ١٩، ص ٣٢٦ [م٨]؛ مجمع البيان [م٢٥]؛ تفسير القمي، الموضع الإلكتروني المقابل عند الذاريات ٧ [م٦٧]. الشورى ٢٩

بنصها الكامل؛ ومقارنة خبر العطارة [م١٢٤]. ولمقارنة عرض المجلسي: مرآة العقول ج ٢٦ ص ٥-٦ [م١٦٥، م١٦٦].

# الفصل ١١ — ما بين السماوات والأرض

## ليس ما بينهما فراغًا في الحكاية

قد تستوقفنا السماء والأرض بوصفهما طرفي المشهد، فنغفل عن عبارة تتكرر معهما: ما بينهما. لا تأتي هذه العبارة حشوًا؛ فهي تدخل في الحديث عن الخلق والملك والحق والعبادة. وما يعرفه الإنسان من العالم لا ينحصر في سطح تحت قدميه وضياء فوق رأسه.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦].

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨].

جاء لفظ السماء مفردًا في الأنبياء ١٦، وجاءت السماوات بالجمع في الدخان ٣٨، وقد أثبتنا الآيتين كاملتين أعلاه. والاختلاف بين الإفراد والجمع لا يبيح إسقاط معنى الشمول المشترك بين السياقين، كما لا يبيح فرض مدلول تفصيلي واحد لكل استعمال لكلمة السماء.

## الخلق بالحق ونفي العبث

قال تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٩].

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠].

تثبت آية الدخان ٣٩ أن الخلق بالحق، ثم يأتي الحديث عن يوم الفصل في الآية ٤٠. يربط السياق أصل الخلق بالمآل؛ فوجود العالم لا يعرض بوصفه مشهدًا بلا غاية، والإنسان ليس خارج ما يترتب على هذا المعنى من حساب.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

وفي ص ٢٧–٢٨ يقترن نفي الباطل في خلق السماء والأرض وما بينهما بإنكار التسوية بين المؤمنين المصلحين والمفسدين. يظهر هنا وجه أخلاقي واضح: النظر إلى الكون لا ينفصل عن السؤال عن العدل. وهذا استنتاج من ترتيب الآيات ومعانيها، لا محاولة لاستخراج حكم أخلاقي من شكل نجم أو من مسافة بين جرمين.

لا يعني نفي العبث أننا نستطيع تعيين الحكمة التفصيلية لكل موجود أو حادثة. إثبات الغاية العامة أوسع من معرفتنا بكل غرض جزئي. وقد يقر الإنسان بالحكمة ويبحث في الأسباب، ثم يتوقف في سؤال لا يملك جوابه، من غير تناقض بين مواقفه الثلاثة.

**الربوبية تشمل العلاقات والمجالات**

قال تعالى: ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣].

﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤].

في مريم ٦٥ يرد وصف رب السماوات والأرض وما بينهما، ويتبعه الأمر بالعبادة والاصطبار لها. وفي الشعراء ٢٣-٢٤ يجيب موسى عن سؤال فرعون بذكر رب السماوات والأرض وما بينهما. موضوع الكلام هنا ليس تقديم جرد فلكي، بل بيان الربوبية التي لا تستثني جزءًا من الخلق.

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤].

ويُقرأ ذكر ما بينهما أيضًا في الفرقان ٥٩ والسجدة ٤ في سياق الخلق في ستة أيام. يتيح جمع هذه المواضع أن نرى تعدد جهات الخطاب: إيجاد، وتدبير، وملك، وغاية. لا حاجة إلى اختزالها كلها في مصطلح طبيعي واحد كي تكون ذات معنى.

**الماء والهواء والضوء: أمثلة للمشاهدة**

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

يلفت القرآن نفسه إلى السحاب المسخر بين السماء والأرض في البقرة ١٦٤. هذه حالة يسمي فيها النص عنصرًا ظاهرًا من المشهد، فلا نبقى مع عموم لغوي وحده. وتتصل بها آيات الماء والرياح وإحياء الأرض، وهي موضوعات سيعود إليها الباب الرابع بتفصيل.

أما وصف الفضاء علميًا بما فيه من مادة وإشعاع، فيرجع إلى أدوات الرصد والنماذج المناسبة لكل مقياس، وإلى المراجع العلمية في الباب السادس [ع١، ع١٣، ع١٤]. نستحضر ذلك لئلا نساوي بين ما لا تراه العين وبين العدم، ولا نزعم أن العبارة القرآنية قدمت أسماء جميع مكونات الفضاء بلغة العلوم المعاصرة.

ويتصل المشهد بعضه ببعض: يصل الضوء إلى العين، وتحمل الرياح السحاب، وينزل الماء فتتغير الأرض. هذه الروابط تجعل دراسة الظواهر مفيدة لفهم الحياة التي نعيشها. لكنها لا تمنح الباحث حق نقل نموذج يعمل في مجال واحد إلى كل مجال آخر أو إلى كل حقيقة غيبية.

## التدبير وأخبار العرش

في مناقشة أبي قرة المروية في الكافي يؤكد الإمام الرضا عليه السلام، بحسب النص، غنى الله واحتياج ما سواه، ويفرق بين الخالق والعرش وحملته [م٢٦]. سيأتي عرض الطريق والحكم المنقول عليه في الفصل الرابع عشر. ويستفاد هنا من اتجاهه التوحيدي: شمول التدبير لا يجعل المخلوقات أجزاءً من ذات الله، ولا يجعل الخالق واحدًا من الأجسام التي يضمها العالم.

وهذه الدلالة تضبط الكلام على «ما بينهما»: ما نعرفه وما لا نعرفه من المخلوقات داخل في الافتقار إلى الخالق. أما كيفية الخلق ومقاديره وعلاقاته التفصيلية فتطلب من الأدلة المناسبة لها. فلا يتحول عموم الربوبية إلى ادعاء علم بكل جزئية.

## حوار موسى: ربوبية تتجاوز حدود القصر

قال تعالى: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٥].

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦].

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧].

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨].

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

يتخذ ذكر ما بين السماوات والأرض صورة حية في حوار موسى مع فرعون (الشعراء ٢٣-٢٩). يسأل فرعون عن رب العالمين، فيجيب موسى بربوبية السماوات والأرض وما بينهما. ثم يأتي ذكر رب المخاطبين وآبائهم، ثم رب المشرق والمغرب وما بينهما. ويتحول رد فرعون من مخاطبة من حوله إلى اتهام الرسول ثم تهديده بالسجن. هذه مراحل حوار يضع سلطانًا بشريًا محدودًا أمام ربوبية لا تحدها مملكته.

أقرأ في تنوع الجواب نقلًا للمخاطبين بين ثلاث جهات متصلة: العالم المحيط بهم، وتاريخ وجودهم ووجود آبائهم، واتساع الجهات التي يطلعون عليها. لا يحتاج برهان موسى في هذا السياق إلى كشف أجرام لم ترها العيون؛ إنه يرد دعوى الاستعلاء إلى حقائق يعرفها السامعون ولا يملك فرعون إنشاءها. ولذا يكون ذكر الكون هنا متصلًا بحرية الإنسان من ادعاء البشر الألوهية، لا حديثًا منفصلًا عن الظلم الذي تقع فيه حياة الناس.

ويمهد هذا المشهد لفكرة تتكرر في الكتاب: قد يتسع علم الإنسان بشيء وتضيق نفسه عن الحق الذي يدل عليه. فالمشكلة في الحوار ليست غياب كلمة تدل على السماء أو الأرض، بل موقف من يتعامل مع سلطة محدودة كأنها تحيط بالوجود. ومن هنا لا تقاس ثمرة التأمل الكوني بعدد المصطلحات التي نحفظها وحده، بل بما يحدثه النظر في تقديرنا لأنفسنا ولحقوق غيرنا.

## ما تحت الثرى: اكتمال المعنى من الأعلى إلى الخفي

قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦].

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

في مطلع سورة طه يأتي ذكر ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، ثم ذكر العلم بالسر وما هو أخفى (طه ٦-٧). والمجاورة بين شمول الملك وشمول العلم تمنح هذا الجمع قوة خاصة: ما يغيب عن عين الناظر في الأرض لا يخرج عن الملك، وما يكتمه في نفسه لا يخرج عن العلم. ويستطيع القارئ أن ينتقل في التدبر من عالم الأشياء إلى عالم المسؤولية من دون أن يفرض أن تحت الثرى اسم لطبقة جيولوجية محددة.

والثرى في هذه القراءة يدل القارئ على ما يستره ظاهر الأرض، بينما يستدعي العلم بما هو أخفى إدراك محدودية معرفة الإنسان بنفسه وبالعالم. وهذه ملاحظة في بناء الآيات، لا تعيين لمحتويات الغيب. أما وصف الطبقات الأرضية والعمليات التي تقع فيها فله أدواته ومواضعه في الأبواب اللاحقة.

**الخلق بالحق والعدل بين الناس**

تجمع سورة ص بين نفي خلق السماء والأرض وما بينهما باطلًا وبين إنكار التسوية بين المؤمنين العاملين بالصالحات والمفسدين، وبين المتقين والفجار (ص ٢٧-٢٨). وهنا تظهر إحدى أهم صلات الكون بالأخلاق في الكتاب: انتظام المشهد وكثرة مخلوقاته لا يستنفدان معنى الخلق؛ فالسياق يحمل القارئ إلى العدل والحساب أيضًا.

لا نستخرج من ذلك حكمًا على المصير النهائي لكل فرد نلقاه، ولا نقرأ كل حادثة طبيعية كأنها عقوبة لشخص بعينه. وإنما نثبت وجه الاستدلال الذي يقدمه السياق: إنكار العبث يمتد إلى إنكار أن يكون الإصلاح والإفساد متساويين في ميزان الحق. وبذلك يكون هذا الفصل صلة بين حديث النشأة وحديث النهاية، وتصبح عبارة ما بين السماوات والأرض جزءًا من حكاية لها مسؤولية ومعاد.

**دروس النظر المتصل**

تعلّمنا العبارة أن لا ننظر إلى الموجودات معزولة عن علاقاتها، وأن لا نفصل سؤال المعرفة عن مسؤولية الفعل. فمن يتأمل الماء والهواء والأرض لا يخرج من هذا التأمل بترخيص لإفسادها، بل بمعرفة أن حياته مرتبطة بنعم لا يستقل بإيجادها.

وهذا درس أستخرجه من اجتماع آيات الخلق ونفي العبث والعبادة، وليس رواية مستقلة أنسبها إلى المعصوم. وبذلك يبقى باب التدبر مفتوحًا مع حفظ الفروق بين نص الوحي والشرح الذي نبنيه عليه.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧].

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

إحالات الفصل: البقرة ١٦٤؛ مريم ٦٥؛ طه ٦-٧؛ الأنبياء ١٦-١٨؛ الفرقان ٥٩؛ الشعراء ٢٣-٢٩؛ السجدة ٤؛ ص ٢٧-٢٨؛ الدخان ٣٨-٤٠؛ الكافي، باب العرش والكرسي، ح ٢ [م٢٦]. للمقارنة العلمية التفصيلية: الفصول ٢٨-٣٠ و٣٨-٤٠ ومراجعها.

# الفصل ١٢ — بناء السماء وأبوابها وطرقها

## ألفاظ مألوفة ومشاهد أوسع

يعرف الإنسان البناء والباب والطريق من حياته اليومية، ثم يقرأ هذه الألفاظ في وصف السماء. يستطيع أن يفهم منها معاني أولية، لكنه قد يسارع إلى نقل مقاييس بيته وطرقه إلى الغيب. تبدأ القراءة المنضبطة بالاستفادة من اللغة مع سؤال السياق عما يثبته من خصائص وما لا يثبته.

قال تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧].

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ [النازعات: ٢٨].

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

تربط آيتا النازعات ٢٧–٢٨ بين خلق السماء وبنائها ورفع سمكها وتسويتها. ويأتي في ق ٦ النظر إلى السماء فوقهم وكيف بنيت وزينت وما لها من فروج. هذان الموضعان يوجهان إلى عظمة الصنع واتساقه، ولا يسميان مادة تشبه مواد البناء البشري.

## البناء والسقف والإمساك

قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].

تصف البقرة ٢٢ السماء بالبناء في سياق نعم الأرض والماء والثمرات، وتصف الأنبياء ٣٢ السماء بالسقف المحفوظ. وتذكر الحج ٦٥ إمساك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذن الله. هذه الأخبار متجاورة في الموضوع، لكن لكل منها سياقه الذي يجب أن يحفظ عند جمعها.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان: ١٠].

إثبات البناء لا يلزم منه وجود أعمدة حجرية، وإثبات الحفظ لا يتحدد بمجرد اللفظ في آلية واحدة. وفي الرعد ٢ ولقمان ١٠ يرد رفع السماوات أو خلقها بغير عمد ترونها. والخبر الروائي الذي سيأتي ذكره يعرض فهمًا لهذه العبارة، لكنه لا يستغني عن دراسة الطريق والدلالة.

ولا يسمى مجال الجاذبية عمودًا قرآنيًا على سبيل الجزم. يمكن استعمال التشبيه لتقريب معنى اعتماد نظام على أسباب، بشرط التصريح بأنه تشبيه من عندي. أما تحويله إلى تفسير منقول عن أهل البيت عليهم السلام أو إلى إثبات علمي حصري للآية فخطوة تحتاج إلى دليل لم يوفره التشبيه.

## الأبواب بحسب سياقاتها

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠].

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [الحجر: ١٤].

﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٥].

في الأعراف ٤٠ يرد عدم فتح أبواب السماء للمكذبين المستكبرين مقرونًا بعدم دخول الجنة. موضع الكلام قبول ومصير، فلا يكفي أخذه منفردًا لاقتراح موضع مادي تعبره المركبات. وفي الحجر ١٤-١٥ يأتي افتراض فتح باب من السماء واستمرار العروج في سياق عناد المكذبين؛ إذ لا يضمن ظهور المشهد زوال المكابرة.

قال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [القمر: ١١].

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النبأ: ١٩].

أما القمر ١١ فتذكر فتح أبواب السماء بماء منهمر ضمن قصة الطوفان. وفي النبأ ١٩ يأتي فتح السماء وصيرورتها أبوابًا في مشهد يوم الفصل. الاشتراك في اسم الباب لا يوجب تطابق أحوال الطوفان والآخرة والمقام المتعلق بالقبول. السياق جزء من الدليل، لا تفصيل يمكن الاستغناء عنه.

كما لا يلزم من اختلاف السياقات أن نحكم بأن كل ذكر للأبواب مجاز محض، أو بأن جميعه وصف لفتحات مادية من نوع واحد. نثبت لكل موضع ما يدل عليه، ونحيل تفصيل مشاهد الآخرة إلى الباب السابع. هكذا نتجنب نفي ما أخبر به النص وإضافة ما لم يخبر به في آن واحد.

**الطرائق والحبك**

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧].

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧].

يعرض مجمع البيان في المؤمنون ١٧ معنى السماوات المتطارقة ومعنى طرق الملائكة [م٢٤]. ويشرح في الذاريات ٧ «الحبك» من جهة الطرائق وحسن أثر الصنعة واستوائها، ثم يسرد وجوهًا تفسيرية متعددة [م٢٥]. هذه مادة لغوية وتفسيرية تساعد على فهم مجال اللفظ، ولا تعين بذاتها مخططًا كونيًا حديثًا.

وينقل في الموضع الأخير خبر الحسين بن خالد عن الإمام الرضا عليه السلام، وفيه تشبيك الأصابع ثم ذكر السماوات والأرضين [م٢٥]. وقد قوبل موضعه في النص الإلكتروني لتفسير القمي [م٦٧]، وعرضت نتيجة ذلك في الفصل العاشر، مع بقاء درس السند والنسخ مطلوبًا. الاشتراك في الإحالة إلى الخبر نفسه لا ينشئ طريقًا ثانيًا له.

وعند قراءة رسم حديث لشبكة توزع المجرات قد يجد القارئ صورة تستدعي معنى الحبك. هذه مشابهة بصرية محتملة، ولا تكفي لإثبات أن المفسرين أو الرواية قصدوا ذلك الرسم. فالصورة العلمية مبنية على بيانات ومقياس واختيار لطريقة العرض، واللفظ القرآني يحتاج إلى بيان لغوي وسياقي مستقل.

**الثقوب السوداء ليست تفسيرًا جاهزًا للباب**

سيدرس الفصل الأربعون الثقوب السوداء وفق مصادرها العلمية [ع١٥]. أما تسمية هذه الأجرام أبواب السماء فدعوى أخرى لا تثبت بمجرد وجودها. ويجب كذلك عدم الخلط بينها وبين فرضيات الممرات في الزمكان التي قد تعرض في التصورات النظرية.

ليس في الآيات التي جمعناها هنا تصريح بكتلة ثقب أسود أو بأفق حدث أو بوسيلة سفر بين مناطق الكون. لذلك لا نضع هذه المصطلحات في موضع التفسير المقطوع به. يستطيع القارئ أن يسأل عن العلاقة، لكن السؤال لا يتحول إلى جواب موثق بمجرد جاذبية الفكرة.

**بغير عمد ترونها: وجهان في التفسير**

يعرض الطبرسي عند الرعد ٢ وجهين للعبارة: أن السماوات مرفوعة بلا عمد والمخاطبون يرونها كذلك، أو أن المنفي عمد مرئية، فتكون الإشارة إلى ما لا يراه الناظر. ويختار الوجه الأول، ثم يذكر في عرض الثاني تعلق الإمساك بقدرة الله [م٦٨]. هذا خلاف في تركيب العبارة ودلالتها داخل التفسير، ينبغي عرضه قبل اختيار صورة كونية بعينها.

أما خبر الحسين بن خالد، الذي قابلنا موضعه في تفسير القمي [م٦٧]، فيتضمن جواباً بإثبات عمد غير مرئية. وهكذا اجتمع لدينا قول اختاره مفسر ونص رواية لها طريق يحتاج إلى تحقيق؛ وهما مادّتان مختلفتان من حيث طريقة الاحتجاج. لا نحو اختيار الطبرسي لنصنع اتفاقاً بين جميع الأقوال، ولا نجعل مجرد وجود الخبر كافياً لإتمام دراسة نسبته.

ومن تأملي أن هذه المسألة تعلم القارئ فائدة السؤال عن نوع الدليل. فإذا قيل إن الآية تتحدث عن قوى الجاذبية، وجب بيان أن هذا تعيين حديث زائد على الوجه اللغوي العام؛ إذ لا يسمي اللفظ قوة فيزيائية بعينها. ويمكن شرح ما تعلمه الفيزياء عن حركة الأجرام في موضع مستقل، لكن نسبة الشرح إلى الآية تحتاج إلى حجة تتجاوز تشابه فكرة الإمساك في الكلامين.

**من السماء المبنية إلى السماء المفتوحة**

تجمع آيات هذا الباب ألفاظ البناء والسقف والرفع من جهة، وألفاظ الفتح والتشقق والطي من جهة أخرى. ويختلف وجه استعمالها بحسب المشهد. ففي ق ٦ يأتي البناء والزينة في مقام الدعوة إلى النظر، وفي النبأ ١٩ يظهر فتح السماء ضمن يوم الفصل، وفي القمر ١١ يتصل فتح أبواب السماء بماء منهمر في قصة نوح. يسبق فهمَ الباب إذن سؤالٌ عن الحدث الذي يرد فيه، وعن الفعل الذي يرتبط به.

قال تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ١٢].

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر: ١٣].

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٤].

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥].

ومن المفيد أن نقرأ تتمة قصة نوح: يعقب ماء السماء تفجير الأرض عيونًا، ثم يجتمع الماء على أمر قد قدر، وتذكر السفينة ونجاة من حمل فيها (القمر ١١-١٥). فالآيات تنظم مشهدًا متصلًا، وليست قائمة بأجزاء بناء يمكن انتزاع أبوابه من القصة ووضعها على رسم ثابت للكون. وفي مشهد يوم الفصل يتغير متعلق النظر مرة أخرى؛ إذ يكون الحديث عن انتقال الوجود المشهود إلى طور الحساب.

وعندما يصف القرآن السماء بالسقف المحفوظ ثم يذكر إعراض الناس عن آياتها (الأنبياء ٣٢)، يلتقي وصف العالم بموقف الناظر. قد يمر الإنسان تحت هذا السقف طوال عمره ولا يسأل سؤالًا يبدل فهمه أو عمله. والقراءة التي يقترحها الكتاب تعيد وصل المشهد بمقصده: النظر إلى البناء، والانتفاع بما نتعلم عنه، ثم تذكر أن بقاءه واستمراره ليسا ملكًا للإنسان.

## النفاذ من الأقطار في سياق سورة الرحمن

قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٣].

قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٣٤].

قال تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥].

قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٣٦].

الخطاب هنا موجه إلى الجن والإنس معًا، ويأتي التحدي بالنفاذ من أقطار السماوات والأرض مقترنًا بذكر السلطان، ثم يعقبه ذكر الشواظ والنحاس وانتفاء الانتصار. لذلك ينبغي أن يقرأ المقطع بوحدته، وألا تختزل الآية الأولى في شعار منفصل عن الآيات التالية. لا يسمي هذا النص صاروخًا، ولا رحلة بعينها، ولا يقدم حدًّا هندسيًا نقيس به أبواب السماوات.

ولا يقتضي ذلك إنكار السفر الذي ينجزه الإنسان بأسبابه المشاهدة. إنما نفرق بين خبر عن فعل تحقق في مجال الرصد، وبين تفسير كلام القرآن على وجه مخصوص. فإذا وصف إنسان رحلةً بأنها نفاذ، فالتوافق في كلمة من اللغة لا يثبت أن الرحلة استوفت معنى التحدي المذكور في هذا السياق. وما يصل إليه البشر من معرفة وأدوات يظل داخلًا في الخلق والقدرة، فلا يصبح الخروج من مكان محدد خروجًا من سلطان الخالق.

وتفيد هذه القراءة في ضبط باب السماء أيضًا: ليس كل وصول إلى ارتفاع جديد فتحًا لباب غيبي ورد في آية أخرى. لكل خبر موضوعه وسياقه، ويجتمع الجميع في أن الإنسان لا يحيط بالعالم بمجرد انتقاله داخل جزء منه. وهذه ملاحظة تفسيرية أقدّمها في اتصال الآيات، لا حكم على جميع ما قيل في تفسير السلطان.

## كيف يرسم القارئ خريطة للمعاني؟

يمكن صنع خريطة تعليمية تجمع اللفظ القرآني وموضعه وسياقه: البناء مع آيات النظر، وفتح الأبواب مع القصة أو القيامة، والحبك مع أقوال التفسير. هذه خريطة لأوجه البيان، وتفيد في منع انتقال معنى خاص من آية إلى جميع الآيات. أما الخريطة التي تحدد موضع كل باب ومادته ومسافته عن الأرض فستضيف معلومات لا توفرها هذه النصوص بمجرد اجتماعها. ويحفظ الفصل الفرق بين الخريطتين كي يبقى الرسم وسيلة إلى الفهم.

## حدود الرسم التوضيحي

يمكن إعداد جدول يبين الآية ولفظها وسياقها وما ورد في تفسيرها. أما رسم طريق يبدأ من الأرض ويمر بأبواب ذات إحداثيات وينتهي إلى الغيب فيوهم بمعرفة لا نملكها. وبهذا نفرق بين وسيلة تعليمية تنظم النصوص وخريطة تزعم تصوير حقائقها المكانية.

ثمرة الفصل أن اللغة تحملنا إلى معنى يتجاوز المألوف، من غير أن تبيح نقل كل خصائص المألوف إليه. وقد عرفنا أن البناء والأبواب والطرائق وردت في مقامات مختلفة، وسيأتي بعد ذلك النظر إلى زينة السماء الدنيا وما اتصل بها من الحفظ.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٩].

إحالات الفصل: البقرة ٢٢؛ الأعراف ٤٠؛ الرعد ٢؛ الحجر ١٤–١٥؛ الأنبياء ٣٢؛ الحج ٦٥؛ المؤمنون ١٧؛ لقمان ١٠؛ ق ٦؛ الذاريات ٧؛ القمر ١١–١٥؛ النبأ ١٩؛ النازعات ٢٧–٢٩؛ مجمع البيان [م٢٤، م٢٥، م٦٨]؛ تفسير القمي [م٦٧]؛ وللمقارنة العلمية الفصل ٤٠ [ع١٥]. وقراءة النفاذ من الأقطار: الرحمن ٣٣–٣٦ بنصوصها الكاملة.

# الفصل ١٣ — السماء الدنيا — الزينة والحفظ

## سماء تمنح العين جمالًا والعقل سؤالًا

حين ينتشر الليل لا تصبح السماء مجرد مساحة مظلمة. تتكشف فيها أنوار يفرح بها الناظر ويهتدي ببعضها، ثم يسأل عما هي عليه. يجمع القرآن في الحديث عن السماء الدنيا بين الزينة والحفظ، فيحفظ للمشهد جماله ولا يختزله في لذة النظر وحدها.

قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦].

﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥].

تذكر الصافات ٦ تزيين السماء الدنيا بالكواكب. وفي فصلت ١٢ يأتي تزيين السماء الدنيا بالمصابيح والحفظ، وفي الملك ٥ يرد التزيين بالمصابيح واتصال ذلك برجوم الشياطين. ينبغي أن تقرأ هذه المواضع مع ما يليها وما يسبقها، لأن الزينة والحفظ ليسا عبارتين متطابقتين في الوظيفة.

## معنى الدنيا وحدود المدى

يفسر مجمع البيان السماء الدنيا في الملك بأنها الأدنى إلى الأرض والتي يراها الناس [م٢٣]. يفيد هذا في أصل معنى القرب، ولا يقدم رقمًا لمدى السماء أو حدًا يمكن تعيينه على صورة فلكية. كما لا يقرر أن جميع السماوات موضوع واحد داخل قدرة الرصد الحالية.

تصف عبارة «الكون المرصود» مجالًا يرتبط بما يمكن أن تصل إلينا منه معلومات، وسيأتي شرح ذلك ضمن أدوات معرفة الكون. أما السماء الدنيا فاسم وارد في النص وله بحثه التفسيري. لا يجوز مساواة الحدين بمجرد أن كليهما يتصل بما نراه، ولا نفي العلاقة بينهما من غير بحث؛ فالتعيين يحتاج إلى قرينة تتجاوز التشابه اللفظي.

## الكواكب والمصابيح

المصباح في خطاب الإنسان مصدر إنارة، وقد استعمل في وصف زينة السماء. يشرح مجمع البيان التسمية من جهة الإضاءة [م٢٣]. وليس من المنهج أن نفرض على لفظ الكوكب في جميع النصوص حدود التصنيف الفلكي الاصطلاحي المعاصر، قبل النظر في الاستعمال العربي وسياق الآية.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧].

﴿وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

ولهذا سيبحث الفصل الثامن عشر أسماء النجوم والكواكب ودلالاتها. نحفظ هنا قدرًا من المعنى يكفي للموضوع: في السماء أنوار جعلها الله زينة، وللإنسان معها وجوه من التأمل والاهتداء، كما يدل الأنعام ٩٧ والنحل ١٦. لا تتحول منفعة الاهتداء إلى دعوى أن النجوم مستقلة بتدبير مصائر البشر.

ولا ينقص التحليل العلمي من إمكان التذوق الجمالي؛ فمعرفة بعض خصائص جرم لا تلزم الإنسان بأن يراه أرقامًا فقط. هذه ملاحظة أقدّمها في معنى التأمل، لا تفسير روائي مستحدث لكلمة الزينة.

## الحفظ واستراق السمع

قال تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ [الصافات: ٧].

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات: ٨].

﴿دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصافات: ٩].

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠].

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨].

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩].

تذكر الصافات ٧–١٠ الحفظ من كل شيطان مارد واستراق السمع والشهاب الثاقب. وتذكر الجن ٨–٩ الحرس والشهب ومقاعد السمع. تتعلق هذه الأخبار بجانب غيبي لا تستقل آلة القياس الفلكية بإثبات تفاصيله أو نفيها، وإن درست ما يقع تحت الرصد من الظواهر الضوئية.

أما في القرآن فالتعبير عن الملائكة والجن والشياطين ليس اسمًا مرادفًا للغاز أو الأشعة. لا يمحى الفاعل الغيبي من الخبر لمجرد رغبة في تقديم تفسير طبيعي مكتمل، كما لا تُهمل طبيعة الظاهرة المرصودة لمجرد وجود خبر يتصل بالغيب. يقوم الفصل العشرون بالموازنة المفصلة بين هذين المستويين.

## هل تُقذف النجوم ذاتها؟

ينقل مجمع البيان عند الملك ٥ عن الجبائي قولًا يفرق بين بقاء الكواكب وبين شهب تنفصل منها [م٢٣]. نذكره بوصفه وجهًا تفسيريًا تاريخيًا، لا حديثًا عن أهل البيت عليهم السلام، ولا وصفًا علميًا نعتمده لمصدر الشهب. وفائدته هنا أن المفسر نقل وجهًا لا يفهم الرجم على أنه زوال كل كوكب من موضعه.

أما الشهاب في العرض العلمي المستخدم في الكتاب فهو الوميض الناتج عن دخول جسم صغير الغلاف الجوي، وتشرح ناسا الفرق بين الجسم في الفضاء والظاهرة الضوئية وما يصل إلى الأرض منه [ع٤]. لا يثبت هذا الوصف وحده كيفية الارتباط بالغيب المذكور في الآيات. كما لا يصح وضع التفسير التاريخي لمصدر الشهب في مقام هذه المعرفة العلمية.

## قرب المشهد واتساع الدلالة

يسمي القرآن السماء الدنيا في مواضع الزينة والحفظ في الصافات ٦ وفصلت ١٢ والملك ٥. ومن المفيد قراءة ما حول هذه المواضع: تسبقها في الصافات شهادة بوحدانية الرب وذكر السماوات والأرض والمشارق، وتأتي في فصلت عقب تسوية السماوات، وفي الملك عقب الدعوة إلى إعادة البصر. يختلف المدخل إلى المشهد نفسه؛ مرة من التوحيد، ومرة من الخلق، ومرة من النظر.

ولا يحمل وصف الدنيا حكمًا بالدناءة أو انتقاصًا من جمالها؛ فالسياق نفسه يجعلها موضع زينة وعلامة على القدرة. في لغة هذا الفصل هي السماء الأقرب ضمن التسمية القرآنية، مع بقاء كيفية إحاطة هذه التسمية بما نرصده سؤالًا تفسيريًا. وبهذا لا تتحول الكلمة إلى اصطلاح فلكي مستحدث يساوي حتمًا حدًا في خرائط الرصد.

## الحفظ في سياق السمع والخبر

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦].

﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧].

﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٨].

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠].

في الحجر ١٦-١٨ يتجاور ذكر البروج والزينة للناظرين مع الحفظ والاستثناء المتعلق باستراق السمع. وفي الصافات ٦-١٠ يرد ذكر الملأ الأعلى والدحور واتباع الشهاب. أما في الجن ٨-١٠ فينقل القرآن كلام الجن عن طلب السمع وما وجدوه من الحرس والشهب، ثم إقرارهم بأنهم لا يدرون ما أريد بمن في الأرض. وهذه المقارنة في السياقات تبين أن موضوع الآيات يشمل الوصول إلى الخبر، ولا يقتصر على شكل الضوء الذي يراه الإنسان في الليل.

ويلفت النظر ختام المقطع في سورة الجن؛ فالمتكلمون يصفون ما لقوه ثم يقرون بجهلهم بالغاية التي يسألون عنها. ومن تدبري أن هذه المجاورة تصلح درسًا في أمانة الخبر: قد يصح وصف واقعة في حدود ما أدركه المخبر، ويظل تعليلها الكامل خارج علمه. وليس من الأمانة أن نحذف إقراره بالجهل ثم ننسب إليه تفسيرًا لم يذكره.

قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦].

﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٧].

﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨].

ويمتد أثر ذلك إلى القارئ؛ فكل دعوى إلى الاطلاع على الغيب تحتاج إلى دليلها، ولا تمنحها غرابة اللفظ ولا رهبة المشهد صدقًا تلقائيًا. ويعالج القرآن أصل علم الغيب في مواضعه، ومنها الجن ٢٦-٢٨، حيث يذكر إظهار من ارتضى من رسول والرصد المحيط. نثبت هنا هذا الاتصال الموضوعي، ونترك تفصيل مسائل النبوة والوحي لمباحثها المناسبة.

**مشهد واحد وأسئلة متعددة**

من وقف في ليلة صافية فرأى لمعانًا سريعًا يستطيع أن يسأل سؤالًا رصديًا عن مساره وزمنه، وسؤالًا علميًا عن الجسم والوسط الذي أحدث الظاهرة، وسؤالًا تفسيريًا عن دلالة الشهاب في آية بعينها. وقد تقدم بيان التفسير العلمي للشهب بالرجوع إلى مصدره [ع٤]. تعدد الأسئلة يوجب ضبط الإجابة المناسبة لكل واحد، فلا تصبح معرفة الآلية المادية إحاطة بكل دلالة غيبية، ولا يغني الكلام على الغيب عن تعلم الظاهرة المشاهدة.

وتبقى الزينة نفسها باباً يستحق الوقوف عنده. فالإنسان لا يملك النجوم التي ينظر إليها، ومع ذلك يتسع بها أفقه ويهتدي ويتعلم. وفي تأملي أن هذا الانتفاع بما لا نملكه يربي حس الشكر، ويخفف وهم أن قيمة الأشياء مرهونة بسيطرتنا عليها. من هنا يعود الفصل من الحديث عن الحفظ إلى جمال المشهد، ثم يمضي إلى فصول الأنوار والمسارات والحساب.

## من جمال الأنوار إلى السجود لخالقها

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

قال تعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۩﴾ [فصلت: ٣٨].

يضع هذا المقطع من فصلت حدًّا واضحًا بين النظر إلى الآية وعبادتها. فالليل والنهار والشمس والقمر تدخل في ذكر الآيات، ثم يتوجه السجود إلى الله الذي خلقهن. وتلي ذلك الإشارة إلى تسبيح من عنده واستمرار عبادتهم. وبذلك يتصل مشهد الضوء والحركة بالموقف الذي يتخذه الإنسان: يستطيع أن يحب الجمال وأن يتعلم أسبابه من غير أن يجعل المخلوق ربًّا.

تذكر الآية الشمس والقمر صراحة، فلا ننسب إليها قائمة تفصيلية بأحكام كل جرم في السماء؛ لكن اتجاهها في التوحيد يضبط حديثنا عن الزينة عامة. فلا يزداد النجم استحقاقًا للعبادة كلما عظم حجمه، ولا يمنحه بُعده علمًا مستقلًا بمصائر الناس. وستعرض فصول الأنوار والحساب منافع المشاهدة، ويبقى التعلم فيها موصولًا بالمعنى الذي يؤكده هذا المقطع: أن يتجه الشكر إلى الخالق الذي أوجد ما نتأمله وننتفع به.

## الجمال لا يبيح صناعة الأسطورة

لا تحتاج زينة السماء إلى إضافة أسماء غيبية للنجوم أو قصص لم ترد في مصدر مضبوط. حين نحفظ الفرق بين النص والتفسير والعلم يبقى الجمال حاضرًا، ويصبح النظر أكثر أمانة: نستدل بما نعرف، ونصرح بما لا نعرف، ولا ننسب إلى القرآن خريطة لم ينص عليها.

ويمهد اجتماع الزينة والحفظ للانتقال إلى ألفاظ العرش والكرسي. ففي كلتا المسألتين يواجه القارئ خبرًا يتصل بعظمة الخالق، ويحتاج إلى ضبط الصورة التي يصنعها ذهنه قبل أن يخلطها بما قاله الوحي.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ [الصافات: ٤].

﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ [الصافات: ٥].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣].

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٤].

إحالات الفصل: الأنعام ٩٧؛ الحجر ١٦-١٨؛ النحل ١٦؛ الصافات ٤-١٠؛ فصلت ١٢؛ الملك ١-٥؛ الجن ٨-١٠، ٢٦-٢٨؛ مجمع البيان [م٢٣]؛ ناسا، الشهب والنيازك [ع٤]؛ وللتفصيل الفصلان ١٨ و٢٠. فصلت ٣٧-٣٨ بنصيهما الكاملين في ختام البحث.

# الفصل ١٤ — العرش والكرسي وحملة العرش

## قبل تصور العرش

قال تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

تستدعي كلمة العرش في الذهن صورة سلطان على سرير ملكه، ويستدعي الكرسي ما يجلس عليه الإنسان. لكن انتقال الكلمة من الاستعمال البشري إلى الكلام على الله لا يجيز نقل خصائص الجسد والحاجة والمكان إليه. الأصل الذي يضبط هذا الباب تنزيه الله عن المماثلة، كما تقرره آية الشورى ١١ المثبتة كاملة أعلاه.

لا يبدأ البحث بإنكار الألفاظ التي أثبتها الوحي، ولا بإحلال صورة بشرية مكانها. يبدأ بجمع الآيات، ثم قراءة ما ورد في تفسيرها عن أهل البيت عليهم السلام، ثم تمييز المعنى الذي يثبت من التصوير الذي نتخيله. فإذا ثبتت حقيقة مخلوقة عظيمة لم تصبح جزءًا من الله، ولم يصبح افتقارها افتقارًا له.

## الكرسي في سياق آية الكرسي

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

تتضمن البقرة ٢٥٥ الحياة والقيومية، ونفي السنة والنوم، وشمول الملك والعلم، وكون الشفاعة بإذنه، ثم سعة الكرسي للسماوات والأرض ونفي المشقة عن حفظهما. لا يصح اقتطاع الكرسي من هذا السياق وتحويله إلى أداة يستريح عليها من نُفي عنه النوم والعجز.

ويورد الكافي في باب العرش والكرسي، في الأحاديث ٣–٥، أسئلة عن سعة الكرسي، منها سؤال زرارة للإمام الصادق عليه السلام. تؤكد الأجوبة المعروضة شمول الكرسي، ويذكر الحديث الرابع العرش أيضًا [م٩]. هذه نصوص ينبغي ضبطها قبل رسم علاقة احتواء مادية بين العرش والكرسي، لا الاكتفاء بصورة متداولة ثم تعديل الألفاظ لتوافقها.

تعيين هذه الأخبار بأرقامها يسمح بمقابلة ألفاظها وطرقها. وفيما يأتي درجات المجلسي بعد مقابلة مواضع أحكامه في النص الإلكتروني لمرآة العقول. وتظل دلالة السعة والإحاطة محتاجة إلى دراسة، فلا تتحول الدرجة الحديثية بمفردها إلى قياس للأقطار أو ترتيب هندسي لحدود الكون.

## تعيين طرق أحاديث السعة ودرجاتها المنقولة

الحديث الثالث من باب العرش والكرسي يرويه محمد بن إسماعيل بطريق الفضل بن شاذان وحماد بن عيسى وربعي بن عبد الله، وينتهي إلى الفضيل بن يسار عن الإمام الصادق [م٦٩]. وقد قوبل حكم المجلسي في مرآة العقول، ج ٢، ص ٧٨، وعبارته: «الحديث الثالث: كالصحيح» [م٢٤٢]. والمقصود هنا نقل حكم صاحبه من موضعه، لا إصدار تصحيح مستقل من عندي.

والحديث الرابع يرويه محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحجال، عن ثعلبة بن ميمون، عن زرارة. وقوبل تصحيح المجلسي بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ٢، ص ٧٩ [م١١٤]، بعد أن كان منقولًا بواسطة الثقلين [م٧٠]. ويتضمن المتن ذكر العرش، لكن إعراب هذه الجملة وتوجيهها لهما احتمالات يعرضها الشارح، فلا يحسم هذا الموضع وحده ترتيبًا هندسيًا بين العرش والكرسي.

وأما الحديث الخامس فيشترك مع الرابع في الراوي الأخير، زرارة، ويختلف المسار إليه؛ ففيه الحسين بن سعيد وفضالة بن أيوب وعبد الله بن بكير [م٧١]. ووصفه المجلسي بأنه «موثق كالصحيح» في مرآة العقول، ج ٢، ص ٧٩، وقد قوبلت العبارة بنص كتابه الإلكتروني [م١١٤]. إن تعدد الطريقين معلومة عن النقل، لكنه لا يثبت وحده أن السؤال وقع في مجلسين مختلفين؛ فذلك تفصيل زائد لا تنص عليه هذه المقابلة.

وتسمح هذه القراءة بفصل ثلاثة أمور: وجود المتن في الكافي، وتقدير ناقد معين لطريقه، وما نستخلصه من دلالته. وقد يقوى الطريق عند الناقد ويبقى شرح اللفظ محتاجًا إلى جمع النظائر وفهم السياق. لذلك لا نستبدل التحقيق الدلالي بكلمة صحيح، ولا نسوي بين درجات الرواة والأحكام المنقولة بمجرد اشتراك الأخبار في الموضوع.

## مقابلة أخبار السعة بين الكافي والتوحيد

يروي الصدوق خبر الفضيل في الباب الثاني والخمسين من التوحيد، الحديث الثالث، بطريق محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن يعقوب بن يزيد، عن حماد بن عيسى، عن ربعي، عن فضيل بن يسار [م١٦٣]. وبمقارنته بطريق الكافي المتقدم يتبين اختلاف صدر الطريق، ثم اجتماعهما عند حماد بن

عيسى، فربعي، فالفضيل. لذلك يصح إثبات تعدد الطريق إلى هذا الموضع، ولا يصح وصفهما بأنهما طريقان لا يشتركان في راوٍ.

وفي متن الكافي ترد عبارة «كل شيء في الكرسي» قبل ذكر السماوات والأرض وبعده [م٩، م٦٩]؛ أما نص التوحيد المعروض فيكتفي بذكر السماوات والأرض ثم شمول كل شيء [م١٦٣]. هذا اختلاف في الصياغة المثبتة في المصدرين، لا برهان بمفرده على أن إحدى العبارتين تحريف للأخرى. كما لا يكفي لاستخراج تعدد المجلس أو تعيين من اختصر اللفظ؛ فهاتان دعويان تحتاجان إلى شواهد أخرى.

وفي الحديث الرابع من التوحيد يصل الطريق إلى محمد بن يحيى العطار بواسطة ابنه أحمد، ثم يوافق مسار الكافي إلى زرارة عبر أحمد بن محمد بن عيسى والحجال وثعلبة. وتأتي خاتمته بظرفية الكرسي، حيث تعرض نسخة الكافي عبارة السعة. أما الخامس فيلتقي طريقاه عند الحسين بن سعيد، ثم فضالة، ثم عبد الله بن بكير، ثم زرارة [م٩، م١٦٣]. هذه المقارنة تعين مواضع الالتقاء، ولا تنقل حكم المجلسي على طريق الكافي إلى صدر طريق الصدوق تلقائيًا.

وتساعد مقابلة الطريق والمتن معًا على منع خطأين في جمع الأخبار. أولهما عد كل كتاب يورد الخبر شاهدًا مستقلًا من أوله إلى آخره، مع أن جزءًا من السند قد يكون مشتركًا. وثانيهما صنع متن مركب يأخذ صدر العبارة من مصدر وخاتمتها من مصدر آخر، ثم ينسب هذا التركيب إلى الإمام من غير بيان. والأصل في العرض أن يبقى لفظ كل مصدر منسوبًا إليه، وأن يوضع شرح الجامع بعده واضحًا.

ولا تعني ملاحظة اختلاف الخاتمة أن البحث انتهى إلى معنى واحد للعرش والكرسي. فقد عرض المجلسي وجوهًا في الإعراب والتفسير [م١١٤]، وسبق بيانها. إنما تضيف المقابلة مادة أدق إلى ذلك البحث: نعرف أي تركيب نشرحه، وأي طريق ننقل حكمه، وأي زيادة تحتاج إلى متابعة. وبعد هذا التعيين يمكن مناقشة الدلالة دون أن تختلط بنص لم يرد بهذه الصورة في أحد المصدرين.

ويشير المجلسي عند شرح الحديث الثالث إلى اختلاف صياغة الخبر في التوحيد [م٢٤٢]، مع بقاء حكمه الحديثي متعلقًا بالطريق الذي يشرحه في الكافي. واعتمدت مقابلة أخبار التوحيد هنا النص المعروض في ملف الكتاب، مع التحقق البصري من صفحة الملف التي تحتوي الأحاديث ٣–٥ [م١٦٣]. وتبقى مقابلة صور الطبعات ودراسة رجال الطرق عملًا آخر.

**لماذا لا تكفي جملة السعة لرسم ترتيب واحد؟**

يعرض المجلسي عند شرح الحديث الرابع احتمال عطف العرش على الأرض، واحتمال عطفه على الكرسي، واحتمال جعله مبتدأً في تركيب الجملة. وتتغير جهة السعة تبعًا لذلك؛ كما يذكر تفسير الكرسي بالعلم، وينبه إلى اختلاف عبارة الخاتمة في نقل التوحيد [م١١٤]. هذا عرض لوجوه الشارح، وليس تعددًا في ألفاظ آية الكرسي التي أثبتناها من المصحف.

ثمرة هذه المقابلة أن عبارة «وسع» تحتاج هنا إلى تحرير المراد قبل تحويلها إلى دوائر متداخلة. فالسعة إذا فسرت بالعلم تتصل بالإحاطة بالمعلوم، ولا توزن بالمتر أو بضعف حجم جرم. وإذا حملها باحث على معنى من معاني الخلق، بقي مطالبًا بدليل تعيينه وبمقارنة سائر النصوص. والحكم على طريق الرواية بالصحة لا يجعل كل إعراب يقترحه الشارح جزءًا من كلام الإمام.

**خبر أبي قرة: من المحمول؟**

يروي الكليني الخبر عن أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى. يذكر صفوان إدخال أبي قرة على الإمام الرضا عليه السلام، ثم سؤاله عن كون الله محمولًا. ويأتي في الجواب أن المحمول محتاج، ثم التمييز الصريح بين الله والعرش: «العرش ليس هو الله» [م٢٦].

يدور بقية الحوار على أن العرش وحملته ومن حوله محتاجون إلى حفظ الله وتدبيره. ويرفض النص وصف الله بالتغير على مثال المخلوقين. كما يتضمن الرد على خبر يحتج به أبو قرة عن ثقل يجده حملة العرش عند الغضب. ذلك الخبر داخل الحوار قول يورده السائل للاحتجاج، وليس تقريرًا يتبناه الإمام؛ وهذه نقطة مهمة عند اقتطاع الروايات.

وقوبل تصحيح المجلسي للحديث بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ٢، ص ٧٥، مع مطابقة افتتاح طريق أحمد بن إدريس إلى صفوان بن يحيى [م٩٨]. هذا إثبات لحكم المجلسي على الطريق المعين، ولا يتضمن دعوى اتفاق العلماء على كل تفاصيل فهم المتن.

المعنى المركزي واضح في هذا السياق: نسبة الحمل إلى العرش لا تجيز نسبة الحاجة إلى الله. ومثل ذلك انتساب البيت إليه؛ فلا يقتضي الطواف ببيته أن يكون الله محصورًا في بناء. يربط النص بين صور التعبد وبين غنى المعبود، فيمنع أن تتحول عظمة الشعيرة أو المخلوق إلى تجسيم للخالق.

## حديث الأنوار الأربعة وحدود طريقه

يبدأ الحديث الأول من الباب نفسه بطريق عن أحمد بن محمد البرقي مع عبارة «رفعه»، ثم يحكي سؤال الجاثليق لأمير المؤمنين عليه السلام. ويتضمن ذكر أنوار أربعة وبيانًا يتصل بالعلم والحمل [م٩، م٢٧]. لكن لفظ «رفعه» يدل في الطريق المعروض على عدم تسمية جميع الوسائط؛ فلا نقدم تفاصيله وكأن لدينا سندًا متصلًا بأسماء جميع رواته.

ويمكن ملاحظة انسجام اتجاه التنزيه فيه مع أصل قرآني، من غير تصحيح جميع أوصافه التفصيلية بهذا الانسجام وحده. فصحة معنى عام لا تكفي لإثبات نسبة كل لفظ في خبر، ولا لإثبات ألوان أو مقادير غيبية. ولذلك لا نبني منه لوحة للعرش، ولا نساوي بين أنواره المذكورة وبين ألوان الطيف في بحث فيزيائي.

## حملة العرش: العبادة والاستغفار

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [غافر: ٨].

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٩].

تذكر غافر ٧ الذين يحملون العرش ومن حوله، وتسبيحهم بحمد ربهم وإيمانهم به واستغفارهم للمؤمنين. وتمتد أدعيتهم في الآيتين ٨–٩ إلى النجاة ودخول الجنة مع الصالحين من الآباء والأزواج والذريات. هذه أوصاف نص عليها القرآن وتكشف صلة المشهد بالرحمة والطاعة، لا بالمسافة والحجم وحدهما.

قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

وتربط آية الحاقة ١٧ خبر الحملة الثمانية بذلك اليوم. قيد «يومئذ» جزء من الخبر، فيجب أن يبقى حاضرًا عند المقارنة بين الآية والروايات. لا نستخرج من العدد وحده أسماء الحملة أو صورهم، ولا نجزم من الآية وحدها بكل تفاصيل عددهم في سائر الأحوال.

ويرد في الحديث السادس من باب العرش والكرسي ذكر العرش بمعنى العلم وحملته الثمانية، مع التعبير عن أربعة منهم بأنهم «منا» [م٣١]. طريقه في الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن

أبي نصر، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن الإمام الصادق. وقوبل وصف المجلسي له بأنه «مجهول» بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ٢، ص ٨٠ [م١١٥]. ولا يسمي متن هذا الحديث القصير الأشخاص الثمانية بأسمائهم؛ أما تعيينهم في كلام الصدوق وشرح المجلسي فله موضع مستقل أدناه.

## العرش على الماء: موضع آخر لخبر داود الرقي

تضم خاتمة باب العرش والكرسي في الكافي خبر داود الرقي عن الإمام الصادق، بطريق يمر بسهل بن زياد وابن محبوب وعبد الرحمن بن كثير. يبدأ بنفي تصور الله محمولًا، ثم يتناول حمل الدين والعلم والميثاق [م٧٢]. وقد سبق تناول نظيره في باب العرش على الماء من كتاب التوحيد [م١٩]. ينبغي أن يقرأ الموضعان معًا عند استكمال المقابلة، وألا يعد كل ظهور للمتن في كتاب طريقًا مستقلًا بجميع رجاله.

وقوبل حكم المجلسي على خبر داود الرقي بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ٢، ص ٨١، وفيه «ضعيف على المشهور» [م١١٦]؛ وكان قد نقل بواسطة الثقلين [م٧٢]. هذه مقابلة لحكم الناقد على هذا الطريق، وليست دراسة رجالية جديدة ولا حكمًا على كل خبر ورد في العرش والماء.

## حين يختلف الشراح في التأويل

ينقل المجلسي في الصفحة نفسها عن السيد الداماد تأويل الماء بالعلم أو بالعقل الحامل له، ثم ينهي النقل ويستأنف تعقيبه بلفظ «وأقول»، معترضًا على هذه التأويلات ومفضلًا التسليم ورد العلم إلى أهل البيت عليهم السلام. وبعد ذلك يطرح احتمالات أخرى [م١١٦]. فالتأويل الأول للداماد، والاعتراض وما يليه من احتمالات للمجلسي؛ ولا يصح جمعها في رأي واحد أو تقديمها اتفاقًا بين علماء الإمامية.

ومن جهة صناعة الكتاب، يحفظ هذا المثال ثلاثة أصوات: متن الرواية، والقول الذي ينقله الشارح، وموقف الشارح منه. وقد يتفق شخصان في أصل التنزيه ثم يختلفان في مقدار ما يجوز لهما تعيينه من معاني خبر بعينه. عرض هذا الاختلاف للقارئ أدق من صهره في تفسير واحد لا يعرف صاحبه؛ كما أنه لا يلزم القارئ باعتبار جميع الاحتمالات متساوية في الدليل.

## خبر حنان بن سدير وتعدد صفات العرش

يروي الصدوق في باب العرش وصفته خبر حنان بن سدير عن الإمام الصادق، وفي طريقه علي بن أحمد الدقاق ومحمد بن أبي عبد الله الكوفي ومحمد بن إسماعيل البرمكي والحسين بن الحسن عن أبيه. يعرض الخبر اختلاف

صفات العرش بحسب موارد الكلام، ويصل بعض استعمالاته بالملك، ثم يميز العرش والكرسي في حديثه عن الغيب والعلم [م٧٣]. عُين موضع الخبر وطريقه، ولم ينجز هنا تحقيق رجالي مستقل له.

والفائدة البحثية من عرضه أن المفردة الواحدة قد تفسر بحسب السياق الذي وردت فيه. ومن ثم فالرسم الذي يفرض جسمين محددين بعلاقة احتواء واحدة، ثم يحمل عليه جميع الآيات والأخبار، يحتاج إلى مقدمات لا توفرها مجرد الأسماء. وهذه نتيجة منهجية أستخلصها من المقارنة، وليست حكمًا بأن جميع الأخبار متفقة أو أن اختلافها قد حُل.

وتصبح مهمة الجمع أكثر دقة حين يقابل هذا الخبر بحديث زرارة المتقدم الذي يذكر العرش ضمن سعة الكرسي. يحفظ الكتاب نص كل منهما ووضعه التوثيقي، ثم يسأل عن إمكان اختلاف جهة الاستعمال. ويظل ذلك احتمالًا تفسيريًا إلى أن تسنده دراسة أوسع؛ فلا تقلب الاحتمالات إلى جغرافية غيبية مفصلة.

**الاستواء والملك والتدبير**

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦].

يقترن الاستواء على العرش بتدبير الأمر في يونس ٣، وبشمول العلم والمعية في الحديد ٤. وفي طه ٥ يرد الاستواء، وتليه في الآية ٦ إحاطة الملك بالسماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى. جمع هذه المواضع يمنع قراءة اللفظ منفصلًا عن التنزيه والربوبية.

وتعرض الروايات ألفاظ العلم والقدرة والحمل على وجوه متعددة. يجوز البحث في جمعها ودلالاتها، لكن لا يصح الادعاء بأن كل استعمال للعرش في القرآن والروايات له شرح لفظي واحد لا يحتاج إلى سياق. كذلك لا يصح جعل العرش اسمًا لمجرة كبرى أو الكرسي حدًا للزمكان من غير مستند.

## الكرسي والعرش في كتاب الاعتقادات للصدوق

يعرض الصدوق في باب الاعتقاد في الكرسي وجهًا يجعله وعاءً لجميع الخلق، ويذكر معه وجه العلم [م١١٧]. ثم يعرض في باب العرش معنى جملة الخلق ومعنى العلم [م١١٨]. القراءة المنضبطة لهذا الموضع تبدأ من ملاحظة اختلاف جهة الاستعمال، فلا تجعل كل ورود للاسم دالًّا بالضرورة على جسم واحد له الحدود نفسها في جميع الأخبار.

وعند حديثه عن العرش بمعنى العلم يسمي الصدوق أربعة من الأولين: نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى، وأربعة من الآخرين: محمدًا وعليًّا والحسن والحسين، عليهم الصلاة والسلام. ثم يبين اتصال حمل العلم بانتقال الشرائع والمعرفة، ويصف ما رواه في الباب بأنه جاء بأسانيد صحيحة [م١١٩]. نثبت هذه العبارة باعتبارها حكم الصدوق في كتابه، ولا نجعلها تصحيحًا مفصلًا لسند حديث الكافي السادس الذي حكم المجلسي بجهالته.

وعليه يمكن للقارئ أن يعرف مصدر الأسماء من غير أن نضيفها داخل اقتباس لا يشتمل عليها. فاسم الكتاب والباب والصفحة ليس زينة في الهامش، به نعرف هل الاسم موجود في المتن المختصر، أو جاء في خبر آخر، أو عيّنه صاحب كتاب الاعتقادات. وتبقى مقابلة أسانيد الشواهد التي أحال إليها الصدوق عملًا آخر لم ينجز بمجرد قراءة خلاصة اعتقاده.

وتظهر في النص الإلكتروني للاعتقادات، ص ٤٥، كلمة «ثمانية» في أول وصف حملة العرش من الملائكة، ثم يذكر أربعة ويجعل صيرورتهم ثمانية يوم القيامة، بينما ينقل المجلسي في ص ٨٠ من الجزء الثاني افتتاح العبارة بلفظ «أربعة» [م١١٨، م١١٥]. هذا اختلاف في النقل المقابل، نسجله ولا نصلحه صامتين، ولا نحسم أصل القراءة دون مقابلة النسخ. كما لا ننقل أوصاف الصور المذكورة هناك إلى حديث حمل العلم؛ فالصدوق يميز في عرضه بين الوجهين.

## رب العرش: من الخبر إلى التوكل

قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

قال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥].

قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

يذكر ختام سورة التوبة رب العرش العظيم في جملة يتصل فيها التوحيد بالتوكل. وفي سورة البروج يأتي ذكر العرش في سياق قدرة الله ومشيئته. هذه المواضع تجعل اسم العرش حاضرًا في معرفة الرب والتعلق به، من غير أن توجب أن يملك المتوكل رسمًا لبنية العرش أو مقدارًا لمسافته.

ومن تدبري أن كثرة الأسئلة عن المخلوق ينبغي ألا تحجب مقصد النص في معرفة الخالق. فرب العرش هو الذي يتوكل عليه العبد؛ ولا يصبح العرش واسطة مستقلة تتصرف بعيدًا عن إرادة الله. وبهذا تجتمع دقة التحقيق مع ثمرة الإيمان: نبحث في الألفاظ والأسانيد، ونحفظ في الوقت نفسه اتجاه الآيات إلى التوحيد والعبادة والتوكل.

## حصيلة التحقيق في هذا الفصل

شملت المراجعة الأحاديث السبعة من باب العرش والكرسي في الكافي. عُيّن الرفع في الأول؛ وقوبل حكم الثاني [م٩٨]، وحكم الثالث «كالصحيح» في مرآة العقول، ج ٢، ص ٧٨ [م٢٤٢]، وأحكام الرابع والخامس والسادس والسابع في النص الإلكتروني للكتاب [م١١٤-م١١٦]. وأضيفت مقارنة مع الاعتقادات للصدوق [م١١٧-م١١٩]، مع حفظ حدود خبر حنان بن سدير [م٧٣]. هذه مقابلات نصية محددة، ولا تعني استقصاء جميع الأخبار أو إنجاز التحقيق الرجالي المستقل.

ويخرج القارئ بأصل جامع: العالم كله محتاج، والله غني؛ وحملة العرش عباد يسبحون ويستغفرون، وليسوا قوى تستقل بحمل الخالق أو حفظ وجوده. بهذا الأصل نتابع الحديث عن البيت المعمور والسدرة والحجب، حيث يزداد الاحتياج إلى فصل النص الثابت عن الصورة المتخيلة.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود: ٧].

إحالات الفصل: البقرة ٢٥٥؛ الأعراف ٥٤؛ التوبة ١٢٩؛ يونس ٣؛ هود ٧؛ طه ٥-٦؛ غافر ٧-٩؛ الشورى ١١؛ الحديد ٤؛ الحاقة ١٧؛ البروج ١٥-١٦. الكافي، باب العرش والكرسي، ح ١-٧ [م٩، م٢٦، م٢٧، م٣١، م٦٩-م٧٢]؛ التوحيد [م٧٣، م١٦٣]؛ مقابلات مرآة العقول [م٩٨، م١١٤-م١١٦، م٢٤٢]؛ الاعتقادات للصدوق [م١١٧-م١١٩].

# الفصل ١٥ — البيت المعمور وسدرة المنتهى وما ورد عن الحجب

## أسماء تفتح باب التعظيم

البيت المعمور وسدرة المنتهى اسمان يلتقي بهما قارئ القرآن في مقامين مختلفين. يقسم الله بالبيت المعمور في سورة الطور، ويذكر السدرة وجنة المأوى في سورة النجم. ثم تتسع أخبار التفسير والمعراج في بيان المشهد. وتبدأ أمانة السرد بإبقاء الفرق بين أصل الخبر وبين تفاصيله المنقولة.

لا يضع القرآن في هذين الموضعين وصفًا متصلًا لطريق يبدأ من البيت الحرام ويمر بمنازل مسماة حتى يصل إلى السدرة. فإذا أردنا جمع الأخبار في سرد واحد وجب أولًا إثبات اتصالها أو التصريح بأنها أخبار مستقلة. جمال الانتقال بين المشاهد لا يقوم مقام الدليل على ترتيبها.

## البيت المعمور في سورة الطور

قال تعالى: ﴿وَالطُّورِ﴾ [الطور: ١].

﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور: ٢].

﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور: ٣].

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: ٤].

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ [الطور: ٥].

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦].

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور: ٧].

﴿مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ٨].

يقع القسم بالبيت المعمور في الطور ٤ بين الكتاب المسطور في رق منشور والسقف المرفوع، ثم يأتي جواب القسم في الآيتين ٧–٨ بوقوع العذاب وعدم وجود دافع له. فالمشهد من أول السورة متصل بالإنذار والجزاء، لا بوصف معماري مستقل.

يعرض مجمع البيان في هذا الموضع قولًا ببيت في السماء تعمره الملائكة، وينقل أقوالًا وأخبارًا تختلف في تعيين السماء، كما يذكر قولًا بتفسير البيت المعمور بالكعبة [م٢٩]. نسجل اختلاف العرض ولا ننسب جميعه إلى أهل البيت عليهم السلام؛ ففي المصدر آثار عنهم وآثار عن غيرهم وأقوال تفسيرية.

ولا تكفي عبارة «المعمور» لتعيين مادة البناء أو الأبعاد أو طريقة دخول الملائكة. المعنى الذي يربط الاسم بالعمارة والعبادة يُبحث في ضوء هذه الأخبار، أما التفاصيل فيجب أن تظل مرتبطة بمتنها وطريقها.

## خبر بدء البيت والطواف: الطريق الأول

في الكافي، ج ٤، باب بدء البيت والطواف، يرد الحديث الأول عن عدة من أصحاب الكليني، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن أبي عباد عمران بن عطية، عن الإمام الصادق عليه السلام. وفيه حكاية وجوده مع أبيه وسؤال رجل من أهل الشام عن بدء البيت [م٢٨].

يذكر الخبر بيتًا يسمى الضراح في السماء السادسة بإزاء العرش، ثم يذكر في تمتته طواف سبعين ألف ملك كل يوم، وصلة البيت بآدم وذريته [م٢٨، م١٠]. هذه تفاصيل المتن الذي بين أيدينا، ولا نخفيها لمخالفتها وصفًا شائعًا، كما لا نجزم بثبوتها قبل تحقيق طريقها.

ويلفت هامش النسخة إلى مشهور مغاير في تعيين السماء، وهو تعليق لا يدخل في ألفاظ الإمام. وقوبل حكم المجلسي على الخبر بنص مرآة العقول الإلكتروني، ج ١٧، ص ٧ [م١٢٠]، بعد نقله بواسطة الثقلين [م٧٤]. لم تستكمل مقابلة النسخ أو الدراسة الرجالية المستقلة، ولا يحسم هذا الخبر وحده موقع البيت في السماوات.

## الطريق الثاني وموضع المقارنة

يرد الحديث الثاني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر وابن محبوب جميعًا، عن المفضل بن صالح، عن محمد بن مروان، عن الإمام الصادق عليه السلام. ويسرد سؤالًا عن سبب الطواف، ويذكر الضراح ويصرح بأنه البيت المعمور، كما يتضمن مدة سبع سنين في خبر طواف الملائكة [م١٠].

تختلف عناصر الطريق والمتن عن الحديث الأول. لذلك لا نصنع رواية ثالثة نأخذ منها اسم الموضع من خبر وعدد الملائكة من آخر والمدة من ثالث، ثم نروي الجميع من غير بيان. الجمع البحثي يعرض المشترك والمختلف؛ أما الدمج السردي غير المعلن فيخفي طبيعة الأدلة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١].

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣].

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وتحتاج العبارات التي تتصل بسؤال الملائكة والتوبة إلى قراءة في ضوء البقرة ٣٠-٣٣، والأنبياء ٢٦-٢٧، والتحريم ٦. لا نستخرج من سؤالهم القرآني وحده حكمًا بمعصية، ولا نمرر كل تصوير روائي من غير بحث في السند والدلالة. كما أن إمكان توجيه عبارة في المتن لا يغني عن تحقيق نسبتها.

## سدرة المنتهى وجنة المأوى

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣].

﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٤].

﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [النجم: ١٥].

تصل آيات النجم ١٣-١٥، المثبتة كاملة أعلاه، الرؤية بسدرة المنتهى وجنة المأوى. ثم تذكر الآيات ما يغشى السدرة وانضباط البصر ورؤية بعض الآيات الكبرى. هذه أوصاف قرآنية يجدر أن تتقدم على وصف الأوراق والثمار والمقادير في الكتب المتأخرة.

يفسر مجمع البيان ضمير المرئي في آية النجم ١٣ برؤية جبرائيل، ويعرض في بقية المقطع أقوالًا في المرئي وفي سبب تسمية السدرة بالمنتهى وفي جنة المأوى [م٣٠]. فلا يقال إن جميع تفاصيل هذه الأقوال نص واحد، ولا إن كل قول ذكره الطبرسي رواية صحيحة عنده.

ومن الأقوال المعروضة أن المنتهى يتصل بانتهاء العلم أو بما يعرج ويهبط؛ ويعرض المصدر أوصافًا مختلفة لما يغشى السدرة [م٣٠]. أصل التسمية والموضع في المشهد ثابتان بالقرآن، أما تعيين كل ما ينتهي إليها وما يغشاها فمحتاج إلى دليل إضافي. ولا نساوي تلقائيًا بين سدرة المنتهى وطوبى لمجرد وجود قول بذلك ضمن قائمة الأقوال.

واستعمال اسم شجرة معروف في اللغة لا يجيز إلحاق جميع خصائص الشجر الأرضي بالسدرة المذكورة. ليس في الآيات قياس لطولها بوحداتنا أو مادة ينبغي أن توضع لها معادلة. كما أن العجز عن قياسها لا يقتضي إنكارها أو اختزالها في صورة نفسية من غير حجة.

## رؤية الآيات في حوار الإمام الرضا مع أبي قرة

لروايات أهل البيت شاهد مباشر في تفسير مشهد النجم؛ ففي الكافي، باب في إبطال الرؤية، ينقل صفوان بن يحيى حوار أبي قرة مع الإمام الرضا، من طريق أحمد بن إدريس ومحمد بن عبد الجبار. يرد الحوار على حمل الرؤية على إدراك الله بالعين، ويستدل بآيات التنزيه وبخاتمة مشهد النجم التي تتحدث عن رؤية آيات الرب الكبرى [م٧٨]. وينقل الثقلين حكم المجلسي بصحة الحديث، محيلًا إلى مرآة العقول، ج ١، ص ٣٢٨. وقوبل تصحيح المجلسي مباشرة بنص مرآة العقول الإلكتروني، ج ١، ص ٣٢٨ [م١٢٢]؛ وهو حكم هذا الحديث من باب إبطال الرؤية.

يبين هذا الاحتجاج كيف يقيد سياق الآية فهم الضمير والرؤية: ما يراه النبي من آيات الله لا يصير ذات الله. والتمييز هنا يصون حقيقة الشهود التي يخبر عنها النص من تحويلها إلى تصور جسم تدركه الأبصار. وهذه الرواية غير مناقشة أبي قرة في حمل العرش المعروضة في الفصل السابق، وإن اشتركا في أطراف الحوار وفي الطريق؛ فلا تدمج ألفاظهما تحت رقم حديث واحد.

وفي ترتيب هذا الفصل تسبق هذه القاعدةُ أي وصف إضافي للسدرة. نثبت ما ذكرته آيات النجم من المشهد، ونفصل عنه الأقوال في معنى المنتهى وما يغشى السدرة، ثم ندرس كل خبر في تفاصيله. أما نقل وصف الجمال والرهبة إلى دعوى الإحاطة بالله فانتقال لا يسنده هذا الاحتجاج.

**ما زاغ البصر وما طغى**

قال تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧].

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ١٨].

تؤكد النجم ١٧ انضباط البصر، وتختم الآية ١٨ برؤية من آيات الرب الكبرى. يشرح مجمع البيان عدم الزيغ والطغيان بما يتصل بعدم الميل أو تجاوز الحد في ذلك المقام [م٣٠]. وهذه الدلالة تحفظ صدق المشهد كما تحميه من الإضافات التي تصنعها رغبة الراوي في المبالغة.

أما ما يتعلق بأصل الإسراء والمعراج فيبحث مع معجزات النبي في الفصل السادس والثلاثين، ولا يستوعب هذا الفصل جميع رواياته. تكفينا هنا المواضع التي تعين موضوع البيت والسدرة وحدود وصفهما. ويظل التنزيه حاضرًا؛ فمشاهدة آيات الله لا تجعل ذاته جرمًا داخل المشهد.

**الحجاب: لا معنى واحدًا في كل موضع**

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧].

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

تذكر الشورى ٥١ التكليم من وراء حجاب ضمن وجوه تكليم الله للبشر. وتستعمل مريم ١٧ الحجاب في سياق اعتزال مريم لقومها، وتستعمل المطففين ١٥ الحجب في وعيد المكذبين. اختلاف المقامات يمنع وضع كل استعمال في قائمة واحدة لحواجز كونية ذات سمك ولون ومسافة.

تحتاج أخبار حجب النور والظلمة إلى تعيين نصوصها وطرقها قبل جمع أعدادها في تصور واحد. أضيف أدناه شاهد لتفسير الحجاب في المطففين وخبر يذكر حجب النور من كتاب التوحيد [م٧٦، م٧٧]، مع بيان حدود التحقيق. ولا يتخذ الكتاب هذه الأخبار ذريعة إلى تصور الله جسمًا تحيط به ستائر؛ فأصل التنزيه الذي تقرر في الفصل السابق باقٍ في هذا الموضع.

## درجات خبري بدء البيت وأثرها في العرض

انتقلت المراجعة من نقل الحكمين بواسطة الثقلين [م٧٤، م٧٥] إلى مقابلتهما بالنص الإلكتروني لمرآة العقول. الأول «ضعيف على المشهور»، في الجزء ١٧، ص ٧ [م١٢٠]؛ والثاني «ضعيف»، في الجزء نفسه، ص ٩ [م١٢١]. وبذلك صحت إحالة الجزء ٧ التي كانت مثبتة تبعًا لعرض الموقع. هذه مقابلة للنص الإلكتروني وترقيمه، لا مقابلة لصور الطبعة أو دراسة مستقلة لرجال الطريقين. وعدم إخراج البهبودي لهما بحسب الصفحة لا يحول إلى حكم مفصل لم ينقله المصدر.

ويترتب على ذلك في هذا الكتاب أن التفصيل الوارد في الخبرين يعرض منسوبًا إليهما. فلا يصير تعيين السماء السادسة، أو ذكر عدد الملائكة، أو مدة الطواف، جزءًا من لفظ سورة الطور، ولا تختفي هذه الأخبار من سجل البحث لمجرد وجود إشكال في الطريق. العرض الأمين يحفظ المادة وحدود الاستناد إليها معًا.

أما الاختلاف بين الخبرين في موضع سؤال الملائكة وعلاقته بآدم، فيحتاج إلى درس المتنين بجوار آيات البقرة، لا إلى تركيب قصة ثالثة من تفاصيلهما. وقد بينت الآيات سؤال الملائكة وتعليم آدم الأسماء وإظهار ما لم يعلموه؛ وما يزاد على ذلك يظل محتاجًا إلى دليله. ومن هنا يتعلم القارئ أن محبة التراث تقتضي العناية بنسبة الكلام وتفاصيله.

## الطواف والسؤال عن العدد

يعرض المجلسي عند شرح الخبر الثاني حمل الرد على السؤال عن العلة، ويذكر استمرار الطواف جماعة بعد جماعة. ثم يناقش استنتاج عدد الملائكة بضرب السنين في العدد اليومي الوارد في الخبر الآخر، وينبه إلى افتراض يحتاجه هذا الاستنتاج [م١٢١]. لذلك لا يصح أن يتحول الحساب المقترح إلى عدد مروي على لسان الإمام؛ فهو عمل شارح يجمع بين معطيات خبرين.

وللحساب هنا شروط تسبق إجراء الضرب: هل تدل المدة على مرور جميع الأفراد أنفسهم؟ وهل المقصود استيفاء كل الملائكة لطواف معين، أم طواف جماعات يكفي لما يصفه الخبر؟ ما لم تتعين هذه العلاقات من دليل، فإن صحة العملية الحسابية لا تكفي لإثبات صحة النتيجة التاريخية. ولهذا حفظنا عدد السبعين ألفًا ومدة السنين في موضعيهما الروائيين، من غير جمعهما في إحصاء نهائي لسكان السماء.

ويتصل بذلك الفرق بين التعبد بالطواف وتفسير أصل تشريعه؛ فقد يعرف الإنسان حكم عبادة بدليله المعتبر، بينما تبقى بعض الأخبار التي تشرح بدايتها بحاجة إلى تحقيق. لا يوجب توقفنا في طريق هذا الخبر تعطيل العبادة، ولا يبيح ثبوت العبادة أن نصحح كل تفصيل يروى عن تاريخها. وفي هذا الفصل نعرض الأخبار المتعلقة بصورة العالم السماوي بقدر ما ضبطنا مصادرها ودلالتها.

## الحجاب في تفسير منسوب إلى الإمام الرضا

يروي الصدوق في تفسير المطففين ١٥ خبرًا عن الإمام الرضا بطريق محمد بن إبراهيم المعاذي وأحمد بن محمد بن سعيد وعلي بن الحسن بن فضال عن أبيه. وفيه تفسير حجب المذكورين عن ربهم بحرمانهم من ثوابه، مع نفي أن يكون الله حالًّا في مكان يحتجب فيه عن عباده [م٧٦]. لم يستكمل هذا الكتاب تحقيق سند الخبر، فيثبت بوصفه نصًا روائيًا معين المصدر.

وتظهر قيمة هذا الشاهد في أنه يمنع التسوية بين جميع استعمالات الحجاب. فالحاجز الذي اتخذته مريم في قصتها، والتكليم من وراء حجاب في الشورى، وحال المحجوبين في المطففين، سياقات تتطلب قراءة كل موضع على حدة. لا يعطي اشتراك اللفظ سببًا كافيًا لرسم ساتر مادي واحد نضع وراءه كل ما غاب عن الإنسان.

## حجب النور في خبر زينب العطارة

قوبل خبر زينب العطارة في النص الإلكتروني لكتاب التوحيد، ص ٢٧٥–٢٧٧ [م١٢٣–م١٢٥]، بعد تعيينه في واجهة الثقلين [م٧٧]. يرويه الصدوق عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن إبراهيم بن هاشم وغيره، عن خلف بن حماد، عن الحسين بن زيد الهاشمي، عن الإمام الصادق. وينبه هامش ص ٢٧٥ إلى قراءة «الحسن» في بعض النسخ؛ نثبت الاختلاف ولا نعده وحده حكمًا على هوية الراوي أو وثاقته. وتذكر تتمة ص ٢٧٧ سبعين ألف حجاب من نور، في سلسلة تشبيهات للسعة، قبل ذكر الكرسي والعرش.

وردت عبارة «ثم انقطع الخبر» في متن ص ٢٧٦، ثم استمر السرد في الصفحة نفسها والتالية. وفي الهامش الرابع يعرض المحقق، السيد هاشم الحسيني الطهراني، احتمال انتهاء الكلام المنقول عن النبي لزينب وإتمامه من الإمام الصادق، أو انتهاء خبر ما دون السماء والانتقال إلى خبر السماء [م١٢٤]. فالعبارة من النص المعروض، وتعيين حد كلام كل متحدث فيها محل تفسير؛ ولا تكفي بمفردها للحكم بانقطاع الإسناد. نثبت احتمالي المحقق منسوبين إليه، دون إدخالهما في المتن أو الجزم بأحدهما.

وتشبيهات السعة في الخبر تقرّب النسبة بصورة الحلقة في الفلاة، لكنها لا تعين أقطارًا أو مسافات بوحدات قابلة للحساب. أما عدد الحجب فهو تفصيل مستقل يذكره نص التوحيد، ويقيد بمصدره كما يأتي [م١٢٥]. فلا نمزج الصورة التشبيهية بالعدد لنستخرج منهما مقياسًا فلكيًا، وتبقى مقابلة النسخ والطرق لازمة قبل بناء تصور جامع.

## خبر العطارة في الكافي: الطريق والحكم واختلاف الترتيب

أضيف إلى المقابلة موضع الخبر في روضة الكافي، الحديث ١٤٣. طريقه: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن صفوان، عن خلف بن حماد، عن الحسين بن زيد الهاشمي، عن الإمام الصادق [م١٦٤]. يلتقي هذا الطريق بطريق التوحيد المتقدم عند خلف بن حماد، ثم الحسين بن زيد؛ فلا يصح أن نعد المصدرين سلسلتين منفصلتين في جميع رجالهما.

وحكم المجلسي في مرآة العقول، ج ٢٦، ص ٥: «مجهول، ويمكن عده في الحسان» [م١٦٥]. قوبلت العبارة بنص الكتاب الإلكتروني؛ أما صفحة الثقلين فتعرض الحكم بألفاظ مضطربة وتحيل إلى الجزء ٢، لذلك لم نعتمدها لنقل الحكم أو رقم جزئه [م١٦٤]. ويحفظ النقل جزأي عبارة المجلسي: وصف الجهالة وإمكان العد في الحسان، دون تحويل الإمكان إلى تصحيح جازم أو تعميم حكم طريق الكافي على طريق الصدوق.

وفي ترتيب المراتب، يذكر متن الكافي المعروض الهواء قبل حجب النور، ثم يلحقه تنبيه بأن الحجب قبل الهواء في رواية الحسن [م١٦٤]. أما التوحيد فيقدم الحجب على الهواء، ويذكر عددها سبعين ألفًا [م١٢٥]. ولهذا يلزم تقييد العدد والترتيب بمصدرهما؛ فلا نضيف العدد إلى صيغة الكافي المعروضة، ولا نحذف تنبيه اختلاف الرواية من المقارنة. ولا يكفي اسم الحسن في التنبيه وحده لنجزم بأنه يحسم اختلاف الحسن والحسين المثبت في هامش التوحيد.

وتظهر عبارة انقطاع الخبر عند الثرى في الكافي أيضًا، ثم يستمر الكلام عن السماء. ويشرح المجلسي الانقطاع بأن الإخبار بما وراء ذلك لم يؤمر به [م١٦٧]. هذا وجه آخر في شرح العبارة، يضاف إلى الاحتمالين اللذين عرضهما محقق التوحيد فيما سبق. نثبت لكل شارح قوله، ولا نجعل مجموع شروحهم تتمة على لسان الإمام أو النبي.

والنتيجة أن دراسة الحجب تحتاج إلى ضبط ثلاثة أمور متصلة: الطريق الذي نحكي حكمه، والصيغة التي ننقل ترتيبها، والتعليق الذي نفهم به موضع الانتقال. لا يزال استقصاء النسخ والطرق مطلوبًا، لكن هذه المقابلة تمنع أن يتحول النقل المختصر إلى رواية موحدة تخفي مواضع الاختلاف.

### افتتاح خبر العطارة: الأمانة قبل وصف العوالم

يبدأ الخبر بمشهد حضور زينب التي تبيع العطر إلى نساء النبي وبناته، ثم وصية بالإحسان في البيع وترك الغش، قبل سؤالها عن عظمة الله [م١٢٤]. نذكر هذا الافتتاح بوصفه مضمون الرواية المدروسة؛ فهو ليس حكمًا جديدًا بصحتها. وتلفت هذه البداية إلى أن الخبر لا يفتتح بقائمة مقاييس وأجرام، وإنما بموقف إنساني يصل السؤال الكبير بأمانة فعل يومي.

ومن تأملي أن هذا الاتصال يرد على القارئ سؤالًا عمليًا: ماذا تضيف معرفته بالعالم إلى صدقه مع الناس؟ قد يحفظ أسماء العوالم ويغفل عن ميزان الأمانة في كلامه وبيعه. ولا يحتاج استخراج هذا الدرس إلى تحويل تشبيهات الحلقة والفلاة إلى أعداد أو مسافات. يبقى المعنى الأخلاقي قابلًا للفهم، مع بقاء تفاصيل الخبر وسنده في موضع الفحص.

وتتدرج تتمة ص ٢٧٧ في ذكر البحر المكفوف وجبال البرد وحجب النور والهواء والكرسي والعرش [م١٢٥]. حفظ هذا الترتيب عند وصف الرواية لا يساوي اعتماده نموذجًا ماديًا للكون. كما أن تشبيه نسبة شيء إلى آخر بحلقة في فلاة لا يعطينا طول الفلاة أو قطر الحلقة في الخارج. ومن ثم لا ننشئ به سلمًا رقميًا نضع بجانبه قياسات المجرات أو حدود الكون المرصود.

ويظل الفرق بين الروايتين المشار إليهما في الفصل العاشر قائمًا: ترتيب الأرضين في خبر الحسين بن خالد ليس مطابقًا لعبارة هذا الخبر. ولي أن أقارن وأن أسجل وجه الاختلاف، أما أن أعيد صياغتهما في حكاية متصلة أخفي فيها التغاير فذلك يطمس المادة التي يحتاجها التحقيق. لذا تبقى أسماء المتكلمين وحدود المتون وتعليقات المحقق ظاهرة للقارئ.

### خاتمة الباب الثاني

بدأ الباب بالسماوات السبع، ومر بالأرضين وما بين السماوات والأرض وبنائها وزينتها، ثم انتهى إلى العرش والبيت والسدرة. تكشف هذه الرحلة أن اتساع الموضوع لا يساوي تساوي أدلته: في بعضه نص قرآني، وفي بعضه تفسير، وفي بعضه خبر له طريق وحكم يحتاج إلى البيان.

لم نبلغ وصفًا نهائيًا لكل ما وراء المشاهدة، لكننا تقدمنا في تحديد ما نقوله وبأي مستند نقوله. ومن هنا ينتقل الباب الثالث إلى الشمس والقمر والنجوم والزمن، حيث تتسع مساحة الرصد والحساب، مع بقاء الحاجة نفسها إلى الفصل بين الوصف العلمي والدلالة القرآنية.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١].

﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم: ١٢].

﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٦].

إحالات الفصل: البقرة ٣٠-٣٣؛ الأنعام ١٠٣؛ الإسراء ١؛ مريم ١٧؛ طه ١١٠؛ الأنبياء ٢٦-٢٧؛ الشورى ١١، ٥١؛ الطور ١-٨؛ النجم ١١-١٨؛ التحريم ٦؛ المطففين ١٥؛ الكافي، بدء البيت والطواف [م٢٨، م١٠، م٧٤، م٧٥]، وإبطال الرؤية [م٧٨]؛ مجمع البيان [م٢٩، م٣٠]؛ التوحيد [م٧٦، م٧٧]. المقابلات المباشرة لأحكام المجلسي [م١٢٠-م١٢٢]؛ ونص التوحيد وتعليق محققه [م١٢٣-م١٢٥]. ولخبر العطارة في روضة الكافي وحكم المجلسي وشرح الانقطاع: [م١٦٤، م١٦٥، م١٦٧].

# الباب الثالث — الأنوار والمسارات وحساب الزمن

يتتبع هذا الباب الشمس والقمر والنجوم، ثم البروج والشهب وتعاقب الليل والنهار واختلاف المشارق والفصول، وصولًا إلى المواقيت والكسوف والخسوف. يبدأ كل بحث بالنص القرآني، ويفصل الأقوال التفسيرية والأخبار المنقولة عن الشرح العلمي للظواهر، ليصل معرفة النظام بمعنى الشكر والمسؤولية.

## الفصل ١٦ — الشمس — الضوء والحرارة والحساب

### ١٠ الشمس في لغة الآية والنعمة

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

تدخل الشمس حكاية الإنسان قبل أن يدخل الإنسان علم الفلك؛ يراها تضيء طريقه، ويدرك بالنهار إمكان العمل، ثم يسأل عن هذا الجرم الذي يتكرر حضوره ولا يصنعه بشر. تجمع آية يونس المثبتة أعلاه بين ضياء الشمس ونور القمر وتقدير المنازل لمعرفة السنين والحساب [يونس: ٥]. فالإضاءة والتقدير والحساب ليست موضوعات متباعدة في الآية؛ إنها وجوه انتظام العالم الذي يعيش الإنسان فيه ويعرف به أوقاته.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦].

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ: ١٣].

ويظهر وصف قوة الإضاءة والحرارة في آيتي نوح والنبأ المثبتتين أعلاه، في صورة يفهمها المخاطب [نوح: ١٦؛ النبأ: ١٣]. ولا يحتاج هذا البيان إلى أن يكون لفظ «السراج» اسمًا تقنيًا للتفاعلات داخل النجم؛ فالدلالة القرآنية تُقرأ أولًا بلغتها وسياقها، ثم يشرح العلم آلية الظاهرة التي يشاهدها الناس. ويساعد التفريق بين الوظيفتين على فهم المعنى دون تعليق صدقه على مصطلح حديث قد يتغير تعريفه.

### ٢٠ ما الذي يجعل الشمس مضيئة؟

الشمس نجم يتكون أساسًا من الهيدروجين والهيليوم، ومادته في معظمها بلازما شديدة السخونة. تنشأ طاقته من اندماج نووي في باطنه، تتحول فيه نوى الهيدروجين إلى هيليوم وتتحرر طاقة؛ فلا يشبه احتراق الخشب الذي

يعتمد على تفاعل كيميائي مع الأكسجين. وتحافظ الجاذبية والضغط الداخلي على توازن تقريبي خلال مرحلة طويلة من حياة النجم. أما السطح المرئي، أو الغلاف الضوئي، فليس قشرة صلبة يمكن الوقوف عليها. وفوقه طبقات من الغلاف الشمسي تمتد إلى الهالة [ع٢].

تدور الشمس حول محورها، وتتحرك مع مجموعتها حول مركز مجرة درب التبانة. ولها نشاط مغناطيسي يرتبط بالبقع والتوهجات وانبعاثات المادة، وقد يؤثر هذا النشاط في البيئة الفضائية المحيطة بالأرض [ع٢]. معرفة هذه الأسباب تفتح باب الرصد والتوقع، ولا تجعل كل تغير في الشمس إشارة إلى مصير فرد أو أمة. فإثبات أثر فيزيائي محدد يحتاج إلى قياس، وإثبات رسالة غيبية عن حادثة بشرية يحتاج إلى دليل آخر لا يوفره تزامن الحدثين.

### ٣. «تجري لمستقر لها»: النص ووجوه تفسيره

قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]. يعرض الطبرسي في مجمع البيان وجوهًا في المستقر، منها انتهاء جريانها عند انقضاء العالم، ومنها الأجل المقدر، ومنها غاية مسيرها في اختلاف مواضعها صيفًا وشتاءً [م٣٢]. هذه وجوه تفسيرية ينبغي حفظ نسبتها وسياقها، لا جمعها في تعريف فلكي واحد يوهم أن المفسرين قالوا جميعًا بالتفسير نفسه.

ويفيدنا هنا فصل سؤالين: هل للشمس حركة حقيقية؟ يجيب الرصد بنعم. وما المراد المعين من «المستقر» في الآية؟ يحتاج ذلك إلى بحث اللغة والسياق والتفسير. لا يكفي أن نجد حركة مكتشفة حديثًا ثم نجزم بأنها المعنى الوحيد للفظ. كذلك لا يصح نفي حركة الشمس لأن حركة النهار الظاهرة ترتبط بدوران الأرض؛ فقد يقع الخلط بين حركة الجرم في الفضاء وبين تغير موضعه في سماء الراصد.

### ٤. من الضوء إلى الحساب

تربط آية يونس ٥ بين تقدير المنازل ومعرفة عدد السنين والحساب، فتظهر جانبًا معرفيًا من النعمة: العالم قابل للملاحظة والمقارنة والعد. يبدأ الإنسان بتكرر الشروق والغروب، ثم يميز الدورة اليومية من الدورة السنوية، ويضع وحدات وأسماء للمواقيت. انتظام الظاهرة يجعل الحساب ممكنًا، لكنه لا يجعل جميع طرائق التقويم واحدة؛ فاختيار بدء السنة وتقسيم شهورها مسألة تتداخل فيها الملاحظة والاصطلاح والحاجة الاجتماعية.

ومن الدقة ألّا نسمي كل مدة «يومًا شمسيًا» ثم نتعامل معها باعتبارها متساوية في كل استعمال. فالنهار يقابل الليل، أما اليوم في التقويم فيضم كليهما، وقد يستعمل اللفظ القرآني في سياقات أوسع كما تقدم في أيام الخلق. وتستدعي قراءة الآية أن نسأل عن المقصود في موضعها، بدل نقل معنى واحد إلى كل المواضع. وسيعود الفصل الثالث والعشرون إلى العلاقة بين الظواهر الدورية ووحدات الزمن.

## ٥. شكر النعمة دون تأليهها

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [النبأ: ١٤].

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ [النبأ: ١٥].

﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ: ١٦].

تربط سورة النبأ السراج الوهاج بالماء والنبات وأقوات الأحياء في مشهد متصل [النبأ: ١٣-١٦]. يقرأ المؤمن هذا الاتصال بوصفه دعوة إلى الشكر، ويدرس الباحث روابطه بأدوات العلم. لا يختزل الشكر في إعجاب عابر بالمنظر؛ فمن مقتضاه أن ينتفع الإنسان بما سُخّر له بعلم، وأن يراعي ما تعتمد عليه حياة غيره، وأن يتذكر أن قدرته على الحساب ليست قدرة على إنشاء الشمس أو ضمان دوامها.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وتحسم آية فصلت المثبتة أعلاه جهة العبادة، فتنهى عن السجود للشمس والقمر وتوجهه إلى خالقهما [فصلت: ٣٧]. فكلما اتسعت المعرفة بالجرم، بقي الفرق بين المخلوق والخالق أصلًا. والشمس، بما فيها من عظمة وانتظام، آية تقود النظر إلى ما وراءها من حكمة، وليست سلطة تمنح الإنسان السعادة أو الشقاء بمجرد وقوع ميلاده في وقت من أوقاتها.

## ٦. من الباطن إلى الضوء الذي يصلنا

يميز الوصف العلمي بين موضع إنتاج الطاقة وطريق انتقالها. ففي قلب الشمس يقع الاندماج، ثم تنتقل الطاقة عبر منطقة إشعاعية، وتليها منطقة يغلب فيها الحمل بحركة البلازما، قبل خروج معظم الضوء المرئي من الغلاف الضوئي. وتعلو ذلك طبقات الغلاف الشمسي. ويبلغ تقدير حرارة القلب نحو خمسة عشر مليون درجة مئوية، في

مقابل نحو خمسة آلاف وخمسمائة درجة للغلاف الضوئي [ع٢]. لذلك لا يصح أن نعطي الشمس كلها درجة حرارة واحدة، أو أن نتعامل مع صورتها كأنها تكشف مباشرة كل ما يجري في باطنها.

وتتيح هذه البنية فهمًا أدق لكلمة السطح عند الحديث عن الشمس: إنها تسمية لطبقة يرتبط بها ما نراه، وليست أرضًا صلبة. كما أن البقع الشمسية أغمق قياسًا بما حولها لأنها أبرد نسبيًا، لا لأنها ثقوب خالية من المادة والضوء [ع ]. وكلما تحدد المعنى، أمكن الانتقال من الدهشة العامة إلى سؤال قابل للفحص: أي طبقة نقصد، وبأي أداة درسناها؟

## ٧. الشمس في خبر ملكة سبأ

قال تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢].

﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣].

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤].

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥].

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩﴾ [النمل: ٢٦].

﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧].

﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨].

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩].

﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠].

﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١].

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: ٣٢].

﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: ٣٣].

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤].

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥].

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦].

﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧].

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨].

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩].

﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٤١].

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤٢].

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [النمل: ٤٣].

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

في سورة النمل يصف الهدهد امرأة تملك قومًا، ثم يذكر سجودها وقومها للشمس من دون الله (النمل ٢٢-٢٦). وتبز الشمس هنا داخل خبر اجتماعي وديني، لا داخل درس في تركيب النجوم. ويأمر سليمان بالتثبت من خبر الهدهد، ثم تتتابع الرسالة والمشاورة واللقاء حتى يرد إسلام المرأة مع سليمان لله رب العالمين (النمل ٢٧-٤٤). والمذكور في القرآن وصفها ودورها في القصة، أما اسم بلقيس فلا يرد في هذه الآيات.

ومن قراءتي للمشهد أن نعمة الضوء يمكن أن تكون موضع معرفة وشكر، ويمكن أن تعلق بها عبادة لا تستقيم مع كونها مخلوقة. ويصون التثبت في أول الخبر قيمة أخرى: غرابة ما يقوله المخبر لا تعفينا من فحصه. أما سيرة الملكة وتفاصيل مملكتها فتدرس في موضع الشخصيات والقصص، ويقتصر هذا الفصل على وجه حضور الشمس في الحدث.

### ٨. خبر سجود الشمس وحدود تفسيره

قوبل خبر أبي ذر في مسير الشمس وسجودها بالنص الإلكتروني للتوحيد، ص ٢٨٠-٢٨١ [م١٢٦، م١٢٧]. رقمه في الكتاب ٧، مع ظهوره سادسًا في واجهة الثقلين [م٧٧]. يبدأ طريقه بمحمد بن موسى بن المتوكل، عن محمد بن أبي عبد الله الكوفي، ثم موسى بن عمران النخعي، عن عمه الحسين بن يزيد، عن إسماعيل بن مسلم، عن أبي نعيم البلخي، عن مقاتل بن حيان، عن عبد الرحمن بن أبي ذر، عن أبي ذر. توثيق هذا الموضع لا يتضمن تصحيح الطريق؛ وبدأت أدناه مقابلة أسماء موسى بن عمران وعمّه في معجم رجال الحديث [م١٦٨، م١٦٩]، مع بقاء دراسة مجموع الطريق غير مكتملة.

يعرض الخبر وصفًا روائيًا له ألفاظه الخاصة، فلا يستبدل بشرح دوران الأرض أو حركة الشمس المجرية، ولا ينسب إلى الرصد ما جاء فيه من تفاصيل غيبية. وكذلك لا تكفي مطابقة كلمة الجريان لإثبات المطابقة بين الوصفين. وأثبتنا اختلاف ترقيم المتن والواجهة لتيسير العودة إلى النص نفسه عند استكمال المقابلة.

### ٩. تعيين موسى بن عمران وعمّه في طريق الخبر

بدأ فحص هذا الطريق بمقابلة اسم موسى بن عمران النخعي بترجمته في معجم رجال الحديث. يجمع الخوئي في الجزء العشرين، ص ٦٦، بين عنوان موسى بن عمران وعنوان موسى بن عمران النخعي، ويذكر روايته عن الحسين بن يزيد ورواية محمد بن أبي عبد الله الكوفي عنه [م١٦٨]. وهذا موضع يفيد تعيين الراوي الذي ورد في طريق التوحيد، فلا يختلط بمجرد تشابه الاسم بموسى بن عمر أو موسى بن عمير.

وفي تتمة الترجمة، ص ٦٧، يقابل الخوئي أسانيد من الفقيه والتهذيب والاستبصار، ويرجح في تلك المواضع صيغة موسى بن عمران النخعي عن عمه الحسين بن يزيد النوفلي، ويناقش زيادات واختلافات وقعت في الأسماء [م١٦٩]. ننسب هذا الترجيح إليه وفي موضعه؛ فالخبر الذي ندرسه في التوحيد يثبت بالفعل اسم الحسين بن يزيد، ولا نزعم أننا أصلحنا فيه اسمًا لم يكن مكتوبًا.

وتفيد المقابلة في فصل سؤال الهوية عن سؤال الوثاقة. معرفة أن اسمين مختصرين يرجعان عند صاحب المعجم إلى راوٍ واحد لا تعني أن جميع الأخبار التي يرد فيها صارت صحيحة. كما أن تصحيح ترتيب أسماء سند في كتاب آخر لا يحكم على إسماعيل بن مسلم وأبي نعيم البلخي ومقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن أبي ذر في هذا الطريق. فلكل حلقة بحثها، ولا تُنقل نتيجة جزئية إلى السلسلة كلها.

وعليه، سجلت هذه المتابعة تقدمًا في تعيين الأسماء، وبقي الحكم الشامل على خبر أبي ذر معلقًا. ولا تعني هذه العبارة الجزم بضعفه أو بوضعه، إنما تصف مقدار التحقيق المنجز. أما ما جاء في متنه من سجود الشمس والقمر وكسوتهما بالنور، فيظل معروضًا بوصفه مضمون هذا الخبر المعين إلى أن تستكمل دراسة الطريق والدلالة.

## ١٠. الشمس والقمر في تمام خبر أبي ذر

تتمة الخبر في ص ٢٨١ تذكر حلة ضوء للشمس من نور العرش، وتصل مقدارها بطول النهار وقصره في الفصول، ثم تصف سجود القمر وحلته من نور الكرسي [م١٢٧]. ينتهي الخبر بقول أبي ذر إنه صلى المغرب مع رسول الله، ثم يبدأ الحديث الثامن بطريق آخر. فهذا حد النص الذي نقابله، ولا تضم إليه الأخبار التالية عن الملائكة والبحار لمجرد اجتماعها في الصفحة.

والبحث في دلالة الرواية يأتي بعد تمييز نصها من الآيات التي تستشهد بها. قد يرد في الخبر لفظ الجريان أو النور، وقد يشرح العلم حركة جرم أو خصائص الضوء، لكن اشتراك الكلامين في لفظ لا يجعل كل الجمل الباقية مترادفة. ولهذا تبقى دراسة الشمس المرصودة في موضعها من الفصل، ويبقى هذا النص الروائي مع طريقه وأسئلته مجالًا مستقلًا للتحقيق. أما مقطع التحول في آخر الزمان، فيقرأ مع مباحث القيامة ولا يستعمل لتحديد موعد لها.

## ١١. الظل: دليل قريب على تغير موضع الضوء

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٥].

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٦].

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨].

ينتقل النظر في هاتين الآيتين من الفرقان من الشمس البعيدة إلى الظل الذي يشاهده الإنسان بجواره. يذكر النص مد الظل، وإمكان سكونه لو شاء الله، ودلالة الشمس عليه، ثم قبضه. وتضيف آية النحل صورة تفيؤ الظلال مع السجود والخضوع. هذه قراءة في اتصال الألفاظ القرآنية؛ وهي تبقي الحركة المشاهدة موصولة بالقدرة، من غير تعيين نظرية تفصيلية في الضوء أو حصر السجود في حركة هندسية واحدة.

يمكن للقارئ أن يضع علامة عند طرف ظل جسم ثابت قائم على أرض مستوية، ثم يعود إلى العلامة بعد مدة، فيلاحظ تغير الطول والاتجاه حين تسمح الشمس والجو بذلك. ولكي تكون المقارنة مفيدة ينبغي تثبيت الجسم وموضعه، وتسجيل وقت المشاهدة وتاريخها؛ فإن تحرك الجسم اختلط تغير الظل بسبب موضع الضوء بتغيره بسبب أداة الملاحظة. هذا نشاط مقترح للرصد، وليس خبرًا عما قستُه بالفعل.

وقد تقدم تفسير تغير منظر الشمس اليومي بدوران الأرض [ع١٧]. تبقى لغة المشاهدة صحيحة حين نقول إن الشمس ارتفعت في السماء أو إن الظل قصر؛ فهي تصف ما يراه الراصد من موضعه. أما بيان سبب تغير المنظر فهو سؤال آخر. ولا يلزم من استعمال لغة المشاهدة أن تكون الآية تقريرًا لسكون الأرض، كما لا نستخرج من وصف القبض سرعة عددية لم يذكرها النص.

وتفيد الظلال في التربية على دقة الانتباه: ليست كل علامة داكنة ظلًا للجسم نفسه، ولا تكفي صورة واحدة لمعرفة مسار التغير. وحين نجمع صورًا متتابعة يصبح الزمن جزءًا من وصف المشهد. بهذا يتصل فصل الشمس بفصول المواقيت؛ فالضوء نعمة مبصرة، والتغير علامة يمكن تعلمها، والسجود معنى يتجاوز عد أطوال الظلال إلى خضوع الإنسان لخالقه.

حصيلة الفصل: يجمع وصف الشمس بين النور والحرارة والحساب والدلالة على الخالق. ويشرح علم الفلك بنيتها وحركاتها، بينما يحفظ البحث التفسيري تعدد الوجوه في «المستقر». ويكون الربط بين المجالين مثمرًا حين يوضح المشهد، دون ادعاء أن الآية درس تفصيلي في فيزياء النجوم.

إحالات الفصل: يونس ٥؛ يس ٣٨؛ نوح ١٦؛ النبأ ١٣–١٦؛ فصلت ٣٧؛ النمل ٢٢–٤٤؛ مجمع البيان [م٣٢]؛ التوحيد [م٧٧]؛ ناسا [ع٢]. وقوبل خبر أبي ذر بالتوحيد، ص ٢٨٠–٢٨١ [م١٢٦، م١٢٧]. الفرقان ٤٥–٤٦ والنحل ٤٨ بنصوصها الكاملة؛ ودوران الأرض [ع١٧]. ولمقابلة أسماء الطريق: معجم رجال الحديث [م١٦٨، م١٦٩].

# الفصل ١٧ — القمر — النور والأهلة والمنازل

## ١. نور يتبدل منظره ولا يضيع نظامه

ليس القمر نسخة صغيرة من الشمس؛ فاختلاف منظره خلال الشهر يفتح سؤالًا مستقلًا عن معنى النور والمنازل والحساب. قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]. يجمع المشهد بين مراحل متتابعة وخاتمة بصرية دقيقة: هلال نحيل مقوس يشبه عود العذق القديم. ويشرح مجمع البيان وجه التشبيه بانحناء العرجون ورقته وتغير لونه [م٣٢].

تستوقف الآية النظر إلى التدرج، فلا يظهر النقصان فيها اضطرابًا خارج التقدير، بل مرحلة من دورة يعرفها الناس. ومن هنا يصلح القمر علامة مشتركة لا تحتاج رؤيتها الأولى إلى مختبر؛ يرى الراعي والمسافر وصاحب الزرع تغيره، ثم يضيف الحساب الفلكي دقة لا تتيحها المشاهدة المجردة وحدها. وتلك طبقات معرفة متكاملة ما دامت كل طبقة تدرك حدود ما تقيسه.

## ٢. لماذا يظهر هلالًا ثم بدرًا؟

نور القمر الذي نراه ضوء شمس منعكس عن سطحه. ويكون نصف كرته تقريبًا مضاءً بالشمس في الأحوال المعتادة، لكن نسبة الجزء المضاء الظاهر لنا تتغير مع اختلاف مواضع الشمس والأرض والقمر. لذلك تتعاقب أطواره من المحاق إلى الهلال المتزايد، ثم التربيع الأول والأحدب والبدر، وتعود في التناقص. ليست هذه الأطوار ظل الأرض على القمر؛ فدخول القمر في ظل الأرض هو الخسوف، وهو حدث مختلف. كما أن الجانب البعيد من القمر لا يظل مظلمًا دائمًا؛ تصله الشمس خلال دورته [ع٣].

تبلغ دورة الأطوار في المتوسط نحو ٢٩٫٥ يومًا، بينما يستغرق القمر نحو ٢٧٫٣ يومًا ليعود إلى موضع مماثل بالنسبة إلى النجوم البعيدة. يختلف العددان لأن الأرض تتحرك حول الشمس خلال دوران القمر حولها؛ فيحتاج القمر وقتًا إضافيًا ليعود إلى الهيئة نفسها بالنسبة إلى الشمس والأرض [ع٣]. فلفظ «دورة القمر» لا يكفي وحده في الحساب، بل ينبغي بيان المرجع الذي تُقاس إليه العودة.

### ٣. الأهلة مواقيت للناس

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

توجه آية الأهلة السؤال إلى ثمرة ظاهرة في الحياة: تنظيم المواعيد والعبادات والمعاملات [البقرة: ١٨٩]. وليس في هذا التوجيه منع من دراسة سبب الأطوار، كما لا يلزم منه أن كل تفاصيل التقويم الفلكي مذكورة في الآية. إنها تصل الظاهرة بحاجة الناس إلى زمن مشترك يمكن الإشارة إليه والاتفاق عليه.

ويلزم التمييز بين الاقتران الفلكي، الذي يرتبط بطور المحاق، وبين رؤية الهلال بعده. فالاقتران لحظة تحسب من المواضع، أما ظهور القوس الدقيق في سماء المساء فمسألة رصد. ولا يكفي وصف القمر بأنه موجود فوق الأفق لإثبات أن العين تستطيع تمييزه. وتبحث النماذج العلمية في وضوح الغلاف الجوي وظروف موقع الراصد إلى جانب الهيئة الفلكية؛ ويعرض بحث في سجل ناسا التقني نموذجًا يجعل صفاء الجو عاملًا صريحًا في تقدير الرؤية [ع٢٠].

أما بداية الشهر في الاستعمال الشرعي فلها أدلتها وشروط إثباتها ومباحثها الفقهية. لا يتولى هذا الفصل الترجيح بين تلك المباني؛ غايته ضبط الألفاظ التي تدخل في النقاش. فإذا قال الفلكي «وقع الاقتران» فلا تنقل عبارته تلقائيًا إلى «ثبت الشهر»، وإذا قيل «لم تثبت الرؤية» فلا يجعل ذلك حكمًا بأن القمر لم يكن موجودًا أصلًا. وضوح السؤال يمنع قدرًا كبيرًا من الخلاف الناشئ عن اختلاف الاصطلاح.

### ٤. المنازل بين المشاهدة والتقسيم

تُقرأ «المنازل» في سياق تقدير المسير وتغير الهيئة، ثم يبحث المفسر في تفصيلها. ويعرض مجمع البيان عند يس ٣٩ تقسيمًا تراثيًا إلى ثمان وعشرين منزلة [م٣٢]. وهذا العدد وصف لنظام تقسيم معروف في النظر إلى السماء، فلا يصح وضعه في مقابلة مباشرة مع متوسط الشهر الاقتراني، وكأن كل منزلة يوم تقويمي تام وأن الشهر يجب أن يكون ثمانية وعشرين يومًا. تقسيم الطريق شيء، ومدة الرجوع إلى الطور نفسه شيء آخر.

وتفيد هذه الملاحظة في قراءة الكتب القديمة؛ فقد تعني «المنزلة» موقعًا أو قسمًا من المسار، وقد يقصد الكاتب اسمًا متوارثًا يرتبط بنجوم معينة. لا يستقيم فهم النص ما لم نعرف استعمال صاحبه. ويحفظ هذا الاحتياط قيمة

التراث الرصدي من جهة، ويمنع تحميله تعريفات لم يعرفها من جهة أخرى. وسيأتي في الفصل التاسع عشر بيان الفرق بين المنازل والبروج والتقسيم الحديث للكوكبات.

### ٥. نور القمر وحدود المطابقة

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

يميّز القرآن في مواضع بين ضياء الشمس ونور القمر، كما في يونس ٥، ويصف القمر بالإنارة في الفرقان ٦١. وتساعد المعرفة بالضوء المنعكس على تصور المشهد، ولكنها لا تجعل كلمة «نور» في كل استعمال لغوي مرادفة للضوء المنعكس حصرًا. لا يبنى تعريف علمي شامل لكلمة قرآنية من مقابلة واحدة، ولا يُقاس صدق الوحي بمقدار مطابقته لقاموس فيزيائي مستحدث.

وفي الخبر نفسه الذي عُرض في فصل الشمس، يلحق الراوي القمر بالشمس في السجود، ويميز بين نسبة حلة الشمس إلى نور العرش ونسبة حلة القمر إلى نور الكرسي [م١٢٧]. هذه مقابلة داخل متن التوحيد، وليست خبرًا ثانيًا له سند مستقل؛ فلا نضاعف عدد الشواهد بتوزيع فقرات الرواية الواحدة على فصلين.

ولا يصح اختصار هذا المقطع إلى أن الرواية تشرح انعكاس ضوء الشمس على القمر؛ فهي تستعمل ألفاظًا أخرى، ولا تذكر هنا آلية الانعكاس. يبقى التفسير الفيزيائي للأطوار في موضعه السابق، ويُحفظ لهذا النص لفظه ومصدره وحدود تحقيقه. وقد بدأ فحص أسماء بعض رجال طريقه في الفصل السادس عشر [م١٦٨، م١٦٩]، دون بلوغ حكم على مجموع السند.

ومن القمر يتعلم المتأمل أن التغير لا يناقض النظام، وأن قلة الضوء في آخر الشهر ليست فناءً للجرم. كما يتعلم أن منظر الشيء يتصل بموقع الناظر؛ فاختلاف ما يظهر لنا لا يعني بالضرورة تغير ماهيته. وهذه تربية على التثبت في سائر المعرفة: وصف المشاهدة أولًا، ثم تفسيرها، ثم مراجعة التفسير على ضوء الدليل.

### ٠٦. الهلال في الدعاء الثالث والأربعين

في الصحيفة السجادية دعاء عند النظر إلى الهلال، يبدأ بوصفه خلقًا مطيعًا، ثم يتوجه إلى الله خالق الداعي وخالق القمر، وينتهي بطلب التوفيق للطاعة والتوبة والشكر [م٨٠]. هنا يصير تجدد الشهر مناسبة لمحاسبة النفس. لا يطلب الداعي من الجرم أن يقرر مصيره، بل يسأل الله الخير في الزمن الذي يفتتحه الهلال.

أُخذ نص الدعاء من نسخة الصحيفة في مكتبة شبكة الكفيل [م٨٠]. وأضيفت أدناه قراءة لطريقها المطبوع وقصة مقابلة الصحيفتين في مقدمتها [م١٣٢]، مع بقاء التحقيق الرجالي وجمع النسخ. أما ألفاظ السعد والخير فتقرأ ضمن السؤال الموجه إلى الله، فلا تحول إلى دعوى أن الهلال يخلق الحوادث استقلالًا. ويُفصل نص الدعاء عن استطرادات شارحه في الحديقة الهلالية [م١٣٣].

### ٠٧. صلة القمر بمياه الأرض

لا تقتصر علاقة القمر بالأرض على الضوء والحساب؛ فالمد والجزر يتأثران باختلاف جذب القمر عبر الأرض، وتشارك الشمس في التأثير. وعند المحاق والبدر يزداد المدى المدّي عادة، وعند التربيعين يقل نسبيًا. لكن مقدار المد وموعده على ساحل معين يتأثران بشكل الساحل وعمق الماء والظروف المحلية، فلا يكفي طور القمر وحده لإنتاج جدول ملاحي لذلك الساحل [ع٣٥].

هذه الصلة مثال على أثر طبيعي يمكن درسه بقياس منسوب الماء ومقارنة المواقع والأوقات. وهي تختلف عن إسناد خلق الإنسان أو رزقه أو أخلاقه إلى طور القمر. ويدعونا هذا الفرق إلى سؤال منضبط كلما ذكرت كلمة التأثير: ما المقدار الذي تغير؟ كيف قيس؟ وهل تؤيد المشاهدات العلاقة التي ندعيها؟ وجود أثر معلوم في مجال لا يثبت كل أثر متخيل في مجال آخر.

### ٠٨. سجل مشاهدة يفرق بين المنظر والتفسير

يمكن للقارئ أن يجعل ملاحظاته عن القمر سجلًا تعليميًا: يكتب التاريخ والساعة والمكان، ويرسم الجزء المضيء كما رآه، ويذكر ما إذا كانت السحب تحجبه. ثم يقارن المشاهدات بعد مرور أيام. هذا مقترح أقدّمه لتنظيم التعلم، لا معيار شرعي لإثبات الهلال ولا بديل عن الحساب المتخصص.

وأهم ما يقدمه السجل أنه يمنع الذاكرة من جمع مشاهد متباعدة في صورة واحدة. فقد نصف القمر بأنه ظهر في موضع مختلف، بينما تغير وقت مشاهدتنا أيضًا. وعندما نثبت شروط النظر نستطيع أن نسأل سؤالًا أفضل، ونفصل ما تغير في السماء عما تغير في موضع الراصد أو موعده.

### ٩. طريق الصحيفة وخبر مقابلة النسختين

تعرض مقدمة الصحيفة سندًا يصل في طرفه إلى علي بن النعمان الأعلم، عن عمير بن متوكل الثقفي البلخي، عن أبيه متوكل بن هارون. ويحكي المتوكل لقاء يحيى بن زيد وتسلمه صحيفة منه، ثم عرضها على الإمام الصادق، وإحضار صحيفة أخرى بواسطة ابنه إسماعيل. ويذكر الخبر أن إحداهما بخط زيد والأخرى بخط الإمام الباقر، وأن المتوكل قابلهما فلم يجد اختلافًا بينهما [م١٣٢].

المتحقق هنا هو قراءة هذا الخبر في المقدمة الإلكترونية، لا مشاهدة الصحيفتين التاريخيتين. والقصة عن نسختين تأتي داخل طريق الرواية المعروض؛ فلا يصح أن نحولها بمجرد ذلك إلى إسنادين مستقلين تحققا خارج الخبر. كما أن قول الراوي باتفاق الصحيفتين لا يغني عن مقابلة النسخ التي وصلت إلينا من نص الدعاء الثالث والأربعين.

ولذلك تتقدم الدراسة خطوة محددة: عُرف موضع الرواية وأسماء طرف من ناقليها ومضمون المقابلة التي تحكيها. وتبقى أمام التحقيق أسئلة حال جميع رجال الطريق، وعلاقات الطرق الأخرى به، وشواهد نسخ الدعاء واختلاف ألفاظها. أما القراءة التعبدية للنص فتشرح معناه المنقول وتصرح بمصدره، من غير أن تستبدل جماله اللغوي ببرهان على صحة كل حلقة في الإسناد.

### ١٠. من المخاطب في دعاء الهلال؟

يميز الشيخ البهائي في الحديقة الهلالية، ص ١٣٦–١٣٧، بين فقرات يخاطب بها الهلال وفقرات تتناول جرم القمر، ويستدل بذكر الزيادة والنقصان والكسوف. ثم يطرح احتمال أن يكون المخاطب في جميع الفقرات جرم القمر، بمعنى الهلال في الليالي الثلاث الأولى، مع تصريحه بأن هذا الوجه لا يخلو من بُعد [م١٣٣]. نحفظ هذا التحفظ؛ فالوجهان من شرح البهائي، وليس أحدهما لفظًا إضافيًا من الدعاء.

ومن جهة الفهم، يظل القمر جرمًا واحدًا في أطواره، بينما تتغير الهيئة المضيئة التي نراها منه [ع٣]. ومن هنا يمكن أن يخاطب النص ما ظهر للناظر عند بداية الشهر، ثم يستحضر أحوال الجرم في دورته. ولا يعني هذا أن

عبارة أدبية واحدة تختزن مقادير المدار، أو أن جميع المباحث الفلكية التي أوردها الشارح لازمة لفهم كل كلمة في الدعاء.

تلتقي هنا ثلاث قراءات يمكن أن ينتفع بعضها ببعض: قراءة الألفاظ وتسلسل الضمائر، وقراءة معنى العبودية والسؤال، وقراءة المشهد المرصود. وعند اختلاف السؤال يتغير الدليل المطلوب؛ فتعيين مرجع ضمير يحتاج إلى السياق، وإثبات مقدار فلكي يحتاج إلى الرصد والحساب. يحفظ هذا التمييز للنص الدعائي غايته، ويتيح للقارئ أن يتعلم من تاريخ شروحه من دون تحويل كل ما فيها إلى معرفة علمية معاصرة.

### ١١. اكتمال القمر في سياق التحول

قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ [الانشقاق: ١٦].

قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق: ١٧].

قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ [الانشقاق: ١٨].

قال تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩].

يتتابع في هذا المقطع ذكر الشفق والليل والقمر، ثم يأتي خطاب الانتقال من طبق إلى طبق. نقرأ الآيات الأربع معًا حتى يبقى مشهد القمر داخل نسقها، فلا يتحول القسم المنفرد به إلى نص مقطوع عن خطاب الإنسان. وقد خصت الآية القمر بوصف الاتساق، من غير أن تذكر زمنًا عدديًا لاكتماله أو موعدًا لمشاهدة بعينها.

ويساعد تأمل الأطوار القارئ على رؤية التغير في مشهد مألوف؛ فما يبدو ثابتًا في نظرة قصيرة يتبين متحولًا حين تمتد الملاحظة. هذه صلة تأملية أقترحها بين المشاهدة والقراءة، وليست حصرًا لمعنى الآيات في دورة القمر. وتبقى دلالة انتقال الإنسان ومصيره موصولة بسياق السورة وبمباحث المعاد اللاحقة.

حصيلة الفصل: الأطوار أثر للهندسة المتغيرة بين الشمس والأرض والقمر، والخسوف ظل عارض له شروط أخرى. وتساعد معرفة المنازل والأهلة على الحساب، مع ضرورة الفصل بين الدورة النجمية ودورة الأطوار، وبين الاقتران وإمكان الرؤية وإثبات بداية الشهر.

إحالات الفصل: البقرة ١٨٩؛ يونس ٥؛ يس ٣٩؛ الفرقان ٦١؛ مجمع البيان [م٣٢]؛ الصحيفة السجادية [م٨٠]؛ أطوار القمر ورؤية الهلال والمد والجزر [ع٣، ع٢٠، ع٣٥]. الانشقاق ١٦–١٩ كاملة؛ ومقدمة الصحيفة

وشرح الهلال [م١٣٢، م١٣٣]. ولمقطع القمر في خبر أبي ذر وحدود دراسة طريقه: [م١٢٧، م١٦٨-م١٦٩]، والفصل ١٦.

# الفصل ١٨ — النجوم والكواكب — الأسماء والدلالات

## ١. ما الذي نسميه نجمًا أو كوكبًا؟

تبدو السماء لعين الإنسان فضاء تتناثر فيه نقاط مضيئة، لكن التشابه في المنظر لا يضمن التشابه في طبيعة الأجرام. ولذلك يبدأ هذا الفصل بتمييز لغة المشاهدة من التصنيف العلمي. فاللفظ في القرآن أو الشعر أو كتب التفسير يُفهم بحسب استعماله وسياقه، ولا يلزم أن تكون حدوده هي حدود المصطلح الذي اختاره علماء الفلك بعد قرون. ومن الخطأ أن نضع تعريفًا حديثًا أمام كلمة قديمة ثم نحاكم النص إليه قبل البحث في دلالتها.

في العرض العلمي المبسط، تنتج النجوم في المرحلة الرئيسة من حياتها طاقة بالاندماج النووي، بينما نرى كواكب مجموعتنا في الضوء المرئي بما تعكسه من ضوء الشمس. وليس كل جسم مضيء في السماء نجمًا، كما أن النجوم لا تبقى في حالة واحدة إلى الأبد. تصف ناسا ولادتها من تجمعات الغاز والغبار، ثم مراحل استقرارها وتطورها، واختلاف نهاياتها بحسب الكتلة؛ فقد يخلف النجم قزمًا أبيض أو بقايا أشد كثافة [ع١٤]. وسيتوسع الفصل الأربعون في هذه المسارات.

## ٢. الهداية في ظلمات البر والبحر

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧].

﴿وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

تصل آيتا الأنعام والنحل المثبتتان أعلاه معرفة النجوم بالهداية في الطريق [الأنعام: ٩٧؛ النحل: ١٦]. والهداية هنا متصلة بتمييز الطريق والجهة، وهو انتفاع يقوم على معرفة مواضع العلامات. ولا تعني الآية أن كل إنسان يهتدي بمجرد النظر، بل إن العلامة تحتاج إلى تعلم وفهم لصلتها بمكان الراصد ووقت مشاهدته.

يفتح هذا الاستخدام بابًا تربويًا واضحًا: معرفة الخلق قد تصبح وسيلة لحفظ الإنسان من الضياع. ومن ثم لا يتعارض الانشغال بالحساب والرصد مع التأمل في الآية؛ بل قد يكون إتقان الأداة من حسن الانتفاع بالنعمة. وما دام الاستدلال على جهة من موضع نجم قابلًا للمراجعة بالمشاهدة، فإنه يختلف في موضوعه وطريقته عن الجزم بأن ولادة شخص تحت اسم برج تجعل طبعه أو مستقبله محتومًا.

### ٣. الكوكب في مشهد إبراهيم ورؤيا يوسف

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦].

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧].

﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨].

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

تعرض سورة الأنعام مشهد إبراهيم عليه السلام مع الكوكب ثم القمر ثم الشمس، ويظهر فيه الاحتجاج بالأفول وانتهاء النظر إلى التوجه لخالق السماوات والأرض [الأنعام: ٧٦-٧٩]. وليس غرض هذا الموضع إعداد قائمة بتصنيف الأجرام؛ فلا نتوقف عن فهم حجته حتى نجزم باسم الكوكب الذي رآه. المهم في سياق هذا الفصل أن عظمة المنظر ووضوح الضوء لا ترفعان الجرم من مرتبة المخلوق إلى مرتبة الرب.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

أما ذكر الكواكب والشمس والقمر في قول يوسف عليه السلام فهو جزء من رؤيا يبين سياق القصة تأويلها لاحقًا، كما يظهر من المقابلة بين الآيتين المثبتتين أعلاه [يوسف: ٤، ١٠٠]. فلا يُتخذ عدد الكواكب فيها بيانًا لعدد كواكب المجموعة الشمسية، ولا تصبح الرؤيا سجلًا رصديًا. احترام سياق القصص يحفظ دلالته، ويمنع انتزاع لفظ منفرد منه لصناعة مطابقة علمية لا يقصدها الموضع.

### ٤. علم الطريق ودعوى علم المصير

يرد في نهج البلاغة كلام منسوب إلى الإمام علي عليه السلام في جواب من حذره من المسير في ساعة ادعى أنها غير ملائمة. ينكر الكلام تعليق النجاح والضرر بذلك الادعاء، ويستثني من تعلم النجوم ما يهتدى به في البر أو

البحر، ثم يختم بالتوجه إلى المسير على اسم الله [م٣٣، الخطبة ٧٩]. يحفظ هذا السياق الفرق بين الاستفادة من العلامات وبين منح المنجم سلطة على القرار والخوف والرجاء.

مصدر هذا اللفظ هو نهج البلاغة [م٣٣]. وقوبل به شاهد في أمالي الصدوق، المجلس الرابع والستون، الحديث السادس عشر [م١٣٥]، يروي مواجهة المنجم قبل المسير إلى النهروان. لا يثبت وجود الشاهد وحده صحة الطريق أو أن الشريف الرضي نقل عنه مباشرة. كذلك لا يُستخرج من هذا الموضع حكم تفصيلي على كل مسألة تحمل اسم التنجيم أو الفلك دون تحرير موضوعها؛ وتبقى عبارة الاهتداء في البر والبحر هنا من نص النهج.

## ٥. شاهد الأمالي وموضع الاستشهاد بالقرآن

طريق الخبر في الأمالي: محمد بن علي ماجيلويه، عن عمه محمد بن أبي القاسم، عن محمد بن علي القرشي، عن نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر. وفي متنه ينكر الإمام علي دعوى المنجم ضمان الظفر ودفع الضرر باختيار الساعة، ويستشهد بآية لقمان الآتية. ويختلف هذا العرض عن لفظ النهج، ولا تظهر فيه عبارة استثناء الاهتداء الملاحي نفسها [م١٣٥].

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

هذا التمييز بين المتنين ضروري لأن جمع الأخبار لا يعني صهرها في رواية واحدة. نستطيع أن نقارن الموقف الذي يعرضانه ونرصد الجمل المشتركة والمختلفة، مع إبقاء إسناد كل نقل ومصدر عبارته. ولا يستفاد من اسم راو ورد مختصرًا تعيين شخص آخر يشتهر باسم مشابه من غير بحث في طبقته وشيوخه وتلاميذه.

## ٦. مناقشة قصة المنجّم: من صاحب الاعتراض؟

ينقل الشيخ البهائي في الحديقة الهلالية اعتراض ابن طاووس على سند قصة المنجّم ومتنها، ومن جملة ما ينقله تعيين عمر بن سعد بأنه ابن أبي وقاص. وفي هامش الطبعة يعترض المحقق علي الموسوي الخراساني على هذا التعيين، ويناقش رواية نصر بن مزاحم عنه، ويذكر اختلاف صيغ الاسم مع إقراره بأنه لم يتمكن من ترجمة وافية له [م١٧٢].

وبمقابلة فرج المهموم نفسه، ص ٥٧–٥٨، ظهر أن ابن طاووس ينقل طريقًا من كتاب عيون الجواهر المنسوب إلى ابن بابويه، ثم يعيّن عمر بن سعد بقاتل الحسين، ويعترض كذلك على ظاهر المتن، مستدلًا بعدم نقله إجراء

أحكام العقوبة التي فهمها منه، مع إبقاء احتمال التأويل [م٢٨٣]. هذه نتيجة لمقابلة نسبة الاعتراض إلى صاحبه، ولا تحسم صحة تعيين الراوي؛ إذ يظل اعتراض محقق الحديقة الهلالية على هذا التعيين قائمًا [م١٧٢].

وتبقى طبقات الكلام متميزة: كلام ابن طاووس، ونقل البهائي له، وتعليق المحقق عليه. فلا يُسند اعتراض الهامش إلى البهائي، ولا يجعل مجرد نقله حكمًا مستقلًا منه يوافق كل تفاصيل الاعتراض. كذلك لا يوسع اسم عمر بن سعد المثبت في طريق الأمالي إلى نسب كامل بناءً على شهرته وحدها.

والذي يضاف إلى سجل التحقيق هنا هو وجود نزاع في تعيين أحد رجال الطريق، لا تصحيح الطريق أو إسقاطه نهائيًا. أما سائر الطرق التي يشير إليها الهامش فتحتاج إلى الرجوع إلى أصولها ومقابلة أسانيدها ومتونها قبل عدها شواهد مستقلة. ومن ثم يبقى عرض كلام النهج وشاهد الأمالي المتقدمين منسوبًا إلى مصدريهما، دون صناعة قصة موحدة تخفي اختلاف النقل.

وفي قراءتي للمشهد أن دعوى المنجم تتجاوز وصف موضع نجم إلى ضمان ما سيصيب المسافرين جميعًا من نصر أو ضرر. هنا يتغير نوع الدعوى وحجمها: الخبر عن علامة مشاهدة محدود بما قيس منها، أما ضمان مصائر الناس في كل ما يطلبونه فيحتاج إلى إحاطة لم يثبتها هذا الحساب. وتبقى الآية كاملة أمام القارئ لتمنع اختزال الاستشهاد في كلمة منفصلة عن بقية السياق.

أما تخطيط السفر بأسباب معلومة، وتقدير الوقت والمكان، ومراجعة المعلومات القابلة للفحص، فليس مساويًا في موضوعه لذلك الضمان الشامل. وهذا تفريق في بنية الحجة، لا فتوى تفصيلية في مسائل التنجيم. وبه تتضح حاجة البحث إلى الجمع بين فحص الطريق وفهم محل الإنكار، فلا تعوض شهرة القصة عن الأول، ولا يعوض العثور على سند عن الثاني.

### ٧. التشابه في السماء والمسافة في الفضاء

قد نصل بين نقاط مضيئة بخطوط متخيلة فنرى شكلًا مألوفًا، لكن تقارب الاتجاهات على صفحة السماء لا يثبت قرب الأجرام بعضها من بعض في الفضاء. يوضح الاتحاد الفلكي الدولي أن الكوكبات الحديثة مناطق محددة من السماء، وليست بالضرورة تجمعات نجمية مرتبطة فيزيائيًا [ع١٨]. وهذا فرق نافع بين خريطة الاتجاهات وخريطة المسافات: يستطيع الرسم الأول مساعدتنا على العثور على الجرم، من غير أن يخبرنا وحده عن بعده أو علاقته بالأجرام المجاورة في الصورة.

والنتيجة المنهجية أن العين تمنحنا بداية المعرفة، ثم يحتاج تفسير ما تراه إلى أدوات وأسئلة أدق. لا يبطل العلم جمال السماء عندما يفرق بين نجم وكوكب أو بين تجاور ظاهري وتجمع حقيقي؛ بل يمنح ذلك الجمال عمقًا. كما لا يقتضي الإيمان إلغاء هذا التفصيل، إذ تدعو آيات الهداية نفسها إلى استعمال العلامات استعمالًا يصيب الطريق.

## ٨. كيف يقاس بُعد نجم؟

تشرح وكالة الفضاء الأوروبية اختلاف المنظر النجمي بتغير الاتجاه الظاهر للنجم القريب عند النظر إليه من مواضع مختلفة من مدار الأرض. وبقياس الزاوية ومعرفة طول قاعدة القياس يستخرج البعد هندسيًا [ع٣٦]. ويقرب المبدأ أن تنظر إلى إصبع قريب بعين ثم بالأخرى، فتراه يغير موضعه بالنسبة إلى خلفية بعيدة؛ لكن التطبيق الفلكي يحتاج إلى دقة عالية وفصل آثار الحركة الأخرى.

وهذا انتقال مهم من صفحة السماء إلى عمق الفضاء. فالنجم الذي يبدو مجاورًا لغيره في الصورة قد يكون أقرب منه كثيرًا، ولا تكشف شدة اللمعان وحدها البعد من دون معرفة خصائص المصدر. ومن ثم لا تعني الخطوط التي نرسمها بين نجوم كوكبة أن تلك النجوم تصطف على سطح واحد. هذه خلاصة تعليمية تبنى على التمييز بين الاتجاه والمسافة، وتفسر الحاجة إلى خرائط مختلفة للأسئلة المختلفة.

## ٩. خبر عبد الرحمن بن سيابة في النظر إلى النجوم

في روضة الكافي خبر لعبد الرحمن بن سيابة عن الإمام الصادق في النظر إلى النجوم، يروى عن عدة من أصحاب الكليني، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن ابن فضال، عن الحسن بن أسباط. قوبل حكم المجلسي عليه بالمجهول في مرآة العقول، ج ٢٦، ص ٩٥، تحت الحديث ٢٣٣ [م١٢٨]. وصححت إحالة الجزء السابقة المنقولة عن الثقلين [م٧٩]؛ وهذه مقابلة لحكم المجلسي، لا تحقيق مستقل لجميع رجال الطريق.

يجمع المتن بين جواب عن قلق السائل على دينه وبين أسئلة تظهر حدود ما يعرفه من هذا الباب، ويذكر في سياقه طالع القمر وأسماء أجرام ومقادير بالدقائق. لا يؤخذ عنوان الواجهة «في علم الفلك» تعريفًا تاريخيًا لماهية العلم المذكور، ولا يفصل صدر الخبر عن تتمته ليصير إجازة عامة لكل ادعاء باسم النجوم.

والنتيجة البحثية أن مادة الروايات أوسع من نص واحد يورد في النهي أو الإذن. يلزم جمعها وتحرير موضوعاتها وطرقها قبل استخراج حكم شامل. كما لا يجوز نقل الدقائق الواردة في هذا الخبر إلى جدول مسافات بين

الأجرام؛ إذ يحتاج تعيين معناها ومجال استعمالها إلى بحث لم ينجز هنا. ويظل وصف الأجرام علمياً قائماً على أدلته الرصدية، لا على تخمين تفسير رقم في خبر.

## ١٠. الحسن بن أسباط: تعيين الراوي وحدود الحكم

يذكر الخوئي الحسن بن أسباط في معجم رجال الحديث، ج ٥، ص ٢٧٣، مع روايته عن عبد الرحمن بن سيابة ورواية ابن فضال عنه، ويعين موضعه في الروضة بالحديث ٢٣٣. ثم يراه متحداً مع الحسن بن أسباط الكندي الذي أورده الشيخ في أصحاب الإمام الرضا [م١٧٠]. فهذه المقابلة تتصل مباشرة بالطريق المعروض، وليست اعتماداً على تشابه اسم مجرد.

ويصف محمد الجواهري الحسن بن أسباط بالمجهول في المفيد من معجم رجال الحديث، ص ١٤٤، مع ذكر خبر الروضة نفسه واتحاد العنوانين [م١٧١]. ننسب هذا الوصف إلى الجواهري، ونميزه من حكم المجلسي على مجموع الحديث [م١٢٨]. ولا نقول إن المجلسي صرح بأن هذا الراوي هو العلة الوحيدة لحكمه؛ فالنص الذي قابلناه لا يفصل ذلك.

وعلى هذا الأساس لا يُختصر وصف الرجل بأنه من أصحاب الإمام إلى شهادة مستقلة بوثاقته؛ فموضع إدراجه في طبقة الرواة غير الحكم النقدي الذي نطلبه لكل اسم. كما لا تعني الجهالة المنقولة إثبات تعمد الكذب. يظل التحقيق مطالباً بجمع الأقوال والقرائن قبل أن يتجاوز حدود الحكم الذي نقله.

ويتصل هذا الفحص بقراءة المقادير في الخبر: لا تكفي غرابة العدد لإصدار حكم على الراوي، كما لا يكفي العثور على ترجمته لتسوية اختلاف ألفاظ المتن. لذلك أبقينا فحص الطريق هنا، ومقابلة السنبلة والسكينة والعدد المتردد في المبحث التالي، بحيث يظهر للقارئ ما أسنده كل نوع من الأدلة.

## ١١. اختلاف اللفظ والعدد في خبر ابن سيابة

تتوقف صفحة الثقلين المعروضة عند التردد بين ستين وسبعين دقيقة [م٧٩]؛ أما النص المثبت في مرآة العقول، ج ٢٦، ص ٩٦، فيتابع بنسبة الشك إلى عبد الرحمن ثم يورد خاتمة الخبر [م١٢٩]. لذلك تعتمد هذه الصفحة لإثبات نسبة الشك، ولا تنسب التتمة إلى العرض المختصر. وفي الشرح يذكر المجلسي قراءة «السكينة» في بعض النسخ بدل «السنبلة»، ويرى أنها أنسب بجواب السائل عن عدم سماعه بها من منجم؛ وهذا ترجيح الشارح، لا لفظ إضافي من الإمام.

لو اختار ناقل أحد العددين وأسقط عبارة الشك، فقد صنع يقيناً لا يحمله النص الذي بين يديه. ولو اختار أحد الاسمين ثم بنى عليه تعريفًا لجرم معاصر، فقد احتاج إلى شاهد لم يقدمه مجرد التشابه اللفظي. وكذلك فإن تعدد احتمالات الشارح لا يسمح بنسبة أحدها إلى المتن على أنه المعنى المحسوم.

تظل الدقائق في هذا الخبر موضع بحث في الاصطلاح والسياق؛ ويعرض المجلسي احتمال تعلقها بالدرجات والأوضاع الناتجة عن الحركات، أو ببعد فلك عن آخر [م١٢٨]. لا يحسم تعدد هذه الاحتمالات الوحدة المقصودة، ولا يجيز تحويل العدد مباشرة إلى كيلومترات أو دقائق زمنية. وتكتمل فائدة المقابلة بحفظ اللفظ المختلف فيه والعدد المتردد، وبيان ما استند إلى المتن وما اقترحه الشارح.

حصيلة الفصل: النجوم علامات هداية وموضوع رصد، والألفاظ القرآنية تُقرأ في سياقاتها. والتصنيف الفلكي يشرح طبيعة الأجرام، بينما تظل دعوى قراءة مصائر البشر من مواضعها محتاجة إلى دليل لا يوفره مجرد انتظام حركتها.

إحالات الفصل: الأنعام ٧٦–٧٩، ٩٧؛ النحل ١٦؛ يوسف ٤، ١٠٠؛ نهج البلاغة [م٣٣]؛ الكافي [م٧٩]؛ النجوم والكوكبات واختلاف المنظر [ع١٤، ع١٨، ع٣٦]. لقمان ٣٤ كاملة؛ أمالي الصدوق [م١٣٥]؛ مقابلة مرآة العقول، ج ٢٦، ص ٩٥–٩٦ [م١٢٨، م١٢٩]. ولتعيين الحسن بن أسباط ووصفه المنقول: [م١٧٠–م١٧١]. ولمقابلة اعتراض ابن طاووس ونقله وتعليق المحقق: [م١٧٢، م٢٨٣].

# الفصل ١٩ — البروج والمنازل والأفلاك

## ١. ثلاثة ألفاظ وثلاثة أسئلة

يجمع الحديث عن السماء بين البروج والمنازل والأفلاك، لكن جمعها في باب واحد لا يجعلها مترادفات. فالسؤال عن البروج قد يتعلق بتقسيم السماء أو معالمها، والسؤال عن المنازل بتعاقب مواضع جرم في مسيره، والسؤال عن الفلك بحركته ومساره. ومن هنا تبدأ القراءة الجيدة بتحرير السؤال؛ فلا يُطلب من اسم قسم في خريطة السماء أن يشرح القوة التي تحرك جرمًا، ولا من وصف الحركة أن يحدد عدد أقسام الخريطة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١].

يرد ذكر البروج في الحجر ١٦ والفرقان ٦١، والقسم بالسماء ذات البروج في مطلع سورة البروج. تضع هذه المواضع، المثبتة بنصوصها الكاملة أعلاه، البروج في سياق عظمة الخلق وظهوره وزينته، ثم يأتي التفسير لتفصيل المراد بحسب اللغة والقرائن.

## ٢. البروج في مجمع البيان

يعرض الطبرسي عند البروج ١ معنى المنازل العالية، ثم يذكر منازل الشمس والقمر والكواكب وتقسيمها إلى اثني عشر برجًا [م٣٤]. وفي تفسير الفرقان ٦١ يورد وجه المنازل، ووجه النجوم العظام، ويعرض أسماء التقسيم الفلكي المعروف في عصره [م٣٧]. هذا العرض يثبت وجود وجوه تفسيرية واستعمال فلكي تراثي، ولا يقتضي أن جميعها أقوال مروية عن الأئمة؛ فكلام المفسر وما يسميه من أقوال وآثار مراتب ينبغي تمييزها.

ويحتاج القارئ إلى الانتباه إلى تغير التصنيف عبر العصور؛ فقد تشمل الأجرام السيارة في اصطلاح قديم الشمس والقمر باعتبار حركة كل منهما الظاهرة بين النجوم، بينما يفصلهما التصنيف الحديث عن الكواكب بهذا المعنى. وليس من التحقيق أن ننقل قائمة قديمة ثم نصفها بلغة علمية معاصرة دون بيان اختلاف الاصطلاح. فالمطلوب فهم ما أراده صاحب النص، ثم مناقشته في موضعه.

### ٣. الكوكبات الحديثة ليست أبراج الحظ

يعتمد الاتحاد الفلكي الدولي ثمانيًا وثمانين كوكبة تغطي مناطق السماء بحدود معرّفة. المقصود بالكوكبة في هذا الاستعمال مساحة من اتجاهات السماء، لا مجرد خطوط تصل نجومًا في شكل متخيل [ع١٨]. وهذا التقسيم يخدم تسمية المواضع وتحديدها. أما الاثنا عشر في التقسيم البرجي التراثي فليست عدد كل الكوكبات الحديثة؛ اختلاف العدد هنا نتيجة اختلاف الشيء المعدود، فلا يصنع وحده تناقضًا بين عبارتين تتحدثان عن نظامين مختلفين.

وتضاف طبقة ثالثة حين تستخدم أسماء الأبراج في توقع صفات الناس وحوادثهم. الاسم نفسه لا يجعل هذا الاستخدام امتدادًا لازمًا للرصد؛ فمعرفة موقع جرم لا تنتج وحدها علمًا بزواج شخص أو رزقه أو أخلاقه. وقد تقدم في الفصل الثامن عشر نص نهج البلاغة في نقد تعليق القرار على دعوى المنجم [م٣٣]. لذلك لا ينبغي أن يُحجب تعليم خرائط السماء بسبب شيوع أبراج الحظ، ولا أن تمر دعاوى الحظ تحت اسم العلم لمجرد استعمالها أسماء فلكية.

### ٤. المنازل: تقسيم المسير لا تقسيم القدر

قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩].

تساعد المنازل على وصف الانتقال بين مواضع متتابعة. وعندما يذكر مجمع البيان منازل القمر في تفسير يس ٣٩ ، يشرح نظامًا لرصد هذا الانتقال [م٣٢]. لكن تسمية المنزلة لا تمنحها فعلًا مستقلًا في مصائر الناس. يستطيع المرء أن يستعمل علامات الطريق لمعرفة أين بلغ المسافر، دون أن ينسب إلى العلامة نفسها إنشاء ما سيحدث له في نهاية رحلته. وهذا المثال يوضح الفرق المنطقي بين الاستدلال على الزمن أو الموقع وبين ادعاء التأثير الغيبي.

كما أن مرور جرم في اتجاه كوكبة لا يعني دخوله بين نجومها دخول الجسم في غرفة. إننا نصف اتجاه النظر من الأرض، وقد تكون النجوم التي ترسم الخلفية بعيدة عنه جدًا. ومن الدقة أن نسأل دائمًا: هل العبارة تصف منظر الراصد، أم علاقة مكانية بين الأجرام، أم تقسيمًا اصطلاحيًا؟ الفصل بين هذه المستويات يجعل الخرائط أكثر فائدة ويقلل الالتباس في قراءة الأخبار الفلكية.

### ٥. أسماء المنازل الثمانية والعشرين وحساب تقسيمها

يسرد الشيخ البهائي في الحديقة الهلالية، في فقرة فائدة المنازل، الأسماء الآتية: الشرطان، البطين، الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرف، الجبهة، الزبرة، الصرفة، العواء، السماك الأعزل، الغفر، الزبانا، الإكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، الفرغ المقدم، الفرغ المؤخر، الرشاء [م١٣٤]. أوردت القائمة كاملة حتى لا يبقى العدد بلا مدلول لغوي يمكن الرجوع إليه.

ويتناول الشرح تقسيم دور الفلك إلى ثمانية وعشرين قسمًا، ويقرب مقدار القسم إلى اثنتي عشرة درجة وإحدى وخمسين دقيقة [م١٣٤]. ويمكن التحقق حسابيًا من التقريب: قسمة ٣٦٠ على ٢٨ تعطينا ١٢ درجة وستة أسباع الدرجة؛ أي نحو ١٢ درجة و٥١ دقيقة و٢٦ ثانية زاوية. هذا ناتج قسمة اصطلاحية لدائرة كاملة إلى أجزاء متساوية، ولا يثبت أن القمر يقطع كل جزء في المدة نفسها تمامًا.

وإذا قارنا هذا التقسيم بتقسيم الدائرة نفسها إلى اثني عشر جزءًا، فإن قسمة ٢٨ على ١٢ تعطينا منزلين وثلث منزل لكل جزء. أما النص الإلكتروني المعروض فيورد «منزلان وثلثا» [م١٣٤]. نثبت اختلاف العبارة عن الناتج الحسابي دون تصحيح صامت للنقل أو الجزم بمنشأ الاختلاف؛ فحسابنا شرح مستقل، وتحقيق لفظ الطبعة ونسخها يحتاج إلى مقابلتها.

وللقائمة وظيفة مختلفة عن جدول بداية الشهر: الاسم يعين موضعًا في نظام تراثي، بينما بداية الشهر تتعلق بتعريف التقويم وشروطه. كذلك لا تساوي أسماء المنازل مناطق الكوكبات الحديثة بحدودها المعتمدة [ع١٨]. قد تتداخل الأسماء أو تتجاور العلامات، لكن المطابقة الدقيقة تحتاج إلى تعريف كل نظام وإحداثياته، لا إلى تشابه الاسم وحده.

والدقيقة في هذا المثال جزء زاوي من الدرجة، وليست دقيقة من ساعة اليوم. يساعد هذا المثال المضبوط على فهم سبب التحفظ في خبر ابن سيابة: يمكن تعيين الوحدة عندما يصرح التقسيم بأنها أجزاء دائرة، أما لفظ الدقيقة وحده في خبر آخر فلا يكفي لإثبات هذا التعيين. وهكذا يخدم الحساب قراءة المصطلح، دون أن يفرض على كل نص يحمل اللفظ ذاته.

### ٦. «كل في فلك يسبحون»

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

تجمع آية الأنبياء ٣٣ بين خلق الليل والنهار والشمس والقمر والسباحة في الفلك، وتتكرر خاتمة السباحة في الفلك في يس ٤٠. وتوحي صورة السباحة بالحركة في نظام، لكن الآية لا تسرد عناصر معادلة المدار، ولا تعين هنا شكل كل مسار ومركزه ومقاييسه. فلا يضاف إلى النص أن الفلك جسم صلب يحمل الجرم، كما لا يدعى أنه يذكر تفصيل نظرية في الجاذبية لم يصرح بها.

في العلم، المدار وصف لمسار الحركة وفق الشروط والقوى المؤثرة، وليس سكة معدنية مثبتة في الفضاء. وفي التفسير، تبحث دلالة الفلك ضمن لسان النص وسياقه. يمكن للمعرفة بالحركات أن توسع تصور القارئ للنظام، مع إبقاء الفرق بين شرح المشهد وتعيين المراد الحصري من اللفظ. ومن هنا لا نرسم من هذه الآيات خريطة نهائية للسماوات السبع، ولا نساوي بلا دليل بين كل سماء ومدار كوكب.

## ٧. الاتجاه والمسافة والوقت في قراءة الخارطة

لنفترض أن خارطة تبين القمر قرب كوكبة معينة. أول ما تخبرنا به هو اتجاه ظهوره بالنسبة إلى مناطق السماء، ولا تخبرنا هذه العبارة وحدها ببعده عن نجوم الكوكبة. وعندما تذكر الخارطة موعد المشاهدة تضيف قيدًا زمنيًا؛ فالسماء التي تصفها لمساء معين ليست منظرًا ثابتًا نراه في كل ساعة. وتعين حدود الكوكبات مواضع على الكرة السماوية الاصطلاحية [ع١٨]، بينما يحتاج البعد إلى قياس مستقل، كما تقدم في اختلاف المنظر [ع٣٦].

ويمكن تدريب القارئ على ثلاثة أسئلة متتابعة: أين يظهر الجرم؟ كم يبعد؟ ومتى تنطبق هذه الصورة؟ هذا ترتيب تعليمي أقترحه، ويمنع الخلط بين اسم الكوكبة ومكان الجرم الحقيقي. وليس رسم السماء من منظور الأرض إقرارًا بأن الأرض مركز كل حركة؛ إنه اختيار موضع للنظر، كما نصف الطريق من موضع المسافر.

## ٨. ما الذي يثبته تكرر الموضع؟

إذا تكرر ظهور جرم في ناحية معلومة أمكن أن يصبح علامة في الحساب، لكن الانتقال من التكرار إلى التفسير يحتاج إلى تعيين المرجع. وقد سبق أن عودة القمر بالنسبة إلى النجوم تختلف عن عودته إلى الطور نفسه. لذلك لا يكفي أن نجد تقسيمًا قديمًا للمنازل، ثم نساوي أسماء أقسامه بالأيام من غير بيان طريقة العد.

وتفيد هذه القاعدة عند قراءة الموروث: نسأل هل المؤلف يسجل مشاهدة، أم يقسم دائرة إلى أقسام، أم يذكر أسماء متوارثة، أم يستنتج أثرًا في أحوال البشر؟ قد تجتمع هذه الأعمال في صفحة واحدة، لكن قوة أحدها لا

تنتقل آليًا إلى البقية. وفي تأملي أن صيانة التراث لا تكون بطمس اختلاف مقاصده؛ بل بقراءة كل عبارة وفق السؤال الذي تجيب عنه، ثم مناقشتها بالدليل الملائم.

حصيلة الفصل: البروج والمنازل وسائل لفهم المواضع والتقسيمات، والفلك يتصل بالحركة والمسار. وتبقى الكوكبات الحديثة والتقسيمات التراثية ودعاوى التنجيم موضوعات مختلفة؛ لا يغني تشابه أسمائها عن فحص معنى كل واحد ودليله.

إحالات الفصل: الحجر ١٦؛ الفرقان ٦١؛ البروج ١؛ الأنبياء ٣٣؛ يس ٣٩–٤٠؛ مجمع البيان [م٣٢، م٣٤، م٣٧]؛ نهج البلاغة [م٣٣]؛ الكوكبات واختلاف المنظر [ع١٨، ع٣٦]. الحديقة الهلالية، فائدة المنازل وقائمتها الكاملة [م١٣٤].

# الفصل ٢٠ — الشهب وحفظ السماء واستراق السمع

## ١. الومضة التي تقطع هدوء السماء

قد يرفع الإنسان بصره فيرى خطًا مضيئًا يظهر لحظة ثم يختفي، فيسميه في الكلام الدارج «نجمًا ساقطًا». غير أن الصورة اللغوية لا تكفي لتحديد ما حدث؛ فالنجم الذي يبدو ثابتًا في الخلفية شيء، والظاهرة العابرة في الغلاف الجوي شيء آخر. وقد تقدم في حديث السماء الدنيا ذكر الزينة والحفظ، ويعود هذا الفصل إلى الشهب ليميز الوصف المشاهد من الخبر الغيبي ومن الأقوال التي تجمع بينهما.

في الاصطلاح العلمي، يحدث الشهاب حين تدخل مادة صغيرة من الفضاء الغلاف الجوي بسرعة عالية فتسخن وتتولد ظاهرة ضوئية. وإذا بقي منها جزء ووصل إلى سطح الأرض سمي نيزكًا. وقد تزداد الشهب حين تعبر الأرض مسارًا غنيًا بالحطام الذي خلفته أجرام، ومنه حطام المذنبات؛ فتظهر زخات يمكن ربط مواعيدها بحركة الأرض. ليست الشهب نجومًا بعيدة اقتُلعت من مواضعها، ولا يساوي الشهاب المذنب نفسه؛ فالمذنب جرم مداري قد يخلف مواد تسهم في هذه الظواهر [ع٤].

## ٢. نصوص الحفظ واستراق السمع

قال تعالى: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧].

﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٨].

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦].

﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ [الصافات: ٧].

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات: ٨].

﴿دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصافات: ٩].

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠].

يأتي خبر الحفظ واستراق السمع وإتباع المسترق بشهاب مبين في سياق البروج والزينة [الحجر: ١٧–١٨]. وفي الصافات يأتي ذكر الحفظ من كل شيطان مارد، وعدم السماع إلى الملأ الأعلى، ثم استثناء من خطف الخطفة

وإتباعه بشهاب ثاقب [الصافات: ٦-١٠]. فالآيات تتناول أيضًا جهة لا تستقل العين بمشاهدتها: الاسترق والمنع وعالم الملأ الأعلى.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨].

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩].

وتحكي آيتا الجن ٨-٩، المثبتتان كاملتين أعلاه، خبر الحرس والشهب ومقاعد السمع وما يجده من يستمع. هذه الأخبار جزء من النص الذي يثبت به المؤمن أمر الغيب، وليست تقريرًا صادرًا عن جهاز كشف. أما الجهاز فيقيس الضوء والمسار والسرعة وما تسمح به أدواته من خصائص المادة.

### ٣. مستويان للبحث دون دعوى إحاطة

يستطيع الباحث أن يفسر تكون الومضة وارتفاعها وطيفها، لكن هذا القياس لا يكشف بذاته وجود مسترق للسمع ولا يحدد هويته. وبالمقابل، لا تمنحنا قراءة الآيات وحدها بيانات عددية عن كل شهاب رصده مرصد في ليلة معينة. ولهذا لا نعلق على صورة منتشرة بقول جازم: هذا هو الشهاب الذي أصاب جنيًا بعينه؛ فمثل هذا التعيين يضيف إلى النص ما لا يدل عليه وإلى الصورة ما لا تسجله.

ولا يلزم من معرفة السبب الطبيعي نفي كل دلالة غيبية يثبتها النص؛ فإيضاح كيفية حدوث ظاهرة لا يجيب آليًا عن كل سؤال متعلق بمعناها. لكن الجمع المنضبط لا يكون باختراع سلسلة تفصيلية لا مصدر لها. يحفظ الكتاب هنا المعنى القرآني للحفظ، ويشرح الظاهرة العلمية في حدودها، ويتوقف عن رسم حركة الجن أو مواضع استماعهم أو آلية المنع بما لم يثبت من خبر.

### ٤. هل بدأت الشهب مع البعثة؟

تثير كلمة «الآن» في سورة الجن سؤالًا عن التغير الذي تصفه الآيات. يورد مجمع البيان جواب الزهري عن سؤال معمر: كان الرمي موجودًا في الجاهلية، ثم اشتد أمره عند بعثة النبي. ويذكر بعده قول البلخي بوجود الشهب من قبل، مع أن منع الجن بها من الصعود حدث عند البعثة [م٣٥]. فالقولان لا يقرران التفصيل نفسه: أحدهما يذكر التشديد، والآخر يذكر بدء المنع بالشهب. وهما من الأقوال التي عرضها المفسر، ولا يتحولان بمجرد ورودهما في تفسير شيعي إلى روايتين عن أحد الأئمة.

ويمنع هذا التنوع إطلاق العبارة بأن جميع الشهب نشأت أول مرة في زمن النبي صلى الله عليه وآله، ثم بناء مواجهة بين تلك العبارة وتاريخ الظاهرة الطبيعي. فالآيات تتحدث عن حال الاستماع والحراسة، وتحتاج كيفية التغير وتوقيته التفصيلي إلى جمع النصوص ودراسة دلالاتها. ولا يكفي اختيار قول واحد من التفسير وإسقاط بقية الوجوه، ثم نسبته إلى القرآن باعتباره مدلوله الوحيد.

### ٥. الحفظ وحدود ادعاء الغيب

تستمر سورة الجن بعد خبر الحراسة إلى قولهم: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]. ويظهر هنا حد العلم في سياق الخبر نفسه؛ فليس من حسن القراءة أن نمر على إقرارهم بعدم الدراية ثم نمنح متحدثًا من البشر علمًا مطلقًا بما تعنيه كل ومضة لأحوال العالم. إن الغيب في هذا الباب لا يصير مباحًا لكل تخمين بسبب ذكره في الوحي.

ويفيد هذا المعنى عمليًا في التعامل مع الأخبار المخيفة: يبدأ النظر بتحديد ما شوهد فعلًا، ثم مراجعة تفسيره، ثم سؤال القائل عن دليل ما يضيفه من إنذار أو بشارة. وقد تكون صورة الشهاب صحيحة والتعليق عليها مختلقًا؛ فصحة الصورة لا تصحح كل قصة ترافقها. كما أن القدرة على توقع زخة شهب لا تجعل صاحب الحساب عالمًا بما سيقع للناس خلالها من حوادث خاصة.

### ٦. أسماء الزخات وما تعنيه

توضح ناسا أن كثيرًا من زخات الشهب يتكرر حين تمر الأرض في مسارات حطام خلّفته مذنبات، وبعضها يتصل بكويكبات. وتسمى الزخة غالبًا باسم كوكبة أو نجم قريب من الجهة التي تبدو الشهب آتية منها. فاسم الزخة علامة على اتجاه ظاهري في السماء، وليس دليلًا على أن مادتها خرجت من نجوم تلك الكوكبة [ع٣٧]. وهذا مثال عملي على الفرق بين تسمية المشهد وتفسير منشئه.

كما أن كثرة الشهب لا تعني بالضرورة كثرة النيازك التي يمكن جمعها على الأرض؛ فالجسيمات الصغيرة قد تتلاشى في الغلاف الجوي. أما العينات التي تصل فتدرس تراكيبها وقرائن أصلها، وتساعد في معرفة مواد المجموعة الشمسية وتاريخها [ع٣٧]. ينتقل البحث هنا من ضوء عابر إلى مادة قابلة للفحص، ولا يلزم أن يترك كل ضوء عينة باقية.

### ٧. قراءة التفسير مع تحديد صاحب القول

سبق عرض اختلاف الأقوال في تغير الحراسة عند البعثة [م٣٥]. وتحتاج هذه المادة إلى ترتيب يمنع اختلاط مستوياتها: نص الآيات أولًا، ثم القول المنسوب إلى قائله في التفسير، ثم بحث أصل ذلك القول إن كان خبرًا. فإذا أورد المفسر خبرًا بلا طريق مفصل في الموضع الذي نقرأه، لا نستطيع أن نملأ الطريق من أسماء نعرفها من موضع آخر.

ومن تطبيق هذا المنهج أن نفرق بين مسألتين: تاريخ ظهور الشهب بوصفها ظاهرة مشاهدة، وتغير إمكان الاستماع كما تصفه سورة الجن. لا يقتضي السؤال الثاني وحده أن كل المادة التي تنتج الظاهرة قد خلقت في تلك اللحظة. وهذه ملاحظة في حدود الاستدلال، لا تعيين نهائي لكيفية الحراسة. وتبقى دعوى الجمع بين نصين بحاجة إلى بيان وجه الجمع، لا إلى الاكتفاء بعبارة أنهما لا يتعارضان.

وعند متابعة خبر حديث عن شهاب ينبغي تثبيت ما قيس وما استنتج. فالمشهد المضيء قد يوثق بكاميرا، أما تحديد مدار الجسم قبل دخوله أو أصله فيحتاج إلى بيانات ومعالجة إضافية. وتكون أمانة العرض في بيان هذه الخطوات، لا في جمعها كلها تحت عبارة رأينا بأعيننا.

حصيلة الفصل: الشهاب في الرصد ظاهرة ضوئية مرتبطة بدخول مادة في الغلاف الجوي، والنيزك ما يبلغ السطح من مادتها. وتقرر آيات الحفظ أمرًا غيبيًا لا تقيسه الأدوات وحدها. ويظل الربط التفصيلي بين حادثة مرصودة وخبر غيبي محتاجًا إلى دليل مستقل، مع حفظ تعدد الأقوال في تفسير تغير الحراسة.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦].

إحالات الفصل: الحجر ١٦–١٨؛ الصافات ٦–١٠؛ الجن ٨–١٠؛ مجمع البيان [م٣٥]؛ ناسا، الشهب والنيازك [ع٤٤، ع٣٧].

# الفصل ٢١ — الليل والنهار — التعاقب والاختلاف

## ١. النعمة التي قد يحجبها الاعتياد

تكرر الليل والنهار يجعل الإنسان يألفهما حتى يغفل عن السؤال. ويعيد القرآن فتح هذا السؤال بقوله: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦]. يشمل النظر تعاقبهما وما يراه الناس من اختلاف الطول والهيئة والآثار. فالانتظام الذي يطمئن إليه الإنسان يمكن أن يكون موضع تفكر، لا سببًا لسقوط الدهشة من نفسه.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس: ٦٧].

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: ٩].

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ: ١٠].

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١١].

وفي آية يونس المثبتة أعلاه صلة واضحة بين نظام الضوء وحياة المخاطبين [يونس: ٦٧]. وتجمع سورة النبأ النوم والليل والنهار في سياق تهيئة الحياة [النبأ: ٩–١١]. وهذه دلالة على النعمة الغالبة، وليست عبارة تلزم بأن كل حيوان ينام ليلًا أو أن كل إنسان يستحيل عليه العمل بعد الغروب.

## ٢. كيف يتعاقب الضوء والظلام؟

تدور الأرض حول محورها، فيتغير اتجاه كل موضع من سطحها بالنسبة إلى الشمس؛ يكون على الجانب المواجه نهار، ثم يدخل الموضع إلى الجانب غير المضاء فيكون الليل. وهذا شرح هندسي لدورة الإضاءة مبني على دوران الأرض الذي تعرضه المراجع الفلكية [ع١٧]. لا يطفئ الغروب الشمس، ولا يسدل جسم معتم مستقل ستارًا على الكوكب كله. يزول الضوء المباشر عن موضع بينما يستقبله موضع آخر.

أما اختلاف طول النهار عبر السنة والمكان فيرتبط بميل محور الأرض وبموقع الراصد، كما سيأتي في الفصل التالي. ونستنتج من هذه الهندسة أن التعاقب المشاهد في المناطق المعتدلة لا ينسخ حرفيًا في كل عرض جغرافي؛ ففي

المناطق القطبية تمر فترات تبقى الشمس فيها فوق الأفق أو تحته. وذكر هذه الحالات يوسع تصورنا للأرض، فلا نجعل تجربة مدينة واحدة تعريفًا ملزمًا لأحوال الكوكب كله [ع٥، ع١٧].

### ٣. اختلاف الليل والنهار في السؤال القرآني

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص: ٧١].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧٢].

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٣].

تطرح سورة القصص فرضين يوقظان الانتباه إلى قيمة التعاقب: ماذا لو جعل الله الليل سرمدًا، ومن يأتي حينئذ بضياء؟ وماذا لو جعل النهار سرمدًا، ومن يأتي بليل يسكن الناس فيه؟ ثم تجمع بين السكن وابتغاء الفضل والشكر [القصص: ٧١-٧٣]. يستدعي هذا الأسلوب تقدير ما قد يبدو بديهيًا؛ فالنعمة لا تُعرف فقط عند فقدها الفعلي، بل يستطيع العقل أن يتصور فقدها ليدرك مقدار الحاجة إليها.

ولا تُقرأ هذه الفروض بوصفها تحديدًا لتاريخ حادث فلكي منتظر، ولا بوصفها نفيًا لوجود ليل طويل أو نهار طويل في بعض مناطق الأرض. موضوعها بيان افتقار الإنسان إلى تدبير ليس في ملكه. فالإنسان يستطيع تنظيم مصباح ووقت عمل، لكنه لا ينشئ بديلًا مكافئًا عن نظام الأرض كله. وبين القدرة الجزئية التي يمارسها والحاجة الشاملة التي يعيشها يتجدد معنى الشكر.

### ٤. «خلفة» وفرصة العمل المتجدد

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]. يعرض مجمع البيان معنى أن يخلف أحدهما الآخر، ويتناول استدراك ما يفوت في أحد الوقتين في الوقت الآخر [م٣٧]. وتتحول الملاحظة هنا إلى معنى عملي: الوقت المتجدد فرصة لذكر وعمل، فلا يقتصر النظر إلى الدورة على عد ساعاتها.

ينقل مجمع البيان عن الإمام الصادق معنى قضاء صلاة النهار بالليل وصلاة الليل بالنهار [م٣٧]. وقوبل به شاهد مسند معروض في تفسير القمي عند الآية نفسها [م١٣١]، يذكر سؤال رجل عن قضاء صلاة الليل بالنهار. هذا

تقدم في تعيين شاهد للنقل، ولا يثبت أن الطبرسي أخذ عبارته من هذا الطريق بعينه؛ وتبقى دراسة رجال الطريق ونسبة مادة التفسير وتفاصيل أحكام القضاء مسائل مستقلة.

### ٥. شاهد الخلفة في تفسير القمي

يبدأ الموضع في تفسير القمي بقول علي بن إبراهيم، ثم يورد: حدثني أبي، عن صالح بن عقبة، عن جميل، عن أبي عبد الله. ويعرض سؤالًا عن فوات صلاة الليل شهرًا أو شهرين أو ثلاثة وقضائها بالنهار، ثم يربط الجواب بآية الخلفة [م١٣١]. وهذا سياق أوسع من الجملة المختصرة التي أوردها مجمع البيان، مع تقارب المعنى المتعلق باستدراك الصلاة.

وجود طريق مكتوب يتيح البحث فيه، ولا يساوي الفراغ من تصحيحه. وفي هذا الموضع لا نوسع الاسم المختصر «جميل» إلى اسم كامل بلا قرينة رجالية مفحوصة، ولا ننقل الحكم على خبر زرارة الآتي إلى هذا الخبر المختلف. كما تبقى نسبة مجموع المادة المتداولة بعنوان تفسير القمي مسألة سبق التنبيه إليها في منهج المصادر.

ومن جهة البناء التفسيري، يجمع التعاقب بين وقت ينقضي ووقت يأتي بعده، فيفتح للناظر معنى الاستدراك بدل الاستسلام للفوات. هذا تأمل في اتصال الزمن بالعمل، ولا يحسم شروط القضاء أو تعيين حكم كل عبادة. فالمعنى التربوي العام أوسع من التفصيل الفقهي، ولكل منهما طريقه في الاستدلال.

### ٦. من انتظام الكون إلى انتظام المسؤولية

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

يلي آية الخلفة في سورة الفرقان وصف عباد الرحمن وما يتصل بسلوكهم من تواضع وحلم وعبادة وإنفاق [الفرقان: ٦٣ وما بعدها]. ولا يلزم من هذا التجاور استخراج قانون فيزيائي جديد؛ لكنه يبين أن النظر في الآيات الكونية داخل السورة ليس معزولًا عن بناء الإنسان. فما قيمة أن يحسن المرء حساب الساعات ثم لا يحسن أداء حق فيها، أو أن يتأمل هدوء الليل ويجعل غيره محرومًا من الأمان؟

ومن التطبيقات التربوية لهذا المعنى أن يرتب الإنسان وقته على الواجبات والحقوق، ويجعل التعاقب فرصة للمراجعة بدل تحويله إلى تكرار غافل. وليس المقصود فرض نمط يومي واحد على الجميع؛ تختلف الأعمال والظروف والقدرات. المقصود إدراك أن الزمن الذي نقيسه هو المجال الذي تقع فيه أفعالنا، وأن الشكر يصدق حين ينعكس في الاختيار والعمل.

### ٧. لماذا لا تحل الظلمة دفعة واحدة؟

يمثل الشفق مرحلة انتقالية يظل فيها الغلاف الجوي مضاءً جزئيًا بعد غياب الشمس عن الأفق، وتقابلها مرحلة قبل الشروق. ويقسم الوصف الفلكي الشفق إلى مدني وبحري وفلكي؛ ينتهي المدني مساءً حين يكون مركز الشمس الهندسي تحت الأفق بمقدار ٦ درجات، والبحري عند ١٢ درجة، والفلكي عند ١٨ درجة. وتحدد الزوايا نفسها بداية كل فئة صباحًا قبل الشروق. وهذه حدود اصطلاحية تربط حالة الإضاءة بموضع الشمس، كما تعرضها هيئة الطقس الوطنية الأمريكية [ع٣٨].

لا تعني هذه الدرجات أن السماء تقفز بين ثلاث حالات منفصلة؛ فالتدرج مستمر، ويختار التصنيف حدودًا نافعة للوصف. وتؤثر ظروف المشاهدة، ومنها السحب والضباب والإضاءة الاصطناعية، في ما يدركه الراصد. لذلك يفيد التمييز بين الحساب الهندسي لحالة الشمس وبين وضوح نجم أو معلم عند إنسان في مكان بعينه.

وهذا التفصيل لا يجعل الحدود الفلكية المذكورة تعريفًا تلقائيًا للفجر أو المغرب في جميع المباني الفقهية. فبحث العلامة الشرعية وتطبيقها يحتاج إلى أدلته. ويقتصر موضعنا على ضبط ظاهرة التدرج، كي لا يختلط غياب قرص الشمس بزوال كل ضوء في السماء.

### ٨. مواقيت الصلاة في خبر زرارة

في الكافي، ج ٣، باب فرض الصلاة، الحديث الأول، يسأل زرارة الإمام الباقر عما فرض الله من الصلاة وبيانه في الكتاب. وتلتقي الطرق المعروضة في حماد بن عيسى ثم حريز ثم زرارة. ويشرح الخبر الدلوك بالزوال، ويتناول آيات الإسراء وهود والبقرة في سياق الصلوات [م٨١]. وقوبل تصحيح المجلسي بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ١٥، ص ١٨، تحت باب فرض الصلاة [م١٣٠].

قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وتظهر في هوامش النسخة الإلكترونية أرقام آيات لا تطابق النصوص المنقولة؛ فالمواضع المقصودة هي الإسراء ٧٨، وهود ١١٤، والبقرة ٢٣٨. اعتمد الكتاب هذه الأرقام بعد تعيين الآيات، ولم ينقل الخطأ الهامشي إلى فهرسه. كما فصل ما في المتن عما أضيف في الشرح.

تتقدم طرق خبر زرارة إلى حماد على ثلاثة أوجه: علي بن إبراهيم عن أبيه؛ ومحمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى؛ ومحمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان. ثم يجتمع النقل في حماد عن حريز عن زرارة [م٨١]. ولذلك لا تعرض الأسماء كأنها طريق واحد طويل يروي كل شخص فيه عمن يليه؛ فموضع الالتقاء جزء من وصف السند نفسه.

## ٩. فصل ألفاظ الرواية عن نص المصحف

يعرض حديث زرارة تفسيرًا للصلاة الوسطى، ويروي في سياقه لفظ قراءة يتضمن ذكر صلاة العصر [م٨١]. أثبتنا آية البقرة أعلاه بلفظها في المصحف، ولم ندمج في قوسي الآية زيادة من رواية أو تفسير. فهذا الموضع يقتضي التمييز بين النص القرآني المنقول كاملًا، والمتن الذي يشرح أو ينقل قراءة، وكلام الشارح الذي يبحث دلالته.

أما حكم المجلسي بالصحة فهو حكمه على الحديث المعين [م١٣٠]؛ لا تتحول نسبته إليه إلى ادعاء اتفاق جميع النقاد، ولا إلى ترجيح مستقل لكل وجه فقهي مستخرج من المتن. ويختلف هذا الخبر عن شاهد الخلفة في الموضوع والطريق، وإن التقيا في بيان صلة العبادة بالليل والنهار. وبذلك تحفظ المقابلة لكل دليل موضعه، وتبقى أحكام الأوقات والقضاء في بحثها الفقهي المتخصص.

## ١٠. قيام الليل وترتيل القراءة

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: ١].

قال تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ٢].

قال تعالى: ﴿نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ٣].

قال تعالى: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦].

قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: ٧].

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨].

يجمع مطلع المزمل بين تقدير جزء من الليل وترتيل القرآن وذكر ثقل القول، ثم يقابل ذلك بما في النهار من سبح طويل. فالزمن هنا إطار لفعل مخصوص: قيام وقراءة وذكر وتبتل. ولا يكفي وصف الليل بأنه سكن للقول إن كل عمل فيه مخالف لمقصده، فالنص نفسه يعرض لليل وجوهًا من الراحة والعبادة بحسب السياق.

وترد الأنصاف والزيادة والنقصان بوصفها نسبًا إلى الليل، فلا تحول في الشرح إلى ساعة ثابتة لجميع الأمكنة والفصول. كما لا يستخرج من هذه القراءة وحدها حكم عام على جميع المخاطبين أو جميع مراحل التشريع. المقصود هنا بيان كيف ينتظم الوقت في خطاب العبادة، مع إحالة تفصيل الأحكام إلى أدلتها.

ومن تأملي أن انتظام الأوقات لا يغني عن حضور القلب في العمل الواقع فيها. فالدقيقة المحسوبة وحدة قياس، أما الترتيل والذكر فلهما صفة وكيفية لا تختزلان في العدد. بهذا يتكامل حساب الليل والنهار مع السؤال عما يفعله الإنسان بما أتيح له منهما.

حصيلة الفصل: يفسر دوران الأرض تعاقب الإضاءة في المواضع، ويشرح ميل المحور اختلاف المدد مع الموقع والفصل. ويستثمر القرآن هذا المشهد في بيان السكن والانتفاع والشكر واستدراك العمل، من غير أن يحصر حياة جميع الكائنات في نمط يومي واحد.

إحالات الفصل: يونس ٦، ٦٧؛ النبأ ٩–١١؛ القصص ٧١–٧٣؛ الفرقان ٦٢–٦٣؛ الإسراء ٧٨؛ هود ١١٤ ؛ البقرة ٢٣٨؛ مجمع البيان [م٣٧]؛ الكافي [م٨١]؛ مراجع الأرض والفصول والشفق [ع٥، ع١٧، ع٣٨]. المزمل ١–٨ بنصوصها الكاملة؛ تصحيح خبر زرارة عند المجلسي [م١٣٠]؛ وشاهد الخلفة في تفسير القمي [م١٣١].

# الفصل ٢٢ — المشارق والمغارب والفصول

## ١. مشرق واحد ومشرقان ومشارق

قال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩].

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧].

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠].

يرد التعبير بالإفراد في آية المزمل، وبالتثنية في آية الرحمن، وبالجمع في آية المعارج، وقد أثبتنا نصوصها كاملة أعلاه [المزمل: ٩؛ الرحمن: ١٧؛ المعارج: ٤٠]. يدعو اختلاف الصيغ إلى فهم جهة النظر في كل سياق، ولا يكفي عد الألفاظ للحكم بأن الآيات تصف أعدادًا متعارضة من الأماكن.

يمكن أن ينظر التعبير إلى جهة الشروق والغروب إجمالًا، أو إلى حدين مميزين في مواضعهما، أو إلى تعدد المواضع بتغير الأيام والآفاق. وهذه طريقة في فهم اختلاف الاعتبار، وليست إذنًا بإلغاء البحث التفسيري. فالآية لا تحمل معها تلقائيًا كل صورة يمكن أن يتخيلها القارئ، بل يُرجع في تعيين المعنى إلى السياق واللسان وأقوال المفسرين.

## ٢. وجوه التثنية في مجمع البيان

يعرض الطبرسي عند الرحمن ١٧ تفسير المشرقين والمغربين بموضعي شروق الشمس وغروبها في الصيف والشتاء، ويذكر وجهًا آخر يتعلق بمشرقي الشمس والقمر ومغربيهما [م٣٦]. ويجب إبقاء الوجهين منسوبين إلى عرض التفسير، دون دمجهما في معنى واحد أو الادعاء بأن أحدهما هو قول جميع المفسرين. فاختلاف التوجيه قد يكون اختلافًا في تحديد المصداق الذي تبرز فيه القدرة والإحاطة.

ويرتبط الوجه الأول بما يستطيع الراصد ملاحظته من تغير نقطة طلوع الشمس على أفقه خلال السنة. ولا يلزم من ذكر حدين أن تبقى الشمس عندهما طوال الصيف أو الشتاء؛ المقصود في هذه القراءة إبراز طرفي نطاق التغير. أما الوجه الثاني فينظر إلى جرمين وطلوع كل منهما وغروبه. يشرح الفصل هذين الاحتمالين، ولا يختار أحدهما بوصفه حقيقة علمية تثبت بمجرد وجود ظاهرة توافقه.

## ٣. لماذا تتعاقب الفصول؟

يدور محور الأرض مائلًا بنحو ٢٣٫٤ درجة عن الاتجاه العمودي على مستوى مدارها. ومع دوران الأرض حول الشمس يبقى اتجاه المحور شبه ثابت خلال السنة، فتختلف زاوية وصول الضوء ومدة الإضاءة بين نصفي الكرة. عندما يميل النصف الشمالي نحو الشمس يكون صيفه، ويكون في الجنوبي شتاء، ثم تنعكس الحال بعد نحو نصف سنة. لذا لا يفسَّر تعاقب الفصول أساسًا بقرب الأرض من الشمس وبعدها عنها [ع٥، ع١٧].

ويظهر المعنى بمثال مألوف: يختلف الفصل في العراق وأستراليا في الوقت نفسه لاختلاف موقعهما من نصفي الكرة. أما وصف يوم معين بأنه حار أو بارد فلا يساوي تعريف الفصل؛ فالفصل إطار سنوي، والطقس حالة تتغير داخل ذلك الإطار. كما أن العرض المبسط للفصول لا يلغي أثر الموقع والتضاريس والبحر في ظروف المكان. غاية المثال فهم السبب الفلكي العام، لا الادعاء أن جميع البلاد تعيش درجات حرارة متشابهة في فصل يحمل الاسم نفسه.

## ٤. الأفق المحلي وأمانة الوصف

المشرق الذي يصفه المسافر جهة مرتبطة بموضع مشاهدته. إذا انتقل الراصد تغير أفقه، وإذا تابع الموضع نفسه على مدار السنة تغيرت مواضع طلوع الشمس فيه. ومن هنا لا تكفي عبارة «الشمس تطلع من الشرق» لتحديد نقطة واحدة ثابتة على أفق كل مدينة وفي كل يوم؛ فهي تسمية للجهة العامة، ويمكن للرصد أن يضيف إلى هذا الإجمال تفصيلًا [ع٥].

ولنقرب الفكرة دون تعقيد: لو سجل شخص من نافذته موضع الضوء صباحًا عند معلم بعيد، ثم أعاد التسجيل في أشهر مختلفة، فقد يلاحظ انتقاله. قيمة المثال في المقارنة بين المشاهدات تحت شروط معلومة، لا في افتراض أن النتيجة متماثلة في كل بلد. وينبغي التمييز بين متابعة أثر الضوء والظلال وبين النظر المباشر إلى قرص الشمس؛ فليس الأخير لازمًا لهذه الملاحظة.

## ٥. ما الذي لا تثبته صيغ المشارق؟

لا يترتب على التثنية وحدها إثبات شمسين للأرض، ولا على الجمع تعيين عدد من الأكوان الأخرى أو رسم أبواب لعوالم غيبية. فهذه إضافات تتجاوز ما يؤديه اللفظ في السياق إلى دعاوى مستقلة تحتاج إلى أدلة مستقلة.

وقد سبق في باب السماوات والأرض أن التشابه في الاسم لا يكفي لتحديد البنية والمكان، ويجري الاحتياط نفسه هنا، حتى لا تتحول الصيغ اللغوية إلى خرائط موهومة.

وفي المقابل، لا يصح رد التعبير القرآني لأن القارئ اعتاد شكلًا واحدًا لرسوم المجموعة الشمسية. فالخريطة العلمية تقدم نموذجًا من منظور محدد، واللغة البشرية تصف الجهات والطلوع والغروب من منظور الساكن على الأرض. يستطيع الإنسان أن يقول «غربت الشمس» وهو يعلم أن دوران الأرض يفسر هذا المنظر؛ لا تصبح عبارته لذلك إنكارًا للحركة الأرضية.

## ٦. المعنى الذي يجمع اختلاف الآفاق

قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٨].

﴿عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [المعارج: ٤١].

تظل الربوبية هي محور الآيات مهما تعددت وجوه التفسير: رب الجهات والأجرام والأوقات واحد، ولا ينقسم سلطانه باختلاف الأفق. ففي المزمل يتصل ذكر المشرق والمغرب بالتوكل، وفي الرحمن يأتي ضمن تعداد الآلاء، وفي المعارج يتصل بسياق القدرة على التبديل [المزمل: ٩؛ الرحمن: ١٧–١٨؛ المعارج: ٤٠–٤١]. يحفظ هذا السياق مركز المعنى، فلا يختزل التأمل كله في مسألة عدد نقاط الشروق.

## ٧. الاعتدالان والانقلابان

عند الاعتدالين يكون موضع الشمس الظاهر على خط الاستواء السماوي، وتقترب مدة النهار والليل من التساوي. أما الانقلابان فيقعان عند بلوغ الشمس أقصى ميل سنوي شمال خط الاستواء السماوي أو جنوبه. ويختلف اسم الصيف والشتاء بين نصفي الأرض؛ فانقلاب يونيو صيفي في الشمال وشتوي في الجنوب، ويعكس انقلاب ديسمبر ذلك [ع٣٩].

والتقارب في طول الليل والنهار لا يعني التساوي التام في كل مدينة يوم الاعتدال؛ فطريقة تعريف الشروق والغروب والانكسار الجوي تؤثر في المدة المحسوبة والمشاهدة. كما أن أطول نهار لا يلزم أن يكون أشد أيام السنة حرارة؛ إذ تسهم استجابة اليابسة والماء واختزان الحرارة في تأخر الذروة الحرارية في كثير من المناطق [ع٣٩]. ولهذا نفصل الظاهرة الفلكية عن استجابة الطقس والمناخ لها.

## ٠٨. رب المشرق والمغرب في حجة إبراهيم

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ترد جهة المشرق والمغرب في محاجة إبراهيم لمن حاجه في ربه؛ فبعد كلام عن الإحياء والإماتة ينتقل الاحتجاج إلى إتيان الشمس من المشرق وطلب الإتيان بها من المغرب (البقرة ٢٥٨). ونكتفي في هذا الموضع بوظيفة المثال الكوني في الحجة: فامتلاك الإنسان قدرة محدودة أو سلطانًا على الناس لا يجعله رب النظام الذي يعيش فيه. أما اسم المحاج فلا يذكر في الآية، فلا يضاف إليها على أنه من لفظ القرآن.

وتلتقي هذه الحجة مع المعنى الذي تقدم في صيغ المشارق: المشهد الذي يختلف بحسب المكان والوقت لا ينقسم إلى أرباب بعدد الآفاق. ومن تأملي أن معرفة حركة الشمس تزيد المثال وضوحًا من جهة افتقار الإنسان إلى نظام لم ينشئه، من غير أن نحول مشهد المحاجة إلى معادلة تحدد مركز كل مدار.

والراصد في العراق والراصد في أستراليا يستطيعان وصف أفقين مختلفين بصدق. لا يقتضي اختلافهما خطأ أحدهما ما داما يصرحان بالمكان والوقت. وهذا درس نافع يتجاوز الفلك: ينبغي قبل الحكم على اختلاف عبارتين أن نتحقق من وحدة المنظور والشروط التي تصفانها.

حصيلة الفصل: تتنوع صيغ المشرق والمغرب بحسب جهة الاعتبار، ويعرض التفسير وجوهًا للتثنية. ويفسر ميل المحور مع الدورة السنوية اختلاف الفصول ومواضع الشمس، مع بقاء الأفق المحلي جزءًا أساسيًا من وصف الراصد. أما تعيين عوالم أو شموس إضافية فلا يثبت من هذه الصيغ وحدها.

إحالات الفصل: البقرة ٢٥٨؛ المزمل ٩؛ الرحمن ١٧–١٨؛ المعارج ٤٠–٤١؛ مجمع البيان [م٣٦]؛ مراجع الفصول والاعتدالين والانقلابين [ع٥، ع١٧، ع٣٩].

# الفصل ٢٣ — الزمن والمواقيت والكسوف والخسوف

## ٠١. من تعاقب الظواهر إلى قياس الزمن

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

يختم هذا الباب بسؤال يجمع فصوله: كيف تتحول الأنوار والحركات إلى حساب؟ يعرف الإنسان مرور الوقت من التغير، ثم يختار ظواهر تتكرر ليقارن بها مدد أعماله. وتجمع آية يونس بين الشمس والقمر وتقدير المنازل ومعرفة عدد السنين والحساب [يونس: ٥]، كما تجعل آية الأهلة منها مواقيت للناس والحج [البقرة: ١٨٩]. بهذا يصبح انتظام السماء نافعًا في تنظيم حياة الأرض، دون أن يكون كل ما نسميه وحدة زمنية جرمًا قائمًا في الفضاء.

فاليوم والشهر والسنة ألفاظ تحتاج إلى تعريف عند الحساب: أهو زمن العودة بالنسبة إلى الشمس، أم بالنسبة إلى النجوم، أم مدة اختارها التقويم المدني؟ وقد رأينا اختلاف الشهر النجمي عن دورة الأطوار في الفصل السابع عشر [ع٣]. ليست هذه الفروق عيبًا في النظام، بل نتيجة لاختيار مراجع مختلفة للقياس. ولذلك يصرح الباحث بالوحدة والتعريف قبل المقارنة، بدل جمع أعداد تحمل أسماء متشابهة وتدل على مدد مختلفة.

## ٠٢. اليوم في سياقه القرآني

قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥].

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

تذكر آية الحج يومًا عند الله كألف سنة مما يعد الناس [الحج: ٤٧]، وتأتي في السجدة عبارة يوم مقداره ألف سنة في سياق تدبير الأمر وعروجه [السجدة: ٥]، وفي المعارج يوم مقداره خمسون ألف سنة في سياق عروج

الملائكة والروح [المعارج: ٤]. لا تُقتطع الأعداد من سياقاتها ثم تعامل على أنها تعريفات متعارضة لوحدة واحدة. البحث يبدأ بما تصفه كل آية، وبجهة التشبيه أو المقدار فيها، وبأقوال التفسير.

ولا تكفي هذه المقادير وحدها لاشتقاق معادلات النسبية أو حساب سرعة كونية. فالمعادلة الفيزيائية تحتاج إلى تعريف مضبوط للكميات وعلاقات قابلة للاختبار، ولا يحقق هذا الشرط مجرد ورود فرق كبير بين مدد. يمكن للآيات أن تربي الإنسان على التواضع أمام سعة التدبير وقصور مقياسه المعتاد، مع إبقاء الاستدلال العلمي في مجاله. وقد سبق في الفصل الثامن أن الكلام عن أيام الخلق لا يحسم بمجرد إسقاط يومنا الأرضي عليها.

### ٣. الكسوف والخسوف: ترتيب الأجرام

يحدث كسوف الشمس عندما يمر القمر بين الأرض والشمس ويقع ظله على جزء من سطح الأرض، فيحجب قرص الشمس كله أو بعضه عن الراصد بحسب موقعه. ويحدث خسوف القمر عندما تقع الأرض بين الشمس والقمر ويمر القمر في ظلها أو شبه ظلها. يرتبط الأول بطور المحاق، والثاني بطور البدر، لكن الطور وحده لا يكفي؛ فميل مستوى مدار القمر بنحو خمس درجات عن مستوى مدار الأرض حول الشمس يجعل الاصطفاف الملائم غير متحقق في معظم الدورات [ع٦، ع١٩، ع٧٥].

في الخسوف الكلي يدخل القمر كله في منطقة الظل المركزي للأرض، وفي الجزئي يدخل جزء منه، أما خسوف شبه الظل فينقص فيه الضوء بدرجة قد يصعب ملاحظتها. وقد يبدو القمر في الخسوف الكلي أحمر أو برتقاليًا لأن بعض ضوء الشمس يصل إليه عبر الغلاف الجوي للأرض؛ فتتشتت الموجات القصيرة، كالزرقاء والبنفسجية، أكثر من الموجات الأطول، فيغلب على الضوء الواصل اللون الأحمر أو البرتقالي [ع١٩]. هذه آلية ضوئية، ولا يدل اللون بمفرده على حادثة بشرية أو نذير بمصير شخص.

وللكسوف الشمسي أربعة أنواع رئيسية: كلي يحجب فيه القمر القرص الشمسي كاملًا للراصد داخل مسار الكلية؛ وجزئي لا يحجب إلا بعضه؛ وحلقي يبدو فيه القمر أصغر من القرص الشمسي فلا يغطيه كله؛ وهجين يتبدل بين الكلي والحلقي على أجزاء مختلفة من مساره بفعل هندسة الظل وتقوس سطح الأرض. ولا تعني تسمية الكسوف كليًا أن كل سكان الأرض يشاهدونه كذلك؛ فقد يراه آخرون جزئيًا أو لا يرونه أصلًا [ع٧٤، ع٧٥].

ويختلف الحجم الظاهري عن الحجم الحقيقي: تغيّر المسافة يؤثر في الزاوية التي يشغلها القمر في السماء، لا في قطره المادي. ومن هنا لا تُفهم الحلقة المضيئة في الكسوف الحلقي على أنها الإكليل الشمسي الذي يظهر حول

الشمس أثناء الكلية؛ فالحلقة جزء باقٍ من قرص الشمس الساطع، أما الإكليل فمن غلافها الجوي الخارجي [ع٧٤، ع٧٥].

سلامة الرصد جزء من المعرفة: لا تُشاهد الشمس مباشرة ما دام أي جزء من قرصها الساطع ظاهرًا إلا بوسيلة مخصصة وآمنة للرصد الشمسي؛ فالنظارات الشمسية العادية لا تحمي العين في الكسوف. ولا توجد مرحلة آمنة للنظر المباشر دون حماية في الكسوف الجزئي أو الحلقي. تُفحص نظارات الكسوف قبل الاستعمال، ويُستبعد التالف أو المخدوش، ويُشرف الكبار على استعمال الأطفال لها. أما استثناء الكلية القصيرة فيخص الراصد داخل مسارها عند احتجاب القرص الساطع كاملًا، ولا ينطبق على مجرد خفوت النهار [ع٧٦].

ولا تُستعمل نظارات الكسوف أمام العين مع النظر عبر منظار أو تلسكوب أو عدسة كاميرا؛ فهذه الأدوات تحتاج مرشحات شمسية مناسبة تثبت أمام بصرياتها، مع الرجوع إلى مختص. وللمشاهدة غير المباشرة يمكن إسقاط صورة الشمس بثقب صغير على سطح، بحيث تكون الشمس خلف الراصد ويشاهد الصورة فقط؛ ولا ينظر إلى الشمس من خلال الثقب [ع٧٦].

### ٤. خبر الكسوف عند وفاة إبراهيم ابن النبي

يروي الكليني في الكافي، كتاب الصلاة، باب صلاة الكسوف، الحديث الأول، خبرًا عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام يتناول وفاة إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله ووقوع الكسوف. ويذكر المتن أن بعض الناس ربطوا بين الحادثتين، وأن النبي بيّن أن الشمس والقمر آيتان لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ودعا إلى الصلاة عند ذلك [م١١]. يعرض الخبر تصحيحًا للعلاقة التي توهمها الناس، مع توجيههم إلى العبادة.

والطريق المعروض في المصدر هو: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عمرو بن عثمان، عن علي بن عبد الله، قال: سمعت أبا الحسن موسى [م١١]. وقوبل وصف المجلسي له بالمجهول بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ١٥، ص ٤٣٨، تحت باب صلاة الكسوف [م٩٩]. ولا تتحول شهرة القصة إلى وصف هذا الطريق بالصحيح، كما لا يتحول الحكم على طريق واحد إلى حكم شامل على كل ما روي في مضمونها.

وتتضح قيمة المضمون في رفض استغلال التزامن لإنتاج اعتقاد غير ثابت. فقد يكون الحدث الطبيعي مؤثرًا في النفوس، وتكون الوفاة مؤلمة، لكن وقوعهما معًا لا يجعل أحدهما سبب الآخر. ولا نضيف إلى الرواية تاريخًا فلكيًا دقيقًا أو تفاصيل عن موضع الراصدين لم يثبتها النقل المعروض. التوثيق الأمين يحفظ للخبر قدر ما يدل عليه، ولا يزيده زخرفة لرفع أثره في القارئ.

### ٥. خبر وفاة إبراهيم في موضعين من الكافي

وردت الرواية المطولة في باب غسل الأطفال والصبيان والصلاة عليهم، الحديث السابع، عن الإمام موسى الكاظم، وفيها خبر الكسوف ثم تتمة تتصل بتجهيز إبراهيم ودفنه [م١٧٤]. وبذلك يتضح لماذا يبدأ النص المختصر في باب الكسوف بذكر ثلاث سنن، مع أن موضوع ذلك الباب يركز على إحداها. لا نجعل حذف بقية القصة من عرض الكسوف دليلًا على أن الراوي لم يذكرها في موضع آخر.

وتظهر في الطريق المعروض بالرواية المطولة صيغة عمرو بن سعيد، حيث سبق في باب الكسوف اسم عمرو بن عثمان [م١١، م١٧٤]. وينبه هامش طبعة الكافي المعروضة في رافد إلى هذا الاختلاف، ويذكر عدم ثبوت رواية إبراهيم بن هاشم عن عمرو بن سعيد عند محققيها [م١٧٥]. وتوسعت المقابلة إلى هامش الموسوعة الرجالية، ج ٧، ص ٢٧٦، فوجد فيه ترجيح عمرو بن عثمان، بالاستناد إلى كثرة رواية إبراهيم بن هاشم عنه وعدم ثبوت روايته عن عمرو بن سعيد [م٢٤٦]. ننسب هذا الترجيح إلى مصدره، ونبقي لفظ كل موضع ظاهراً عند نقله؛ فلا يستبدل الاسم في الاقتباس بلا بيان.

تثبت المقارنة موضعًا آخر للقصة واختلافًا في اسم راوٍ، لكنها لا تثبت طريقين مستقلين من أولهما إلى آخرهما؛ فصدر النقل والراوي الأخير والإمام مشتركون في عرضَي الكافي. وقد سجلت الآن حجة رجالية لترجيح إحدى الصيغ [م٢٤٦]، مع بقاء استقصاء النسخ وتعيين منشأ الاختلاف خارج هذه المقابلة. والتمييز ضروري بين إثبات وجود قراءة في مصدر، وترجيحها على قراءة أخرى، والحكم على السند كله؛ فهذه مسائل مترابطة، لكنها ليست نتيجة واحدة.

ويظهر اختلاف آخر في الاسم التالي لعمرو: ففي تهذيب الأحكام، ج ٣، ص ١٥٤-١٥٥، الحديث ٣٢٩، ترد صيغة «علي بن أبي عبد الله»، بينما يرد في موضعَي الكافي «علي بن عبد الله» [م١١، م١٧٤، م٢٤٥]. وينبه هامش الكافي إلى ذلك، ويرجح هامش الموسوعة الرجالية صيغة الكافي [م١٧٥، م٢٤٦]. لا نحول زيادة «أبي» إلى إثبات شخص آخر بمجردها، ولا نحذفها من نص التهذيب عند وصف اختلاف النقل.

ويبدأ إسناد التهذيب هنا بمحمد بن يعقوب، ثم علي بن إبراهيم وأبيه وعمرو بن عثمان [م٢٤٥]. ولذلك لا يمثل ورود الخبر فيه بهذا الطريق سندًا مستقلًا عن الكليني من جميع جهاته؛ فهو يفيد المقابلة وتعيين اختلاف الاسم، ولا يكفي عد أسماء الكتب لإثبات تعدد مستقل للأسانيد.

وقوبل حكم المجلسي على الموضع المطول في باب غسل الأطفال والصبيان والصلاة عليهم، فورد في مرآة العقول، ج ١٤، ص ١٣٨: «الحديث السابع: مجهول» [م٢٤٤]. وهذا موضع مستقل عن حكم خبر الكسوف المختصر في ج ١٥، ص ٤٣٨ [م٩٩]، وإن اتفق وصفهما. وبذلك تصحح إحالة الثقلين التي تعرض رقم الجزء ٤ مع ص ١٣٨ [م١٧٤]. يبقى ترجيح اسم الراوي منفصلًا عن توثيقه وعن تقويم مجموع الطريق؛ فلا يرفع تصحيح الاسم وحده وصف السند الذي نقله المجلسي.

وفي المحاسن للبرقي ورد الخبر المطول عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، في الحديث ٣١، ج ٢، ص ٣١٣-٣١٤. ويشمل كسوف الشمس عند وفاة إبراهيم، ثم التجهيز والصلاة والدفن؛ فهو أقرب في امتداد قصته إلى موضع الجنائز في الكافي من الشاهد النبوي المختصر الآتي. غير أن اسم الراوي عن الإمام هنا هو الحسين بن خالد، وفي طريق الكافي علي بن عبد الله؛ وهذا اختلاف ينبغي إثباته، ولا يكفي وحده لإثبات صحة الطريق أو استقلال جميع طبقاته [م٢٤٧].

ويبدأ سند المحاسن بعبارة «عنه بهذا الإسناد، عن الحسين بن خالد». ولتحديد مرجع الاختصار تُقرأ الأحاديث السابقة ٢٨-٣٠، ولا تُنقل العبارة كأنها سند تام قائم بنفسه. وقد أورد المجلسي الخبر من المحاسن في بحار الأنوار، ج ٧٨، ص ٣٨٠، الحديث ٣٦، وصرح في نقله بأبي سمينة، عن محمد بن أسلم، عن الحسين بن خالد. يفيد هذا النقل في مقابلة طريقة بسط الإسناد المختصر، لكنه يظل نقلًا عن المحاسن، وليس شاهدًا مستقلًا ثالثًا على الواقعة [م٢٤٧، م٢٥٠].

وفي لفظ المحاسن «جرت في موته ثلاث سنن»، و«إن كسوف الشمس والقمر آيتان»، بينما ورد في الكافي «جرت فيه ثلاث سنن»، و«إن الشمس والقمر آيتان». وتُحفظ هذه الفروق عند نسبة كل نص إلى مصدره؛ فلا يُنشأ متن موحد يجمع ألفاظ النسخ ثم يُنسب بحروفه إليها جميعًا. وقد جاء نقل بحار الأنوار هنا بلفظ «إن الشمس والقمر آيتان»، ولذلك لا يحل لفظ الجامع المتأخر محل قراءة المحاسن في هذه المقابلة [م١٧٤، م٢٤٧، م٢٥٠].

أما من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٥٤٠، الحديث ١٥٠٧، فيورد: «وقد قال النبي صلى الله عليه وآله»، ثم القول في الشمس والقمر، ومن ألفاظه «يجريان بتقديره وينتهيان إلى أمره»، و«فإذا انكسف أحدهما فبادروا إلى مساجدكم». وهذا النقل مرسل في هذا الموضع، ولا يذكر وفاة إبراهيم أو تمتة التجهيز والدفن؛ فهو شاهد للقول

النبوي في نفي ارتباط الكسوف بموت أحد أو حياته، ولا يُنسب إليه جميع سياق القصة المطولة. وعدم ذكر التفاصيل في هذا الموضع لا يثبت تعارضًا معها، كما لا يثبت بذاته اتحاد طريق النقل [م٢٤٨].

ويجب فصل الحديث ١٥٠٧ عن الكلام السابق له، الذي افتتحه الصدوق بعبارة «قال مصنف هذا الكتاب»؛ فذلك تعقيب المصنف بعد الخبر ١٥٠٦، وليس من ألفاظ القول النبوي التالي. وفي أسفل الصفحة شرح آخر منقول عن الوافي، في الهامش الأول، يتعلق بالخبر السابق؛ فلا يُلحق هو أيضًا بالحديث ١٥٠٧. أما الهامش الثاني فيحيل هذا الحديث إلى الكافي، ج ٣، ص ٤٦٣، وينبه إلى اختلاف يسير في اللفظ؛ وهذه إحالة للمقابلة، لا إسناد مذكور في متن الفقيه [م٢٤٨].

ومن جهة الرجال، نص النجاشي في ترجمة أبي سمينة، محمد بن علي، رقم ٨٩٤ في الطبعة المقابلة، على أنه «ضعيف جدًا، فاسد الاعتقاد، لا يعتمد في شيء». فهذا جرح منسوب إلى النجاشي، يمنع تقديم الطريق المشتمل عليه على أنه صحيح لمجرد اختلافه عن طريق الكافي، وفق هذا الحكم [م٢٤٩]. أما ترجمة محمد بن أسلم الطبري الجبلي، رقم ٩٩٩، فجاءت بعبارة «يقال إنه كان غاليًا، فاسد الحديث»؛ وتُحفظ صيغة «يقال» لأنها جزء من طريقة عرض النجاشي للقول، ولا تُحذف لتحويله إلى حكم مباشر بالصيغة نفسها التي استعملها في أبي سمينة [م٢٥١].

وفي استكمال النظر في محمد بن أسلم، ناقش المحدث النوري عبارة النجاشي في خاتمة المستدرك، ج ٥، ص ١٥٨ -١٦٠. واستند إلى رواية جماعة من الأجلاء عنه، ورأى أن القول المنقول بصيغة «يقال» لا يعارض هذه القرينة؛ لعدم ثبوت قائله ومعنى الغلو المراد منه عنده، واستشهد بمضمون رواية عدّه منافيًا للغلو. هذه مناقشة للنوري بمبانيه، لا توثيق صريح من النجاشي ولا اتفاق بين الرجاليين [م٢٥٢].

ويُفصل في هذا الموضع بين ثلاثة أحكام: وصف النوري للسند الثاني من طريقي الصدوق إلى محمد بن أسلم بالصحة، ومناقشته حال محمد بن أسلم نفسه؛ ووصفه خبرًا آخر في الزيارة بأنه حسن كالصحيح. فلا يُنقل الحكم على الطريق إلى الراوي، ولا وصف خبر الزيارة إلى خبر الكسوف؛ إذ لكل منهما متنه وسنده [م٢٥٢].

وفي مقابل هذا الاتجاه، يذكر السيد كاظم الحسيني الحائري، في كتاب البيع، ص ٥٦٠، الهامش الأول، أن وقوع محمد بن أسلم في أسانيد كامل الزيارات لا يكفي عنده لإثبات وثاقته. جاء كلامه عند مناقشة رواية في الأسعار، واستُحضر هنا لمعرفة موقفه من الراوي، لا بوصفه حكمًا مباشرًا على حديث الكسوف. وبذلك لا يصح

عرض حال محمد بن أسلم على أنها موضع اتفاق، كما لا يكفي الاحتجاج بمجرد وروده في كتاب معين دون بيان مبنى التوثيق [م٢٥٣].

وأما الحسين بن خالد، فيميز محمد الجواهري في المفيد من معجم رجال الحديث، ص ١٦٧، بين الخفّاف، وهو الحسين بن أبي العلاء، وبين الصيرفي الذي لم تثبت وثاقته بحسب العرض في هذا المصدر. ويورد ترجيح حمل الاسم المطلق على الخفّاف اعتمادًا على قرائن كتبه وكثرة رواية الأجلاء عنه، مع التنبيه إلى موارد يعيّن فيها النقل الموازي الصيرفي. فهذا ترجيح رجالي مرتبط بقرائن الأسانيد، وليس إذنًا بإضافة لقب الخفّاف إلى كل متن خلا منه [م٢٥٤].

وفي خبر المحاسن المقابل بقي الاسم «الحسين بن خالد» بلا لقب. لذلك نحفظه كما ورد، ونسجل احتمال التعيين وترجيحه منسوبًا إلى مصدره، دون الادعاء بأن هذه الجولة أثبتت اللقب في سند هذا الخبر بعينه. ثم إن ترجيح الخفّاف، لو اعتُمد، لا يعالج بمفرده حال أبي سمينة وبقية الطريق؛ فتعريف راوٍ أو توثيقه لا يساوي تصحيح جميع السند [م٢٤٧، م٢٤٩، م٢٥٤].

وبالرجوع إلى نص معجم رجال الحديث نفسه، في ترجمة الحسين بن خالد رقم ٣٣٨٨ وتتمتها، ثبت أن الخوئي يرجح حمل الاسم في الروايات على الخفّاف، ويستثني موردين عن سيف عُرف فيهما الصيرفي بالنقل الموازي. كما يذكر محمد بن أسلم الجبلي ضمن الرواة عن الحسين بن خالد بعنوانه المطلق. إثبات هذه الصلة يفيد في تتبع الطبقة، لكنه ليس تصريحًا بلقب الراوي في حديث وفاة إبراهيم؛ فالترجيح العام غير القرينة الخاصة على هذا الخبر [م٢٥٥].

وفي المقابل، جاء في هامش الطبعة المحققة من تنقيح المقال، ج ٢٢، ص ٤٣، ترجيح حمل الاسم غير المقيد على الصيرفي؛ لأن الخفّاف يُعرف باسم الحسين بن أبي العلاء. وهذه المناقشة مثبتة في هامش الطبعة، فلا تُدمج في متن المامقاني أو تُنسب إليه دون تمييز. والمقارنة تكشف اختلافًا في قرينة الشهرة بالاسم، لا اختلافًا في حروف سند المحاسن المقابل [م٢٥٦].

وأما المصدر الأقدم، فقد ترجم النجاشي للحسين بن أبي العلاء الخفّاف، رقم ١١٧، وذكر أخويه عليًا وعبد الحميد وروايتهم عن أبي عبد الله عليه السلام، وقال: «وكان الحسين أوجههم»، ثم ذكر كتبه وطريقه إليها. فنحفظ عبارة النجاشي كما هي، ولا نستبدل بها داخل الاقتباس لفظ «ثقة»؛ فالبحث في دلالة الأوجهية على التوثيق بحث استدلالي زائد على نص الترجمة [م٢٥٧].

وفي رجال الطوسي، تحقيق جواد القيومي، ص ٣٥٥، ورد المدخل ٥٢٦٢ باسم الحسين بن خالد الصيرفي دون وصف بالوثاقة في هذا المدخل. فلا تُنقل إليه كلمة «ثقة» الواردة في ترجمة قبله، ولا عبارة «ثقة صحيح» في ترجمة الحسين بن بشار بعده. وهذا ضبط لحدود التراجم المتجاورة، وليس استنتاجًا بأن مجرد سكوت الطوسي عن التوثيق يثبت الضعف [م٢٥٨].

وحاصل هذه المقابلة أن طرق الخبر وألفاظه لا تُسوّى بعضها ببعض، وأن تعيين الحسين بن خالد في طريق المحاسن لم يثبت في هذه الجولة بقرينة خاصة قاطعة. وقوبل ترجيح الخوئي من أصل معجمه، وسجل الترجيح المخالف في هامش تنقيح المقال، مع الرجوع إلى نصي النجاشي والطوسي. لذلك يبقى اسم الراوي في النقل كما ورد دون لقب مضاف، وتبقى الأحكام الرجالية منسوبة إلى أصحابها؛ ولا يتوقف نفي تصحيح السند إجمالًا على حسم هذا الاسم وحده، لوجود البحث السابق في أبي سمينة ومحمد بن أسلم.

وتُذكر تتمة التجهيز والدفن هنا لتحديد حدود المتن فحسب. أما مسائل صلاة الجنازة وأحكام الأطفال فليست موضوع هذا الفصل، ولا نستخرج لها أحكامًا عملية من هذا العرض المختصر. ما يخدم بحث الكون هو حفظ سياق خبر الكسوف ومنع نسبة ما لم تكتمل مقابلته إلى مصدر أو طريق معين.

### ٦. إمكان الحساب ومعنى الصلاة

قد يسأل القارئ: إذا أمكن توقع الكسوف، فما معنى التوجه إلى العبادة عنده؟ لا يشترط التذكر أن يكون الحدث مجهول الموعد؛ فطلوع النهار معلوم التكرر ومع ذلك يبقى آية. الحساب يخبر عن شروط المشهد وتوقيته، والعبادة تتعلق بموقف الإنسان أمام الخلق والخالق. لذلك لا يلزم من تفسير السبب أن تزول الدلالة الإيمانية، ولا من إثبات الدلالة أن نرفض معرفة السبب.

وأما أحكام صلاة الآيات من حيث الوجوب والوقت والكيفية والقضاء فترجع إلى أدلتها الفقهية وفتوى المرجع الذي يتبعه المكلف. يقتصر هذا الموضع على عرض الخبر ومعناه في باب العلاقة بين الظواهر والمعرفة؛ فلا يستبدل الفصل العلمي أو التفسيري بكتاب فقه. كما لا يضع جداول لمواعيد كسوف قادم، لأن ذلك يحتاج إلى تعيين التاريخ والمكان ومصدر حساب محدث.

### ٧. خبر زرارة ومحمد بن مسلم: الانجلاء وسياق العبادة

يرد الحديث الثاني من باب صلاة الكسوف بسؤال زرارة ومحمد بن مسلم للإمام الباقر عن عدد الصلاة وكيفيتها. وله مساران في صدر السند: علي عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان، ثم يجتمعان في حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة ومحمد بن مسلم [م١٧٣]. وهذا غير طريق خبر وفاة إبراهيم المتقدم؛ فلا يكتسب أحدهما حكم الآخر لمجرد اجتماعهما تحت عنوان الكسوف.

ويذكر المتن حال الفراغ من الصلاة قبل الانجلاء، وحال وقوع الانجلاء قبل إتمامها، ويتضمن مراعاة المأمومين عند إطالة القراءة [م١٧٣]. فزوال الظاهرة حاضر في السؤال التعبدي بوصفه حدثًا يلاحظ؛ ولا يقدم النص في هذا الموضع حسابًا لمسار الظل أو تعليلًا فلكيًا لمدة الكسوف.

وصف المجلسي الحديث الثاني بأنه «حسن كالصحيح»، وقد قوبل هذا الحكم مباشرة بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ١٥، ص ٤٣٩، مع مطابقة صدر الطريق وموضع الخبر [م٢٤١]. كان الحكم في المتابعة السابقة منقولًا بواسطة الثقلين [م١٧٣]، ثم استُكملت مقابلة أصله في هذه المراجعة. ولا نخلط هذه الدرجة بوصف الحديث الأول بالمجهول؛ فهي حكم منسوب إلى المجلسي على هذا الموضع، ولا تعني إنجاز دراسة رجالية مستقلة لجميع طرقه.

وتفيد إضافة هذا الخبر في إظهار تنوع مادة الباب: خبر يروي تصحيح تصور الناس عند وفاة، وآخر يبين صلة الصلاة بالظاهرة ومراحل انجلائها. يبقى الحساب الفلكي بحثًا في الأسباب والأزمنة، ويبقى فهم التفاصيل التعبدية متعلقًا بجمع أدلتها؛ وعرض أحد الجانبين لا يغني عن تحقيق الآخر.

### ٨. انتظام يمكن تعلمه وغيب لا يُدّعى

يصل هذا الباب إلى تمييز جامع: يمكن تعلم حركة العلامات وحساب دوراتها، ولا يخول ذلك صاحبه ادعاء علم المصائر. الشمس والقمر والنجوم والشهب موضوعات متاحة للرصد من وجوه، وآيات للتفكر في خطاب الوحي، لكن الانتقال من أي منهما إلى دعوى غيبية معينة يحتاج إلى حجة. ومن يحسن السؤال عن الدليل يحفظ العلم من الوهم، ويحفظ النص من تحميله ما لم يقله.

## ٩. من دورة السماء إلى تعريف الثانية

تعرف الثانية في النظام الدولي للوحدات بتثبيت قيمة تردد الانتقال فائق الدقة بين مستويي الحالة القاعية غير المضطربة لذرة السيزيوم ١٣٣ عند ٩٬١٩٢٬٦٣١٬٧٧٠ هرتز [ع٤٠]. وفي العرض المبسط يعني ذلك اختيار ظاهرة ذرية مرجعية يمكن بها تحقيق وحدة الزمن بدقة، بدل جعل كل قياس قصير تابعًا مباشرة لمشاهدة حركة الشمس.

ليس تغير أداة القياس تغيرًا في موضوع المسؤولية الإنسانية؛ فما زلنا نقيس المدد التي تقع فيها أفعالنا. لكنه يبين الفرق بين الظاهرة التي نختارها مرجعًا وبين الأحداث التي نقيس زمنها بالرجوع إلى ذلك المرجع. ويمنح توحيد المرجع الباحثين وسيلة لمقارنة نتائجهم، بينما تبقى تسمية الأيام وترتيب الشهور مسائل أخرى تتصل بالتقويم.

## ١٠. السنة القمرية ومثال الحساب التقريبي

باستخدام متوسط دورة الأطوار المقرب إلى ٢٩٫٥ يومًا [ع٣]، تعطي اثنتا عشرة دورة نحو ٣٥٤ يومًا: ١٢ × ٢٩٫٥ = ٣٥٤. هذا حساب تعليمي تقريبي، وليس جدولًا لبدايات الأشهر أو حكمًا على رؤية الأهلة. ولأن المدة أقل من السنة الشمسية، تنتقل الشهور القمرية عبر الفصول بدل أن تبقى مرتبطة بفصل واحد.

ويكشف المثال خطأ شائعًا في التعامل مع العدد: متوسط الشهر ليس عدد أيام كل شهر تقويمي منفرد. كما أن تقريب المدخلات يحد دقة الناتج؛ فلا يصح أن نبدأ بعدد مقرب ثم نكتب النتيجة بدقائق وثوان توحي بدقة لم تكن موجودة. ومن هنا يكون بيان طريقة الحساب جزءًا من أمانة المعلومة.

## ١١. معنى التوقع وحدود المعرفة بالتفاصيل

يختلف توقع الكسوف عن تعيين ما سيقع لشخص أثناءه في نوع المعطيات وطريقة الاستدلال. الأول يتصل بهندسة أجرام وحركة يمكن حسابها، أما الثاني فيضيف علاقة بين الظاهرة ومصير الإنسان تحتاج إلى دليل مختلف. وهذا هو موضع الاستفادة من خبر وفاة إبراهيم المتقدم، مع إبقاء حال طريقه كما نقلت [م١١].

ولا يكتمل وصف كسوف بذكر ساعة واحدة وحدها؛ إذ ينبغي بيان المكان، والمرحلة المقصودة من الحدث، ومرجع التوقيت. فقد يقصد الكاتب بداية الكسوف أو أقصاه أو نهايته. هذا تنبيه إلى قراءة البيانات، لا جدول لأحداث مستقبلية. ويعود الباب بذلك إلى غايته الجامعة: أن يحسن الإنسان استعمال ما يمكن حسابه، وأن يعرف حدود ما يثبته حسابه، وأن يرى في انتظام الخلق مجالًا للعلم والشكر والعمل.

## ١٢. لماذا لا يحدث الكسوف والخسوف كل شهر؟

توضح ناسا أن مستوى مدار القمر مائل عن مستوى مدار الأرض حول الشمس بنحو خمس درجات؛ ولذلك يمر القمر في أكثر الدورات أعلى موضع الاصطفاف اللازم للكسوف أو أدناه بالنسبة إلى هذا المستوى [ع٦، ع٧٥]. يكفي طور المحاق لبيان ترتيب عام يكون فيه القمر من جهة الشمس، لكنه لا يكفي ليقع ظله على الأرض. وكذلك لا يكفي اكتمال البدر ليدخل القمر في ظل الأرض.

يمكن تقريب الفرق بورقة تمثل مستوى مدار الأرض وحلقة مائلة تمثل مدار القمر. إن النظر إلى النموذج من أعلى وحده قد يوهم أن الأجرام مصطفة، بينما يظهر من الجانب أن أحدها خارج المستوى اللازم. هذا نموذج تعليمي أقترحه لتوضيح دور البعد الثالث، ولا يقصد تمثيل أحجام الأجرام أو المسافات بينها على مقياس واحد.

ومن هنا يختلف السؤال عن الطور عن السؤال عن وقوع الخسوف، ويختلف كلاهما عن سؤال رؤيته من مكان معين. معرفة الطور لا تسقط شرط الاصطفاف، ومعرفة وقوع الحدث لا تغني عن معرفة موضع الراصد ووقته. تحمي هذه الخطوات المتتابعة القارئ من الاستنتاج بأن غياب خسوف عند بدر معين خلل في انتظام الحركة.

ولا ينبغي مساواة إمكان الرؤية هندسيًا بنجاح المشاهدة فعليًا. ففي الخسوف يلزم وجود القمر فوق أفق الراصد في المرحلة المطلوبة، وقد تحجب السحب المشهد، بينما يحدد مسار ظل القمر في الكسوف الشمسي المناطق التي ترى الكلية أو الجزئية. لذلك يُقرأ وصف الحدث مع مكان الرصد ومرحلته، ولا تُعمم صورة التقطت في موقع واحد على جميع المواقع [ع١٩، ع٧٤–ع٧٥].

## ١٣. عدد الشهور والوفاء بمعنى التقويم

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٧].

تذكر آية التوبة عدد الشهور والأشهر الحرم، ثم تأتي الآية التالية في النسيء وتبديل التحليل والتحريم مع مواطأة العدد. يقرأ هذا المقطع كاملًا حتى لا يصبح عدد الشهور عبارة حسابية معزولة عن الأمانة التي يطلبها السياق. فحفظ العدد الظاهر لا يستوفي وحده معنى الالتزام إذا بدل الإنسان ما تعلق به من حرمة.

ولا نشتق من هذا العدد وحده طول السنة بالأيام؛ لذلك سبق أن صرح المثال الحسابي بمتوسط الدورة القمرية الذي استعمله وبحدود تقريبه. فالعدد اثنا عشر يجيب عن سؤال عدد الشهور، بينما يحتاج جمع مددها إلى معرفة المدد نفسها. وعند الانتقال إلى شهر تقويمي محدد تلزم أيضًا قواعد التقويم الذي نتحدث عنه.

وتبقى كيفية النسيء التاريخية وتفاصيل أحكام الأشهر الحرم موضوعين يحتاجان إلى جمع النصوص والتفسير والفقه؛ لا يقدم هذا الفصل إعادة بناء كاملة لتقويم العرب قبل الإسلام. ما يقرره هنا هو اتصال الحساب بالمسؤولية: لا يكفي أن يبدو الجدول منظمًا إذا استعملت طريقة تسميته لتبديل المعنى الذي يفترض أن يحفظه.

وبذلك يجتمع في ختام الباب قياسان لا ينبغي الخلط بينهما: قياس الحركة لتحديد المدد، ومراجعة العمل لمعرفة الوفاء بما يقتضيه الوقت. الأول يحتاج إلى تعريفات ومشاهدات وحساب، والثاني يقرأ في خطاب التكليف والأمانة. انتظام السماء يتيح للإنسان أن يحسب، لكنه لا يعفيه من حسن استعمال ما حسبه.

حصيلة الفصل: تنشأ المواقيت من انتظام ظواهر وتعريفات للقياس، وتفسر هندسة الشمس والأرض والقمر الكسوف والخسوف. ويُعرض خبر وفاة إبراهيم مع طريقه والحكم المنقول عليه، مع الفصل بين التفسير الطبيعي والمعنى التعبدي والتفاصيل الفقهية. وبذلك ينتهي الباب الثالث، وتنتقل الحكاية إلى الأرض بوصفها موطن الحياة ومسرح مسؤولية الإنسان.

إحالات الفصل: يونس ٥؛ البقرة ١٨٩؛ الحج ٤٧؛ السجدة ٥؛ المعارج ٤؛ الكافي، خبر الكسوف [م١١]؛ مراجع الأطوار والكسوف والخسوف وتعريف الثانية [ع٣، ع٦، ع١٩، ع٤٠]. التوبة ٣٦–٣٧ بنصيهما الكاملين؛ ميل مدار القمر وشرط الاصطفاف [ع٦]. وخبر زرارة ومحمد بن مسلم [م١٧٣]، وحكم المجلسي المقابل مباشرة في مرآة العقول [م٢٤١]. مقابلة موضع الجنائز واختلاف اسمَي الراويين: الكافي [م١٧٤–م١٧٥]؛ مرآة العقول [م٢٤٤]؛ تهذيب الأحكام [م٢٤٥]؛ الموسوعة الرجالية [م٢٤٦]. ومقابلة المحاسن والفقيه واختصار الإسناد: [م٢٤٧–م٢٤٨، م٢٥٠]؛ عبارتا النجاشي في أبي سمينة ومحمد بن أسلم [م٢٤٩، م٢٥١]. ومناقشة حال محمد بن أسلم وتعيين الحسين بن خالد [م٢٥٢–م٢٥٤]. ومقابلة أصل المعجم وهامش

تنقيح المقال ونصي النجاشي والطوسي [م٢٥٥-م٢٥٨]. ومراجعة أنواع الكسوف وهندسة الرؤية وسلامة الرصد [ع٧٤-ع٧٦].

# الباب الرابع — الأرض — موطن الحياة ومسرح الإنسان

الماء والهواء والصخر والتربة: قراءة النعمة في أرض تتغير.

## الفصل ٢٤ — الأرض فراشًا ومهادًا وقرارًا

### ٠١. الأرض التي نختبرها والأرض التي نقيسها

قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ [النبأ: ٦].

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

أول ما يعرفه الإنسان من الأرض ليس خريطة للكوكب، بل موضع قدم ومكان نوم وطريق إلى الماء والطعام. ومن هذه الخبرة القريبة نفهم قوة الأوصاف القرآنية: الفراش في البقرة ٢٢، والمهاد في النبأ ٦، والقرار في غافر ٦٤. إنها ألفاظ تضع قابلية السكن والانتفاع في مقدمة النظر، وتربط الموطن بما يلزم الإنسان تجاه خالقه.

ولا نستخرج من هذه الأوصاف وحدها نموذجًا هندسيًا كاملًا لشكل الأرض. وصف مكان بأنه ممهد للمشي لا يحدد شكل الكوكب كله؛ فالمقياس المحلي الذي نختبره يختلف عن المقياس الذي ترسمه القياسات والصور المدارية. كروية الأرض التقريبية ودورانها لا يتوقفان على محاولة تحميل لفظ الفراش وظيفة مقرر في الفلك [ع١٧].

والتعبير العلمي الأدق أن الأرض قريبة من الكرة، مع تفلطح بسيط عند القطبين وانتفاخ عند خط الاستواء يرتبط بدورانها، فضلًا عن تضاريس سطحها. لذلك لا تعني كلمة «كروية» في العرض العام أنها كرة هندسية مثالية، ولا يعني وصفها بالإهليلج أن لها شكل بيضة ذات طرفين مختلفين على الصورة الشائعة في بعض الرسوم [ع٧٧].

ويستخدم علم قياس الأرض نموذج «الجيويد» لتمثيل مستوى متوسط سطح البحر عالمياً مع مراعاة مجال الجاذبية وامتداده تحت القارات، وهو سطح مرجعي لقياس الارتفاع، لا صورة فوتوغرافية لسطح اليابسة. وتوضح الجهة العلمية أن بعض نماذجه التعليمية تضخم التفاوتات لإظهارها. لهذا لا يصح تداول صورة الجيويد المكبرة رأسياً وكأنها تبين شكل الأرض الحقيقي بالمقياس نفسه في جميع الاتجاهات [ع٧٧].

والخطأ المقابل أن نعد الأوصاف بلا مضمون لأنها ليست مصطلحات هندسية. فالسؤال عن صلاحية الموطن، وصلته بالحياة والعمل، سؤال حقيقي يمس وجودنا. يستطيع الوصف أن يلفت إلى علاقة مهمة من دون أن يستنفد جميع خصائص الموصوف.

## ٢. شبكة النعم في الآية

تجمع البقرة ٢٢ الأرض والسماء والماء والثمرات، ثم تربط ذلك بالنهي عن جعل الأنداد لله. لا يأتي وصف الفراش منعزلًا، إنه جزء من عرض تتصل فيه إقامة الإنسان برزقه. ومن هنا لا نحصر الفصل في مناقشة شكل الأرض وننسى المقصد الذي انتظمت فيه الأوصاف.

قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: ٥٣].

وفي طه ٥٣ يتصل المهد بالسبل والماء وخروج أزواج من النبات. طريق يسلكه الإنسان، وماء يصل إلى الزرع، وأرض تقبل الإنبات: تتجمع هذه العناصر في خبرة العيش، وإن درست العلوم كل عنصر بأدوات مختلفة. الجمع القرآني يعيد إلى المشهد وحدته من جهة النعمة، من دون أن يلغي الحاجة إلى البحث التفصيلي.

أما القرار في غافر ٦٤ فيرد مع البناء والتصوير والرزق من الطيبات. ويمكن للقارئ أن يتأمل في اجتماع المكان والجسد والغذاء، فلا تكفي أرض واسعة إذا غابت شروط العيش، ولا يكفي مورد منفرد لتفسير جميع حاجات الإنسان.

## ٣. القرار لا يعني انعدام التغير

ينشأ إحساسنا بسكون الأرض من ملاحظة قصيرة ضمن مجال محدود. الأرض التي تحمل البيت ليست خارج الحركة الكوكبية أو التغير الجيولوجي. لذلك لا يلزم من وصفها بالقرار نفي دورانها، ولا الوعد بأن كل موضع فيها آمن من كل خطر.

ومن المهم التمييز بين دوران الأرض حول محورها وحركتها في مدارها حول الشمس [ع١٧]. ولقياس الدوران أكثر من مرجع: فاليوم النجمي يقارب ٢٣ ساعة و٥٦ دقيقة و٤ ثوانٍ، بينما يرتبط اليوم الشمسي بعودة الشمس إلى خط زوال الراصد. ويشارك انتقال الأرض في مدارها في هذا الفرق؛ فلا ينبغي أن نضع الرقمين جنبًا إلى جنب ثم نعد اختلافهما تناقضًا [ع٧٨-ع٧٩].

كما أن المدة بين عبورين متتاليين للشمس الحقيقية لا تساوي دائمًا ٢٤ ساعة بالضبط؛ إذ تتغير قليلًا خلال السنة، ويعالج مفهوم الزمن الشمسي المتوسط هذا التفاوت. وهذه فروق في تعريف القياس، لا تغيير في مدلول السكن والانتفاع المقصود في سياق الفصل. أما إثبات الدوران فلا يعتمد على إحساس الشخص بالحركة وحده؛ فالمرصد البحري الأمريكي يشرح استعمال الرصد الراديوي للكوازارات البعيدة في تحديد دوران الأرض [ع٧٩].

نعمة السكن تعني إمكان قيام حياة وعمل ضمن شروط، وليست إلغاءً للحدود. ويفهم الإنسان هذا الفرق حتى في لغته اليومية؛ فهو يصف بيتًا بأنه مأوى مع علمه بحاجته إلى صيانة. المثال يقرب الفرق بين الوظيفة والضمان المطلق، ولا يفسر بنفسه جميع جوانب الآية.

وتظهر قيمة المعرفة حين تساعدنا على فهم الموضع الذي نسكنه: ما موارد مائه؟ وما خصائص تربته؟ وما الذي تغير فيه بفعل البناء والاستعمال؟ هذه أسئلة تكمّل العناية بالمأوى؛ ولا ينبغي أن تُطرح بعد الضرر فقط.

### ٤. المشي والرزق والنشور

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

تجمع الملك ١٥ بين جعل الأرض ذلولًا، والمشي في مناكبها، والأكل من الرزق، والنشور إلى الله. لا يقف الإنسان في هذا المشهد متفرجًا؛ إنه يتحرك ويطلب ويعمل، ثم يتذكر أن الانتفاع لا يعفيه من الحساب.

ويمكن استخلاص معنى أخلاقي من هذا الاجتماع: لا ينبغي أن يصير السعي إلى الرزق ذريعة إلى إفساد مورد الآخرين، أو أن يتحول الشعور بالتمكن إلى إنكار محدودية القدرة. هذا استنتاج أستخلصه من سياق المسؤولية، لا قائمة أحكام تفصيلية تستغني عن بحث الفقه والخبرة.

ويفيد التذكير بالنشور في منع تصور الأرض ملكًا نهائيًا بلا تبعات. فما نتركه بعدنا، من عمران أو تلوث أو حرمان، يدخل في أثر العمل، وإن لم نعد حاضرين لنشهد نتائجه.

### ٥. صيانة الموطن

يبدأ شكر الموطن من العناية بما يجعل العيش ممكنًا: الماء والتربة والهواء وحقوق الناس في الانتفاع الآمن. ولا يكفي أن يصف الإنسان جمال الأرض إذا كان سلوكه يفسد أسباب الحياة فيها.

وسنتناول عناصر هذا الموطن تباعًا؛ فالجبال والبحار والأنهار والرياح ليست زينة خارج حياة الإنسان. كل فصل يضيف جانبًا من المعرفة، حتى تتضح العلاقة بين النظر في الكون وحسن الإقامة على الأرض.

### ٦. ما تحت السطح الذي نألفه

نضع أقدامنا على أرض تبدو ساكنة، ثم نفتح كتاب الجيولوجيا فنجد وصفًا لحركة بطيئة تمتد أزمنتها أبعد من أعمارنا. ولا يلزم من اختلاف المقياس الزمني أن تكون إحدى الصورتين وهمًا؛ فالبيت ثابت بالنسبة إلى حركة ساكنه اليومية، بينما الصفيحة التي يحمله جزء منها تتحرك في سياق أوسع. إن إدخال الزمن في النظر يخفف الالتباس بين استقرار الموطن وتاريخ تكوّنه.

وتوضح هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية أن الصفائح تستند إلى نطاق من الوشاح العلوي يتشوه ويتدفق ببطء على المقاييس الجيولوجية. ولا يعني ذلك أن الوشاح كله محيط من الصهارة؛ فمادته صلبة في المقاييس الزمنية القصيرة، مع وجود انصهار في مواضع مخصوصة. لذلك تحتاج صورة القارات العائمة على بحر من النار إلى تصحيح: قدرة الصخر على التشوه البطيء تختلف عن كونه سائلًا منصهراً [ع٤١].

هذا الشرح يعين على تصور البنية الفيزيائية للأرض، ولا نستخرجه من لفظ «فراشًا» وحده. وحين نقرأ آيات التهيئة نسمع خطابًا عن إمكان العيش والسعي؛ وحين نسأل عن خواص الصخور نحتاج إلى شواهد القياس ونماذج المادة. اجتماع السؤالين يوسع المعرفة ما دام لكل جواب دليله وحدوده.

### ٧. موطن يتسع للإنسان ولغيره

قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠].

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: ٣١].

﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٣٢].

﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣].

﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠].

﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ [الرحمن: ١١].

﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن: ١٢].

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣].

تجمع آيات النازعات بين إخراج الماء والمرعى وإرساء الجبال، ثم تصل ذلك بانتفاع الناس وأنعامهم [النازعات: ٣٠-٣٣]. وتذكر سورة الرحمن وضع الأرض للأنام والفاكهة والنخل والحب والريحان [الرحمن: ١٠-١٣]. يتسع المشهد بذلك لما يتجاوز جسد الإنسان المفرد؛ فحياته معقودة بغذاء الحيوان والنبات، وبمكان تنمو فيه هذه الكائنات.

وفي تفسير هذا المقطع، يشرح الطبرسي «دحاها» بالبسط، ثم يربط الماء والمرعى بمنافع الأرض للناس والأنعام [م٢٥٩]. ننسب هذا إلى مجمع البيان في موضعه، ولا نضع مكان لفظ المفسر مصطلحًا جيوديسيًا حديثًا. فشرح المفردة في سياقها، وتحديد شكل الكوكب بالقياس، عملان مختلفان في الدليل والأداة.

وبناءً على ذلك، لا يقدم هذا الفصل «دحاها» بوصفها نصًا في شكل بيضة، ولا يقدم ألفاظ الفراش والمهاد والقرار بوصفها قياسًا ينفي كروية الأرض أو دورانها. هذا احتراز منهجي ألتزمه: تُقرأ الأوصاف مع سياق الماء والمرعى والسبل والرزق، وتُعرض الحقائق الفلكية بمراجعها؛ ولا يُدّعى اتفاق جميع المفسرين على تفصيل هندسي لم تنص عليه عبارتهم.

ومن تأمل هذا السياق أمكنه أن يسأل عن معنى الانتفاع: هل ينتهي عند أخذ ما نقدر عليه اليوم، أم يتضمن إبقاء أسباب الرزق لمن يأتي بعدنا؟ هذا سؤال أخلاقي نستنبطه من مشهد النعمة، ولا ننسب إلى الآيات برنامجًا تقنيًا مفصلًا لإدارة الأرض. تتولى الخبرة تقدير آثار العمل، ويذكّر الخطاب القرآني الإنسان بأنه منتفع ومسؤول، لا مالك مستقل عن كل حساب.

وهكذا تتغير صورة الأرض في ذهن القارئ: ليست مساحة فارغة تنتظر الاستهلاك، بل موطنًا تقوم فيه علاقات بين الماء والمرعى والكائنات والعمل. ويهيئ هذا الفهم للحديث عن الجبال والأنهار بوصفها أجزاء من عالم واحد نعيش في داخله.

## ٨. عمارة الأرض: الانتفاع الذي يسأل عن أثره

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

ترد عبارة الاستعمار في الأرض في خطاب صالح لقومه، متصلة بإنشائهم من الأرض ودعوتهم إلى عبادة الله والاستغفار والتوبة. وتأتي آية الأعراف بالنهي عن الإفساد بعد الإصلاح، وبالدعاء خوفًا وطمعًا. نستحضر هذين النصين هنا لأن وصف الأرض بالفراش والمهاد يكتمل بالسؤال عما يصنعه الإنسان في الموطن المهيأ له. فالتمكن من السكن والزراعة والبناء نعمة، وطريقة استعمال هذا التمكن موضع محاسبة.

وعمارة موضع معين قد تحتاج إلى طريق أو مسكن أو قناة ماء؛ غير أن اسم العمارة وحده لا يثبت صلاح كل مشروع. يتعين النظر في حاجات الناس وفي أثر العمل على الأرض والماء وعلى من ينتفع بهما. هذا تطبيق أخلاقي أقترحه في ضوء الآيتين، وليس تفسيرًا تقنيًا تفصيليًا للفظ الاستعمار ولا حكمًا فقهيًا على مشروع بعينه. إن الانتقال من المبدأ إلى القرار يتطلب علمًا بالمكان ومشاورة من يعرفه.

ولنقرب ذلك بمثال افتراضي: قد ينجح صاحب أرض في زيادة محصوله باستعمال ماء أكثر، ثم يتبين أن المورد المشترك يتراجع أو أن جيرانه يجدون صعوبة متزايدة في الحصول عليه. عندئذ لا يكفي حساب ما خرج من الحقل وحده للحكم على نجاح التدبير. يدخل في الحساب مصدر الماء، واستمرار نفعه، ومن يتحمل أثر الاستعمال. سيبين فصل المياه الجوفية بعض الآليات التي تجعل هذا السؤال قابلًا للقياس [ع٥٧].

وهكذا يستطيع القارئ أن يقرأ الأرض على مستويين متصلين: مستوى الآية التي تذكره بالخالق وبالعمل الصالح، ومستوى المعرفة التي تكشف له نتائج عمله. فإذا عرف سبب ضرر يمكن تجنبه صار علمه جزءًا من مسؤوليته. وقد تكون صورة الشكر صيانة مورد صغير، أو إصلاح تسرب، أو حفظ حق جار؛ فالمعنى الكبير يظهر في أفعال يمكن للإنسان أن يحاسب نفسه عليها، قبل أن يطالب غيره بإصلاح العالم كله.

إحالات الفصل: البقرة ٢٢؛ طه ٥٣؛ غافر ٦٤؛ الملك ١٥؛ النبأ ٦؛ ناسا، حقائق الأرض [ع١٧]؛ النازعات ٣٠–٣٣؛ الرحمن ١٠–١٣؛ هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، الصفائح والوشاح [ع٤١]. هود ٦١ والأعراف ٥٦ بنصيهما الكاملين؛ استنزاف المياه الجوفية [ع٥٧]. شكل الأرض والجيويد، واليوم النجمي والزمن الشمسي وقياس الدوران [ع٧٧–ع٧٩]؛ مجمع البيان، تفسير النازعات ٣٠–٣٣ ضمن المقطع التفسيري [م٢٥٩].

# الفصل ٢٥ — الجبال — الرواسي والأوتاد

## ١. الرواسي والأوتاد في سياق النعمة

قال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥].

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١].

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان: ١٠].

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧].

تبدو الجبال للناظر ثابتة، بينما تتغير السحب حولها وتمضي الأنهار عند أقدامها. يذكر القرآن الرواسي في النحل ١٥ والأنبياء ٣١ ولقمان ١٠، ويصف الجبال بالأوتاد في النبأ ٧. ويتصل ذكرها في هذه المواضع بالحديث عن الأرض وتهيئتها للعيش.

يفسر الطبرسي الرواسي بالجبال العالية الثابتة، والميد بالميل والاضطراب، ويذكر في الإعراب تقدير «كراهة أن تميد بكم»، وفي بيان المعنى «لئلا تميد بكم» [م٣٨]. هذان تقديران تفسيريان للتركيب وليسا زيادة في النص القرآني. وشرح اللفظ في سياقه لا يقوم وحده مقام قياس حركة الصفائح أو تحديد تواتر الزلازل في كل سلسلة جبلية.

وينبغي أن نسأل قبل أي مطابقة: هل ننقل تفسيرًا قديمًا، أم نستنتج وظيفة فيزيائية حديثة؟ الخلط بين السؤالين قد يجعل رسمًا توضيحيًا واحدًا يبدو دليلًا على ما لم يقسه صاحبه.

## ٢. ماذا نعرف عن بناء الجبال؟

تشرح الجيولوجيا ارتباط سلاسل جبلية كثيرة بتفاعل الصفائح. فعند التقارب قد تتشوه الصخور وتزداد سماكة القشرة ويرتفع السطح، وقد يقترن الاندساس بنشاط بركاني. وفي مناطق أخرى تظهر جبال بركانية أو تضاريس تغيرت بالرفع والتعرية. لا يلائم نموذج واحد جميع الجبال [ع٧].

وتشير هيئة المسح الجيولوجي إلى اجتماع بناء الجبال والزلازل القوية في بعض مناطق حدود الصفائح [ع٧، ع٢٤ ]. لذلك لا تصح عبارة عامة تقول إن وجود الجبل يمنع الزلازل في محيطه. السؤال عن أثر بنية معينة يحتاج إلى تحديد الآلية والمكان والمقياس الزمني.

ولتمييز الظواهر، فالزلزال التكتوني ينشأ عند انزلاق مفاجئ على صدع: تستمر حركة الصفائح ببطء، وقد يمنع الاحتكاك الانزلاق عند أجزاء من حدودها فتتراكم الإجهادات، ثم تتحرر طاقة تنتشر في موجات زلزالية حين يحدث الانزلاق. لذلك لا يكفي وجود مرتفع أو جذر قشري للحكم بأن الصدوع المحيطة به لا تتحرك [ع٨٠].

وتقدم الهيمالايا مثالًا محددًا: يربط تقرير هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية بناء هذا النطاق بتقارب الهند وأوراسيا وتصادمهما، ويعرض نشاطه الزلزالي والصدوع الدسرية المرتبطة به [ع٨١]. اجتماع الجبال العالية والزلازل هنا يمنع تعميم القول إن كل جبل يحول دون كل زلزال؛ لكنه لا يبرر التعميم المعاكس بأن كل جبل سبب لكل هزة، ولا يحدد موعد زلزال قادم. هذا استنتاج يضبط المقارنة، وليس تفسيرًا منقولًا عن الطبرسي.

وهذا لا يحسم وحده جميع مسائل التفسير؛ لكنه يكفي لمنع تقديم دعوى علمية مخالفة للمشاهدة باسم الآية. فإذا أخطأ شرح بشري صححنا الشرح، ولم نخف النتائج التي لا توافقه.

### ٣. حدود صورة الوتد

الوتد صورة مألوفة لما يثبت به شيء. لكن الانتقال من الصورة إلى بنية جيولوجية بعينها يحتاج إلى قرينة. وحتى إذا وجدت مشابهة في امتداد جزء تحت السطح، فإن المشابهة الشكلية لا تثبت وحدة الوظيفة ولا توقف حركة القشرة.

ومن غير الدقيق أن نرسم الجبال مسامير تربط الصفائح في أرض جامدة. فالصفائح نفسها تدخل في تفسير نشوء كثير من السلاسل. وقد يكون الجبل نتيجة تاريخ من الحركة والتشوه، لا استثناءً من ذلك التاريخ.

ويحتاج لفظ «الاتزان» نفسه إلى ضبط: يعرّف معجم هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية الاتزان القشري، أو الأيزوستاسي، من جهة توازن القشرة أو طفوها فوق الوشاح [ع٨٣]. أما وصف الانزلاق المفاجئ على الصدع فيتناول آلية أخرى [ع٨٠]. ومن ثم لا يصح استبدال معنى الاتزان بمعنى انعدام الحركة، أو اتخاذ المصطلح وحده برهانًا على أن جذور الجبال تمنع الزلازل. هذا التفريق العلمي لا يعيّن بمفرده المراد القرآني من صورة الأوتاد.

لا ينفي هذا حق الباحث في دراسة وجوه التوافق؛ بل يطالبه بأن يصرح بما أثبته. نقول: هذه مشابهة عامة، أو هذا تفسير محتمل، أو هذه نتيجة مقاسة في موضع محدد. ولا نسوي بين العبارات الثلاث.

### ٤. الفجاج والسبل وقراءة المكان

يتصل ذكر الرواسي في الأنبياء ٣١ بالفجاج والسبل والاهتداء. فلا يقتصر المشهد على الكتلة المرتفعة؛ إنه يشمل ما يتيح المرور بينها. وهنا يعود الخطاب إلى الإنسان المسافر وإلى الأرض التي يمكنه عبورها.

قال تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

وفي النحل ١٥–١٦ يجتمع ذكر الجبال والأنهار والسبل والعلامات والنجوم. يستطيع القارئ أن يرى اتصال جغرافية الأرض بقراءة السماء في خبرة الاهتداء، من دون أن يحول الآية إلى خريطة لبلد مخصوص أو يدعي أن أسماء الأنهار المذكورة في بعض التفاسير واردة في نصها.

ومن هذا المعنى تتسع قيمة الجبل عن الصلابة وحدها: هو جزء من موطن، وعلامة في مشهد، ومجال يقرأ فيه الإنسان آثار الأرض. أما التفصيل العلمي لوظائفه في الماء والهواء والبيئات فيحتاج إلى مصادره المختصة.

### ٥. الثبات المشاهد والمصير الأخروي

تصف آيات أخرى تحولات الجبال عند القيامة. وسنبحثها في باب انقلاب المشهد، كي لا تختلط بوصف نشاط جيولوجي حاضر. اشتراك الموضعين في اسم الجبل لا يجعل الزمن والحدث واحدًا.

ويمنح هذا التمييز القراءة اتساقًا: ندرس الجبل الآن بما نرصده ونقيسه، ونتلقى ما ورد عن مصيره من الوحي، ونحفظ لكل خبر مقامه. لا نعين زلزالًا معاصرًا بوصفه تحققًا لنص أخروي لمجرد أنه وقع قرب جبل.

### ٦. الجبل يتكون ويتغير

لا تنتهي قصة الجبل عند ارتفاع صخوره. فالتجوية تفكك المادة الصخرية أو تغيرها في موضعها، والتعرية تنقل المواد بعوامل منها الماء والريح والجليد والجاذبية. وتبين مصلحة المتنزهات الوطنية الأمريكية أن الأنهار الجليدية تنحت أودية ذات قاع عريض وجوانب شديدة الانحدار، وأن الماء الجاري ينقل الفتات ويعيد تشكيل التضاريس. وهكذا يتداخل بناء المرتفعات مع نحتها عبر الزمن [ع٤٢].

ولا يتحدد شكل التضاريس بصلابة الصخر وحدها. تبين هيئة المسح الجيولوجي البريطانية أثر البنية الصخرية ومقاومة التجوية والنفاذية؛ فقد تسمح صخور منفذة بتسرب الماء فتقل حركة الماء على سطحها، فيختلف نحتها عن صخور أخرى. لذلك لا يدل ارتفاع تل أو جبل وحده على أنه مؤلف من أصلب الصخور، ولا تغني صورة شكله عن دراسة مادته وبنيته وتاريخه [ع٨٢].

والثمرة التعليمية لهذا التفريق أن الصلابة لا تعني ثبات الشكل إلى الأبد. قد ينظر المسافر إلى كتلة جبلية فيحسب أن صورتها هي صورتها منذ البداية، بينما تكشف دراسة صخورها وأوديتها عن تاريخ من الارتفاع والتفكك والنقل. لا نرى ذلك التاريخ كله في زيارة واحدة، كما لا نرى نمو الشجرة كله في وقفة قصيرة أمامها؛ وهذه مقارنة لتقريب اختلاف الأزمنة، لا مساواة بين الآليتين.

وعند وصل هذا العلم بآيات الرواسي، لا نجعل كل تفصيل جيولوجي تفسيرًا للفظ القرآني. يكفي أن نعرف أن الجبل الذي يدخل في مشهد استقرار العيش له أيضًا تاريخ مادي. وتبقى دلالة «أن تميد بكم» موضع بحث تفسيري له لغته وسياقه، ولا يحسمها تشبيه بصري منفرد أو صورة مأخوذة من كتاب مدرسي.

### ٧. ألوان الصخر وخشية العالم

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

تذكر سورة فاطر اختلاف ألوان الثمرات، ثم تنتقل إلى الجبال وطرائقها البيضاء والحمراء وشدة السواد، وتصل ذلك بتنوع الناس والدواب والأنعام [فاطر: ٢٧–٢٨]. إن تعاقب هذه المشاهد يدعو العين إلى ملاحظة الاختلاف داخل ما يبدو من بعيد صنفًا واحدًا. فاسم «الجبل» يجمع، ولكن النظر القريب يميز خطوطه وألوانه، كما يجمع اسم «الثمر» أشياء تتباين في صفاتها.

ولا تحدد الآية أسماء معادن تلك الألوان، أو التركيب الكيميائي لكل صخر؛ فتعيين ذلك من عمل الفحص. أما الانتقال إلى ذكر خشية العلماء في السياق نفسه فيفتح بابًا للتأمل في أثر المعرفة: ماذا تصنع كثرة التفاصيل بقلب من يراها؟ قد تصير المعلومات مادة للمباهاة، وقد تحمل صاحبها على التواضع أمام ما يعرف وما لم يعرف.

بهذا المعنى نقرأ تنوع الجبال درسًا في دقة النظر أيضًا. ليست كل قمة مثل جارتها، ولا كل لون دليلًا كافيًا على أصل الصخر. يبدأ التعلم بالملاحظة، وينمو بالمقارنة، ويزداد أمانة حين يفرق صاحبه بين المشهد الذي رآه والحكم الذي ما زال يحتاج إلى دليل.

### ٨. الجبل في مسار الماء والهواء

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥].

قال تعالى: ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٦].

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٧].

يجمع هذا المقطع من سورة المرسلات الأرض والأحياء والأموات والرواسي الشامخات والماء الفرات. إن اجتماع الجبل والماء في المشهد يهيئ سؤالًا عن علاقتهما في العالم الذي ندرسه، مع إبقاء دلالة النص أوسع من آلية جوية مفردة. لا تحتوي الآيات خريطة توزيع المطر، لكنها تدعو القارئ إلى رؤية النعمة في عناصر قد اعتاد أن ينظر إلى كل واحد منها منفصلًا عن الآخر.

تشرح هيئة الطقس الوطنية الرفع التضاريسي بأن الهواء يضطر إلى الصعود عندما تعترضه المرتفعات، فيبرد، وإذا بلغ التبريد حدًا مناسبًا تكاثف بخار الماء وتكون السحاب، وقد يتبعه هطول. وعلى الجانب الواقع خلف الحاجز الجبلي قد يهبط الهواء ويدفأ وتتبدد سحب، فتظهر منطقة أقل هطولًا تسمى ظل المطر [ع٥٥، ع٥٦]. يبين هذان الوصفان كيف يمكن لحاجز واحد أن يشارك في اختلاف أحوال جانبيه.

ولا يكفي وجود قمة مرتفعة للحكم بأن كل منحدراتها ممطرة بالقدر نفسه. فالمثال يفترض هواءً يحمل رطوبة وظروفًا تسمح بالصعود والتكاثف؛ ثم يأتي القياس المحلي ليبين مقدار المطر وتوزعه. ومن المفيد في قراءة خريطة أن نسأل عن اتجاه الريح وعن جهة الحاجز، بدل الاكتفاء بالنظر إلى ارتفاعه. هذا سؤال تعليمي مستمد من الآلية المشروحة، لا نتيجة تجربة أجريتُها في جبل مخصوص.

ومن هنا تتسع صورة الجبل في هذا الباب: ندرس صخوره وتاريخ ارتفاعه، وننظر إلى الأودية التي يختها الماء، ثم إلى أثر تضاريسه في الهواء. وتمنعنا هذه العلاقات من اختزال فائدته في عبارة واحدة عن تثبيت الأرض. أما العلم بمقدار إسهام سلسلة معينة في موارد إقليمها فيحتاج إلى سجلات ورصد؛ فإدراك صلة عامة بداية للبحث، وليس بديلًا عن تفاصيله.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧].

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

إحالات الفصل: النحل ١٥-١٦؛ الأنبياء ٣١؛ لقمان ١٠؛ النبأ ٧؛ الطبرسي، مجمع البيان، النحل ١٤-١٨ [م٣٨]؛ هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية [ع٧، ع٢٤]؛ فاطر ٢٧-٢٨؛ مصلحة المتنزهات الوطنية الأمريكية، جيولوجيا الجبال [ع٤٢]. المرسلات ٢٥-٢٧ كاملة؛ الرفع التضاريسي وظل المطر [ع٥٥، ع٥٦]. آلية الزلزال التكتوني ومثال الهيمالايا والتضاريس والاتزان القشري [ع٨٠-ع٨٣].

# الفصل ٢٦ — البحار والمحيطات وما بين البحرين

## ٠١. البحر رزق وطريق

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر: ١٢].

يقف الإنسان على الساحل فيرى سطحًا واسعًا، بينما يعرض القرآن علاقة أكثر تنوعًا بالبحر: طعامًا وحلية وسفنًا وطلبًا للفضل وشكرًا. يجمع النحل ١٤ هذه المنافع في مشهد واحد، وتذكر فاطر ١٢ اختلاف العذب والملح مع الانتفاع بما فيهما.

ولا يعني التسخير أن البحر فقد خطره أو صار تحت سيطرة الإنسان المطلقة. الانتفاع ممكن، لكنه يحتاج إلى معرفة ومهارة واحترام لشروط الملاحة والحياة الساحلية. ويبقى شعور الإنسان بالقوة محدودًا مهما اتسعت أدواته.

وقبل الدخول في البرزخ، ينبغي حفظ هذا المقصد؛ فالموضوع ليس لغزًا بصريًا عن خط يفصل لونين، بل جزء من النظر في الماء والحياة والعلاقة بين النعمة والسلوك.

## ٠٢. موضعا البحرين

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣].

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩].

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠].

تصرح الفرقان ٥٣ بالعذب الفرات والملح الأجاج، وتذكر البرزخ والحجر المحجور. أما الرحمن ١٩–٢٠ فتذكر البحرين والالتقاء والبرزخ وعدم البغي، ثم تتصل الآيات بالمنافع. لا يغني تشابه المفردات عن قراءة سياق كل موضع.

يعرض مجمع البيان في الفرقان معنى إرسال الماءين في مجاريهما، ويشرح الحاجز بمنع إفساد الملح للعذب، مستخدمًا أيضًا تعبير عدم الاختلاط [م٣٩]. ننقل هذا بوصفه تفسير الطبرسي في الموضع، ولا نغير عبارته خفية لتبدو مطابقة لمصطلح معاصر.

وتظهر في تفسير سورة الرحمن سعة الأقوال التي جمعها الطبرسي: فإلى جانب العذب والمالح يورد القول بحر السماء وبحر الأرض، والقول بحري فارس والروم، ويذكر وجهًا يقوم على اختلاط طرفي البحرين عند التقائهما دون اختلاط جملتهما [م٢٦٠]. عرض هذه الوجوه لا يعني تصحيحها جميعًا أو تبني تصوراتها الطبيعية، لكنه يمنع نسبة قول واحد إلى مجموع التفسير وإغفال بقيته. ولا يصير الوجه الأخير وصفًا تجريبيًا للمصبات لمجرد إمكان المقارنة بينهما.

ويورد الطبرسي أيضًا نقلًا عن سلمان الفارسي وسعيد بن جبير وسفيان الثوري في حمل البحرين على علي وفاطمة، والبرزخ على النبي، واللؤلؤ والمرجان على الحسن والحسين عليهم السلام [م٢٦٠]. نثبت وجود هذا النقل في المصدر بهذا القدر؛ فالفقرة لا تسوق أسانيده كاملة، ولم تُنجز هنا دراسة طرقه. ولا يُجعل هذا التأويل بيانًا لآلية امتزاج المياه أو بديلًا عن قراءة ظاهر السياق.

وحين نقارن، يصبح السؤال: ما مقدار العموم في هذا الشرح؟ وهل يراد به انتفاء أي امتزاج جزئي في كل موضع وزمان؟ لا يحق لي أن أجيب عن ذلك بمجرد صورة منشورة بلا بيانات.

### ٣. ما الذي يحدث في المصبات؟

توضح الإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي أن الماء العذب والمالح يمتزجان في المصبات بدرجات مختلفة. وقد يعلو الأقل كثافة الأكثر كثافة، وتظهر طبقات أو مناطق انتقال، وتتغير الصورة بحسب الجريان والمد والريح وشكل المصب. توجد مصبات شديدة التطبق وأخرى أوسع امتزاجًا [ع٨].

وفي نموذج اللسان الملحي يظهر حد واضح نسبيًا بين الكتلتين مع حدوث بعض الاختلاط عنده. كما أن موضع الحد قابل للتغير. وضوح الفصل النسبي لا يعني وجود جدار يمنع عبور كل جزيء ماء، ولا يعني أن الصورة ثابتة على الدوام.

ومن المفيد مقابلة اللسان الملحي بحالتين أخريين. ففي المصب المختلط جزئيًا يحدث الامتزاج على مختلف الأعماق مع بقاء الطبقات السفلى أشد ملوحة عادةً. وفي المصب المختلط رأسيًا تتقارب الملوحة بين السطح والقاع بفعل

الخلط، مع إمكان بقائها أعلى قرب البحر وأقل باتجاه النهر [ع٨]. لذلك يختلف تجانس الماء رأسيًا عن تجانسه على امتداد المصب، ولا يكفي وصفه بأنه «مختلط» لاستنتاج زوال كل الفروق.

هذه المعرفة تمنع إطلاق عبارة «الماءان لا يختلطان أبدًا» على كل مواضع التقاء العذب والمالح. لكنها لا تعين وحدها وجه تفسير البرزخ؛ فتصحيح المعلومة الطبيعية خطوة، وترجيح الدلالة القرآنية خطوة أخرى.

### ٤. الصورة ليست تجربة

قد تتباين ألوان الماء في لقطة لأسباب لا يوضحها المصور. ومن دون معرفة المكان والتاريخ والعمق والخصائص المقاسة لا يصح أن نجعل اللون دليلًا على الملوحة أو على غياب الامتزاج.

وللانتقال من المشاهدة إلى القياس تؤخذ قراءات الملوحة في مواقع وأعماق مختلفة، ثم توصل القيم المتساوية بخطوط على المقطع أو الخريطة. تساعد هذه الخطوط على وصف توزيع الملوحة ودوران الماء [ع٨، ع٨٤]. وهي تمثيل للقياسات، لا حواجز مادية مرئية. وتُقارن القراءات المتكررة مع مرحلة المد والجريان والطقس حتى لا تُعامل لقطة واحدة على أنها صفة دائمة للمكان.

وتُقاس عكارة الماء على نحو مستقل عن ملوحته؛ فالرواسب والطحالب والمواد العالقة تؤثر في نفاذ الضوء. لذلك لا يحل اختلاف اللون محل قياس تركيز الأملاح. وتضم مراقبة المصبات أيضًا الحرارة والعمق والأكسجين المذاب، لأن وصف الماء يحتاج إلى خصائص متعددة لا إلى مظهره وحده [ع٨٤].

وعند استخدام صورة في كتاب علمي نحتاج إلى مصدرها ووصف ما تمثله فعلًا. وإذا كانت الصورة تمثيلًا تعليميًا وجب التصريح بذلك. لا ينبغي أن يفهم القارئ أنها توثيق ميداني لظاهرة لم تُقَس.

وتبقى المقارنة القرآنية مسؤولة عن ألفاظها. يمكن اقتراح أن استمرار فروق بين بيئات مائية وجه للتأمل، لكن لا نعلنه المراد الوحيد من النص ما لم تدل عليه أدوات التفسير.

### ٥. ما وراء سطح الماء

لا تقتصر قيمة البحر على ما يأخذه الإنسان منه مباشرة. فالرزق والعمل والسفر وحياة الساحل تتصل بأحواله، ويستدعي ذلك سؤالًا عن طريقة الانتفاع. ليس من الشكر أن تُذكر نعمة الطعام ثم تُهمل آثار تلويث موطنه.

كما أن اختلاف الماءين يعلّمنا احترام الفروق التي لا تراها العين دائمًا. قد يبدو الماءان متشابهين، بينما يختلف استعمالهما وشروط الحياة فيهما. وهذه قاعدة نافعة في قراءة الطبيعة: الاسم العام لا يغني عن معرفة الخصائص.

وينتهي الفصل عند هذا الجمع بين النص والمعرفة والمسؤولية. لم نثبت جدارًا كونيًا يمنع الاختلاط، ولم نختزل البرزخ في رسم واحد. تركنا باب التفسير مفتوحًا لدليله، وصححنا مقدار ما يمكن قوله عن الامتزاج المشاهد.

### ٦. الضوء حين يغيب عن الأعماق

يختلف البحر الذي تراه العين من الشاطئ عن البحر الذي تكشفه دراسة الأعماق. وتشرح الإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي أن الضوء الشمسي النافع للرؤية والإنتاج الضوئي يتركز في الطبقات العليا، وأنه نادرًا ما يكون ذا مقدار مهم بعد عمق يقارب مئتي متر. ويمتد نطاق ضعيف الإضاءة إلى نحو ألف متر في الظروف المناسبة، ثم يغيب الضوء الشمسي. هذه حدود تقريبية تتأثر بخصائص الماء، وليست طبقات ذات فواصل صلبة [ع٤٣].

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وفي سورة النور يأتي مثل البحر اللجي بعد مثل السراب، ويتراكم في الصورة الموج والسحاب حتى يعسر على صاحبها رؤية يده [النور: ٣٩–٤٠]. والسياق يتحدث عن الأعمال وفقدان النور الهادي؛ فتظل هذه الدلالة حاضرة عندما ندرس عناصر الصورة الطبيعية.

يمكن أن تعين معرفة تناقص الإضاءة على تقدير قوة المشهد، لكن تعيين الموج المذكور بأنه نوع مخصوص من الأمواج الباطنية يحتاج إلى دليل زائد على مجرد إمكان وجود تلك الأمواج. كما أن غياب ضوء الشمس لا يعني نفي كل مصدر محتمل للضوء في البحر. المحافظة على هذه الفروق تمنح القارئ فهمًا أوسع، وتجنبه تحميل الصورة القرآنية جميع تفاصيل وصف علمي حديث.

### ٧. من اضطراب السفينة إلى امتحان النجاة

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٢٣].

تعرض سورة يونس مشهد قوم فرحوا بريح طيبة، ثم أحاط بهم الموج فدعوا الله مخلصين، ثم وقع البغي بعد النجاة [يونس: ٢٢-٢٣]. ليست نهاية الحكاية عند سكون البحر، فالسؤال الأشد يقع بعده: هل يتذكر الناجي ضعفه حين تعود إليه القدرة؟

وفي هذا الانتقال مادة للتأمل في علاقة الإنسان بالنعمة. في ساعة الخوف تضيق مساحة الادعاء، وتصير النجاة والرجوع إلى الأهل أكبر الأمنيات. فإذا زال الخطر قد يستعيد المرء عاداته كأن ما جرى لم يكشف له شيئًا عن نفسه. تعرض الآيات هذا التحول ليحاسب القارئ سلوكه، لا ليحكم على كل راكب بحر بحكم واحد.

ومن هنا لا ينفصل فصل البحار عن بقية الكتاب. لقد رأينا البحر رزقًا وطريقًا وموضعًا لاختلاط المياه، ونراه هنا مرآة لاختبار الشكر. معرفة الأعماق توسع صورة العالم، وتذكر النجاة يسأل عما يفعله الإنسان بهذه المعرفة وبالحياة التي أتيحت له من جديد.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٢١].

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢].

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ [الفرقان: ٥١].

﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٥].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٦].

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٥٧].

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨].

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۞﴾ [الفرقان: ٦٠].

### ٨. البحر المسخّر ومسؤولية المنتفع

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجاثية: ١٢].

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

تصل آيتا الجاثية بين جريان الفلك وابتغاء الفضل والشكر، ثم توسعان النظر إلى ما في السماوات وما في الأرض وتختمان بالتفكر. إن معنى التسخير في هذا السياق يدعو الإنسان إلى الانتفاع الذي يعرف مصدر نعمته. ولا يلزم منه أن آثار الاستعمال تختفي مهما فعل المنتفع؛ فالسفينة تسير بأسبابها، والحياة البحرية تتأثر بشروطها، والشكر يقتضي أن يسأل الإنسان عن أثر ما يأخذ وما يلقي.

تقدم الشعاب المرجانية مثالًا على اتصال البحر بما يجري خارجه. تشرح الإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي أن ارتفاع حرارة الماء قد يسبب إجهادًا يسهم في ابيضاض المرجان، وأن امتصاص ثاني أكسيد الكربون يغير كيمياء الماء ويخفض الرقم الهيدروجيني بما يؤثر في بناء الهياكل الكلسية. وتذكر كذلك أثر الجريان القادم من اليابسة حين يحمل رواسب وملوثات أو يزيد عكارة الماء [ع٥٩]. هذه آليات محددة، ولا يصح اختزال كل تغير في الشعاب في عامل واحد.

لا نقول إن آية التسخير تسمي هذه الآليات الكيميائية، وإنما نضع المعرفة المقاسة بجانب سؤال الانتفاع المسؤول. فقد يقع الفعل على البر وتظهر بعض آثاره في الماء، لذلك لا تكفي حدود الملكية على خريطة أرضية لحصر جميع نتائجه. ويربط هذا المثال فصل البحر بما تقدم في عمارة الأرض، وبما سيأتي في الأنهار: المواضع التي تختلف أسماؤها قد تتصل بمسار ماء واحد.

وللقارئ أن يميز بين الحكم العام وبين واقعة تحتاج إلى توثيق. يصح أن يعرف أن الملوثات قد تنتقل مع الجريان، لكن نسبة تضرر موضع بحري بعينه إلى جهة معينة تحتاج إلى عينات وتواريخ وقياسات ومقارنة بالأسباب

الأخرى. بهذا نحفظ قيمة الوعي البيئي من التهمة المتعجلة، ونحفظ معنى الشكر من أن يبقى شعورًا لا يسأل عن العمل. فالبحر رزق وطريق، وهو أيضًا موطن حياة يتعلم الإنسان أن ينتفع به بعلم وعدل.

إحالات الفصل: النحل ١٤؛ الفرقان ٥٣؛ فاطر ١٢؛ الرحمن ١٩–٢٢؛ مجمع البيان، الفرقان ٥١–٦٠ [م٣٩]؛ الإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي، تصنيف المصبات [ع٨]؛ النور ٣٩–٤٠؛ يونس ٢٢–٢٣؛ الإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي، نفاذ الضوء في البحر [ع٤٣]. الجاثية ١٢–١٣ كاملتين؛ تأثر الشعاب بالحرارة وكيمياء الماء والجريان البري [ع٥٩]. وجوه البحرين والنقل التأويلي في مجمع البيان، الرحمن ١٩–٢٢ [م٢٦٠]؛ قياس الملوحة والعكارة ومراقبة المصبات [ع٨٤].

# الفصل ٢٧ — الأنهار والعيون والمياه في الأرض

## ٠١. من المطر إلى النبع

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١].

يبدو النبع كأن الأرض تمنح الماء من داخلها، ويبدو النهر كأنه كائن يسير في طريق يعرفه. وراء المشهد حركات وموارد وتبادلات، وأمام الإنسان منفعة قد يألفها حتى ينسى السؤال عنها. تربط الزمر ٢١ الماء النازل من السماء بسلوكه ينابيع في الأرض، ثم تصل ذلك بخروج الزرع واختلاف ألوانه وتحوله.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣].

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨].

ويجمع الرعد ٣ مد الأرض والرواسي والأنهار والثمرات، بينما تذكر المؤمنون ١٨ إنزال الماء بقدر وإسكانه في الأرض والقدرة على الذهاب به. لا تنفصل نعمة المورد عن إمكان فقده، ولا يصبح وجوده اليوم ضمانًا لطريقة استعماله غدًا.

ويشرح الطبرسي سلوك الماء بإدخاله في الأرض، ويذكر ضمن الينابيع العيون والأنهار والقنوات والآبار، ويصل الموضع بآية إسكان الماء في سورة المؤمنون [م٢٦١]. ثم يتابع تحول الزرع إلى اليبس والتفتت، ويربط ذلك بالتذكير للخاضعين لحجة العقل في الخلق والبعث. هذا عرض لمعنى الآية عند المفسر؛ وليس تحديدًا منه لمعدل تغذية خزان جوفي أو زمن انتقال الماء خلال الصخور.

هذه الآيات توجه النظر إلى الاتصال بين السماء والأرض والحياة. أما تحديد مسار كل قطرة أو عمر كل مخزون فلا يرد فيها، ويُبحث بأدوات علوم المياه.

## ٢. الدورة المائية شبكة مسارات

تتحرك المياه بين الهواء واليابسة والبحار عبر التبخر والنتح والتكاثف والهطول والجريان والتسرب. وقد يسلك الماء أكثر من طريق قبل أن يعود إلى موضع يشبه موضع بدايته. فالدورة ليست أنبوبًا دائريًا واحدًا، ولا جدولًا يضمن لكل مكان الحصة نفسها [ع٩، ع٢٧].

وقد ينتقل جزء من ماء الهطول فوق السطح، ويدخل جزء إلى الأرض، ويعود جزء إلى الجو. تساعد هذه الصورة العامة على فهم الاتصال بين الموارد، لكنها لا تكفي لحساب ميزانية حوض مائي معين من دون قياسات.

ولهذا نفرق بين تعريف الدورة وبين التنبؤ المحلي. معرفة أسماء مراحل الحركة ليست معرفة بكمية المطر في الموسم المقبل، ولا بمقدار الماء المتاح لبئر محددة.

## ٣. الماء الجوفي ليس بحرًا فارغًا بالضرورة

توضح هيئة المسح الجيولوجي أن الماء في المنطقة المشبعة يملأ مسام المواد الأرضية وشقوق الصخور [ع٢١]. لذلك قد يكون المخزون الذي نستفيد منه موزعًا في وسط مسامي، لا متجمعًا في كهف هائل كما توحي بعض الرسوم.

ويتوقف فهم البئر على معرفة الوسط الذي تصل إليه، لا على عمقها وحده. وقد تختلط على القارئ صورة وجود الماء بصورة سهولة استخراجه واستمرار توفره. هذه مسائل مترابطة لكنها ليست مسألة واحدة.

ويفيد هنا التفريق بين المسامية والنفاذية: الأولى تتعلق بالفراغات في المادة، والثانية بقدرتها على تمرير الماء عبر المسام والشقوق المتصلة. فوجود فراغات مائية لا يكفي وحده لضمان تدفق نافع إلى البئر، وقد يبطؤ الانتقال كثيرًا في مواد ضعيفة النفاذية [ع٨٥]. والتكوين الحامل للماء يُدرس من جهة التخزين والتمرير معًا، مع مراعاة اختلاف التغذية من موضع إلى آخر.

وفي الخزان المحصور بين طبقات ضعيفة النفاذية قد يكون الماء تحت ضغط يجعله يرتفع داخل البئر، وإذا كان الضغط كافيًا فقد يصل الماء إلى السطح من دون مضخة. لذلك لا تعني تسمية البئر «ارتوازية» أن كل بئر من هذا النوع تتدفق تلقائيًا فوق الأرض [ع٨٥]. إنها مسألة ضغط ومنسوب، وليست علامة على مورد لا ينضب.

ولا يعني ورود الينابيع في الآية أن كل ماء جوفي يجب أن يظهر عينًا على السطح. نقرأ النص في موضوعه، ونستخدم الوصف العلمي لتفسير أشكال المورد ومساراته من دون فرض شكل واحد على الجميع.

### ٤. معنى الغور وحدود القدرة

يسأل آخر سورة الملك عن الماء إذا أصبح غورًا، وعن الإتيان بماء معين. يمس السؤال خبرة الافتقار: ما يبدو قريبًا قد يفوت القدرة المباشرة على الوصول إليه. ولا يقتضي هذا ترك الحفر أو التخزين أو الإدارة، بل يوقظ الوعي بأن الأداة لا تمنح سيطرة مطلقة.

ومن جهة الوصف الميداني، قد تتوقف بئر عن الإمداد حين يهبط الماء إلى ما دون مدخل المضخة، من غير أن يعني ذلك خلو التكوين الجوفي كله من الماء. وقد يعود المنسوب مع زيادة التغذية أو خفض الضخ، بحسب أحوال المورد [ع٨٦]. هذه معرفة تعين على تشخيص البئر؛ ولا نحصر بها معنى الغور في الآية، ولا نعد عودة الماء مضمونة في كل حالة.

ويؤكد سياق المؤمنون ١٨ أن إسكان الماء نعمة لا يملك الإنسان ضمانها من ذاته. يمكن أن يتعلم أسباب الانتفاع، لكنه يحتاج إلى الصيانة والتعاون وإلى الاعتراف بما لا يعرفه عن المورد.

ومن هنا لا نستبدل التدبير بالدعاء ولا الدعاء بالتدبير؛ فالسؤال الديني عن الافتقار والشكر لا يلغي السؤال العملي عن السحب والتوزيع والحماية.

### ٥. النهر الذي يعبر بين الناس

لا ينتهي أثر استعمال الماء عند حدود الحقل أو المنزل. إذا اشترك الناس في مورد، صار السؤال عن نصيب الآخرين جزءًا من حسن الانتفاع. وليس هذا الفصل حكمًا تفصيليًا في نزاع مائي، بل تنبيه إلى أن المورد الطبيعي يحمل علاقات اجتماعية وأخلاقية.

ومن الأسئلة اللازمة: هل يصل الماء النظيف إلى من يحتاجه؟ وهل تُنقل كلفة التلوث إلى من لا يملك دفعها؟ وهل تُقرأ علامات تدهور المورد قبل أن يتحول الضرر إلى أزمة؟ تترجم هذه الأسئلة معنى الشكر إلى عناية يمكن مراجعتها.

وسيأتي الماء مرة أخرى في فصل السحاب والمطر. لا يعيد ذلك الحديث عن الشيء نفسه من الوجه نفسه؛ هنا نظرنا إلى وجوده وحركته في الأرض، وهناك ننظر إلى تشكله وسقوطه في المشهد الجوي، وتبقى الصلة بين الفصلين واضحة.

### ٦. النهر وما يغذيه من تحت الأرض

قد يستمر النهر في الجريان بعد انقطاع المطر لأن جزءًا من مائه يأتي من المياه الجوفية. وتوضح هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية أن العلاقة تسير في الاتجاهين: فقد يستقبل المجرى ماءً من باطن الأرض، وقد يفقد ماءً يتسرب إلى التكوينات المجاورة. ويتوقف اتجاه التبادل على فروق المناسيب الهيدروليكية؛ بل قد تختلف العلاقة بين مقطع وآخر من النهر نفسه أو بين فصل وآخر من السنة [ع٤٤].

يفيد هذا التصور في قراءة المشهد من غير تقسيم مصطنع إلى ماء ظاهر منفصل تمامًا عن ماء باطن. فالنبع موضع ظهور، والنهر طريق جريان، والتكوين الحامل للماء مجال تخزين وانتقال، وبينها صلات ينبغي دراستها في كل موقع. كما يبين المصدر نفسه أن خفض المياه الجوفية بالضخ قد يؤثر في الماء الذي يصل إلى المجرى؛ ومن ثم لا يكفي أن ننظر إلى سطح النهر لنعرف جميع أسباب تغيره.

وعندما تذكر آية الزمر إنزال الماء وسلوكه ينابيع في الأرض [الزمر: ٢١]، فإنها تدعو إلى النظر في رزق يتجاوز لحظة الهطول. أما حساب كميات التغذية وسرعة الانتقال وحدود السحب فيحتاج إلى قياس محلي. وهنا تتلاقى العناية بالمعنى والعناية بالموارد في عمل واحد: ألا نغفل ما لا يظهر للعين مباشرة.

### ٧. عند ماء مدين: المعرفة التي تصير عونًا

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣].

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥].

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

تقدم قصة موسى عليه السلام عند ماء مدين مشهدًا إنسانيًا داخل مشهد الماء. وجد جماعة يسقون، وامرأتين تكفان غنمهما، فسأل عن حالهما ثم سقى لهما، وانصرف إلى الظل يدعو ربه [القصص: ٢٣-٢٤]. وفي الآيات التالية تأتي الدعوة إلى لقاء أبيهما، ثم يرد وصف القوة والأمانة في طلب استئجاره [القصص: ٢٥-٢٦].

لا يسمي هذا الموضع القرآني الأب، لذلك لا نبني عرضنا هنا على تعيين لم يذكره النص. والذي يعنينا واضح قبل البحث في الاسم: مورد الماء يجمع الناس، لكن القدرة على الوصول إليه ليست متساوية، وقد يملك القادر أن يخفف مشقة غيره بفعل مباشر.

ومن تأمل القصة وجد أن رؤية الحاجة سبقت طلب المكافأة؛ فقد سأل موسى، وأعان، ثم تولى إلى الظل. وهذه قراءة أخلاقية لسياق الفعل، لا استخراج لنظام مفصل لتوزيع المياه. لكنها تمنح الفصل خاتمة عملية: لا يكتمل النظر إلى النهر والبئر عند فهم الجريان وحده؛ إذ يبقى سؤال من يستطيع الوصول إلى الماء، ومن ينتظر، ومن يقدر على المساعدة.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠].

**٨. الماء المتجدد وحدود المخزون**

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨].

قال تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٩].

قال تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٠].

تعيد آيات الواقعة النظر إلى الماء الذي يشربه الإنسان: نزوله من المزن، وإمكان صيرورته أجاجًا، ثم السؤال عن الشكر. قد يعتاد المرء فتح منفذ الماء فيغيب عنه تاريخ وصوله وإمكان فقده أو تغير صفته. والقراءة العلمية لمسارات الماء تساعده على إدراك هذا الاعتماد، من غير أن تحول السؤال القرآني عن الخالق إلى تعريف هيدرولوجي.

توضح هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية أن استمرار الضخ بمعدل يتجاوز ما يعوض المخزون قد يؤدي إلى انخفاض مناسيب المياه الجوفية. وقد يصاحب ذلك تراجع إنتاج الآبار، وزيادة كلفة الرفع، وتأثر بعض المجاري المتصلة بالمياه الجوفية. وفي تكوينات قابلة للانضغاط قد يحدث هبوط في سطح الأرض، كما قد تتغير حركة المياه المالحة نحو موارد عذبة في بعض البيئات [ع٥٧]. تختلف النتائج باختلاف التكوين والاستعمال؛ فلا يلزم أن تجتمع كلها في كل بئر.

وللتقريب فقط، لنفترض خزانًا تصله خلال مدة معينة مئة وحدة ماء، ويخرج منه في المدة نفسها مئة وعشرون وحدة، بعد احتساب جميع المسارات في المثال. ينقص مخزونه عشرين وحدة. إذا تكرر ذلك لم يجعل وصف الماء بأنه يدخل في دورة طبيعية هذا النقص مستحيلًا. والأرقام هنا مثال حسابي من وضعي، وليست قياسات لخزان بعينه؛ أما الواقع فيحتاج إلى تقدير التغذية والتصريف والضخ وحدود النظام نفسه.

ويحتاج هذا المثال الحسابي إلى قيد آخر: الماء المسحوب من البئر قد يأتي من تناقص المخزون، أو من تغير ميزانية التدفق بفعل الضخ؛ كزيادة الماء الداخل إلى الخزان أو انخفاض تصريفه الطبيعي. وتناقش دراسة كونيكو وليك هذا التمييز وتبين صلته بتراجع جريان المجاري المائية [ع٨٧]. فإذا استقر المخزون بعد مدة، فقد يكون الاستقرار مصحوبًا بنقص الماء الذي كان يصل إلى النهر. لذلك لا يكفي توازن المخزون وحده للحكم بسلامة الاستعمال؛ بل تُدرس آثاره في المجاري والأنظمة البيئية والمستفيدين. ولا ننقل نسب الدراسة الإقليمية إلى خزان لم يُدرس.

ولا تحسم سنة ممطرة واحدة حال مورد يمتد تاريخه عقودًا، كما لا يكفي قياس منفرد لمعرفة اتجاهه الطويل. وتظهر قيمة السجلات حين نقارن مواضع القياس وأوقاته وطريقة أخذه، ثم نسأل عن أسباب التغير. هذه عناية بمنهج الاستدلال: الزيادة العابرة في منسوب بئر قد تكون خبرًا صحيحًا، لكنها لا تثبت وحدها أن كل استنزاف قد عولج.

وبذلك تصبح المحافظة على الماء عملًا يجمع المعرفة والأمانة. فلا ندعي أن كل نقص عقوبة مخصوصة نعرف سرها، ولا نؤجل دراسة الاستعمال إلى أن ينقطع المورد. نعترف بأن للماء شروط وصول وصفات وحدود انتفاع، ثم نستعمل ما نعرفه في حفظ النعمة وحقوق الناس. ومن هذه الجهة يتصل الشكر بصدق الحساب كما يتصل بصدق اللسان.

## ٩. السيل والزبد: الماء في مثل الحق والباطل

قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

تنتقل الآية من ماء تسيل به الأودية إلى الزبد الذي يحمله السيل، ثم تقرن المشهد بما يظهر عند الإيقاد طلبًا للحلية أو المتاع. ويصرح النص بمقصده: ضرب مثل الحق والباطل. فالمشهد المائي هنا مدخل إلى النظر في البقاء والنفع، وليس مجرد تعداد لمراحل حركة الماء.

يعرض النص المتداول من تفسير القمي شرحًا لسيلان الأودية بحسب أحجامها، ثم يجعل الماء مثالًا للحق، والأودية للقلوب، والزبد للباطل [م١٨٦]. تقع هذه الفقرة بعد مدخل رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير الرعد ١٥، ثم ينتقل النص إلى شرح آخر يفتتحه باسم علي بن إبراهيم، ويتناول ثبات الحق في القلوب وزوال الباطل. نميز موضعي الشرح وعلامة الانتقال بينهما؛ فعدم تكرار سلسلة الرواة عند الرعد ١٧ لا يكفي وحده لفصل الفقرة عما قبلها أو لإثبات طريق مستقل لها. تبقى دراسة اتصال هذه المادة ونسبتها ضمن تحقيق التفسير، ولا ننسب مجموع الشرحين إلى الإمام بصيغة حديث واحد.

والثمرة التي أستخلصها أن ارتفاع الشيء على السطح لا يكفي للحكم ببقائه أو نفعه. كما أن قياس النفع في سياق المثل لا يعطينا وحده اختبارًا لجودة مياه السيل أو صلاحيتها للاستعمال؛ تلك مسائل لها أدواتها. يجمع الفصل إذن بين الماء موردًا تُدرس أحواله، والماء صورةً يضرب بها القرآن مثلًا يهدي النظر والعمل.

## ١٠. القنوات ومجرى الماء: الانتفاع ومسؤولية الضرر

لا تنتهي حكاية الماء عند وصوله إلى الأرض؛ فاستعمال مورد واحد قد يتصل بمعاش أكثر من جماعة. وفي الكافي، باب الضرار، الحديث الخامس، يروي محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين، وهو صاحب المكاتبة إلى أبي محمد عليه السلام بحسب ترتيب العبارة. يسأل عن المسافة بين قناة قائمة وأخرى يراد حفرها، مع التفريق في السؤال بين الأرض الصلبة والرخوة. والجواب المعروض يعلق الأمر بعدم إضرار إحداهما بالأخرى، دون تعيين مسافة عددية في هذا الجواب [م١٨٨].

وتضم المكاتبة سؤالًا ثانيًا عن تغيير مجرى الماء بما يعطل رحى قائمة على نهر القرية. وفي الجواب توجيه إلى التقوى والعمل بالمعروف وعدم الإضرار بالأخ المؤمن. ننقل السؤالين بوصفهما من متن واحد في الموضع المقابل، ونحافظ على صيغة المكاتبة؛ فلا نحول «كتبت» إلى دعوى سماع مباشر.

قوبل حكم المجلسي على هذه المكاتبة بنص مرآة العقول، ج ١٩، ص ٣٩٧، وعبارته: «الحديث الخامس: صحيح» [م٢٤٣]. وبذلك تصحح إحالة الثقلين التي تعرض رقم الجزء ٩ بدل ١٩. وقوبلت المكاتبة بصورة صحيح الكافي، ج ٢، ص ٣٨٨، برقم ٢٨٦٠ في تسلسل المختار، وفيها السؤالان المتصلان بالقنوات والرحى [م٣١٠]. ثبت بذلك إدراج البهبودي لها ضمن مختاره، وتفهم نسبة التصحيح إليه في ضوء مقدمته [م٣٠٥]. هذه مقابلة لأحكام أصحابها، وليست تحقيقًا رجاليًا مستقلًا؛ كما أن وجود الخبر في باب الضرار لا يصحح جميع أخبار الباب.

ويتصل هذا النص ببحث المياه الجوفية السابق من جهة السؤال عن أثر الاستعمال في الآخرين. هذه صلة أستخلصها، وليست دعوى أن المكاتبة تشرح نموذجًا هيدرولوجيًا حديثًا. كما لا تستخرج منها مسافة واحدة تصلح لكل قناة أو بئر؛ فجوابها المقابل علق الأمر بعدم الضرر. تحديد الأثر في موقع معين يحتاج إلى معرفة المكان، وتفصيل الحقوق وأحكامها بحث فقهي مستقل.

## ١١. فضل الماء: اختلاف اللفظ والحكم على الطريق

ويلي المكاتبة في الكافي خبر عقبة بن خالد عن الإمام الصادق عليه السلام في قضاء النبي صلى الله عليه وآله بشأن مشارب النخل وفضل الماء والكلأ، وفي آخره عبارة «لا ضرر ولا ضرار». وطريقه: محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن عبد الله بن هلال، عن عقبة بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام [م١٨٩].

وقوبل حكم المجلسي على خبر فضل الماء في مرآة العقول، ج ١٩، ص ٣٩٧، وعبارته: «الحديث السادس: مجهول» [م٢٤٣]. وثبت إدراج البهبودي للخبر في صحيح الكافي، ج ٢، ص ٣٨٨، برقم ٢٨٦١، من مقابلة صورة الصفحة [م٣١٠]، وتستند نسبة التصحيح إليه إلى هذا الإدراج ومنهجه في المقدمة [م٣٠٥]. وفي محاضرات السيد السيستاني في قاعدة لا ضرر ولا ضرار، ص ٥٣، يضعف هذا الطريق لعدم ثبوت وثاقة محمد بن عبد الله بن هلال وعقبة بن خالد على المبنى المعتمد في البحث [م١٩٠]. نثبت اختلاف الأحكام مع نسبتها، وقد قوبلت مواضعها، دون استكمال دراسة مستقلة لمباني الترجيح بينها. ولا يكفي اشتراك الخبرين الخامس والسادس في صدر السند لنقل تصحيح أحدهما إلى الآخر.

ويجب التمييز بين ثلاث صيغ في هذه المقابلة: يعرض الثقلين نص الكافي بلفظ «نفع الشيء»، بينما ينقل بحث المحاضرات «نقع الشيء» عن نسخ اطلع عليها، ويعتمد «نقع البئر» في عرضه للخبر ويرجحها مع الإحالة إلى الوافي [م١٨٩–م١٩٠]. وتقرأ صورة صحيح الكافي المقابلة «نقع البئر» أيضًا [م٣١٠]. فاختلاف الفاء والقاف غير اختلاف الشيء والبئر. ننسب كل قراءة إلى مصدر عرضها، ولا نوحدها صامتًا أو نجعل قراءة المختار أو ترجيح صاحب البحث وصفًا لجميع نسخ الكافي.

ومن جهة المعنى، يربط الخبر منع الماء بمنع الانتفاع بالكلأ؛ فتظهر فيه صلة موارد العيش بعضها ببعض. غير أن عرض هذه الصلة لا يحسم جميع مسائل الملكية أو ثمن الماء أو ترتيب المستحقين. نكتفي هنا بإبراز موضوع الرواية وحدود توثيقها، ونترك استنباط حكم واقعة بعينها إلى البحث الفقهي بأدلته وتفاصيلها.

ومن الماء الذي يحفظ الحياة نصل إلى الميزان الذي يهذب الانتفاع بها: ماذا يأخذ الإنسان، وما أثر أخذه في غيره؟ ويتصل هذا السؤال بما سيأتي في الباب الخامس من بحث في التقدير والعدل والمسؤولية.

إحالات الفصل: الرعد ٣؛ الحجر ٢٢؛ المؤمنون ١٨؛ الزمر ٢١؛ الملك ٣٠؛ هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، الدورة المائية [ع٩، ع٢٧] وتعريف المياه الجوفية [ع٢١]؛ القصص ٢٣-٢٦؛ هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، الأنهار والمياه الجوفية [ع٤٤]. الواقعة ٦٨-٧٠ كاملة؛ انخفاض المياه الجوفية واستنزافها [ع٥٧]. الرعد ١٧ كاملة؛ قراءة المثل في تفسير القمي [م١٨٦]. روايتا القنوات وفضل الماء، الكافي، باب الضرار، ح ٥-٦ [م١٨٨-م١٨٩]؛ بحث السند واللفظ في محاضرات قاعدة لا ضرر ولا ضرار ص ٥٣ [م١٩٠]. حكما المجلسي على الخبرين في مرآة العقول، ج ١٩، ص ٣٩٧ [م٢٤٣]. مجمع البيان، الزمر ٢١ [م٢٦١]؛ خصائص الخزانات والضغط الارتوازي وجفاف الآبار ومصادر مياه الضخ [ع٨٥-ع٨٧].

# الفصل ٢٨ — الرياح — الحركة والتلقيح وتبدّل الأحوال

## ١. حركة نعرفها من آثارها

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم: ٤٦].

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢].

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١].

﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤٢].

لا نرى الهواء كما نرى الحجر، لكننا نعرف حركته من انحناء الغصن وارتفاع الغبار وانتقال السحاب واضطراب الماء. وتعرض الآيات الرياح في مشاهد متنوعة؛ مبشرات في الروم ٤٦، ولواقح في الحجر ٢٢، وفي خبر عاد ريح عقيم في الذاريات ٤١–٤٢.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

هذا التنوع يمنع اختزال الظاهرة في صورة واحدة من اللطف أو الشدة. كما يمنع بناء قاعدة مطلقة على مجرد ورود اللفظ مفردًا أو مجموعًا؛ ففي يونس ٢٢ تأتي الريح الطيبة ثم الريح العاصف في سياق الرحلة نفسها.

والمطلوب أن نقرأ الصفة والسياق والفعل، لا أن نجعل الصيغة العددية بديلًا من فهم الكلام. الاسم المشترك لا يمحو اختلاف الأحوال.

## ٢. كيف يتحرك الهواء؟

تصف الأرصاد الرياح من خلال فروق الضغط والقوى المؤثرة في حركة الهواء. ويتدخل دوران الأرض والاحتكاك في اتجاه الحركة وسرعتها، ويتصل توزيع الضغط باختلاف التسخين. لذلك لا يكفي تصور الهواء كأنه ينتقل دائمًا في خط مستقيم من منطقة حارة إلى أخرى باردة [ع١٠].

وللتفصيل، تتجه قوة تدرج الضغط من الضغط الأعلى نحو الأدنى، لكن مسار الهواء الفعلي يتأثر أيضًا بدوران الأرض والاحتكاك. يظهر تأثير كوريوليس انحرافًا إلى يمين الحركة في النصف الشمالي وإلى يسارها في النصف الجنوبي؛ واليمين واليسار هنا بالنسبة إلى اتجاه الحركة. كما يبطئ احتكاك السطح الهواء ويغير اتجاهه، فلا تُقرأ خطوط تساوي الضغط على الخريطة كأنها طرق ثابتة تسلكها الرياح في جميع الارتفاعات [ع١٠].

ويفيد هذا التفسير في الانتقال من الإحساس بالريح إلى وصفها وقياسها. لكنه لا يسمح بتوقع كل تفصيل في المستقبل بمجرد معرفة القاعدة العامة. فالظاهرة المحلية جزء من حالة جوية تحتاج إلى بيانات.

ومن المهم أيضًا ألا نخلط بين اسم الريح ووحدة وصفها؛ اتجاهها وسرعتها وتغيرها بمرور الوقت جوانب مختلفة. لا تؤدي كلمة «قوية» وظيفة القياس حين يكون القياس لازمًا للفهم.

وفي اصطلاح الرصد تُنسب الريح إلى الجهة التي تأتي منها؛ فالريح الشمالية تهب من الشمال نحو الجنوب. وتختلف سرعة الهبة عن متوسط السرعة خلال فترة القياس، ولذلك ينبغي معرفة نوع القيمة المعروضة قبل المقارنة بين تقريرين. كذلك قد تتغير السرعة أو الجهة بين ارتفاعين؛ ويُسمى هذا التغير قصّ الرياح [ع٨٨]. هذه أوصاف متمايزة، ولا تختصرها مشاهدة حركة غصن واحد.

## ٣. ماذا تعني «لواقح»؟

تأتي عبارة الرياح اللواقح في الحجر ٢٢ متصلة بإنزال الماء وسقي الناس. وفي مجمع البيان شرح للفظ من جهة تلقيح السحاب وحمله الماء، مع بيان استعمال اللواقح بمعنى الملقحات أو ذوات اللقاح [م٤٠].

هذا الوجه جزء من تاريخ التفسير، ويجب عرضه كما هو، لا استبداله مباشرة بتفسير يتعلق بتلقيح النبات ثم الادعاء بأن المفسر قاله. وقد تحمل الرياح حبوب لقاح في واقع النباتات، لكن صحة هذه الملاحظة لا تكفي وحدها لإثبات أنها المراد الحصري في هذا الموضع.

وفي تفصيله اللغوي يذكر الطبرسي وجهين لتعبير اللواقح: أن تكون بمعنى ذوات اللقاح، أو أن توصف الرياح بالحمل لما تحمله من الماء وبالإلقاح لما تلقيه إلى السحاب. ثم يربط شرح الآية بالسحاب والمطر [م٤٠]. هذان وجهان في بيان اللفظ، ولا ننسب إليهما مصطلحات نوى التكاثف أو تلقيح السحب الاصطناعي. إن استُخدمت هذه المصطلحات الحديثة وجب تعريفها وتوثيقها في بحثها العلمي، ثم بيان حدود المقارنة.

كما لا نحول عبارة المفسر عن السحاب إلى شرح حديث كامل لتكوّن المطر. المقارنة تحتاج إلى تحديد العملية المقصودة والقرائن التي تجعلها داخلة في دلالة النص. ويحفظ هذا التمييز قيمة اللغة وقيمة علم الأرصاد معًا.

### ٤. الرياح والسحاب والرجاء

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الروم: ٤٨].

في الروم ٤٨ يرد إرسال الرياح وإثارة السحاب وبسطه وخروج الودق، ثم استبشار من يصيبه المطر. تتصل الحركة الطبيعية هنا بحال الإنسان الذي ينتظر الرزق؛ فلا يقتصر العرض على انتقال كتلة هواء.

ويمكن أن نقرأ في هذا اتصال الخبرة العلمية بالخبرة الإنسانية: ما يسجله الراصد حركةً وتغيرًا قد يستقبله الزارع فرجًا بعد انتظار. الاختلاف في زاوية النظر لا يلغي وحدة الحدث.

ولا يثبت الاستبشار أن كل مطر في كل موضع نافع بالقدر نفسه. فالسياق يصف حالًا، وليس إذنًا بتجاهل أحوال من يتضررون من شدة العاصفة أو سوء الحماية.

### ٥. خبر عاد والحوادث المعاصرة

تنسب آيات مخصوصة ريح العذاب إلى قوم عاد. نسبة الحدث هناك قائمة على الخبر القرآني؛ أما تعيين عاصفة معاصرة بأنها عقوبة على أهل منطقة معينة فيحتاج إلى علم لا تمنحه النشرة الجوية ولا الانطباعات عن سكانها.

للمؤمن أن يعتبر ويحاسب نفسه، لكن الحكم على الآخرين بمقصد غيبي تفصيلي أمر مختلف. وقد يزيد هذا الحكم قسوة على المتضررين، ويصرف الانتباه عن مسؤوليات بشرية يمكن التحقق منها.

والأثر العملي الذي نستخلصه هو العناية بالمأوى والإنذار والإغاثة وتعلم ما يقلل الضرر. لا تقف المعرفة عند الإعجاب بقوة الريح؛ بل تشمل السؤال عمن يملك الحماية ومن يحتاج إلى المساعدة.

### ٦. نسيم الساحل مثال قريب

على الساحل يمكن تقريب نشأة بعض الرياح بمشهد يومي. تسخن اليابسة والمياه بمعدلات مختلفة؛ وفي ظروف ملائمة ينشأ نهارًا دوران محلي تتحرك فيه الرياح قرب السطح من البحر إلى البر، ويعود الهواء في مستوى أعلى. وقد تنعكس الصورة ليلًا مع اختلاف التبريد فتتجه الرياح السطحية نحو البحر. وتوضح الإدارة الوطنية للمحيطات

والغلاف الجوي أن هذه الدورة تتأثر بالظروف الجوية الأوسع، فلا يلزم أن تظهر بالصورة نفسها كل يوم [ع٤٥ ].

تكمن قيمة المثال في جمع ما فصلناه سابقًا: التسخين والضغط والحركة. لكنه لا يفسر جميع رياح العالم، ولا يكفي وحده لتوقع حالة جوية في مكان بعينه. وفي الدرس العلمي ينتقل المتعلم من المثال البسيط إلى الحالة المركبة، ثم يختبر ما إذا كانت الشروط المفترضة موجودة بالفعل.

وحين يقرأ المرء وصف الرياح بالبشارات، يستطيع أن يتذكر تغير الهواء الذي يسبق المطر وفرح المنتظرين به، من دون أن يحصر اللفظ في نسيم البحر. فالمثال يشرح آلية محددة، بينما الخطاب القرآني يلفت إلى أثر النعمة في حياة الناس وإلى تدبيرها في سياق أوسع.

### ٧. الريح في قصة سليمان

قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١].

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢].

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦].

تذكر آيات الأنبياء تسخير الريح لسليمان عليه السلام وجريانها بأمره إلى الأرض المباركة، وتذكر سورة سبأ غدوها ورواحها، وتصف سورة ص جريانها رخاء حيث قصد [الأنبياء: ٨١؛ سبأ: ١٢؛ ص: ٣٦]. يجتمع في هذه المواضع معنى التسخير الخاص المرتبط بالنبي، وتختلف الزاوية التي يعرض منها كل سياق جانبًا من عطائه.

ولا نحول مسافة الشهر المذكورة في سبأ إلى سرعة عددية محددة من غير تعيين معيار المسافة وطريقة المقارنة؛ كما لا نضيف إلى القرآن تصميم مركبة أو كيفية ركوب لم يذكرها الموضع المستشهد به. إن الاقتصار على مقدار الخبر يحفظ للمشهد قوته، ويترك تفاصيل الروايات إلى مواضع تحقيقها.

ومن جهة العلاقة بالعلم، فإن دراسة الرياح المعتادة تتناول انتظامًا يمكن رصده ومقارنة حالاته. أما هذا الخبر فيعرض تسخيرًا مخصوصًا ضمن قصة نبي؛ فلا يطلب من قانون نسيم الساحل أن يفسر كل ما ورد فيه، ولا يستعمل الخبر لإلغاء البحث في أسباب حركة الهواء المعتادة.

وتعود بنا القصة إلى معنى المسؤولية مع اتساع القدرة. فالقدرة التي يراها الإنسان عظيمة يمكن أن تكون موضع شكر واستعمال نافع، أو مدخلًا إلى العجب. وهذا تأمل في دلالة العطاء، يمهد لما سيأتي من حديث الميزان والعمل الإنساني في الكون.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦].

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٨].

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩].

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ [الحجر: ٢٠].

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر: ٢٣].

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ [الحجر: ٢٤].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجر: ٢٥].

### ٨. حمل حبوب اللقاح: مثال من حياة النبات

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩].

تجعل آية فاطر حركة الرياح وإثارة السحاب وسوقه وإحياء الأرض مشهدًا متصلًا، ثم تنتقل إلى التذكير بالنشور. وقد تقدم تفسير اللواقح في الحجر، وحدود ما ننسبه إلى المفسر. نضيف هنا مثالًا نباتيًا يوضح تنوع آثار الحركة الهوائية، من غير حصر الآية في هذا المثال أو نقل مصطلحات علم النبات إلى ألفاظها بلا قرينة.

توضح مصلحة الغابات الأمريكية أن التلقيح في النباتات الزهرية يتعلق بانتقال حبوب اللقاح من المتك إلى الميسم، وأن نقلها قد تشترك فيه الرياح أو الماء أو حيوانات مختلفة. هذه وسائط مختلفة للوصول إلى الجزء المقصود من

الزهرة [ع٥٨]. ولهذا لا يصح تصور أن جميع الأزهار تنتظر زيارة حشرة، كما لا يصح تصور أن الريح وحدها تؤدي هذه المهمة لجميع الأنواع.

وتفيد هذه المعرفة في ضبط السؤال قبل البحث: هل نتحدث عن حركة السحاب، أم عن حمل لقاح نبات، أم عن انتشار بذور بعد تكوّنها؟ قد تحمل الريح مواد مختلفة، لكن تشابه وسيلة النقل لا يجعل المراحل الحيوية واحدة. ويكفي هنا تحديد فعل التلقيح؛ أما تفصيل الإخصاب ونمو الثمار والبذور فيوضع في موضعه من حكاية النبات، حتى يبقى لهذا الكتاب مساره في قراءة الكون ومصادر المعرفة به.

ويقدم نبات الجوجوبا مثالًا محددًا على ضرورة التمييز بين زيارة الحشرة وطريقة التلقيح. يصفه مرجع مصلحة الغابات الأمريكية بأنه ملقح بالرياح، ويذكر أن نحل العسل يجمع لقاحه، لكنه لا يبدو أنه يزور نباتاته المؤنثة [ع٨٩]. فمشاهدة النحل يجمع اللقاح لا تثبت وحدها أنه نقله إلى موضع التلقيح. ويذكر المرجع أيضًا أن انتشار البذور تشارك فيه الحيوانات والتعرية؛ فلا يلزم من تلقيح النبات بالرياح أن تكون الريح وسيلة نشر بذوره كذلك.

ومن أراد ملاحظة هذه العلاقات يمكنه أن يبدأ بتحديد النبات الذي يدرسه وبالرجوع إلى وصف موثق لطريقة تلقيحه. فوجود حشرة قرب زهرة لا يثبت وحده أنها أدت التلقيح، كما أن اهتزاز غصن في الهواء لا يثبت نجاح انتقال اللقاح. إن جمال المشهد يحفز الملاحظة، لكن الحكم على الوظيفة يحتاج إلى ما يتجاوز الانطباع الأول. وهذا مثال آخر على أن التأمل الديني يستفيد من دقة العلم حين يحفظ لكل دعوى مقدار دليلها.

### ٩. رياح الرحمة والعذاب: خبر معروف بن خربوذ

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

تذكر الآية إيمان قوم يونس وكشف العذاب عنهم. وفي روضة الكافي، الخبر ٦٤، يرد عن الإمام الباقر عليه السلام حديث يبدأ بقوله: «إن لله عز وجل رياح رحمة ورياح عذاب». ثم يذكر قوم يونس في سياق صرف العذاب، وينتقل إلى الريح العقيم التي أهلكت عادًا [م١٧٦]. فالآية أصل مستقل في خبر قوم يونس، وتعرض الرواية تفصيلًا إضافيًا له إسناده الذي ينبغي فحصه.

يبدأ السند في هذا الموضع بلفظ «عنه»، ثم أحمد بن محمد، ثم ابن محبوب، ثم عبد الله بن سنان، ثم معروف بن خربوذ، عن أبي جعفر عليه السلام. وبمراجعة الخبر ٦٣ السابق يتبين أن صدره محمد بن يحيى؛ فيُفهم الضمير

بالإحالة إلى السابق، مع إبقاء لفظ المصدر عند نقله [م١٧٦، م١٧٧]. أما طريق الخبر السابق بعد ابن محبوب فيمر بعلي بن رئاب وهشام بن سالم، عن أبي بصير، فلا ينبغي دمج الطريقين أو إسقاط الفارق بينهما لمجرد تجاور النصين.

قوبل حكم المجلسي على الخبر ٦٤ بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ٢٥، ص ٢١٩، وعبارته: «الحديث الرابع والستون: صحيح» [م١٧٨]. ويمتد متن الخبر إلى ص ٢٢٠؛ فتثبت الإحالة إلى الجزء ٢٥، ويصحح رقم الجزء ١٥ المعروض في الثقلين [م١٧٦]. وهذه مقابلة لموضع الحكم المنسوب إلى المجلسي، لا تصحيح مستقل للطريق ولا مقابلة لجميع نسخه. أما عبارة «لم يخرجه» المعروضة للبهبودي فلا تُحوَّل إلى حكم بتضعيف الحديث.

ويذكر ذيل الرواية خروج الريح من تحت الأرضين السبع وخزنتها وردَّ جبرئيل لها إلى المقدار المأمور به [م١٧٦]. هذه تفاصيل من الخبر الغيبي، فلا تُعرض باعتبارها نتائج رصد جوي، ولا تُحوَّل ألفاظ المقادير فيها إلى سرعة للريح أو وحدة ضغط. ويبقى تحقيق دلالة هذا التفصيل ومقابلة نسخه عملًا مستقلًا عن بيان أسباب حركة الهواء المعتادة.

والاستنتاج التحريري الذي نلتزم به أن الحديث عن الرحمة والعذاب لا يمنح القارئ وسيلة لتعيين المقصد الإلهي من عاصفة معاصرة أو الحكم على أخلاق المتضررين منها. إن نسبة العذاب إلى قوم معينين في الرواية جزء من خبرها المحدد، أما نقل تلك النسبة إلى حادث آخر فيحتاج إلى دليل آخر. بهذا يبقى الاعتبار الديني متصلًا بالتواضع في المعرفة وبمسؤولية الإغاثة التي سبق بيانها.

إحالات الفصل: الحجر ٢٢؛ يونس ٢٢؛ الروم ٤٦ و٤٨؛ الذاريات ٤١–٤٢؛ الحاقة ٦–٨؛ مجمع البيان، الحجر ١٩–٢٥ [م٤٠]؛ الإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي، أصل الرياح [ع١٠]؛ الأنبياء ٨١؛ سبأ ١٢؛ ص ٣٦؛ الإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي، نسيم البحر [ع٤٥]. فاطر ٩ كاملة؛ تعريف التلقيح وتنوع وسائطه [ع٥٨]. خبر رياح الرحمة والعذاب: الكافي، الروضة، ح ٦٤، مع مراجعة ح ٦٣ لصدر السند [م١٧٦–م١٧٧]؛ المتن وحكم المجلسي في مرآة العقول [م١٧٨]؛ يونس ٩٨ كاملة. اتجاه الريح والهبات وقص الرياح [ع٨٨]؛ الجوجوبا مثالًا على التلقيح بالرياح واختلافه عن انتشار البذور [ع٨٩].

# الفصل ٢٩ — السحاب والمطر والبرد والرعد والبرق

## ٢٩.١ السحاب الذي يسبق المطر

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٣].

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الروم: ٤٨].

يرى الناظر سحابة تتجمع ثم يسمع الرعد أو يشاهد المطر، فيختصر في لحظات مشهدًا له مراحل وشروط. تعرض النور ٤٣ إزجاء السحاب والتأليف بينه وجعله ركامًا وخروج الودق، وتذكر البرد ولمعان البرق. وفي الروم ٤٨ يتصل السحاب بالمطر والاستبشار.

ويشرح مجمع البيان الإزجاء بالسوق، والركام بتراكب بعضه فوق بعض، والودق بالمطر [م٤١]. يثبت هذا الشرح المعاني اللغوية التي نبدأ منها، ولا يحدد وحده نوع كل سحابة في التصنيف الجوي.

كما أن تسلسل الأفعال لا يعني أننا حصلنا على جميع المتغيرات اللازمة لنموذج أرصاد. يمكن للآية أن تعرض مشهدًا صحيح الدلالة في خطابها، بينما يحتاج وصف تفاصيله الطبيعية إلى أدوات أخرى.

## ٢٩.٢ ما الذي يحمله السحاب؟

السحاب المرئي يتكون من قطيرات ماء أو بلورات جليد، بخلاف بخار الماء الغازي الذي لا نراه بذاته. ويتصل تكونه بتكاثف الماء في ظروف مناسبة، بينما يتطلب سقوط الهطول نمو القطيرات أو الجسيمات وقدرتها على الهبوط. فلا يلزم أن تمطر كل سحابة [ع٢٢، ع٢٦].

وتعرض الأرصاد مسارين مهمين لنمو الهطول. ففي مسار التصادم والالتحام تتلاقى قطيرات تختلف أحجامها وسرعات سقوطها وتندمج، فتتكون قطرات أكبر. وفي السحب الباردة التي تضم ماءً سائلًا وجليدًا قد تنمو البلورات بترسب بخار الماء عليها على حساب القطيرات. وقد تصل الجسيمات المتساقطة ثلجًا أو تذوب في طريقها

فتصير مطرًا، بحسب حرارة الطبقات التي تعبرها [ع٩٠]. لذلك لا يكشف شكل الهطول عند الأرض وحده جميع المراحل التي مر بها داخل السحابة.

ويشرح عرض البرد لدى الإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي دور التيارات الصاعدة في العواصف، ونمو حبات البرد عندما تصطدم بقطيرات ماء فائقة التبريد فتتجمد عليها. ثم تسقط حين لا تستمر الظروف التي تحملها، وقد يؤثر الذوبان في وصولها إلى الأرض [ع٢٢].

والمقصود بقطيرات الماء فائقة التبريد أنها تظل سائلة رغم انخفاض حرارتها دون درجة التجمد المعتادة؛ فلا يصح تسميتها حبات جليد قبل تجمدها. وعند نمو البرد قد يتجمد الماء سريعًا فيحتبس الهواء ويبدو الجليد معتمًا، أو يتجمد ببطء نسبي يسمح بخروج الفقاعات فتظهر طبقة أوضح [ع٢٢]. تساعد هذه العمليات على فهم اختلاف طبقات حبة البرد، ولا يلزم أن تحمل كل حبة سجلًا بسيطًا يمكن قراءته بالعين وحدها.

ليس البرد إذن اسمًا آخر للمطر البارد، ولا كل جليد في الجو من نوع واحد. التمييز بين الظواهر شرط قبل مقارنة أي منها بتعبير قرآني.

### ٣. «من جبال فيها من برد»

يسجل مجمع البيان وجوهًا متعددة في العبارة: يذكر اجتماع البرد في السحاب كهيئة الجبال عن البلخي وغيره، وتقدير مقدار جبال من البرد عن الفراء، والقول بجبال برد مخلوقة في السماء المعروفة عن الحسن والجبائي [م٤١]. هذه أقوال جمعها الطبرسي ونسبها؛ فوجودها في كتابه لا يجعلها جميعًا رأيًا واحدًا اختاره، ولا يحولها إلى نتائج فيزيائية مثبتة.

وعندما نذكر سحابًا عظيم الامتداد الرأسي، ينبغي ألا نقفز من تشابه الصورة إلى حصر معنى الآية فيه. فالترجيح يحتاج إلى بيان لغوي وسياقي، لا إلى صورة جميلة وحدها.

كما لا يلزم من نقل قول في تفسير قديم تبنيه بكل تفاصيله. الأمانة أن ننسبه إلى موضعه ونوضح نوع الدليل، ثم نترك للقارئ معرفة ما عرضناه وما لم نثبته.

### ٤. البرق والرعد

البرق تفريغ كهربائي، والرعد هو الصوت المرتبط بالتسخين السريع للهواء وتمددِه حول مسار التفريغ. وتشرح الجهة العلمية كيف تنشأ الموجة الصدمية وكيف يختلف الصوت الذي يصل إلى السامع بحسب المسار والمسافة والظروف الجوية [ع١١].

وليس كل برق مسارًا يصل السحابة بالأرض، فقد يقع التفريغ بين مناطق مختلفة الشحنة داخل السحابة نفسها. وتعرض خدمة الأرصاد دور تصادم جسيمات الهطول وحركات الهواء في فصل الشحنات داخل العاصفة، ثم حدوث التفريغ عندما تنهار قدرة الهواء على العزل [ع٩١]. هذا وصف تعليمي للآلية، ولا يتيح استنتاج مسار تفريغ بعينه من شكل السحابة وحده. كما أن سماع الرعد لا يثبت أن البرق المشاهد أصاب سطح الأرض؛ فالصوت ناتج عن التسخين السريع على طول مسار التفريغ.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢].

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

أما الرعد ١٢-١٣ فتجمع رؤية البرق خوفًا وطمعًا وتسبيح الرعد والملائكة وإرسال الصواعق. لا تختزل الآلية الصوتية معنى التسبيح، كما لا تمنحنا الآية قياسات الحرارة والشحنة. وسيأتي أصل تسبيح الموجودات في الفصل الرابع والثلاثين.

أما الخبر الروائي الذي يذكر ملكًا في صلة الرعد، فقد عُيّن موضعه في روضة الكافي [م٨٣]، وسيأتي نص مضمونه وطريقه وحدود الاستناد إليه في الفقرة السابعة من هذا الفصل.

### ٥. الخوف والطمع والاستجابة

يحمل المطر رجاء الحياة، وقد تحمل العاصفة خوف الضرر. لا يحتاج القارئ إلى إنكار أحد الوجهين حتى يفهم الآخر. وتساعد عبارة الخوف والطمع على ملاحظة اختلاف استجابة الإنسان بحسب حاجته ووضعه.

وأستخلص من ذلك ضرورة وصل التأمل بالعناية: متابعة المعلومات الموثوقة، واحترام أعمال الوقاية، وتقديم العون للمتضررين. ليست هذه الآيات دليلًا لاستبدال المعرفة الجوية بالتوقع الغيبي.

ومعرفة أسباب المطر لا تحول الماء إلى مورد مضمون تحت كل استعمال. سننتقل إلى التربة لنرى كيف يصل أثر المشهد الجوي إلى الإنبات والطعام، وكيف تتحول نعمة متجددة إلى مسؤولية مستمرة.

## ٦. الدعاء عند رؤية السحاب وسماع الرعد

في الدعاء السادس والثلاثين من الصحيفة السجادية، المخصص لهذا المشهد، يطلب الداعي نفع السحاب وبركته ودفع أذاه، ويتجه إلى رجاء الغيث بعد الجدب وإلى شكر النعمة [م٨٢]. فنحن أمام استجابة تعبدية تجمع الرجاء والانتباه إلى إمكان الضرر. وسبق في الفصل السابع عشر عرض جزئي لطريق مقدمة الصحيفة وخبر مقابلة النسختين [م١٣٢]؛ ولا يعادل ذلك استكمال طرق هذا الدعاء أو مقابلة مخطوطاته.

تساعد هذه القراءة على تجاوز اختزال المطر في منظر جميل أو حدث مخيف. فالسحابة نفسها قد يترقبها الزارع وتقلق المسافر، وتختلف آثارها باختلاف المكان والحال. يجمع الدعاء حاجات هؤلاء في التوجه إلى الله، ويعلم قارئه أن طلب الخير يشمل سلامة الناس وعمارة أرضهم.

ومن تأمل ذلك أمكنه أن يجمع الدعاء وفهم التوقعات الجوية والأخذ بأسباب الوقاية في سلوك متسق. وهذه ثمرة أخلاقية نستخلصها من القراءة، لا عبارة نزعم ورودها بهذا اللفظ في الصحيفة. فالإيمان بالنعمة لا يقتضي إهمال شروط الانتفاع بها، كما أن تفسير تكون السحاب لا يغني وحده عن سؤال الرحمة والشكر.

## ٧. خبر الرعد: تعيين النص قبل الحكم

ورد في روضة الكافي خبر مرفوع إلى أمير المؤمنين عليه السلام يصف منشأ السحاب وإثارته بالريح، ويذكر ملائكة ومخاريق في صلته بالبرق، ثم يسمي الملك بالرعد. وطريقه المعروض: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن ابن العزرمي، رفعه؛ وموضعه الخبر ٢٦٨ [م٨٣].

لفظة «رفعه» هنا جوهرية؛ فالطريق المعروض لا يسرد اتصال الرواة إلى الإمام. وقد قوبل الخبر في النص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ٢٦، ص ١٤١، فوجد وصف المجلسي له: «مرفوع» [م١٣٨]. نثبت عبارته كما هي، ولا نحولها إلى تصحيح للسند. أما عبارة «لم يخرجه» المنقولة في موقع الثقلين عن البهبودي فتبقى وصفًا لاختياره في التخريج، وليست نصًا مستقلًا منه في تضعيف الخبر.

وتعيين المصدر يتيح بدء الدراسة، لكنه لا ينهيها. يلزم استقصاء الطرق ومقابلة الألفاظ ودراسة رجال السند قبل بناء دعوى عقدية أو تفسير تفصيلي عليه. لذلك نسجله بوصفه خبرًا يحتاج إلى التحقيق، ولا نقرره وصفًا علميًا ثابتًا للسحاب والرعد، ولا ندعي أن لفظ الملك تعبير رمزي عن الشحنات الكهربائية.

يبقى بيان الصوت الناتج عن التسخين السريع للهواء في موضعه العلمي السابق [ع١١]، ويبقى النظر في هذا الخبر عملًا نصيًا له أدوات أخرى. هكذا يصبح الفرق بين الرواية المعيّنة والعبارة المتداولة فرقًا ظاهرًا في الكتاب يمكن للقارئ مراجعته.

## ٨. بين لفظ الخبر واحتمال الشارح

يكتمل نص خبر السحاب في الصفحة التالية من مرآة العقول. ويعرض المجلسي احتمال أن يتعلق وصف الشجر بنوع مخصوص من السحاب، واحتمال أن يكون كناية عن انبعاثه من البحر وما حوله، ثم يشرح لفظ المخاريق بالنقل اللغوي [م١٣٨]. ثبت لنا هنا أن الشارح ذكر احتمالات، ولم يثبت بذلك أن أحدها هو المعنى الذي قصدته الرواية قطعًا أو أنه نتيجة رصد جوي.

وتظهر فائدة المقابلة في ثلاثة أمور محددة: عُرف موضع حكم المجلسي بعد أن كانت صفحة الحديث الوسيطة خالية منه، ووصل صدر المتن بتتمته، وفُصل شرح المتأخر عن الكلام المنسوب إلى الإمام. تبقى دراسة الطريق وجمع شواهده مهمة أخرى. فلا تعالج الفجوة السندية بأن نختار تأويلًا يلائم تصورًا حديثًا، كما لا تنسب احتمالات الشارح إلى المتن على أنها ألفاظه.

وفي قراءة الدعاء نحتاج إلى دقة مماثلة. فمن عباراته: «وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا نَفْعَ هَذِهِ السَّحَائِبِ وَبَرَكَتَهَا، وَاصْرِفْ عَنَّا أَذَاهَا وَمَضَرَّتَهَا» [م٨٢]. يجمع الطلب بين نفع مرجو وضرر يخشى، ويعود في بقية الدعاء إلى المعايش والجدب والشكر. وهذه قراءة في النص المتاح، مع إحالة القارئ إلى حدود دراسة طريق الصحيفة المبينة سابقًا، حتى لا يوهم اقتباس الدعاء إنجاز تحقيق مستقل لم ينجز.

## ٩. الغيث بعد القنوط

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

يربط هذا النص نزول الغيث بانكشاف حال القنوط ونشر الرحمة. ويتيح وضعه إلى جانب دعاء السحاب أن نرى أثر الماء في القلب والمعيشة معًا: فالمطر ليس كمية تقاس فحسب، بل حدث ينتظره من خاف على زرعه

ورزقه. أما مقدار ما انتفع به موضع معين، ومدى سلامة طرقه وأبنيته، فيحتاج إلى معرفة الظروف الفعلية لذلك الموضع.

وفي الرصد ينبغي التفريق بين كمية المطر المتراكمة ومعدل هطوله خلال الزمن. فقد تتساوى الكمية الإجمالية في حالتين وتختلف مدة نزولها، فلا تكون شدة الهطول واحدة. وتوضح الأرصاد أن قياسات المطر تُجمع مع بيانات المجاري والتوقعات لتقدير وصول الماء إلى الأنهار [ع٩٠]. ومن ثم لا تكفي عبارة «نزل مطر كثير» لوصف أثره في موضع محدد، يلزم بيان المكان والمدة والقياس، ثم ربط ذلك بأحوال الحوض المائي.

ويستطيع المؤمن أن يرجو الرحمة ويدعو بها، وأن يقرأ في الوقت نفسه نشرات الطقس وبيانات الماء قراءة متأنية. ما يفسره القياس من أسباب المطر لا يلغي معنى الرجاء، وما يبعثه الرجاء في النفس لا يعوض المعلومات اللازمة لتقدير الأثر. وحين نجمع المعنيين نكون أقرب إلى شكر يعرف النعمة ويعتني بالناس الذين تتغير أحوالهم معها.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١].

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [النور: ٤٢].

﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٤].

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥].

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النور: ٤٦].

## ١٠. خبر أول المطر: الطريق وعبارة الراوي

في روضة الكافي، الخبر ٣٢٦، يرد عن الإمام الصادق عليه السلام وصف قيام أمير المؤمنين عليه السلام في أول المطر حتى تبتل ثيابه، وتعليله بقوله: «إن هذا ماء قريب عهد بالعرش». ثم يتسع الخبر إلى وصف ماء تحت العرش، ومروره إلى السحاب، وتقدير القطر ومواضعه [م١٨٢]. يدرج هذا النقل هنا لاستكمال مادة الفصل، لا لتقرير جميع تفاصيله بوصفها حقائق علمية أو رواية ثابتة السند.

وطريقه: علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام. وقد وصفه المجلسي في مرآة العقول بأنه «ضعيف»، وقوبل هذا الحكم بالنص الإلكتروني للجزء ٢٦، ص ١٩٥ [م١٨٣]. وبذلك يصحح رقم الجزء الذي يظهر في إحالة الثقلين بصيغة ١٦/١٩٥. ننسب التضعيف إلى صاحبه، ولا ندعي أن هذه المقابلة تغني عن بحث رجال الطريق واختلاف المباني فيهم.

وفي أثناء المتن ترد عبارة «حتى يصير إلى سماء الدنيا فيما أظن». ينص هامش طبعة الكافي المصححة بتعليقات علي أكبر الغفاري على أن عبارة الظن كلام الراوي [م١٨٢]، ويشرحها المجلسي كذلك على أنها تردد الراوي في ذكر الإمام السماء الدنيا [م١٨٣]. من الأمانة إبقاء هذا القيد في الاقتباس؛ فحذفه يجعل موضع التردد يبدو نقلًا جازمًا، ونسبته مباشرة إلى الإمام لا يطابق تفسير الشارح والهامش.

ولا ينقل حكم هذا الخبر إلى خبر الرعد ٢٦٨ المتقدم: ذاك عُرض بطريق فيه «رفعه» ووصفه المجلسي بالمرفوع، وهذا طريق آخر وصفه بالضعف. اجتماع النصين في الحديث عن السحاب لا يوحد سنديهما، كما لا يجعل أحدهما شاهدًا كافيًا لتصحيح الآخر دون دراسة.

## ١١. بين صورة الغربال وتفسير الشارح

يشبه خبر المطر السحاب بالغربال، ويذكر في تتمته البرد وذوبانه والصواعق. وتعرض الصفحات التالية من شرح المجلسي احتمالات في فهم الطحن والإذابة وعلاقتهما بتفرق الماء؛ كما تتضمن مناقشته لأقوال الطبيعيين في زمنه [م١٨٣]. هذه المناقشة من كلام الشارح، وليست جزءًا من الرواية، ولا يصح تقديمها للقارئ على أنها تقييم للقياسات الجوية الحديثة.

ويعرض المازندراني في شرح أصول الكافي معاني محتملة للعرش في هذا الموضع، منها الإرادة والرحمة، إلى جانب المعنى الذي رجحه في شرحه [م١٨٤]. تعدد الاحتمالات يقتضي أن ننسب كل تفسير إلى شارحه، فلا نختار أحدها ثم نضعه في فم الراوي، ولا نجعل تأويل اللفظ دليلًا مستقلًا على صحة الطريق.

وحدود المقارنة العلمية هنا مهمة: وصف السحاب بالغربال صورة واردة في النص، وليس تعريفًا لبنية السحابة أو معادلة لنمو قطيراتها. أما تكاثف الماء ونمو الهطول وتكون البرد فقد عرضت في هذا الفصل بمصادرها العلمية [ع٢٢، ع٢٦]. لا يلزم من الاشتراك في الحديث عن الماء أن تكون الرواية والقياس الجوي مصدرين لنوع واحد من التفاصيل.

ويبقى مشهد استقبال النعمة مجالًا للتأمل في الشكر، لكنه لا يتحول بهذا العرض إلى توصية بالتعرض للعواصف أو ترك وسائل الوقاية. كما لا يُستخرج من وصف ماء المطر في شرح قديم حكم معاصر بصلاحيته للشرب أو مأمونيته. المقصود هنا حفظ النص وحدود دليله، لا إصدار إرشادات صحية أو سلامة من رواية لم يستكمل تحقيقها.

## ١٢. شاهدا العياشي وعبارة تفسير القمي

يرد في تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٠٧، خبران متجاوران ينبغي الفصل بينهما. يبدأ الخبر ٢٢ بيونس بن عبد الرحمن عن حكاية داود لمجلس سُمع فيه الرعد، وفيه تسبيح وسؤال أبي بصير عن كلام الرعد، ثم توجيه إلى السؤال عما يعنيه. أما الخبر ٢٣ فيبدأ بأبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام، ويتضمن تشبيه زجر السحاب بزجر الإبل، ثم ذكر مخاريق الملائكة في جواب السؤال عن البرق [م١٨٥].

لا ننقل جواب الخبر الثاني إلى الأول كأنهما حوار واحد، ولا نملأ الضمير في عبارة «كذا عنده» من الخبر الأول باسم لم يسمه هذا الموضع. وفي هامش الخبر ٢٣ شرح للمخاريق منقول عن الطريحي؛ وهو شرح لغوي في هامش الطبعة، لا تتمة لجواب الإمام. كذلك لا تعرض الصفحة سلسلة كاملة من العياشي إلى الرواة المذكورين؛ فوجود هذين الشاهدين يوسع مادة المقارنة، ولا يثبت وحده اتصال الطريق أو استقلاله عن سائر النقول. بقي جمع الطرق وتحقيق الرجال ومقابلة النسخ [م١٨٥].

وفي تفسير القمي عند الرعد ١٣ ترد عبارة «الملك الذي يسوق السحاب» تفسيرًا للرعد [م١٨٦]. هذا موضع تفسيري له سياقه؛ ولا يجوز أن نلحق به سند خبر آخر مجاور في الصفحة، أو ننسبه جزمًا إلى الإمام من غير طريق معين. وسبق في الكتاب بيان أن دراسة نسبة مادة التفسير وطرقها أوسع من مجرد العثور على العبارة فيه.

وتكشف مراجعة كنز الدقائق عن فائدة العودة إلى الأصل: ينقل المتن عبارة في الرعد والبرق منسوبة إلى علي عليه السلام، وينبه هامش المحقق إلى غياب اسم علي من مصدره، وأن الخبر السابق عن أبي عبد الله عليه السلام [م١٨٧]. وقد أمكنت مقابلة النص الإلكتروني للفقيه، ج ١، ص ٥٢٥-٥٢٦: يبدأ الحديث ١٤٩٦ بسؤال أبي بصير أبا عبد الله عليه السلام، ثم يرد الحديث ١٤٩٧ بصيغة «وقال عليه السلام: الرعد صوت الملك، والبرق سوطه». تؤيد هذه المقابلة ملاحظة غياب اسم علي من الموضع؛ وظاهر تعاقب الكلام عود الضمير إلى أبي عبد الله عليه السلام، وهو استظهار من السياق لا تصريح جديد بالاسم، ولا حكم مستقل بصحة الطريق.

هذه الفروق في الطريق والصياغة والنسبة تمنع جمع الشواهد في عبارة عامة مثل «ثبت في الروايات» دون تفصيل. ولا تغير وصف الرعد الصوتي المبين في أول الفصل؛ فالمقارنة هنا بين نصوص منقولة، وليست تجربة تقيس آلية البرق أو تثبت تأويل الملك بالشحنة الكهربائية.

إحالات الفصل: البقرة ١٦٤؛ الرعد ١٢-١٣؛ النور ٤٣؛ الروم ٤٨؛ مجمع البيان، النور ٤١-٤٦ [م٤١]؛ تكون السحاب [ع٢٦]؛ صوت الرعد [ع١١]؛ تكون البرد [ع٢٢]؛ الصحيفة السجادية، الدعاء ٣٦ [م٨٢]؛ الكافي، الروضة، الخبر ٢٦٨ [م٨٣]. الشورى ٢٨ كاملة؛ مقابلة خبر الرعد وشرح المجلسي في مرآة العقول، ج ٢٦، ص ١٤١-١٤٢ [م١٣٨]؛ حدود طريق الصحيفة [م١٣٢]. خبر أول المطر، الكافي، الروضة، ح ٣٢٦ [م١٨٢]؛ تضعيف المجلسي وشرحه، مرآة العقول ج ٢٦ ص ١٩٥-١٩٨ [م١٨٣]؛ شرح المازندراني ج ١٢ ص ٣٢٦ [م١٨٤]. شاهدا تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٠٧ [م١٨٥]؛ تفسير القمي عند الرعد ١٣ [م١٨٦]؛ تنبيه محقق كنز الدقائق إلى نسبة نقل الفقيه [م١٨٧]. نمو الهطول وقياسه [ع٩٠]؛ فصل الشحنات والبرق داخل السحابة والمتصل بالأرض [ع٩١].

# الفصل ٣٠ — الأرض الحية — التربة والإنبات والأرزاق

## ٠١. حين تستجيب الأرض للماء

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

تكرر آيات الحج ٥ والروم ٥٠ وفصلت ٣٩ مشهد الأرض بعد نزول الماء وما يظهر فيها من حركة وإنبات. ويتصل المشهد بالاستدلال على الإحياء والبعث. يراه الإنسان في خبرته الزراعية أو في أرض تجدد خضرتها، ثم يُدعى إلى النظر فيما وراء الاعتياد.

ويشرح الطبرسي الأرض الهامدة بأنها يابسة دارسة من أثر النبات، ويفسر اهتزازها بحركتها بالنبات، وربوها بزيادتها، ويورد عن الحسن وجه انتفاخها لظهور النبات. كما يفسر الزوج هنا بالصنف والبهيج بحسن المنظر [م٢٦٢]. نثبت هذه المعاني من موضعها، ولا ننسب إلى المفسر حديثًا عن حركة جسيمات التربة أو آلية مجهرية لم يذكرها. فالمقارنة العلمية تبدأ بعد ضبط اللفظ والسياق، ولا تحل محلّهما.

ولا تعني تسمية الأرض حية أن كل حبة تراب كائن مستقل بالمعنى الذي تدرسه الأحياء. فالسياق يعرض تحولًا مشاهدًا بعد خمود، ويصل به إلى معنى القدرة على الإحياء. ينبغي أن نفهم هذا الاستعمال قبل مقارنته بالتعريفات العلمية.

وفي المقابل، ليست التربة مادة خاملة في جميع آثارها. إننا ننظر إلى وسط يضم كائنات وعمليات متعددة، ويؤثر في الماء والغذاء وحياة الناس.

## ٢. التربة وسط متفاعل

توضح منظمة الأغذية والزراعة أهمية المادة العضوية والكائنات التي تفككها، وصلتها بإتاحة المغذيات وبنية التربة وقدرتها على الاحتفاظ بالماء. وتتداخل هذه العمليات مع العناصر المعدنية والجذور والهواء والرطوبة [ع٢٣].

وتبين المنظمة أن الاستغلال الزراعي من دون صيانة المادة العضوية والمغذيات والبنية قد يؤدي إلى تراجع الخصوبة. إصلاح التربة يحتاج إلى معرفة بظروف الموضع وإدارة مناسبة، وقد يتطلب وقتًا. ليست إضافة مادة واحدة وصفة عامة تصلح لكل أرض.

ومن صور تدهور البنية انضغاط التربة، إذ تقل المسامات، ولا سيما الكبيرة التي تساعد على حركة الماء والهواء. وقد يقيد ذلك امتداد الجذور ويضعف التهوية والصرف، ويزيد الجريان السطحي في بعض الظروف [ع٩٢]. لذلك لا يكفي وجود مغذيات في التربة للحكم بأن الجذور تستطيع الانتفاع بها جيدًا؛ فالوصول إلى الماء والهواء واختراق الوسط جزء من المسألة أيضًا.

وتربط الدراسات الزراعية بنية التربة بتجمع حبيباتها في وحدات مترابطة، تسهم الجذور والكائنات الدقيقة في تكوينها واستقرارها. كما قد تحمي البقايا النباتية السطح من اصطدام قطرات المطر وتحد من التبخر، لكنها تؤثر كذلك في حرارة مهد البذرة ورطوبته [ع٩٣]. لذا يختلف أثر الممارسة باختلاف المناخ والتربة والمحصول؛ ولا تُنقل نتائج حقول باردة إلى أرض حارة جافة على أنها وصفة واحدة.

هذه المعرفة تشرح جانبًا من أسباب الإنبات، ولا تستنفد معنى الرزق في الخطاب الديني. كما أنها تمنع الوهم بأن التربة مخزون لا يتأثر مهما تكرر الأخذ منه.

## ٣. من الأرض إلى المائدة

قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ [عبس: ٢٤].

﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ [عبس: ٢٥].

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ [عبس: ٢٦].

﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ [عبس: ٢٧].

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ [عبس: ٢٨].

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ [عبس: ٢٩].

﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ [عبس: ٣٠].

﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١].

﴿مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس: ٣٢].

تدعو عبس ٢٤-٣٢ الإنسان إلى النظر في طعامه، ثم تعرض صب الماء وشق الأرض وإنبات الحب والعنب والقضب والزيتون والنخل والحدائق والفاكهة والأب. المائدة نهاية ظاهرة لسلسلة طويلة، وليست بداية وجود الطعام.

والنظر هنا يوسع دائرة الشكر. فاللقمة تتصل بموطن الإنبات، وبمن يعمل في الزراعة، وبطرق الانتفاع والتوزيع. ومن الممكن أن يشكر الإنسان بلسانه ثم يهدر الطعام أو يتجاهل تعب من أنتجه؛ لذلك يحتاج الشكر إلى مراجعة العمل.

ولا يلزم من جمع الأصناف في الآيات أن نحولها إلى قائمة حصرية لكل نبات نافع. المقصد الذي ندرسه هو تنوع الرزق وقيام الحياة عليه، أما تفاصيل الأنواع والأعضاء والتكاثر فلها مجال أوسع في «حكاية النبات».

## ٤. شاهد روائي في فضل الزراعة

يروي الكليني في كتاب المعيشة، باب فضل الزراعة، الحديث الثالث، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن خالد، عن سيابة، عن أبي عبد الله عليه السلام، جوابًا لمن سأل عن دعوى كراهة الزراعة. ويأتي فيه الحث على الزرع والغرس [م٤٢].

قوبل حكم المجلسي في مرآة العقول، ج ١٩، ص ٣٣١، فثبت وصف الحديث الثالث بأنه «مجهول» [م١٣٦]. وبذلك يصحح رقم الجزء التاسع الظاهر في إحالة صفحة الثقلين إلى الجزء التاسع عشر. وقوبل الخبر بصورة صحيح الكافي، ج ٢، ص ٣٦٧، برقم ٢٧٨٤ في تسلسل المختار [م٣٠٩]؛ فثبت إدراج البهبودي له، وتفهم نسبة التصحيح إليه على منهجه المصرح به في المقدمة [م٣٠٥]. اكتملت مقابلة موضعي الحكمين، وبقيت دراسة مباني الاختلاف بينهما خارج هذه المقابلة؛ فلا يوصف الخبر بأنه صحيح باتفاق.

أما مضمونه المتعلق بفضل العمل الزراعي فيُدرس ضمن نصوص الباب، ولا نستخرج منه وحده فتوى تفصيلية في كل صورة من صور الاستثمار. كما لا نبني على ذيله المتعلق بالمستقبل جدولًا زمنيًا لأحداث الغيب.

### ٥. الرزق والحق والإسراف

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

تجمع الأنعام ١٤١ بين ذكر الثمر والأكل وإيتاء الحق يوم الحصاد والنهي عن الإسراف. يعيد هذا الاجتماع النظر من كمية المحصول إلى طريقة التعامل معه. الزيادة في الإنتاج ليست معيارًا وحيدًا لحسن العمل إذا صاحبتها مظلمة أو إضاعة.

ويتصل حفظ التربة بهذا المعنى الأخلاقي: ما نفعله في الحاضر يؤثر في إمكان الانتفاع اللاحق. وليس كل أثر ظاهرًا في الموسم الأول، ولا يُختزل نجاح الزراعة في ما يصل إلى يد فرد واحد.

ومن هنا نرى أن حكاية الكون لا تبقى عند الضوء البعيد. إنها تصل إلى التراب والخبز والعمل اليومي، وتمنح المعرفة معناها العملي حين تجعل الإنسان أحرص على أسباب الحياة وأعدل في الانتفاع بها.

### ٦. ماء واحد وثمار مختلفة

قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

تجمع آية الرعد قطعًا متجاورة وجنات من أعناب وزرعًا ونخيلًا، ثم تلفت إلى سقيها بماء واحد وتفاوت ما يؤكل منها [الرعد: ٤]. يبدأ المشهد بالقرب المكاني والاشتراك في مورد، ثم ينتهي إلى اختلاف الثمرة. وهو يدعو إلى ملاحظة ما قد تمر عليه العين من غير سؤال: كيف يجتمع هذا القدر من التنوع في منظر مألوف؟

لا يعني اشتراك الماء أن بقية العوامل متطابقة، ولا تقدم الآية تجربة عزلت اختلاف النبات والتربة والمناخ. إنما تعرض اختلافًا محسوسًا يستحق التفكر. وفي القراءة العلمية يلزم بحث كل عامل بوسائله، وفي القراءة الإيمانية يتحول اعتياد الطعام إلى يقظة أمام تنوعه وإمكانه.

وتظهر أهمية خصائص التربة في مسألة الملوحة. تشرح منظمة الأغذية والزراعة أن زيادة الأملاح قد تعوق امتصاص النبات للماء، وأن بعض الأيونات قد تؤذيه، مع اختلاف تحمل المحاصيل. وتختلف ملوحة التربة عن الصودية التي ترتبط بارتفاع نسبة الصوديوم مقارنة بالمكونات الملحية الأخرى، وما قد يصحبها من تدهور بنية

التربة وضعف نفاذ الماء فيها؛ وقد تجتمع المشكلتان. لذلك يرتبط التعامل معهما بتشخيص التربة والماء والصرف، ولا يختزل في زيادة الري على إطلاقها [ع٤٦].

ويظهر حدّ زيادة الماء في مثال آخر غير الملوحة: توضح إرشادات جامعة مينيسوتا أن تشبع التربة ونقص الأكسجين وتكوّن القشرة السطحية قد تعوق بزوغ بادرات فول الصويا، وأن الظروف الباردة الرطبة قد تضعف الإنبات وتزيد مشكلات أمراض البادرات [ع٩٤]. هذا مثال لمحصول وظروف محددة، لا حكم بأن جميع النباتات تستجيب بالطريقة نفسها. وهو يوضح لماذا نميز بين حاجة النبات إلى الماء وبين إغراق وسط جذوره.

يضيف هذا المثال معنى ملموسًا إلى العناية بالأرض: وجود الماء وحده لا يضمن نجاح الزراعة في كل حال. والصيانة النافعة تبدأ بفهم المورد الذي بين أيدينا، حتى لا يفسد تدبير متعجل ما كان يراد إصلاحه.

## ٧. المال المزروع وحق الحصاد

ينقل الكافي في باب فضل الزراعة خبرًا آخر، هو الحديث السادس، يروي فيه الإمام الصادق عن النبي صلى الله عليه وآله فضل زرع يتولاه صاحبه بالإصلاح وأداء حقه عند الحصاد. وطريقه إلى الإمام: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله [م٨٤]. وقوبل حكم المجلسي في مرآة العقول، ج ١٩، ص ٣٣٢: «ضعيف على المشهور وآخره مرسل» [م١٣٧].

ويحتاج آخر الحكم إلى انتباه في قراءة النص: تنتهي الرواية الأولى بعد حوار يتجاوز الزرع إلى الغنم والبقر والنخل والإبل، ثم تليها صيغة «وروي» التي تنسب إلى الإمام الصادق قول «الكيمياء الأكبر الزراعة» [م٨٤]. فالجملة الأخيرة نقل مستقل في هذا العرض، ولا نلحقها بطريق النوفلي والسكوني المساق أولًا. وقد قوبل الحكم في المراجعة السابقة بنص مرآة العقول الإلكتروني [م١٣٧]، مع بقاء مقابلة صور الطبعات والتحقيق الرجالي المستقل.

ومن ثم نستأنس بمضمون الإصلاح وأداء الحق مع التصريح بحال النقل، ويظل أصل الأمر القرآني بأداء حق الحصاد قائمًا بإحالته المباشرة [الأنعام: ١٤١]. وتلتقي في خاتمة الفصل ثلاثة أعمال متمايزة: معرفة ما يصلح التربة، وبذل الجهد في الزراعة، وحفظ حق الآخرين في ثمرة ذلك الجهد. وهذا الجمع هو تأمل الكتاب، لا حكم بصحة سند الخبر.

**٨. ما يزرعه الإنسان وما لا يستقل بخلقه**

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣].

قال تعالى: ﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٤].

قال تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة: ٦٥].

قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦٦].

قال تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة: ٦٧].

تنقل هذه الآيات النظر من فعل الحرث الذي يعرفه الإنسان إلى الإنبات الذي لا يستقل بإيجاده، ثم تعرض إمكان صيرورة الزرع حطامًا وما يعقبه من كلام المتحسرين. لا يسلب هذا الخطاب العمل الزراعي قيمته؛ فهو يبدأ من فعل يمارسه المخاطبون، ثم يذكرهم بأن النتيجة لا تدخل تحت سلطانهم المطلق. ومن هنا يجتمع بذل الجهد مع الاعتراف بالحاجة، ويختلف التوكل عن ترك أسباب العمل.

وتصل هذه القراءة بما ورد في خبري الزراعة على قدر ما يسمح به حال نقلهما. فالحث على الزرع والغرس في الخبر الثالث، وذكر إصلاح الزرع وأداء حقه في الخبر السادس، يقدمان مضمونًا يدرس ضمن أبواب العمل والرزق. أما درجتاهما وحدود المقابلة فقد صرحت بها الفقرتان السابقتان. إن حسن المعنى وحده لا يصحح سندًا، كما أن بيان حال السند لا يمنع القارئ من فهم المعنى الذي نُقل ومن مقارنته بأصل الأمر القرآني.

وليس من الأمانة أن تتحول هذه النصوص إلى وعد بأن كل زراعة تربح، أو أن كل خسارة تكشف نقص إيمان صاحبها. فالزرع يجري في عالم تتعدد شروطه، وقد يقع الضرر مع حسن القصد وبذل الجهد. ومن واجب الباحث أن يميز بين فضل العمل وبين ضمان نتيجته المالية، وأن يترك الفتوى في العقود والحقوق التفصيلية لأهلها.

وحين يتأمل الإنسان طعامه على هذا النحو يتسع معنى الشكر: يتذكر من عمل، ومن يحتاج إلى نصيب، وما ينبغي صيانته من الأرض والماء. وقد يكتمل المحصول ويبقى امتحان صاحبه في الحق والإسراف. لهذا لا ينتهي فصل التربة عند خروج النبات، بل يتابع أثره في العمل والرزق والعدل؛ فالثمرة التي تحملها اليد تكشف أيضًا الطريقة التي ينظر بها حاملها إلى من حوله.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

إحالات الفصل: الأنعام ٩٩ و١٤١؛ الحج ٥؛ الروم ٥٠؛ فصلت ٣٩؛ عبس ٢٤-٣٢؛ الكافي، ج ٥، كتاب المعيشة، باب فضل الزراعة، ح ٣ [م٤٢]؛ منظمة الأغذية والزراعة، أهمية المادة العضوية [ع٢٣]؛ الرعد ٤؛ الكافي، باب فضل الزراعة، ح ٦ [م٨٤]؛ منظمة الأغذية والزراعة، التربة الملحية والصودية [ع٤٦]. الواقعة ٦٣ -٦٧ كاملة؛ مرآة العقول، ج ١٩، ص ٣٣١-٣٣٢ [م١٣٦، م١٣٧]. مجمع البيان، الحج ٥ [م٢٦٢]؛ انضغاط التربة وبنيتها والتهوية ومثال بزوغ فول الصويا [ع٩٢-ع٩٤].

# الفصل ٣١ — الزلازل والبراكين والتحولات الأرضية

## ٣١.١ الأرض التي تهتز

تعتمد خبرة السكن على توقع استمرار الأرض تحت أقدامنا، ولذلك يهز الزلزال الشعور بالأمان قبل أن نفهم سببه. يصف العلم الزلزال التكتوني بحركة مفاجئة على صدع وإطلاق طاقة تنتقل في موجات. لا يصنع الرصد هذه الحركة، لكنه يجعل وصفها ودراسة آثارها أكثر دقة [ع٢٨].

وتكثر الزلازل عند حدود الصفائح، مع إمكان وقوعها داخل الصفائح أيضًا. وترتبط مناطق الاندساس بخنادق محيطية وزلازل وسلاسل جبلية قد تضم براكين نشطة. لهذا لا يجوز حصر الزلازل في صورة واحدة أو في بلد واحد [ع٢٤].

ومن المهم الفصل بين الحدث الطبيعي وبين مقدار الخسارة التي تصيبه بها حياة الناس. فدراسة الخطر لا تكتمل دون النظر إلى المكان والمنشآت والاستعداد، ولا تعني معرفة السبب إمكان التحكم الكامل فيه.

## ٣١.٢ البراكين وتعدد البيئات

تتصل براكين كثيرة بتفاعل الصفائح، لكن وجود براكين داخل بعض الصفائح يذكر بأن الخريطة ليست محصورة في الحدود وحدها. تعرض هيئة المسح الجيولوجي سلاسل جزر مرتبطة بما يسمى البقع الساخنة، ومنها هاواي [ع٢٥].

ولا ينبغي أن نعامل كل جبل على أنه بركان، أو كل مادة سوداء على أنها أثر ثوران قريب. تحديد نوع الصخر وتاريخه وبيئة تكونه يحتاج إلى دليل. كما لا يكفي لون صورة فضائية لإعادة بناء قصة جيولوجية كاملة.

ومن المصطلحات التي تحتاج إلى ضبط «الرماد البركاني»: فهو فتات دقيق من الصخر والمعادن والزجاج البركاني، وليس رماد احتراق كالذي يتبقى من الخشب والورق [ع٩٦]. لذلك لا يكفي تشابه عمود الثوران مع الدخان لاعتبار مادته ناتجة عن احتراق. تعيين المادة المنبعثة يسبق الحكم على خواصها وآثارها، كما يسبق مقارنة منظرها بوصف ورد في نص تاريخي أو ديني.

وحين نقرأ وصف نار أو دخان أو رجفة في نص ديني، لا نسمي الحدث بركانًا لمجرد تشابه بعض المظاهر. ينبغي أن يدل السياق أو دليل مستقل على هذا التعيين.

### ٣. تغير سريع وتغير بطيء

ليست جميع التحولات الأرضية كارثية مفاجئة. فهناك تغيرات تتراكم مع الجريان والتعرية والترسيب، وتختلف مقاييسها الزمنية عن لحظة الاهتزاز. يحتاج فهم المشهد إلى تمييز الحدث القصير من التاريخ الذي مهّد له.

وقد يرى الإنسان جرفًا أو مجرى قديمًا فيحسب أن صورته كانت دائمًا كما هي. أما البحث في الآثار فيسأل عن العمليات التي أنتجته وعن الشواهد التي تحفظ ترتيبها. ولا يتساوى التخمين القصصي مع إعادة بناء تتلاقى عليها أدلة مستقلة.

وهذه فرصة لتطبيق منهج الكتاب في العلوم أيضًا: نوضح درجة الثقة، ولا نروي كل فرضية كما لو كانت تسجيلًا مباشرًا للماضي.

### ٤. الرجفة والخسف وزلزلة الساعة

قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٩١].

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢].

تذكر الأعراف ٧٨ و٩١ الرجفة في سياقين قصصيين مخصوصين، وتذكر القصص ٨١ خسف الأرض بقارون وداره. أما الحج ١–٢ وسورة الزلزلة فتعرضان مشاهد ذات صلة بالساعة والمصير. لا يجوز دمج هذه المواضع في وصف جيولوجي واحد.

إذا أخبر القرآن بسبب أخلاقي لواقعة معينة، ثبتت نسبته في حدود الخبر. لكن ذلك لا يمنحنا علمًا بسبب غيبي مخصوص لكل زلزال معاصر. التشابه في الضرر لا يكفي لنقل الحكم على الضحايا.

وكذلك لا تصبح كل هزة مقدمة محددة للساعة يمكن استخراج موعدها من سجل الزلازل. مجال الرصد الطبيعي لا يمنح صاحبَه معرفة بالتوقيت الذي لم يدل عليه الوحي.

### ٥. الاعتبار لا يبرر لوم المنكوبين

يجوز للإنسان أن يتذكر ضعفه ويعيد النظر في سلوكه عند الشدة. لكن محاسبة النفس تختلف عن اتهام أهل بلدة بأن مصيبتهم تكشف مقدار ذنوبهم. الادعاء الثاني يحتاج إلى علم ليس عند المتكلم بمجرد مشاهدة الأخبار.

وقد يصرف هذا الاتهام الانتباه عن مسؤوليات قابلة للتحقق: تقصير في بناء، أو إهمال مورد، أو تعطيل عون. هذه أمور تبحث بالأدلة، ولا نستبدلها بتفسير غيبي يريح من السؤال عن العمل البشري.

ولا يتعارض الدعاء مع التعلم والإغاثة. ما يستطيع الإنسان تقليل ضرره أو إصلاحه يدخل في مجال مسؤوليته، حتى إذا لم يكن قادرًا على منع أصل الحدث.

### ٦. مقدار الزلزال وشدة أثره

حين يقال إن زلزالًا وقع بمقدار معين، ثم ترد أوصاف مختلفة لما شعر به الناس، فلا يلزم أن يكون أحد الخبرين نقيض الآخر. فالمقدار يصف حجم الحدث عند مصدره اعتمادًا على التسجيلات الزلزالية، أما الشدة فتصف الاهتزاز وآثاره في موقع معين. ولهذا تكون للحدث الواحد شدات مختلفة عبر المنطقة المتأثرة [ع٤٧].

وتوضح هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية أن تقديرات المقدار نفسها قد تختلف قليلًا باختلاف طرائق الحساب والبيانات، بينما يستند مقياس ميركالي المعدل إلى الآثار المشاهدة. ومن هنا ينبغي عند قراءة تقرير أن نسأل: هل الرقم يصف الزلزال في مصدره، أم درجة التأثير في المكان الذي يتحدث عنه التقرير؟

ومقاييس المقدار لوغاريتمية؛ ففي المقاييس المبنية على سعة التسجيل تقابل زيادة درجة واحدة زيادة تقارب عشرة أمثال في السعة بعد مراعاة تصحيحات القياس، بينما يشيع تقريب فرق الطاقة بنحو اثنين وثلاثين مثلًا لكل درجة [ع٩٥]. هاتان علاقتان مختلفتان؛ فلا يصح قول إن زلزالًا بمقدار ستة يطلق طاقة تزيد قليلًا فقط على زلزال بمقدار خمسة. كما لا تتحول نسبة الطاقة تلقائيًا إلى النسبة نفسها في الخسائر أو اهتزاز كل مبنى.

ويختلف مقدار العزم الزلزالي عن مجرد قراءة سعة موجة واحدة؛ إذ يرتبط بالعزم المحسوب من صلابة الصخر ومساحة الصدع التي انزلقت ومقدار الانزلاق. وتبين هيئة المسح الجيولوجي أن مقاييس المقدار ليست متطابقة

في جميع المجالات [ع٩٥]. لذلك تُحفظ تسمية المقياس الواردة في التقرير، ولا يُطلق اسم ريختر على كل رقم زلزالي دون تمييز.

تؤدي دقة المصطلح إلى دقة في الفهم والعمل. فقول شاهد إن بيته اهتز بقوة لا يحدد وحده مقدار الزلزال كله، كما أن رقم المقدار لا يروي بمفرده تجربة كل من عاش الحدث. ويستطيع القارئ أن يحترم شهادة المتضرر، ويطلب في الوقت نفسه معلومات الرصد؛ فلكل منهما جانب يوضحه.

أما في لغة الموعظة فلا يجوز تحويل الفرق بين المقادير والآثار إلى ترتيب لأقدار الناس أو درجات رضا الله عنهم. البيانات تصف ظواهر قابلة للرصد، ولا تمنح صاحبها علمًا بسرائر المنكوبين.

### ٧. قارون وتغير نظر المتفرجين

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦].

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨].

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠].

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢].

يتسع مشهد قارون في سورة القصص لما قبل الخسف وما بعده. تعرض الآيات ثروته ونصح قومه له، ثم خروجه في زينته وتمني بعض الناظرين مثل ما أوتي، في مقابل تذكير أهل العلم بثواب الله. وبعد الخسف يتغير كلام من تمنوا مكانه، ويتذكرون بسط الرزق وتقديره [القصص: ٧٦–٨٢].

إذا اقتطعنا حدث الخسف وحده فاتنا هذا البناء السردي؛ فالقصة تدرس كذلك فتنة المشاهدة وكيف يصير المال معيارًا مضللًا للنجاح. وهي تربط العاقبة بالشخص الذي عينه الوحي في سياقه، فلا تجعل كل خسف معاصر نسخة معلومة من قصته.

ومن تأمل تحول المتفرجين وجد امتحانًا قريبًا من حياته: قد ينظر إلى مظهر القوة فيحكم لصاحبه بالكمال، ثم يتعلم بعد سقوطه أن الحكم كان متعجلًا. وليس المطلوب انتظار سقوط الآخرين لكي نصحح موازيننا؛ فالقصة تتيح مراجعة التمني والإعجاب قبل أن تتبدل الأحوال.

وبذلك يرجع الحديث عن الأرض المتحركة إلى الإنسان الذي يسكنها: ماذا يظن أنه يملك؟ وكيف يقرأ المصيبة؟ وهل تزيده معرفته رفقًا بمن أصيب، أم تزيده جرأة على حكم لا يملك دليله؟ هذه أسئلة أخلاقية تبقى مفتوحة للمحاسبة، بينما يواصل العلم دراسة آليات الزلازل والبراكين بوسائله.

## ٨. الإنذار المبكر وحدود التنبؤ

تفرق هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية بين احتمالات وقوع الزلازل وبين التنبؤ المحدد بوقتها ومكانها ومقدارها. وتبين أن الإنذار المبكر يصدر بعد بدء الزلزال، مستفيدًا من الرصد وسرعة إيصال التنبيه قبل وصول موجات الاهتزاز إلى بعض المواقع. وقد يمنح ذلك ثواني أو عشرات الثواني لاتخاذ إجراءات، بحسب الحال [ع٦٠]. فالمعلومة هنا تتعلق بحدث بدأ فعلًا، وليست كشفًا يقينيًا لموعد حدث لم يبدأ.

ويفسر هذا الفرق كيف يجتمع استمرار محدودية التنبؤ مع فائدة أجهزة الرصد. فمعرفة احتمال الخطر على مدة طويلة تساعد في التخطيط، ومعرفة أن حدثًا بدأ قد تفيد في التنبيه العاجل؛ ولكل معلومة زمنها واستعمالها. ولا تعني فائدة الإنذار أن جميع الناس سيحصلون على مهلة متساوية، كما لا يصح تسمية كل خريطة احتمالات موعدًا مؤكدًا لزلزال قادم.

وتتوقف المهلة المتاحة أيضًا على زمن اكتشاف الحدث ومعالجة البيانات وإيصال التنبيه، وعلى المسافة بين المصدر والموقع. ففي منطقة قريبة من المصدر قد تصل الموجات قبل أن يسبقها إنذار مفيد؛ ولهذا يناقش الشرح التقني منطقةً لا تكفي فيها المهلة للتحذير المبكر [ع٩٧]. هذا قيد في ترتيب وصول الإشارة والموجة، ولا يعني أن الزلزال لم يُرصد. كذلك فإن عدم تلقي تنبيه لا يصلح بذاته دليلًا على عدم وجود خطر.

وعند قراءة دعوى منشورة ينبغي السؤال: هل ذكرت زمنًا ومكانًا ومقدارًا يمكن فحصها؟ وهل وضحت حدود ما تعرفه؟ إن عبارة واسعة تسمح بإلحاق أي هزة بها بعد وقوعها لا تملك قوة تفسيرية لمجرد أنها بدت ناجحة مرة. وهذه قاعدة في محاسبة الادعاء، لا حاجة فيها إلى السخرية ممن خاف أو صدق؛ فخوف الناس يزيد مسؤولية من ينشر لهم المعلومات.

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣].

تربط الآيتان العلم بسبق الكتابة بتربية النفس على التعامل مع الفائت والمؤتى، وبترك الاختيال والفخر. نقرأهما في مقام تهذيب الاستجابة، ولا نجعلهما وسيلة لتعيين ذنب الضحية أو لإلغاء البحث في أسباب الضرر. والإيمان بالقدر لا يزودنا بتاريخ زلزال قادم، ولا يعفينا من واجب الإغاثة وصيانة البناء وتعلم ما ينفع الناس.

وهكذا يعود الفصل إلى مقصده الإنساني: أن تزيد المعرفة دقة في الوصف ورحمة في العمل. لا نملك أن نجعل الأرض خالية من كل تغير، لكننا نستطيع أن نميز المعلومة من الإشاعة، وأن نحاسب التقصير بالأدلة، وأن نقف مع المنكوب دون ادعاء علم بسريرته. في هذه الحدود تصبح دراسة الأرض المتحركة جزءًا من عمارتها وحفظ حياة ساكنيها.

## ٩. مكاتبة الأهواز: واقعة محددة لا قاعدة لإلغاء الاحتياط

يروي الصدوق في من لا يحضره الفقيه مكاتبة علي بن مهزيار إلى أبي جعفر عليه السلام يشكو فيها كثرة الزلازل بالأهواز ويسأل عن التحول عنها. وفي الجواب توجيه إلى الصوم في ثلاثة أيام، والاغتسال وتطهير الثياب والخروج للدعاء يوم الجمعة؛ ثم يذكر الراوي سكون الزلازل بعد فعل ذلك [م١٧٩]. ويورد الطوسي المكاتبة أيضًا في باب صلاة الكسوف من التهذيب [م١٨٠].

يعرض الثقلين نص الفقيه بلفظ «يرفع عنكم»، ونص التهذيب بلفظ «يدفع عنكم» [م١٧٩–م١٨٠]. لكن صورة طبعة التهذيب بتصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، ج ٣، ص ٣٢٥، تثبت «يرفع عنكم» [م٢٨٤]. لذلك لا ينسب اختلاف اللفظ إلى الكتابين بإطلاق؛ فالمقابلة تكشف أيضًا اختلافًا بين العرض الإلكتروني وهذه الطبعة من التهذيب. ويظهر السؤال في عرض الفقيه بلفظ «التحويل»، وفي عرض التهذيب وصورته بلفظ «التحول».

تثبت هذه الفروق في حدود الشواهد المقابلة، دون دعوى تعيين قراءة جميع النسخ. وتعدد مواضع إيراد المكاتبة ليس وحده دليلًا على استقلال طرقها.

يبدأ موضع الفقيه بعبارة «وروي عن علي بن مهزيار»، وموضع التهذيب بعبارة «وروى علي بن مهزيار». فلا تظهر في هذين الموضعين وحدهما جميع الوسائط من المصنف إلى الراوي؛ ودراسة الطريق تتطلب مراجعة المشيخة ووجه انطباق طرقها على هذه المكاتبة. وينقل الثقلين عن الغفاري الحكم بالصحة [م١٨٠]. وقد قوبلت صورة الصفحة المحال إليها مباشرة، فظهر الرمز «صح» بجانب المكاتبة رقم ٨٩١، وهي الحديث ١٨ في الباب، في ص ٣٢٥ من الطبعة المصححة بتعليقه [م٢٨٤]. يثبت هنا موضع الرمز كما يظهر في الصورة مع الحكم المنقول عن صاحبه؛ ولا يُقدَّم ذلك بوصفه تحقيقًا رجاليًا مستقلًا أجريتُه.

والقراءة التحريرية التي نعتمدها تحفظ خصوصية الواقعة: جواب سؤال معين لا يتحول بمجرد وروده إلى توجيه عام بالبقاء في كل موضع خطر. لا يقدم هذا الفصل فتوى في الانتقال من منطقة منكوبة، ولا يجعل المكاتبة بديلًا عن تقييم سلامة المباني وتعليمات الجهات المختصة. كما لا يستنتج من سكون الزلازل في الخبر موعدًا دوريًا لها أو طريقة تجريبية تضمن إيقافها.

## ١٠. خبر سليمان الديلمي: فصل الوصف الغيبي عن العمل التعبدي

ويورد الفقيه سؤال سليمان الديلمي للإمام الصادق عليه السلام عن الزلزلة، فيصفها الجواب بأنها آية، ثم يذكر ملكًا موكلًا بعروق الأرض. ويتبع ذلك سؤال الراوي عما يصنع عند وقوعها، وجواب يتناول الصلاة والسجود والدعاء [م١٨١]. للخبر إذن جانب في وصف السبب الغيبي وجانب في الاستجابة التعبدية؛ ولا يكفي الجمع بينهما لإثبات أن ألفاظه اصطلاحات جيولوجية.

ورد الخبر في الموضع المقابل بصيغة «وسأل سليمان الديلمي» من غير تفصيل جميع وسائط المصنف قبله. لم يستكمل في هذه الدفعة فحص طريق الصدوق إليه ولا تحقيق رجال الطريق وجمع الشواهد، ولذلك لا يوصف هنا بالصحة أو الضعف بحكم مستحدث. أما عبارة «لم يخرجه» التي يعرضها الثقلين للبهبودي فلا تقوم مقام حكم صريح بالتضعيف.

ولا نسوي «عروق الأرض» في هذا النقل بالصدوع أو حدود الصفائح؛ فهذه مطابقة تحتاج إلى دليل لغوي وسياقي، لا إلى التشابه في صورة الامتداد وحده. كذلك لا نجعل شرح حركة الصفائح برهانًا على تفاصيل الملك

المذكور أو نفيًا له؛ لأن القول في إسناد الخبر ودلالته مختلف عن وصف الحركة المرصودة. يثبت النص بحدوده، وتُذكر حدود التحقيق، ويترك التفصيل الفقهي للصلاة لمصادره المختصة.

## ١١. خاتمة الباب الرابع

بدأ الباب بوصف الأرض موطنًا مهيأ، وانتهى بوصفها عالمًا متغيرًا. لا يلغي أحد الوجهين الآخر: إمكان السكن حقيقة في خبرتنا، وحدود الأمان حقيقة أخرى. والمعرفة النافعة تحفظ الاثنين.

رأينا الماء والريح والصخر والتربة في صلتها بالحياة وبعمل الإنسان. وفي الباب التالي ننتقل من دراسة هذه العناصر إلى معاني الميزان والتقدير والتنوع والتسبيح، ثم إلى مسؤولية الإنسان أمام الكون الذي يعيش فيه.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١].

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢].

﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ [الزلزلة: ٣].

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤].

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥].

إحالات الفصل: الأعراف ٧٨ و٩١؛ القصص ٨١؛ العنكبوت ٤٠؛ الحج ١–٢؛ الزلزلة ١–٥؛ هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، الزلازل ومواضعها وأسبابها [ع٢٤، ع٢٨] والبقع الساخنة [ع٢٥]؛ القصص ٧٦–٨٢ ؛ هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، مقدار الزلزال وشدته [ع٤٧]. الحديد ٢٢–٢٣ كاملتين؛ الفرق بين الإنذار والاحتمال والتنبؤ الزلزالي [ع٦٠]. مكاتبة زلازل الأهواز في الفقيه والتهذيب [م١٧٩–م١٨٠]؛ خبر سليمان الديلمي في الفقيه [م١٨١]. مقاييس المقدار والطاقة والعزم الزلزالي [ع٩٥]؛ تركيب الرماد البركاني [ع٩٦]؛ زمن معالجة الإنذار وحدوده قرب المصدر [ع٩٧]. ولمقابلة طبعة التهذيب المصوّرة: [م٢٨٤].

# الباب الخامس — الكون آية — النظام والمعنى ومسؤولية الإنسان

من انتظام الخلق إلى عدل الإنسان وأمانته.

## الفصل ٣٢ — الميزان والتقدير والسنن في الخلق

### ١. من انتظام السماء إلى عدل الإنسان

يبدأ مشهد الميزان في سورة الرحمن من سياق الرحمة والتعليم: الرحمن علّم القرآن، وخلق الإنسان، وعلّمه البيان؛ ثم تأتي الشمس والقمر والحسبان، والنجم والشجر والسجود، ورفع السماء ووضع الميزان. لا يقف القارئ أمام خبر عن أجرام بعيدة وحدها، بل أمام خطاب يربط إمكان المعرفة بحسن استعمالها. وحين يصل إلى النهي عن الطغيان والأمر بإقامة الوزن بالقسط، يجد نفسه داخل المشهد، مسؤولًا عما يصنع بيده.

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧].

﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: ٨].

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩].

ينقل الطبرسي في مجمع البيان عند الرحمن ٧–٩ تفسير الميزان بآلة الوزن التي يتحقق بها الإنصاف عن الحسن وقتادة، وينقل تفسيره بالعدل عن الزجاج، ثم يذكر قولًا غير مسمّى القائل بأن المراد القرآن. فهذه أقوال يعرضها المفسر، وليست جميعها قولًا واحدًا يتبناه أو رواية عن المعصوم. وينبغي تمييزها عن التطبيقات التأملية اللاحقة؛ فلا نجزم بأن لفظ الميزان هنا اسم لقوة الجاذبية أو لمعادلة فيزيائية بعينها، والآيات تصرّح بالقسط وتحذر من بخس الوزن [م٤٣].

ومن هذا الموضع نفهم أن تعظيم انتظام الخلق لا يجيز تجاهل اضطراب سلوكنا. قد يحسن إنسان حساب مدار جرم، ثم يسيء حساب حق العامل في أجره. معرفته الأولى نافعة، لكنها لا تعفيه من الثانية. وللميزان بهذا المعنى حضور في السوق والقضاء والبحث، حيث يقع الطغيان كلما أخفينا جزءًا من الحقيقة لننتفع باختلال الصورة.

### ٢. التقدير وحدود الموجودات

قال تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

تقرر الفرقان ٢ خلق كل شيء وتقديره، وتقرر القمر ٤٩ شمول القدر للخلق. لا تعطينا هاتان الآيتان قائمة بالقيم العددية لخصائص المادة، بل تضعان الموجودات في نسبة إلى علم الله وقدرته وتدبيره. أما تقدير المسافات والكثافات والأعمار في البحث العلمي، فيحتاج إلى قياس ودليل وحساب، ولا يستخرج من عموم اللفظ وحده.

وعند تفسير الفرقان ٢ يربط الطبرسي التقدير بما تقتضيه الحكمة، ويعرض وجهًا يتصل بكتابة المقادير، ثم ينقل عن الحسن قولًا يتناول طول المخلوق وعرضه ولونه وسائر صفاته ومدة بقائه. يوسّع هذا العرض النظر إلى خصائص الأشياء وحدودها، لكنه لا يعطينا مقادير الثوابت الفيزيائية ولا طريقة استخراجها تجريبيًا. والأقوال هنا منقولة في تفسير الآية، أما ربط هذا المعنى العام بمسؤولية الباحث عن ضبط القياس فهو تأملي، لا نصّ التفسير [م٢٦٣].

ويمنع هذا التمييز خلط أمرين: حقيقة العالم كما خلقه الله، ووصف الإنسان لهذه الحقيقة. قد يتبين خطأ قياس سابق أو قصور نموذج استعملناه؛ فيكون التصحيح متعلقًا بمعرفتنا، لا دليلًا على أن الوجود نفسه كان بلا تقدير ثم اكتسبه. ولا يملك الباحث أن يجعل نموذجه نهائيًا لمجرد نجاحه في مجموعة من التطبيقات.

### ٣. السنن والاختيار

قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

يرد الحديث عن سنن الله في سياقات قرآنية متعددة، منها مصائر المكذبين وأحوال المجتمعات، كما في الأحزاب ٦٢ وفاطر ٤٣. وعند استعمال عبارة «سنن الخلق» في هذا الكتاب، يراد بها انتظام العالم وإمكان التعرف إلى العلاقات فيه؛ ولا يقصد أن كل اصطلاح علمي حديث وارد بنصه في آيات السنن.

وفي اصطلاح هذا الفصل، يصف القانون الطبيعي علاقة نختبرها بالملاحظة والقياس، أما الأمر بإقامة القسط فيوجّه فعل الإنسان الذي قد يطيع وقد يظلم. فلا يكفي انتظام حركة الأجرام وحده لإثبات عدالة معاملة بشرية، ولا تتحول مخالفة العدل إلى استثناء من قانون فيزيائي. والجمع بين تأمل النظام والعمل بالقسط رابطة إيمانية وأخلاقية أقترحها، مع بقاء الدليل المطلوب لكل دعوى في مجاله.

قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

كذلك لا يجوز أن تتحول الإشارة إلى التقدير إلى عذر يرفعه الإنسان عن خطئه. فالكتاب الذي يذكر القدر يخاطب الإنسان بالأمر والنهي، ويحاسبه على ما يعمل. ويظهر في الرعد ١١ ارتباط تغيير ما بقوم بتغيير ما بأنفسهم. ليست الآية وصفة حسابية تختزل تاريخ كل مجتمع في سبب واحد، لكنها تمنع قراءة المسؤولية الإنسانية كأنها أمر زائد لا أثر له.

## ٤. النظام لا يساوي إحاطتنا بالتوقع

قد نعرف سببًا دون أن نحيط بجميع شروطه، وقد يتعذر علينا توقع نتيجة بعينها بسبب نقص المعلومات. ولذلك ينبغي أن نفرق بين قصور المعرفة وبين الحكم بأن الظاهرة لا نظام لها. وفي الجهة المقابلة، لا تمنحنا القدرة على توقع بعض الحوادث علمًا شاملًا بالمستقبل أو بسرائر الناس.

ومن حدود المعرفة التجريبية «عدم اليقين في القياس»: يعرّفه المعهد الوطني الأمريكي للمعايير والتقنية بأنه مقدار غير سالب يصف تشتت القيم التي يمكن إسنادها بصورة معقولة إلى الكمية المقيسة، بناءً على المعلومات المتاحة. فالقياس يتصل بالمقارنة والمعايرة وتقدير مصادر التفاوت؛ والإفصاح عن عدم اليقين يبين حدود النتيجة، ولا يعني أن جميع القيم سواء أو أن العالم بلا انتظام. وهذا اصطلاح في وصف معرفتنا بالكمية، فلا يُحمّل وحده حكمًا عقديًا على الخلق [ع٩٨].

وتختلف قابلية تكرار القياس في الظروف نفسها عن مقدار قربه من قيمة مرجعية؛ فقد تتقارب قراءات آلة تحتاج إلى تصحيح انحيازها. وهذا مثال توضيحي أقدّمه لمعنى التكرارية وحدودها، لا تجربة أجريت في هذا الكتاب. كما يميّز الدليل الاصطلاحي للمعهد بين خطأ القياس وعدم اليقين: قد لا نعرف مقدار الخطأ الفعلي، مع إمكان تقييم عدم اليقين. لذلك لا يُستعمل هذا المصطلح لتبرير خطأ نسخ رقم أو إهمال معايرة، بل لعرض النتيجة وحدودها بأمانة [ع٩٩].

السؤال عن حكمة النظام يتصل أيضًا بالتأمل العقلي والفلسفي. وليس من الأمانة تقديم كل استدلال فلسفي كأنه نتيجة رصد مباشر، أو تصوير كل معترض عليه كأنه ينكر الوقائع التي تقاس. يتضح الحوار حين نسمي نوع الدليل: مشاهدة، أو استنتاجًا، أو خبرًا من الوحي، أو تأملًا في دلالتها مجتمعة.

## ٥. أن نقيم الميزان

يعود الفصل في نهايته إلى الفعل الصغير الذي يختبر صدق الكلام الكبير. أن نصحح رقمًا نقلناه خطأ، وأن نذكر حدود معرفتنا، وأن نعطي المخالف حقه في عرض حجته، كلها تطبيقات أخلاقية لمعنى الإنصاف. هي تطبيقات يقترحها هذا التأمل، لا تفاصيل نزعم أن الآية نصت عليها واحدة واحدة.

حين ينظر الإنسان إلى السماء ثم يرجع إلى معاملته مع غيره، تكون حكاية الميزان قد انتقلت من الإعجاب إلى المسؤولية. لا يطلب منه أن يملك الكون، بل أن يحفظ القسط في المساحة التي يملك فيها قرارًا.

## ٦. الميزان في خطاب شعيب

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود: ٨٤].

﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: ٨٥].

﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [هود: ٨٦].

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٨١].

﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الشعراء: ١٨٢].

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٣].

يظهر الميزان في قصة شعيب عليه السلام داخل حياة جماعة تبيع وتشتري. تقرن سورة هود دعوته إلى عبادة الله بالنهي عن نقص المكيال والميزان، ثم تأمر بإيفائهما بالقسط وتنهى عن بخس الناس أشياءهم والإفساد في الأرض [هود: ٨٤–٨٦]. وفي الشعراء يأتي النهي عن التطفيف مقرونًا بالقسطاس المستقيم [الشعراء: ١٨١–١٨٣]. هكذا يأخذ المعنى الذي تأملناه في سورة الرحمن صورة يمكن اختبارها في معاملة يومية.

والبخس أوسع في لفظه من عيب ظاهر في أداة الوزن، إذ يتعلق بما ينقص من حقوق الناس وأشيائهم. ومن تطبيقاته الأخلاقية التي نقترحها هنا أن يعرض البائع ما يبيع بصدق، وأن يثبت الباحث النتائج التي لا تخدم توقعه، وأن يعترف الكاتب بمصدر الفكرة التي أفادته. هذه تطبيقات للإنصاف، وليست قائمة نزعم أن قصة شعيب فصلتها بعباراتها.

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧].

وفي جواب القوم في هود ٨٧ اعتراض على صلة الصلاة بالتصرف في الأموال. يلفت هذا الحوار إلى محاولة حصر التدين في مساحة لا تمس المصالح. أما القصة فتصل العبادة بالسلوك، وتعيد إلى صاحبه السؤال: هل يجوز أن يكون مالكًا لسلعة ثم يستعمل هذه الملكية لإنقاص حق من يعامله؟ إن تأمل نظام الكون يظل ناقص الأثر إذا لم يساعدنا على رؤية اختلال الميزان في أفعالنا.

### ٧. القدر لا يعفي الفاعل من مسؤوليته

ورد في الكافي، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين، الحديث الثالث عشر، قول منسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين». ويليه سؤال عن معنى ذلك، فيأتي المثال برجل يُنهى عن معصية فلا ينتهي، ثم يُترك فيفعلها؛ فلا يجعل الخبر تركه بعد رفض النهي أمرًا له بالمعصية [م٨٥]. هذا بيان للمثال في حدود لفظه، وأما التطبيقات الأخلاقية التي أقترحها لاحقًا فتُقرأ بوصفها شرحًا له.

وفي الطريق المعروض محمد بن أبي عبد الله، عن حسين بن محمد، عن محمد بن يحيى، عمن حدثه؛ فواسطة من الطريق غير مسماة. وقوبل وصف المجلسي للخبر بالمرسل بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ٢، ص ١٩٥ [م١٠٠]. لذلك لا نحول شهرة العبارة إلى حكم بصحة هذا الطريق، ولا نعمم حكمه على سائر روايات المسألة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

تساعد دلالة المثال على حفظ فرق سبق أن احتجنا إليه: وقوع فعل في العالم غير الأمر الأخلاقي به. والبحث الكلامي في قدرة الإنسان وافتقاره إلى الله أوسع من هذا المثال، لكنه لا يصح أن ينتهي إلى محو مسؤولية الظالم. وفي القرآن نفسه يرد نفي الأمر بالفحشاء [الأعراف: ٢٨]، فيبقى هذا الأصل ظاهرًا حين نقرأ عموم التقدير.

**٨. القدرة الموهوبة ومسؤولية الاختيار**

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الانسان: ٢٩].

قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الانسان: ٣٠].

قال تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الانسان: ٣١].

تجتمع في خاتمة سورة الإنسان دعوة من شاء إلى اتخاذ السبيل، وبيان افتقار المشيئة البشرية إلى مشيئة الله، ثم ذكر الرحمة وعاقبة الظالمين. ولهذا لا يصح أن نعزل الجملة الوسطى عن طرفيها، فنمحو مسؤولية الفاعل باسم القدر، كما لا يصح أن نفصل اختيار الإنسان عن أصل القدرة التي أُعطيها. هذه قراءة لاتصال الآيات، تبقي التكليف والافتقار إلى الله معًا، ولا تزعم حل جميع مسائل الفعل والإرادة في أسطر قليلة.

ويروي الصدوق في التوحيد، باب نفي الجبر والتفويض، الحديث السابع، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن سليمان بن جعفر الجعفري، عن الإمام الرضا عليه السلام، أنه قال عند ذكر الجبر والتفويض: «إن الله عز وجل لم يطع بإكراه، ولم يعص بغلبة ولم يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملكهم، والقادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صادا ولا منها مانعا وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه» [م١٣٩]. هذا مقتطف متصل من جواب أطول، أثبتنا طريقه لتمييزه من خبر الأمر بين الأمرين المتقدم.

قوبل حكم الشيخ هادي النجفي في موسوعة أحاديث أهل البيت، ج ٢، ص ٣٤٧، عند الخبر ٢١١١، فوجد وصفه للرواية بأنها «صحيحة الإسناد» [م١٤٠]. ننسب الحكم إلى صاحبه؛ فلم نستقل في هذه المتابعة بدراسة كل راوٍ ومناقشة مباني التصحيح. ولا ينقل هذا الحكم إلى الطريق المرسل للخبر السابق [م٨٥، م١٠٠]؛ فالتقاء المعنى لا يجعل الإسنادين إسنادًا واحدًا.

يجعلنا مضمون النص ننتبه إلى الفرق بين التمكين من الفعل والأمر به: امتلاك الإنسان آلة أو قوة لا يعني أن كل استعمال لها مأذون به. فالعلم الذي يمكن صاحبه من إصلاح مورد قد يمكنه أيضًا من إفساده، ويظل استعماله فعلًا يسأل عنه. وهذا مثال توضيحي أقدّمه، يربط البحث العقدي بأمانة التصرف في الكون، ولا ينسب إلى الرواية تفاصيل تقنيات لم تتحدث عنها.

**٩. الميزان حين يدخل في معاملة الناس**

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١].

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣].

قال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ [المطففين: ٤].

قال تعالى: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ٥].

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

تحدد سورة المطففين صورة عملية للاختلال: يستوفي الإنسان حقه إذا أخذ، وينقص حق غيره إذا أعطى. ثم تصل السلوك اليومي بالبعث والقيام لرب العالمين. فلا يبقى الميزان في هذا الباب صورة بعيدة لنظام الأجرام؛ يدخل أيضًا في السوق وفي علاقة الإنسان بمن لا يملك القدرة على مراجعة حسابه.

ويمكن أن نسأل أنفسنا، قياسًا أخلاقيًا لا تفسيرًا حصريًا للآيات: هل نطلب من المخالف دقة في نقل كلامنا ثم نختصر كلامه اختصارًا يفسده؟ وهل نطالب غيرنا بمصدر لكل دعوى ثم نعفي ما يوافق رغبتنا من الدليل؟ العدل في الكيل حقيقة منصوصة هنا، والإنصاف في البحث مسؤولية تقرب معناها بهذا السؤال. فإن كان مقصد الكتاب طلب الحقيقة، وجب أن يشمل الميزان طريقة عرض الأدلة نفسها.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ [الرحمن: ١].

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ٢].

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ [الرحمن: ٣].

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٤].

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦].

﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠].

﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ [الرحمن: ١١].

﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن: ١٢].

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣].

## ١٠. الرحمة والعدل في نفي الجبر

بعد الآيات المتقدمة في المشيئة والمسؤولية، يرد في الكافي شاهدان يجعلان الرحمة والعدل مدخلًا إلى فهم الاختيار. يروي الكليني في الحديث التاسع من باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين، عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن غير واحد، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، نفي إجبار الخلق على الذنوب ثم تعذيبهم عليها، مع إثبات أن إرادة الله لا تُغلب. ويصف الجواب المنزلة بين الجبر والقدر بسعة ما بين السماء والأرض [م١٩١].

وفي الحديث الحادي عشر، يرد الطريق بلفظ: علي بن إبراهيم، عن محمد، عن يونس، عن عدة، عن أبي عبد الله عليه السلام. ويأتي الجواب عن سؤال الجبر: «الله أعدل من أن يجبرهم على المعاصي ثم يعذبهم عليها». ثم يرد على سؤال التفويض بوجود الأمر والنهي [م١٩١]. أبقينا «محمد» و«يونس» على اختصارهما في هذا الموضع، ولم نستبدل عبارتي «غير واحد» و«عدة» بأسماء لم يسمها النص.

حكم المجلسي على كل من الحديثين بأنه «مرسل كالصحيح»: التاسع في مرآة العقول، ج ٢ ص ١٩٢، والحادي عشر في ص ١٩٤. وقد قوبلت العبارتان بالنص الإلكتروني للكتاب [م١٩٢]. يحفظ العرض هذا الوصف المركب، ولا يحوله إلى «صحيح» مطلق، ولا يسقط منه وصف الإرسال. وهو حكم المجلسي المنقول هنا، لا نتيجة تحقيق رجالي مستقل أجراه جامع هذا الكتاب. كذلك لا ينتقل حكمهما إلى الحديث الثالث عشر المتقدم؛ فقد وصفه المجلسي في موضعه بأنه مرسل [م١٠٠].

## ١١. سلطان الله ومسؤولية الإنسان

ينبغي أن تُقرأ دلالة الخبرين مجتمعة: الرحمة والعدل ينفيان إكراه العبد على الذنب ثم مؤاخذته عليه، وإثبات سلطان الله يمنع تصور الإنسان منفصلًا عن خالقه في أصل قدرته ووجوده. وفي شرح الحديث التاسع، يفسر المجلسي قدرة العباد على الفعل بأن الله لم يمنعهم منه قهرًا، مع قدرته على صرفهم عنه إذا تعلقت إرادته الحتمية بذلك [م١٩٢]. هذا تفسير الشارح للخبر، وليس تتمةً لكلام الإمام.

ويعرض المجلسي في شرح الحديث الحادي عشر أكثر من وجه لمعنى التفويض، منها إهمال العباد وترك توجيه الأمر والنهي إليهم، ويحتمل أيضًا معنى إهمالهم بعد التكليف من جهة الألطاف والتوفيقات [م١٩٢]. لذلك لا نحمل لفظ التفويض في جميع الأخبار على شرح واحد دون نظر إلى السياق، ولا نزعم أن هذه الصفحات تختصر الخلاف الكلامي كله.

أما ثمرة ذلك في سياق الميزان، فهي أن الاعتراف بقدرة الله لا يصير حجة لتبرير اعتداء الإنسان. فمن أنقص حق غيره لا يزول أثر فعله بقوله إن الحادثة وقعت ضمن نظام الكون؛ إذ يبقى السؤال عن اختياره، وما علمه، وما استطاع فعله أو تركه. ومن جهة أخرى، لا يستقيم العدل مع تجاهل الإكراه والعجز عند تقدير المسؤولية. هذا تطبيق أخلاقي للمعنى المعروض، وليس حكمًا فقهيًا على واقعة بعينها.

وبذلك يعود النظر من انتظام العالم إلى أمانة الفاعل فيه: يطلب الإنسان العون من الله، ويحاسب نفسه على ما اختاره، ويسعى إلى إصلاح ما أفسده. والميزان الذي يقوم به التعامل بين الناس يحتاج إلى هذا التمييز؛ فلا ينسب إليهم ما خرج عن قدرتهم، ولا يمحى اختيارهم باسم القدر.

إحالات الفصل: الرحمن ١–١٣؛ الفرقان ٢؛ القمر ٤٩؛ الرعد ١١؛ الأحزاب ٦٢؛ فاطر ٤٣؛ مجمع البيان، تفسير الرحمن ٧–٩ [م٤٣]؛ هود ٨٤–٨٧؛ الشعراء ١٨١–١٨٣؛ الأعراف ٢٨؛ الكافي، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين، ح ١٣ [م٨٥]. الإنسان ٢٩–٣١ والمطففين ١–٦ كاملة؛ التوحيد، باب نفي الجبر والتفويض، ح ٧ [م١٣٩]؛ حكم النجفي في موسوعته [م١٤٠]. الكافي، الباب نفسه، ح ٩ وح ١١ [م١٩١]؛ مرآة العقول، ج ٢ ص ١٩٢ و١٩٤، حكم الحديثين وشرحهما [م١٩٢]. مجمع البيان، تفسير الفرقان ٢ [م٢٦٣]؛ المعهد الوطني الأمريكي للمعايير والتقنية، عدم اليقين في القياس [ع٩٨] وملحق المصطلحات في المذكرة الفنية ١٢٩٧ [ع٩٩].

# الفصل ٣٣ — التنوع والأزواج واختلاف المخلوقات

## ١. أرض واحدة ووجوه كثيرة للحياة

قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

تجمع الرعد ٤ بين قطع من الأرض متجاورات، وجنات وأشجار وزروع تسقى بماء واحد، ثم تلفت النظر إلى اختلاف الثمر في الأكل. لا تحتاج بداية التفكر إلى سفر وراء حدود المشاهدة؛ يكفي أن نلاحظ أن المجاورة لا تعني التطابق، وأن اشتراك الأشياء في بعض أسبابها لا يمحو الفروق بينها.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

وفي فاطر ٢٧–٢٨ يتسع المشهد: ثمرات مختلفة الألوان، وجبال فيها طرائق مختلفة، وناس ودواب وأنعام. يربط السياق هذا النظر بالعلم والخشية. فاللون ليس زينة عابرة في الوصف، بل باب إلى ملاحظة كثرة الصور في عالم واحد. ومع ذلك لا تجعل الآيات اختلاف اللون وحده تعريفًا علميًا للنوع؛ فالتصنيف العلمي بحث له أدواته ومعاييره.

## ٢. ماذا تعني الأزواج؟

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦].

يذكر القرآن الأزواج في سياقات النبات والإنسان والحيوان وغيرها. وفي يس ٣٦ يجمع بين ما تنبت الأرض، وأنفس الناس، وما لا يعلمون. ويشرح مجمع البيان الأزواج في هذا الموضع بالأشكال والأصناف، ويذكر الذكر والأنثى في موضعهما من الكلام [م٣٢]. من هنا لا يستقيم أن نلزم كل استعمال للكلمة بمعنى واحد مأخوذ من باب بعينه.

ويشرح الشيخ الطوسي في التبيان الأزواج بالأشكال، ويذكر مشاكلة الذكر للأنثى في الحيوان، ثم يورد النخل والحبوب والتين والكرم ضمن تنوع النبات. وعند «ومما لا يعلمون» يتحدث عما لم يشاهده المخاطبون ولم يبلغهم خبره [م٢٦٤]. ويلتقي هذا العرض مع تفسير الطبرسي في أصل اتساع اللفظ [م٣٢]؛ وهذه مقابلة بين بيانين تفسيريين، لا حكم بصحة خبر مسند ولا إثبات بأن لفظ الأصناف يساوي رتبة «النوع» في التصنيف الحيوي الحديث.

قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

وفي الذاريات ٤٩ تقترن الأزواج بالتذكر. إن حمل اللفظ على زوجية محددة في ظاهرة معاصرة يحتاج إلى برهان يتجاوز مجرد وجود شيئين مختلفين فيها. فالمقابلة بين ليل ونهار، أو ذكر وأنثى، أو صنفين من الموجودات، ليست تلقائيًا تقريرًا واحدًا عن بنيتها الفيزيائية.

وتتكرر في العرض الشعبي محاولة جعل المادة والمادة المضادة التفسير الحصري للآية. المشكلة هنا منهجية قبل أن تكون مسألة في الفيزياء: أين القرينة اللغوية والسياقية التي عينت هذا الاصطلاح دون غيره؟ يمكن للتأمل أن يستحضر أمثلة من العالم، لكن المثال الذي نختاره لا يصبح به المعنى الوحيد للنص.

**٣. ما نعلمه وما لا نعلمه**

تمنح عبارة «ومما لا يعلمون» في يس مساحة للتواضع. لا تقدم لنا قائمة بأسماء مخلوقات لم نكتشفها، ولا ترخص أن ننسب إليها كل خبر غريب. ما لا نعلمه يظل مجهولًا حتى يقوم دليل، وإقرارنا بحدود المعرفة أصدق من ملء الفراغ بصور نحبها.

ومن مقتضيات ذلك ألا نبني حجة دينية على وصف علمي عام لم نضبط حدوده. إذا قلنا إن الحياة متنوعة، بقي علينا أن ندرس كل مسألة بحسبها: التكاثر، والبنية، والبيئة، والعلاقات بين الكائنات. ولا يجوز اختزال هذه المجالات في عبارة توهم أن جميع الموجودات تعمل بطريقة واحدة، ثم نسبة ذلك الاختزال إلى القرآن.

ومن الأمثلة المحسوسة على اختلاف طرق الإكثار إنشاء نبات جديد من عُقلة، أي جزء مأخوذ من نبات قائم. يشرح إرشاد جامعة فلوريدا هذه الطريقة بوصفها إكثارًا خضريًا لا جنسيًا لا يحتاج في حصوله إلى أزهار أو تلقيح أو بذور [ع١٠٠]. فوجود نبات جديد لا يلزم منه أن تكون كل مرة من إكثاره قد تمت باتحاد مشيجين.

وهذا المثال يضبط دعوانا العلمية عن طريقة التكاثر، ولا يُستعمل وحده لإثبات معنى الآية أو نفيه؛ إذ يبدأ تفسير الأزواج من اللغة والسياق، ثم تُعرض الأمثلة في حدودها.

### ٤. اختلاف البشر آية لا سلم تفاضل

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

تذكر الروم ٢٢ اختلاف الألسنة والألوان في سياق آيات خلق السماوات والأرض. يدخل الإنسان هنا في مجال التأمل بوصفه صاحب لغة وتاريخ وعلاقات، لا بوصفه جسمًا يمكن قياسه فقط. ويدعو ذلك إلى احترام اللغات وفهمها، وإلى الحذر من جعل المألوف عند جماعة معيارًا وحيدًا للإنسانية.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وتأتي الحجرات ١٣ فتصل تعدد الشعوب والقبائل بالتعارف، وتجعل معيار الكرامة عند الله التقوى. ليس اختلاف اللون ترخيصًا للتمييز، ولا اختلاف اللسان سببًا لانتقاص العقل أو الإيمان. ومن المفارقة أن يتغنى المرء بتنوع الأزهار ثم يضيق بتنوع الناس، مع أن كليهما حاضر في خطاب الآيات.

### ٥. قيمة المخلوق وحدود المنفعة

قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

لا تستنفد منفعة الشيء العاجلة معناه كله. فالطائر الذي لا نأكله، والنبات الذي لم نعرف استعماله، ليسا خارج دائرة الخلق لمجرد قصور حاجتنا أو علمنا. وتذكر الأنعام ٣٨ الدواب والطير في صورة أمم؛ وهو تعبير يدعو إلى تجاوز النظر العابر إلى حياة المخلوقات.

ومن هذا التأمل تنشأ عناية عملية: أن نتثبت قبل الإتلاف، وأن ندرس أثر تصرفنا، وأن نتجنب العبث الذي لا غاية له. هذه مسؤولية أخلاقية عامة، أما الحكم على إجراء محدد فيحتاج إلى معرفة ظروفه وأضراره ومنافعه. لا يغني حب الطبيعة وحده عن العلم بها، كما لا يغني العلم بأجزائها عن حسن معاملتها.

## ٦. للتنوع أكثر من مستوى

عندما يقال «التنوع الحيوي» لا يراد مجرد عدد الأسماء التي نستطيع إحصاءها في حديقة. يميز التعريف الوارد في اتفاقية التنوع البيولوجي بين التنوع داخل الأنواع، والتنوع بين الأنواع، وتنوع النظم البيئية. ويصف النظام البيئي باعتباره تفاعل الجماعات النباتية والحيوانية والكائنات الدقيقة مع بيئتها غير الحية كوحدة تؤدي وظائفها [ع٤٨].

ولتقريب ذلك يمكن النظر إلى بستان بوصفه مثالًا تعليميًا. فاختلاف أفراد الصنف الذي نزرعه سؤال، واختلاف الأشجار والطيور والحشرات الموجودة سؤال آخر، وعلاقة هذه الكائنات بالماء والتربة والمكان سؤال ثالث. ولا يكفي وصف واحد للإجابة عن الأسئلة الثلاثة، كما لا يصبح كل اسم زراعي متداول اسمًا لنوع مستقل.

ويفيد في تقدير التنوع التمييز بين غنى الأنواع، أي عددها في وحدة الدراسة، وتكافؤ وفرتها، أي مدى تقارب نسب أفرادها. يشرح المركز الوطني للتحليل والتركيب البيئي هذا الفرق ضمن مادته عن قياس التنوع [ع١٠١]. ولتقريبه، نفترض عينتين في كل منهما أربعة أنواع وأربعون فردًا: في الأولى عشرة أفراد من كل نوع، وفي الثانية سبعة وثلاثون من نوع واحد وفرد واحد من كل نوع باقٍ. يتساوى عدد الأنواع ومجموع الأفراد، لكن توزع الوفرة مختلف. الأعداد مثال تعليمي أقدّمه، لا نتيجة مسح ميداني.

ومثلما لا يكفي العدد وحده، لا تصبح قائمة مشاهدة عابرة جردًا كاملًا لكل حياة المكان. لذلك ينبغي عند المقارنة أن نبيّن ما الذي عُدَّ، وفي أي مساحة وزمن وبأي طريقة، وأن نفصل المشاهدات المسجلة عن دعوى الإحاطة بالموجودات. هذا توجيه منهجي في الكتاب لحسن عرض الدليل؛ أما غاية الآيات في الاعتبار والشكر فلا تتوقف على امتلاك إحصاء نهائي لجميع الأنواع.

لهذا لا تساوي كثرة الألوان وحدها تقديرًا كاملًا للتنوع، ولا يغني عدّ الأنواع عن دراسة علاقاتها ومواضع عيشها. وعند وصف مشهد قرآني يذكر اختلاف الثمرات أو الدواب، نحفظ غايته في لفت النظر والتذكر، ثم نستعمل المصطلحات العلمية حيث تتوافر شروطها. لا نحتاج إلى ادعاء تطابق التعريف الحديث مع كل استعمال قرآني للاختلاف حتى نستفيد من الاثنين.

## ٧. أمم أمثالكم: التشابه لا يلغي الفروق

عند الأنعام ٣٨ يعرض الطبرسي معنى الأمم بالأصناف، ثم يذكر وجوهًا للمماثلة، منها الاشتراك في الخلق والحاجة إلى التدبير وأحوال العيش، ومنها الحشر. ويستخلص منع التعدي بظلم الحيوان، ويرفض أن تحمل المماثلة

على التطابق في جميع الصفات والتكاليف [م٨٦]. هذا عرض لاتجاهات تفسيرية في المصدر، وليس إثباتًا لكل رواية يسوقها في الموضع.

والفرق مهم لأن القارئ قد ينتقل من إثبات حياة الحيوان ومصالحه إلى تخيل أنه يفكر ويتكلم ويحاكم الأمور على صورتنا تمامًا. وقد يقع في الطرف المقابل فينفي عنه كل قيمة لا تعود بمنفعة مباشرة على الإنسان. يفتح التعبير القرآني مجال الاعتبار، ثم تأتي دراسة الكائنات لتكشف أحوالها الخاصة بدل أن نملأها بصور أنفسنا.

ومن جهة التأمل الأخلاقي، فإن الجهل باسم كائن أو وظيفته لا يبيح العبث به. وفي المقابل لا يكفي الانفعال بمنظر واحد لاتخاذ حكم في مسألة معقدة تتصل بصحة الناس أو غذائهم أو حفظ بيئتهم؛ فالمسؤولية تحتاج إلى معرفة بالضرر والمنفعة والبدائل.

هكذا يصبح احترام التنوع تمرينًا على الإنصاف في النظر: نعترف بالاختلاف، ونتعلم ما نستطيع عنه، ونحفظ حدود ما عرفناه. ويبقى الإنسان داخل هذا العالم المتعدد، مسؤولًا عن اختياراته فيه، لا متفرجًا عليه من خارج علاقاته.

## ٨. اختلاف المخلوقات وحدود التمثيل العلمي

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥].

قال تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٣].

تعرض آية النور اختلاف هيئة الحركة، مع رد خلق الدواب إلى الماء وإبقاء الخلق تحت المشيئة والقدرة. وتلفت آية النحل إلى اختلاف الألوان فيما ذرأ الله في الأرض. إن الانتقال من أصل مشترك إلى صور متعددة يدعونا إلى ملاحظة الفروق، لا إلى محوها تحت تسمية عامة. ولا تقدم قائمة الحركة في الآية وحدها تصنيفًا حديثًا لجميع الأنواع أو وصفًا تفصيليًا لتاريخ نشأتها.

وقد سبق تعريف التنوع الحيوي عبر التنوع داخل الأنواع وبينها وتنوع النظم البيئية [ع٤٨]. بذلك يعرف القارئ أن صورتين مختلفتي اللون لا تكفيان وحدهما للحكم بأنهما نوعان، كما أن تشابه الهيئة لا يختصر جميع وجوه الاختلاف. تبقى معرفة النوع والعلاقة بين الكائنات عملًا له أدواته وشواهده؛ أما النظر الإيماني فيقرأ في هذا الاتساع داعيًا إلى التعرف والشكر.

ومن الأمثلة التي يكثر وصلها بلفظ الأزواج المادة والمادة المضادة. يوضح مركز سيرن أن البوزيترون هو النظير المضاد للإلكترون، له الكتلة نفسها وشحنة كهربائية موجبة، في مقابل الشحنة السالبة للإلكترون [ع٦١]. هذه مقارنة في خصائص جسيمين، وليست زوجية تناسلية، ولا علاقة زواج، ولا برهانًا بمجردها على أن هذا المثال هو المراد الحصري من كل آية تذكر الأزواج.

فإذا قيل إن في المثال العلمي نوعًا من التقابل، أمكن فهم العبارة في حدود تعريفها. أما الانتقال منها إلى أن القرآن سمى هذه الجسيمات بأعيانها أو قرر خصائصها العددية، فيحتاج إلى دلالة لا توفرها المشابهة اللفظية وحدها. يستفيد البحث من المثال حين يضبط طرفيه: ماذا يقول النص، وماذا أثبت الوصف العلمي؟ وتبقى مساحة التأمل مفتوحة دون أن تتحول إلى نسبة تفصيل إلى القرآن لم ينص عليه.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣].

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ ۗ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

## ٩. ثمانية أزواج: اللفظ في سياق الأنعام

قال تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۖ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

يفيد هذا الموضع في ضبط معنى الزوج من داخل الاستعمال القرآني. يبين الطبرسي أن اللفظ قد يقع على الواحد الذي معه آخر، وقد يقع على الاثنين. ويشرح العدد هنا بثمانية أفراد؛ فالذكر زوج الأنثى والأنثى زوج الذكر. وعلى هذا الوجه يذكر النص الضأن والمعز والإبل والبقر، ومن كل منها ذكر وأنثى، فلا يكون المراد ثماني مجموعات، في كل مجموعة ذكر وأنثى، ثم يصبح العدد ستة عشر [م١٩٣].

ويعرض مجمع البيان أيضًا وجهًا آخر يربط الاثنين بالأهلي والوحشي في الضأن والمعز والبقر، وبالعراب والبخاتي في الإبل، وينسبه إلى رواية عن أبي عبد الله عليه السلام [م١٩٣]. وقد قوبل شاهد لهذا الوجه في الكافي، ج ٨، ص ٢٨٣-٢٨٤، الخبر ٤٢٧؛ إذ يرد التقسيم ضمن خبر حمل نوح الأزواج في السفينة [م٢٨٥]. يثبت ذلك وجود شاهد روائي للتقسيم، ولا يثبت وحده أن الطبرسي نقل من هذا الموضع بعينه.

وقوبل حكم المجلسي على خبر الكافي بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ٢٦، ص ٣٠٢، فوجد وصفه «ضعيف على المشهور» [م٢٨٦]. هذا حكم منقول عن صاحبه، وليس حكمًا رجاليًا مستقلًا أصدره. لذلك يبقى الوجه معروضًا بوصفه قولًا روائيًا في التفسير، ولا يجعله مجرد العثور على مصدره تفسيرًا مقطوعًا به أو تصنيفًا علميًا حديثًا للحيوان.

وله نظير في تفسير العياشي، ج ٢، ص ١٤٧-١٤٨، الخبر ٢٦، يبدأ في النص المتاح بإسماعيل بن جابر الجعفي عن أبي عبد الله عليه السلام [م٢٨٧-م٢٨٨]. لا يُظهر هذا الموضع طريق العياشي إلى الراوي، فلا نستكمله بالافتراض. ويختلف سياق العياشي وتفصيله عن عرض الكافي؛ ومن ثَمَّ فالمقارنة تعيّن الشواهد وحدودها، ولا تعني اتحاد جميع ألفاظها أو استقلال طرقها أو ثبوت كل تفاصيلها.

والآيتان لا تقفان عند وصف الأنعام، بل تسألان عمن نسب التحريم إلى الله: ما علمه الذي يستند إليه؟ إن تمييز الذكر والأنثى وما تحمله الأرحام يدخل في مناقشة دعوى مخصوصة. ومن ثَمَّ تتضح أهمية قراءة اللفظ ضمن غرض الكلام، بدل أخذ العدد أو الاسم منفردًا وبناء تصور شامل للكون عليه. ويجمع هذا المثال بين دقة اللغة وأمانة النسبة: نفهم ما يدل عليه اللفظ، ثم لا ننسب إلى الله حكمًا بغير علم.

### ١٠. تقابل المخلوقات وتنزيه الخالق

يروي الصدوق في كتاب التوحيد كلامًا منسوبًا إلى الإمام الرضا عليه السلام، يذكر تقابل الأشياء واقترانها في سياق الاستدلال على تنزيه الله عن الضد والقرين. وفيه: «وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأمور عرف أن لا قرين له». ثم يسوق أمثلة من التقابل، ويستشهد بآية الذاريات ٤٩ المتقدمة كاملة في هذا الفصل [م١٩٤].

موضع الشاهد أن النظر في المخلوق لا يقتضي تصوير الخالق على هيئته. فوجود التقابل في العالم لا يجعل الله طرفًا مقابلًا لطرف آخر من جنسه، ولا يجعل وحدانيته نقصًا يحتاج إلى قرين يكمله. وفي حدود هذا المقطع، تتجه الحجة من صفات المصنوع إلى تنزيه الصانع، لا إلى تعداد أصناف التكاثر أو بناء قانون فيزيائي تفصيلي.

يبدأ إسناد هذا الخبر في ص ٣٤، ويقع المقطع المختار في ص ٣٧-٣٨ [م١٩٤]. وقد قوبلت هذه الصفحات بصور طبعة مكتبة الصدوق، طهران، سنة ١٣٨٧هـ، بتصحيح وتعليق السيد هاشم الحسيني الطهراني [م٢٨٩]. ثبت في صورة السند اسم «محمد بن عمرو الكاتب»، خلاف الصياغة الملتبسة في العرض الإلكتروني، وقوبل نص الشاهد أيضًا. أما اختلافات اسم محمد بن زياد التي تسجلها الحاشية فلم تُحسم، ولم يُنجز تحقيق رجالي للطريق؛ فلا تتحول سلامة قراءة اسم في الطبعة إلى حكم بصحة الرواية.

وفي حاشية ص ٣٨ يعرض السيد هاشم الحسيني الطهراني احتمالين للاستشهاد بالآية: المضادة أو المقارنة، ويفرق في الترجيح بين سياق هذا الكلام وسياق الآيات التي تذكر الزوجين [م١٩٥]. وقوبلت الحاشية بصورتها في الطبعة المشار إليها [م٢٨٩]. هذا تحليل للمحقق في الهامش؛ فلا يدمج في متن الخبر ولا ينسب إلى الإمام.

ويكتمل بذلك مسار النظر في هذا الفصل: اختلاف الثمرات يدعو إلى الملاحظة، وتعدد البشر إلى التعارف، ودقة لفظ الأزواج إلى مراجعة السياق، وتأمل اقتران الموجودات إلى سؤال الصنعة والخالق. لكل باب شواهده وأدواته، ويزداد الفهم حين تتصل هذه الأبواب دون أن تختلط معانيها.

إحالات الفصل: الرعد ٣-٤؛ الروم ٢٢؛ فاطر ٢٧-٢٨؛ يس ٣٦؛ الذاريات ٤٩؛ الحجرات ١٣؛ الأنعام ٣٨ ؛ مجمع البيان، تفسير يس ٣٦ [م٣٢]؛ اتفاقية التنوع البيولوجي، تعريف المصطلحات [ع٤٨]؛ مجمع البيان، الأنعام ٣٨-٣٩ [م٨٦]. النور ٤٥ والنحل ١٣ كاملتان؛ سيرن، تعريف المادة المضادة ومثال الإلكترون والبوزيترون [ع٦١]. الأنعام ١٤٣-١٤٤ كاملتان؛ مجمع البيان، تفسير الأنعام ١٤٢-١٤٤ [م١٩٣]؛ الصدوق، التوحيد، الخبر الذي يبدأ في ص ٣٤، وشاهده في ص ٣٧-٣٨ [م١٩٤]؛ تعليق المحقق في ص ٣٨ ، الهامش ١ [م١٩٥]. الطوسي، التبيان، تفسير يس ٣٦ [م٢٦٤]؛ إرشاد جامعة فلوريدا، الإكثار بالعقل [ع١٠٠]؛ المركز الوطني للتحليل والتركيب البيئي، غنى الأنواع وتكافؤ الوفرة [ع١٠١]. وللوجه الروائي في الأزواج: الكافي، الروضة، ح ٤٢٧ [م٢٨٥]؛ حكم المجلسي [م٢٨٦]؛ ونظيره في تفسير العياشي، ح ٢٦ [م٢٨٧-م٢٨٨]. ولمقابلة سند التوحيد ونص الشاهد وحاشية المحقق بصور الطبعة: [م٢٨٩].

# الفصل ٣٤ — تسبيح الموجودات وسجودها لله

## ٠١. عالم يسبح وإن لم نفقه

قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

تقول الإسراء ٤٤ إن السماوات السبع والأرض ومن فيهن يسبحون لله، وتعمم التسبيح على الأشياء، ثم تقرر أننا لا نفقه تسبيحها. يجتمع في الآية إثبات ونفي: إثبات التسبيح، ونفي إحاطتنا بفهمه. ومن الخطأ أن نحفظ الطرف الأول ثم نتصرف كأن الطرف الثاني لا يعنينا.

ليس المقصود أن نتوقف عن السؤال، بل أن نضبط ما نستطيع قوله. نحن نعرف من خبرتنا تسبيح الإنسان بالقول والقصد، لكن قياس جميع الموجودات على طريقة كلامنا يحتاج إلى دليل. كما أن غياب الكلام المسموع لنا لا يكفي وحده لنفي ما أخبر به الوحي.

## ٠٢. وجوه التفسير وحدود نسبتها

يشرح الطبرسي التسبيح هنا بدلالة الموجودات على توحيد الله وعدله وتنزيهه عن الشريك، وينقل تخصيصه بالأحياء عن الحسن، ثم ينقل عمومه للوحوش والطير والجمادات عن إبراهيم وجماعة. ويفسر عدم فقه التسبيح في هذا الوجه بعدم النظر في كيفية دلالة الأشياء على التوحيد [م٤٤]. فهذه أقوال محددة النسبة يعرضها المصدر، ولا يحوّل مجرد اجتماعها فيه إلى إجماع على كيفية واحدة.

وعند الحديث عن تسبيح حقيقي لا نحيط بكيفيته، يكون المراد حفظ إمكان دلالة تتجاوز فهمنا، لا إثبات جهاز نطق خفي أو تركيب حروف معينة لكل حجر. وعند الحديث عن دلالة الصنعة على الصانع، لا ينبغي أن ننسب إلى كل مفسر نفي سائر الوجوه ما لم يصرح بذلك. فالاشتراك في عبارة موجزة قد يخفي اختلافًا في المقصود.

أما الطباطبائي في الميزان فيرجح أن تسبيح الموجودات حقيقي، ويربطه بحظ من العلم يناسب وجود كل منها، ولا يشترط أن يكون قولها بألفاظ اللغات وأصواتها، أو أن يكون علمها من جنس علم الإنسان. ويستدل في مناقشته بذكر عدم فقه الناس لتسبيحها، ويرفض اختزاله في مجرد دلالة مجازية [م٢٦٥]. هذا ترجيحه التفسيري

واستدلاله، وليس نتيجة تجربة تقيس إدراك الحجر أو تقريرًا بأن له جهازًا عصبيًا. وبذلك تظهر المسافة بين تفسير الدلالة في مجمع البيان وبين إثبات الشعور المناسب للموجود في الميزان، مع اتفاقهما على تنزيه الخالق.

### ٣. السجود والظلال

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩﴾ [الرعد: ١٥].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨].

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٤٩].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩﴾ [الحج: ١٨].

تذكر الرعد ١٥ السجود والظلال في الغدو والآصال، وتعرض النحل ٤٨–٤٩ الظلال وما في السماوات والأرض من دابة والملائكة، ثم تجمع الحج ١٨ الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثيرًا من الناس. هذه المواضع توسع نظرنا في معنى الخضوع، ولا تحصره في الهيئة الجسدية التي يؤديها الإنسان في صلاته.

وتلفت آية الحج إلى فرق ينبغي حفظه: حضور الموجودات في مشهد السجود لا يمحو مسؤولية الإنسان عن طاعته ومعصيته. فلا يصح أن يقال إن الجميع خاضع في أصل وجوده، إذن لا فرق بين عدل الإنسان وظلمه. الخطاب القرآني يثبت الخضوع العام ويخاطب الإنسان في الوقت نفسه بما يختاره.

قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦].

وفي الرحمن ٦ ترد عبارة النجم والشجر. ينقل مجمع البيان تفسير النجم بالنبات الذي لا ساق له عن ابن عباس وسعيد بن جبير وسفيان الثوري، وينقل تفسيره بنجم السماء عن مجاهد وقتادة [م٤٣]. لذلك لا يبنى استدلال فلكي على اللفظ قبل بيان اختلاف التفسير، ولا يمحى أحد الوجهين لمجرد أنه أقل حضورًا في ذهن القارئ المعاصر.

### ٤. داود والجبال والطير

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠].

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨].

﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٩].

مع داود عليه السلام يأخذ المشهد صورة مخصوصة: الجبال والطير في سبأ ١٠، والتسبيح بالعشي والإشراق في ص ١٨-١٩. يثبت النص هذا الارتباط بالنبي، لكنه لا يصف لنا تفاصيله بلغة أجهزة التسجيل. لا نحتاج إلى اختراع طريقة مادية حتى نحترم الخبر، ولا إلى اختزاله في صدى صوت مألوف بلا دليل.

وتظهر هنا قيمة الجمع بين الآيات: آية عموم التسبيح ترسم الأفق الواسع، ومشهد داود يضيف خصوصية لا ينبغي إلغاؤها. التعميم غير المنضبط يضيع هذه الخصوصية، كما أن الوقوف عند المشهد المفرد وحده قد يحجب اتساع الأصل.

## ٥. ما الذي يثبت من الصوت؟

قد ينشر تسجيل بعنوان «صوت تسبيح نجم» أو «ذكر الشجر». قبل قبوله يلزم السؤال عن أصل المادة: هل هي صوت مسجل بالفعل، أم بيانات حولت إلى صوت، أم معالجة فنية؟ وحتى لو ثبتت أصالة تسجيل لظاهرة طبيعية، فإن نسبته إلى ألفاظ دينية معينة تحتاج إلى دليل مستقل. ليست التسمية التي وضعها ناشر المقطع جزءًا من القياس.

ولا يقتضي هذا التثبت إفراغ العالم من المعنى. على العكس، إن الامتناع عن الادعاء يحفظ حرمة الغيب وكرامة المعرفة معًا. يستطيع الإنسان أن يتأمل جبلًا دون أن يزعم أنه ترجم لغته، وأن يشعر بالخشوع دون أن يختلق شهادة علمية على شعوره.

## ٦. أدب المشاركة في الخضوع

إذا كان الإنسان واحدًا من مخلوقات تسبح، فإن علمه لا يضعه خارج العبودية. يصير نظره إلى الموجودات أقل استعلاء، ويغدو تسبيحه الواعي فرصة لالتقاء القول والعمل. فلا يسبح بلسانه ثم يجعل ما حوله مجالًا للعبث والظلم.

## ٧. حين تصبح البيانات مسموعة

تعرض ناسا نماذج يحول فيها المختصون بيانات التلسكوبات إلى أصوات. فقد تقابل قيمة السطوع درجة في ارتفاع الصوت أو شدته، ويقابل موضع في الصورة ترتيبًا في المقطع المسموع. وتتيح هذه الوسيلة فهم جوانب من

البيانات لمن يستمع، ومنهم المكفوفون وضعاف البصر. المادة الأصلية هنا رصد فلكي، أما الصورة الصوتية فتمثيل صُنع وفق طريقة تحويل معلنة [ع٤٩].

يمكن تقريب الفكرة بمثال من صنعنا: لو حولنا أعداد هطول المطر في أيام متتابعة إلى نغمات ترتفع بازدياد الكمية، لسمعنا شكلًا من أشكال توزيع المطر. لكن النغمة الناتجة لن تكون تسجيلًا لصوت القطرات في تلك الأيام. نجاح التمثيل في إبراز علاقة عددية لا يغير نوع الشيء الذي مثله.

وتوجد حالة تحتاج إلى مزيد من التمييز: ففي عنقود برشاوس المجري تصف ناسا تموجات في الغاز الحار ارتبطت بموجات ضغط أحدثها نشاط الثقب الأسود المركزي. استُدل على الموجات من بيانات مرصد تشاندرا للأشعة السينية، ثم أعيد تركيب الإشارات بعد رفع ترددها إلى مجال السمع البشري [ع١٠٢]. فالمادة المنشورة ليست تسجيل ميكروفون يسمع من الأرض، وليست أيضًا مجرد اختيار نغمات لسطوع صورة لا صلة لها بموجات ضغط. يحدد شرح الإنتاج ماهية ما نسمعه، ولا يمنحنا وحده ترجمة لتسبيح الموجودات.

ولهذا يقرأ عنوان مثل «صوت مجرة» مع شرح إنتاج المقطع. فإذا كان تحويلًا للبيانات وصفناه بذلك، وإذا كان تسجيلًا لظاهرة صوتية طلبنا بيان وسيلة الرصد والمعالجة. ثم يبقى إسناد ألفاظ التسبيح إلى ما نسمعه دعوى أخرى تحتاج إلى دليلها. إن معرفة طريقة صنع المادة تساعد على الانتفاع بها دون أن نحملها شهادة دينية لم تقدمها.

### ٨. الطير صافات: مشهد وغاية

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩].

تجمع النور ٤١ من في السماوات والأرض والطير صافات في مشهد التسبيح، وتذكر الصلاة والتسبيح والعلم بهما. وتعرض الملك ١٩ الطير وهي تبسط أجنحتها وتقبضها وتلفت إلى إمساك الرحمن لها. في الموضعين دعوة إلى النظر، لكن المشاهدة لا تمنح الإنسان إحاطة بكل ما نسب إلى الموجودات.

وفي عبارة «كل قد علم صلاته وتسبيحه» يعرض الطبرسي وجهين لفاعل «علم»: أن يكون الله قد علم صلاة كل وتسبيحه، أو أن يكون كل واحد قد علم صلاة نفسه وتسبيح نفسه؛ ويرجح الوجه الأول في هذا الموضع [م٤١].

لهذا ينبغي ألا تُكتب خلاصة الآية وكأن المرجع النحوي والترجيح التفسيري أمر واحد متفق عليه. إثبات الخلاف هنا يحفظ دقة النقل، ولا يحسم وحده السؤال عن كيفية عبادة الطير أو مقدار إدراكها.

وعندما ندرس حركة الجناح نسأل عن آلية يمكن ملاحظتها. وحين نقرأ التسبيح نسأل عن دلالة النص وكيف فهمه المفسرون. يمكن أن يتجاور السؤالان في ذهن واحد، من غير أن يصبح وصف حركة الهواء ترجمة حرفية لصلاة الطير، أو يتحول عدم معرفتنا بتلك الصلاة إلى إنكار لما يمكن بحثه في الطيران.

والثمرة التي يتجه إليها هذا الفصل هي تواضع المشاركة: لسنا وحدنا موضوع العناية في العالم، ولا يقاس كل موجود بقدرته على مخاطبتنا بلغتنا. إن للإنسان عبادة واعية وأمانة في القول والفعل؛ فإذا أغراه مشهد التسبيح العام بالتأمل، فليبدأ بما كلف به من صدق ورحمة، وليترك ما لم يعلم كيفيته في حدوده.

## ٩. من تأمل التسبيح إلى عمل المتأمل

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨].

قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩].

قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٨].

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

ينتقل الخطاب في هذه الآيات إلى فعل المخاطب: الصبر والتسبيح والسجود والعبادة. وقد عرض الفصل تسبيح الموجودات وحدود فقه الإنسان له، ثم يأتي السؤال الذي يستطيع القارئ أن يجيب عنه بعمله: كيف يكون هو من الذاكرين؟ فالانشغال بكيفية تسبيح ما لا نحيط بإدراكه لا ينبغي أن ينسينا ما كلفنا به من عبادة ظاهرة ومسؤولية مفهومة.

ويصل نص الطور التسبيح بالصبر، ويذكر الليل وإدبار النجوم، فتدخل العلامة الكونية في إيقاع العبادة. وقد فصل باب المواقيت ما يتصل بتعاقب الليل والنهار. نستحضر هنا المعنى التربوي: إن الزمن الذي نقيسه يمكن أن يكون زمن ذكر ومراجعة للنفس. وهذا لا يحول حركة النجوم إلى مصدر مستقل للتشريع، ولا يستخرج من الآيتين جدولًا حسابيًا لم ينصا عليه.

وفي سورة الحجر يتصل التسبيح بالسجود والدوام على العبادة. ومن ثمرات جمع هذه المواضع ألا نفصل جمال المشهد عن أثره في صاحب النظر. فقد يعرف المرء أسماء النجوم أو أصوات الطيور، ويبقى محتاجًا إلى أن يسأل

عن صدق لسانه وعدله في معاملة الناس. ليست هذه الأعمال تسجيلًا لتسبيح الكون بأجهزة القياس، بل استجابة بشرية واعية للخطاب الذي يدعو إلى عبادة الخالق.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤١].

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢].

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣].

﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ [الرحمن: ١].

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ٢].

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ [الرحمن: ٣].

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٤].

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧].

﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: ٨].

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩].

﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠].

﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ [الرحمن: ١١].

﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن: ١٢].

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣].

### ١٠. خبر تنقّض الجدر: النص وحكمه وشرحه

ورد في الكافي، كتاب الزي والتجمل والمروءة، باب النوادر، الحديث الرابع، سؤال عن تسبيح الأشياء في آية الإسراء المتقدمة. وطريقه: عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن علي بن أسباط، عن داود الرقي، عن أبي عبد الله عليه السلام. وجاء الجواب: «تنقّض الجدر تسبيحها» [م١٩٦].

حكم المجلسي على هذا الطريق في مرآة العقول، ج ٢٢ ص ٤٤٥، بأنه «ضعيف على المشهور» [م١٩٧]. نقلنا الحكم بتمام قيده بعد مقابلته بالنص الإلكتروني للشرح؛ فلا يقدم الخبر هنا بوصفه صحيح السند، ولا يستقل بإثبات كيفية تفصيلية لتسبيح الجمادات. ويبقى أصل عموم التسبيح في الآية القرآنية قائمًا، متميزًا عن درجة هذا الخبر الخاص.

وفي شرح العبارة ينقل المجلسي معنى تنقّض البيت بأنه تشققه مع سماع صوت له، ثم يحتمل أن تغير الجدر وفناءها يدلان بلسان الحال على حاجتها إلى من يوجدها ويبقيها [م١٩٧]. يبدأ تفسيره بصيغة الاحتمال، فلا ننسب هذا الشرح إلى الإمام، ولا نجعله حسمًا لكل معنى ممكن للتسبيح.

وتساعد هذه المقابلة على قراءة النص دون زيادة عليه: فالعبارة لا تسمي حروفًا نطق بها الجدار، ولا تزودنا بطريقة لترجمة الأصوات إلى ذكر لفظي. يستطيع الباحث أن يميز الصوت والتغير المشاهدين عن الدلالة التي يشرحها المفسر، وعن الحكم على ثبوت النقل. لكل واحد من هذه الأسئلة جوابه، ولا يغني جواب أحدها عن الآخرين.

### ١١. تسبيح الدواب وأدب الرفق بها

في الكافي، كتاب الدواجن، باب نوادر في الدواب، يرد خبر يجعل للدابة حقوقًا على صاحبها، منها مراعاة طاقتها وعلفها ومائها، ويربط النهي عن ضرب وجهها بأنها تسبح. طريق الحديث الأول: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام [م١٩٨]. وقد وصف المجلسي هذا الطريق بأنه «ضعيف على المشهور» في ج ٢٢ ص ٤٥٤ [م١٩٧].

ويرد في الحديث الرابع من الباب، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام، نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله ينهى عن ضرب الدواب على وجوهها ويربطه بتسبيحها. ثم يعقب النص بنقل آخر في النهي عن وسمها في وجوهها

[م١٩٨]. حكم المجلسي: «ضعيف وآخره مرسل» في ص ٤٥٥؛ فحفظنا الفصل بين الخبر وطرفه المنقول بصيغة «وفي حديث آخر» [م١٩٧].

وفي شرح الحديث الرابع ينقل المجلسي عن والده وجوهًا لفهم التسبيح، منها الدلالة على القدرة والعلم، ومنها تسبيح خاص لا نعرفه. هذا عرض لاحتمالات الشرح، وليس نصًا روائيًا مستقلًا يثبت واحدًا منها [م١٩٧].

والجانب الذي يستحق التأمل هنا هو اتصال النظر في عبادة المخلوق بطريقة معاملته. فالسؤال عن تسبيح الدابة لا ينحصر في الاستماع إلى صوتها؛ إنه يوجه نظر صاحبها أيضًا إلى الجوع والعطش والطاقة والأذى. لا نحول هذه الأخبار بمفردها إلى استقصاء لأحكام الحيوان الفقهية، لكن عرضها مع درجاتها يكشف حضور الرفق في سياق الحديث عن التسبيح. ولا تكون رقة المعنى سببًا لإسقاط التحفظ على طريقه.

## ١٢. أبو ذر: من سماع الخبر إلى رعاية الدابة

وفي الحديث الثاني من الباب نفسه يروى أن أبا ذر رضي الله عنه شوهد يسقي حمارًا بالربذة، فسئل عمن يكفيه ذلك. فذكر ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في سؤال الدابة ربها أن يرزقها مالكًا صالحًا يشبعها ويرويها ولا يكلفها فوق طاقتها، ثم قال: «فأنا أحب أن أسقيه بنفسي» [م١٩٨].

طريقه: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن أبي المغراء، عن سليمان بن خالد؛ وترد عبارة «فيما أظن» قبل النسبة إلى أبي عبد الله عليه السلام [م١٩٨]. هذا موضعها في صيغة النقل، فلا تُحذف ولا تُدرج في الكلام الذي يحكيه أبو ذر عن نفسه. ووصف المجلسي الخبر بأنه «كالموثق» في مرآة العقول، ج ٢٢ ص ٤٥٤ [م١٩٧]؛ وهو حكمه المنقول بلفظه في المقابلة السابقة، لا تصحيح مستقل أجراه جامع هذا الكتاب، ولا مسوغ لإسقاط موضع التردد.

يضيف الخبر إلى المبحث صورة عملية: رجل يباشر سقي ما يملكه، ويرى في ذلك استجابة لمعنى سمعه. ولا نحتاج، لفهم هذا الأثر التربوي، إلى تصوير سؤال الحيوان على هيئة حديث البشر أو ادعاء معرفة ألفاظه بلغتنا. إن موضع العبرة في فعل أبي ذر، كما ترويه القصة، هو انتقال المعرفة إلى عناية شخصية.

وهكذا يعود التأمل في العالم إلى عمل قريب من اليد: ماء يقدم، وغذاء يهيأ، وطاقة تراعى. هذه قراءة تربوية لمضمون الخبر مع إبقاء حدوده الحديثية، وتصل ما تقدم من آيات التسبيح بمسؤولية الإنسان داخل العالم الذي يتأمله.

إحالات الفصل: الرعد ١٥؛ النحل ٤٨-٤٩؛ الإسراء ٤٤؛ الحج ١٨؛ النور ٤١؛ سبأ ١٠؛ ص ١٨-١٩؛ الرحمن ٦؛ مجمع البيان، تفسير الإسراء ٤١-٤٤ [م٤٤]، وتفسير الرحمن ١-١٣ [م٤٣]؛ الملك ١٩؛ ناسا، تحويل البيانات الفلكية إلى أصوات [ع٤٩]. الطور ٤٨-٤٩ والحجر ٩٨-٩٩ كاملة؛ صلة التسبيح بالصبر والسجود والعبادة. الكافي، كتاب الزي والتجمل والمروءة، باب النوادر، ح ٤ [م١٩٦]؛ مرآة العقول، ج ٢٢ ص ٤٤٥ و٤٥٤-٤٥٥ [م١٩٧]؛ الكافي، كتاب الدواجن، باب نوادر في الدواب، ح ١ و٢ و٤ [م١٩٨]. الطباطبائي، الميزان، تفسير الإسراء ٤٤ [م٢٦٥]؛ مجمع البيان، تفسير النور ٤١ [م٤١]؛ ناسا، موجات الضغط في عنقود برشاوس وإعادة تمثيلها صوتيًا [ع١٠٢].

# الفصل ٣٥ — الخلق والأمر والملك والملكوت

## ١. ألفاظ تفتح المعنى ولا تستغني عن السياق

كلما اتسعت حكاية الكون ازدادت حاجتنا إلى ضبط الكلمات التي نصف بها نسبته إلى الله. فالخلق والأمر والملك والملكوت ألفاظ قرآنية مركزية، لكنها ليست عناوين مترادفة يمكن أن يحل أحدها محل الآخر في كل جملة. ولا يجوز أن نحملها جميعًا على اصطلاح فلسفي متأخر دون بيان المسافة بين الاستعمال القرآني وذلك الاصطلاح.

يبدأ الفهم من موضع الكلمة: ما الذي قبلها وبعدها؟ وما القضية التي يعالجها الخطاب؟ وبأي معنى استعمل اللفظ في المواضع الأخرى؟ هذه الأسئلة أسبق من رسم خريطة لعوالم لا يحدد النص مواقعها وحدودها.

## ٢. له الخلق والأمر

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

تأتي الأعراف ٥٤ بعد ذكر خلق السماوات والأرض، وإغشاء الليل النهار، وتسخير الشمس والقمر والنجوم بأمر الله، فتقرر اختصاص الخلق والأمر به. يلتقي في السياق الإيجاد والتدبير والسيادة؛ فلا ينفصل العالم عن خالقه بمجرد وجوده، ولا تصبح أجزاؤه قوى مستقلة عنه.

وفي مجمع البيان يعلل الطبرسي الفصل بين الخلق والأمر باختلاف فائدتهما: فالخلق عنده الاختراع، والأمر اختصاص الله بأن يأمر في خلقه ويتصرف فيهم بمشيئته [م٢٦٦]. هذا بيان للسلطان الإلهي في سياق الآية، ولا يتضمن بذاته تقسيم الموجودات إلى منطقتين مكانيتين أو جدولًا لطبقات خفية. ومن ثَمَّ تبقى أي إضافة اصطلاحية إلى هذا المعنى محتاجة إلى حجتها الخاصة ونسبتها إلى قائلها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

لكن كلمة «الأمر» لا تحمل معنى واحدًا في كل القرآن. ففي النحل ٩٠ يظهر الأمر بالعدل والإحسان في خطاب التكليف، وفي يس ٨٢ يأتي في بيان نفاذ الإرادة الإلهية عند إرادة الشيء. والتمييز بين أمر يتعلق بما يقع في الوجود وأمر يخاطب الإنسان بما ينبغي أن يعمل يمنع خلطًا مهمًا: وقوع الظلم لا يعني أن الله أمر الناس به أمر رضا وتكليف.

ويستعمل بعض الباحثين «عالم الأمر» و«عالم الخلق» ضمن تقسيمات فلسفية أو عرفانية. يمكن دراسة هذه التقسيمات ومناقشة حججها، لكن لا يصح تقديم تفاصيلها للقارئ بوصفها ترجمة حرفية متفقًا عليها لكل آية يرد فيها لفظ الأمر. يبقى الاصطلاح محتاجًا إلى تعريف وإلى نسبة واضحة.

### ٣. كن فيكون والتنزيه

قال تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

تصوغ يس ٨٢ نفاذ الإرادة بعبارة «كن فيكون». لا يلزم من ذلك تخيل آلة صوت أو هواء يحمل كلامًا إلى شيء مستقل ينتظر أمرًا. إن إلحاق حاجات النطق الإنساني بالخالق يناقض أصل التنزيه الذي تضبطه الشورى ١١.

وحين يستعمل الكتاب تعبير «الأمر التكويني» فإنه يقصد الإيجاد النافذ المرتبط بالإرادة الإلهية، لا صوتًا قابلًا للقياس. أما السؤال عن الزمن الذي تستغرقه ظاهرة طبيعية داخل العالم، فهو سؤال آخر يدرس بحسب أدلته. لا تستخرج من العبارة القرآنية سرعة فيزيائية جديدة، ولا تقاس بها مدة انتقال إشارة بين موضعين. وقد تقدم في الفصل الثاني خبر صفوان في الإرادة وإحداث الفعل، مع تعيين طريقه وتصحيح المجلسي له [م٥٦، م١٥٣]؛ يرجع إليه لاستكمال الشاهد الروائي دون إعادة عرضه هنا.

ويشرح الطباطبائي «أمره» في يس ٨٢ بمعنى شأنه عند إرادة الإيجاد، ويفسر «كن فيكون» تمثيلًا لإفاضة الوجود دون حاجة إلى معين خارج الذات الإلهية. وينفي أن يكون المقصود لفظًا حادثًا يسبق الإيجاد أو مخاطبًا موجودًا يسمع ثم يوجد؛ لأن هذا الافتراض يعيد السؤال عن إيجاد اللفظ أو يفترض وجود الشيء قبل إيجاده [م٢٦٧]. هذا استدلال المفسر في بيان التنزيه، متميز عن متن خبر صفوان المتقدم وعن حكم المجلسي على طريق ذلك الخبر.

### ٤. ملكوت السماوات والأرض

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥].

﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

يرد الملكوت في الأنعام ٧٥ في سياق إبراهيم عليه السلام واليقين، وفي المؤمنون ٨٨ في سياق السؤال عن ملكوت كل شيء، وفي يس ٨٣ مع الرجوع إلى الله. تضع هذه المواضع النظر في العالم أمام جهة ملكه وافتقاره وتدبيره، ولا تقدم قائمة بإحداثيات حيز مادي يسمى الملكوت.

وعند ختام يس يبدأ الميزان ببيان المبالغة في لفظ الملكوت، ثم يستفيد من اتصال الآية بما قبلها أن المراد جهة وجود الأشياء المنتسبة إلى الله، ويقابلها بجهتها المنتسبة إلى الخلق، أو يجعل الملك أعم من الجهتين [م٢٦٧]. فلفظ «الجهة» هنا في شرحه متعلق بالنسبة الوجودية، ولا يعرضه بوصفه اتجاهًا هندسيًا وراء السماء. وهذه قراءة تفسيرية مسماة، لا تعريف متفق عليه يُفرض على جميع المواضع، ولا معلومة تجريبية تثبت حيزًا يمكن تحديد مسافته.

وفي قصة إبراهيم يتصل اليقين بتحرير العبادة من التعلق بالكوكب والقمر والشمس. لا يكفي أن يعرف الإنسان أسماء الأجرام حتى يبلغ غاية المشهد؛ القضية هي علاقتها بالربوبية واستحقاق العبادة. وأما الأخبار التي تفصل ما أريه إبراهيم وكيف أريه، فلا يثبتها هذا الفصل بالجملة، وتحتاج إلى دراسة طرقها ومتونها قبل إدخال تفاصيلها.

### ٥. ملك الإنسان داخل المسؤولية

تفتتح سورة الملك بتعظيم من بيده الملك، ثم تربط الحياة والموت بالابتلاء في العمل. إن ملك الإنسان لمال أو أداة لا يساوي ملك أصل الوجود، ولا يجعله مستغنيًا عن سائر الخلق. يعيش بما لم ينشئ أصوله: الماء والهواء والأرض وحياة الآخرين وعملهم.

قال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧].

وينقل الطبرسي عند الحديد ٧ عن الحسن تفسير الاستخلاف في المال بانتقاله إلى المخاطبين ممن سبقهم، ثم ينبه إلى أنه سينتقل منهم إلى غيرهم، فيكون ذلك باعثًا على الإنفاق قبل زوال ما بأيديهم [م٢٦٨]. يضيف هذا

البيان بُعد تعاقب الأجيال إلى قراءة الآية؛ فالمال حاضر في يد الإنسان، لكن مدة تصرفه فيه محدودة. وما يأتي من تطبيق هذا المعنى على رعاية الموارد هو تأملي، لا ألفاظ منقولة عن المفسر.

وتذكر الحديد ٧ الإنفاق مما جعل الناس مستخلفين فيه. ومن هذا المعنى تنشأ قراءة أخلاقية للقدرة: كلما اتسعت الإمكانات اتسع السؤال عن استعمالها. فالمعرفة التي تمنحنا التصرف في مورد لا تمنحنا تلقائيًا الحق في إضاعته، كما أن امتلاك الأداة لا يكفي لتبرير كل فعل تسمح به.

ليس معنى الافتقار تعطيل العمل أو ترك الأسباب، بل وضع نجاحنا في حجمه. يعمل الإنسان ويخطط ويبتكر، ثم يتذكر أن قدرته محدودة ومسؤولة. وبهذا تتحول دراسة الألفاظ إلى فهم لعلاقتنا بالعالم: نعيش فيه ونتصرف في بعض أسبابه، ونظل مخلوقين لا مالكين له ملكًا مطلقًا.

## ٦. الملكوت بين البيان اللغوي والتفصيل الروائي

يفسر الطبرسي لفظ الملكوت بأنه أبلغ من الملك، ثم يعرض عند الأنعام ٧٥ أقوالًا تصل إراءة إبراهيم بالنظر في آثار القدرة والآيات الدالة على التوحيد. ويسوق أيضًا أخبارًا عن كشف السماوات والأرضين [م٨٧]. في الصفحة الواحدة إذن شرح لغوي، وأقوال تفسيرية، ومادة روائية؛ ولا يستقيم التعامل معها جميعًا بوصفها نوعًا واحدًا من الأدلة.

ويورد المصدر خبرًا منسوبًا إلى الإمام الباقر في الكشف، وخبرًا يرويه أبو بصير عن الإمام الصادق في مشاهد رآها إبراهيم وما تعلق بها من الدعاء. لا تعرض صفحة مجمع البيان طريقًا متصلًا من المصنف إلى هذين النقلين [م٨٧]. وقد عُين أصل خبر أبي بصير في الكافي وشواهد له في تفسير العياشي، وقوبل حكم المجلسي على خبر الكافي. وقورنت شواهد الباقر في العياشي بنقل التبيان وخبر مسمى الطريق في بصائر الدرجات [م٢٠٠، م٢٩٠–م٢٩١]؛ وتأتي الفروق أدناه. هذه المقابلة لا تعين وحدها المصدر الذي أخذ عنه الطبرسي، ولا تثبت صحة جميع الطرق.

أما القدر الذي تصرح به الآية فهو نسبة الإراءة إلى الله وصلتها بيقين إبراهيم. ويمكن أن نسأل عن المعنى الذي يفتحانه في القصة: فاليقين لا ينتهي إلى تعظيم الجرم المشاهد في ذاته، بل إلى إدراك افتقاره وحدود ما يستحق العبادة. ولا يلزم من اتساع ما أريه النبي أن تصبح خبرتنا العادية مقياسًا يستوعب كيفية الإراءة كلها.

## ٧. ليس كل ما نملكه ملكًا مطلقًا

قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: ٣٢].

﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف: ٣٣].

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤].

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٣٥].

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦].

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧].

﴿لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٨].

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [الكهف: ٣٩].

﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف: ٤٠].

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ [الكهف: ٤١].

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢].

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: ٤٣].

﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤].

تعرض سورة الكهف رجلًا أوتي جنتين تحفهما النخل وبينهما زرع، وجعل خلالهما نهر، ثم تعرض صاحبه وهو يحاوره عند الاغترار بالمال والنفس [الكهف: ٣٢-٤٤]. إن عناصر الطبيعة هنا جزء من سؤال الملك: هل تعني وفرة الماء والثمر أن بقاءهما مضمون لصاحبه، وأن منزلته تقاس بما في يده؟

يمضي الحوار إلى تذكيره بأصل خلقه وبمشيئة الله وقوته، ثم يأتي انقلاب الحال وندم صاحب الجنتين. ولا يسمي القرآن الرجلين في هذا الموضع، فلا نضيف اسمًا من خارج النص إلى عرضنا كأنه بعض ألفاظه. كما لا نحول المشهد إلى وعد بأن كل ثري يهلك زرعه، أو أن فقر إنسان دليل آلي على تفوقه في الإيمان.

الذي يثبته السياق أعمق من هذه المقابلات السريعة: النعمة قابلة للزوال، والقدرة ليست استقلالًا، والصحبة الصادقة قد تكون في كلمة ترد المتكبر إلى حجمه. ومن هنا يتصل الملكوت والملك بعمل الإنسان؛ فمن عرف أن المورد ليس باقيا له بذاته كان أقرب إلى حسن استعماله، وإلى سماع من ينصحه قبل أن يضطره الفقد إلى مراجعة ما ظنه يقينًا.

وهذه قراءة تأملية للقصة في موضعها من حكاية الكون؛ ننتقل بها من دقة اللفظ إلى أثره في تصورنا لما نملك وما لا نملك.

## ٨. تعيين أصل خبر أبي بصير في إراءة الملكوت

ورد الخبر في الكافي، ج ٨، الروضة، برقم ٤٧٣ [م١٤١]. يفتتح الكليني إسناده بمحمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى، وبعلي بن إبراهيم عن أبيه؛ ثم يلتقي الطريقان عند ابن أبي عمير، عن أبي أيوب الخزاز، عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام. وهما افتتاحان في السند يلتقيان في بقيته، فلا نعرضهما كخبرين مستقلين من أولهما إلى منتهاهما.

يصف متن الخبر رؤية إبراهيم أناسًا يعصون ودعاءه عليهم، ثم ورود النهي عن الدعاء على العباد وبيان اختلاف مآلاتهم. ومن ألفاظه: «يا إبراهيم إن دعوتك مجابة فلا تدع على عبادي فإني لو شئت لم أخلقهم». ويتابع بأن بعض الخلق يعبد الله فيثيبه، وأن من يعبد غيره لا يفوته، وأنه يخرج من صلب بعضهم من يعبده. هذا تلخيص للمعنى مع مقتطف مسمى، وليس نص الرواية كاملًا [م١٤١].

وتظهر فروق لفظية عند مقابلة هذا الخبر بنقل مجمع البيان: في الكافي «مجابة»، وفي المجمع «مستجابة»؛ كما يزيد نقل المجمع ذكر إماتة العباد بالدعاء في جملة بيان الحكمة من النهي [م٨٧، م١٤١]. ويعرض العياشي في سورة الأنعام خبرًا آخر برقم ٣٧ عن أبي بصير عن أبي عبد الله، يوافق الكافي في اللفظ الأول وفي تعليل النهي، وينتهي هنا بذكر الأصناف الثلاثة [م٢٠٠]. وهو موضع مغاير لشاهد البقرة، ح ٤٦٩ [م١٤٣]؛ فلا تدمج تتمة سؤال إحياء الموتى الواردة هناك في متن خبر الأنعام، ولا ينقل تصحيح المجلسي لطريق الكافي إلى نقلي العياشي والمجمع.

قوبل الخبر بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ٢٦، ص ٣٨٨، فثبت حكم المجلسي: «صحيح» [م١٤٢]. وصحح رقم الجزء في الإحالة إلى ٢٦؛ إذ تعرض صفحة الثقلين رقم ١٦ مع الصفحة نفسها. أما عبارة «لم يخرجه» التي ينقلها الموقع عن البهبودي فلا تعادل بمفردها حكمًا صريحًا منه بضعف السند. وتبقى دراسة الرجال وجمع الطرق ومقابلة صور الطبعات عملًا آخر غير نقل حكم المجلسي من موضعه.

وفي شرح المجلسي، ص ٣٨٩، عرض لاحتمال الإراءة بالبصر ولاحتمالها بالبصيرة والعقل [م١٤٢]. ذكر الاحتمالين وترجيحه جهة بالنظر العقلي واتصال الأخرى بالنقول هو من كلام الشارح، فلا ندرجه في متن الإمام. ولا يجعل وصف الخبر بالصحيح كل تفصيل في الكتب الناقلة له أو في شروحها جزءًا من الإسناد نفسه.

ويفتح مضمون الخبر سؤالًا أخلاقيًا يتصل بعنوان الباب: قد يرى الإنسان فعلًا ظاهرًا ويجهل ما وراءه وما يؤول إليه صاحبه. نستفيد من هذا، في حدود التأمل، التوقف عن ادعاء الإحاطة بمآلات العباد. ولا نستخرج منه إذنًا بترك الحقوق أو تعطيل القضاء؛ فهذه أحكام لها أدلتها وشروطها. موضع الاستشهاد هنا حدود نظر المخلوق واتساع علم الخالق.

## ٩. من الملكوت إلى سؤال إحياء الموتى: ضبط حدود النص

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

تستمر رواية الكافي نفسها بعد مشهد الدعاء، فتذكر جيفة على الساحل تأكل منها سباع البحر والبر، ثم تأكل بعض تلك السباع بعضًا. وتصل هذا المشهد بسؤال إبراهيم عن كيفية الإحياء، ثم بقصة الطير، وتذكر في ختامها أن الجبال كانت عشرة [م١٤١]. فالرواية تصل بين موضوعي الإراءة والإحياء، ولا ينتهي متنها عند الجملة التي اقتبسناها في المبحث السابق.

أما الآية الكريمة فتذكر أربعة من الطير وتوزيع الأجزاء على الجبال، ولا تسمي أنواع الطير ولا تعد الجبال. لذلك نثبت عدد الجبال بوصفه من تفصيل الرواية، ولا نضعه داخل شرح يوهم أنه لفظ قرآني. وكذلك لا تحول صورة تفرق الأجزاء في الرواية إلى تجربة في علم الأحياء تدعي تحديد الآلية التي يقع بها البعث؛ فمحور النص قدرة الله واطمئنان قلب إبراهيم.

وفي تفسير العياشي، ج ١، ص ١٤٢، الخبر ٤٦٩، شاهد طويل عن أبي بصير عن الإمام الصادق، قريب من هذا السياق [م١٤٣]. تبدأ الصيغة المعروضة بأبي بصير، فلا يظهر فيها تمام الطريق من المصنف إليه. ولهذا تثبت المقارنة وجود النص في هذا الموضع، دون أن تمنح هذه الصيغة سندًا متصلًا لم تعرضه الصفحة.

ونبّه المحقق في هامش الموضع إلى اختلاف النسخ في وصف أكل السباع، واقترح قراءة توافق رواية الكافي. وفي عبارة الرؤية يعرض متن العياشي «كما رأى الله»، وينقل الهامش عن نسخة البرهان «كما أراني الله»، ويقابله بلفظ الكافي «كما رأيت الأشياء كلها» ويرجحه [م١٤٣]. نُبقي هذه الصيغ منسوبة إلى مواضعها؛ فلا نطبع القراءة المرجحة كأنها لفظ جميع النسخ، ولا نجعل ذكر الرؤية هنا دليلًا مستقلًا على رؤية الذات الإلهية. هذه مقابلة للنص والهامش المنشورين، وليست فحصًا للمخطوطات أجريتُه.

ويبدأ بعد ذلك الخبر ٤٧٠ في الصفحة نفسها، وفيه تعيين الطير بالديك والحمامة والطاووس والغراب. لا ندمج هذه الأسماء في متن الخبر ٤٦٩ أو في خبر الكافي ٤٧٣؛ فالتجاور على الصفحة لا يلغي حدود الأخبار، وصحة طريق خبر لا تنتقل إلى خبر مجاور. بهذه المقارنة يبقى أمام القارئ نص القرآن مستقلًا، ثم متن كل رواية وطريقها، ثم تعليقات المحقق والشارح، ويستطيع أن يعرف من أين جاءت كل زيادة.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦].

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧].

﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨].

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤].

## ١٠. النظر في الملكوت واستحضار الأجل

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

ينضم هذا الموضع إلى آيات الملكوت التي تقدمت في الفصل، فيضيف دعوة إلى النظر تتصل بالتنبيه إلى الأجل. فالمخاطب لا ينظر إلى السماوات والأرض كأنه خارج زمن الحياة والموت؛ إنه واحد من المخلوقات التي يدعوه الخطاب إلى تأملها، ووقت نظره وعمله محدود.

يشرح الطبرسي النظر هنا بالتفكر والاستدلال والاعتبار بعجيب الصنعة، ويربط ذكر ما خلق الله من شيء باتساع مجال الدلالة على الخالق. ويشرح التنبيه إلى قرب الأجل بما يدعو إلى الاحتياط للدين والنفس والاستعداد لما بعد الموت [م١٩٩]. هذا بيان تفسيري للآية؛ فلا نحصر دعوتها في رؤية بصرية مخصوصة أو في تجربة كشف يجب أن يدعيها كل قارئ.

والفرق بين هذا الموضع وإراءة إبراهيم في الأنعام ٧٥ مفيد في ترتيب البحث: هناك خبر عن إراءة نبي وصلتها باليقين، وهنا إنكار للإعراض عن النظر في الملكوت وما خلق الله. يجتمع الموضعان في توجيه النظر إلى الخالق، لكن لا يلزم من اجتماعهما أن تكون كيفية معرفة كل مخاطب مطابقة لما أريه إبراهيم.

وتقترن سعة المشهد بقرب المسؤولية. فقد يطيل المرء حديثه عن أعمار النجوم وأبعاد السماء، ثم يؤجل مراجعة نفسه كأن أجله لا يعنيه. لا تعطي الآية تاريخًا لموت أحد، وإنما توقظ معنى الاستعداد وسط النظر في العالم. وهذه ثمرة تأملية لا تستبدل البحث في الخلق، بل تمنعه من أن يصير انشغالًا ينسي صاحبه موقعه من الوجود.

## ١١. شواهد العياشي في إراءة إبراهيم

إلى جانب خبر أبي بصير الذي سبقت مقابلته، يعرض تفسير العياشي في سورة الأنعام مجموعة أخبار تتصل بالإراءة، بأرقام ٣٣–٣٧ في ترتيب السورة المنشور [م٢٠٠]. الأخبار الأربعة الأولى في الكشف وتقوية البصر، والخبر ٣٧ في رؤية العصاة والنهي عن الدعاء عليهم، وقد قورن أعلاه. ليست هذه الفقرات تتمة لخبر واحد، ولا يحمل حكم طريق الكافي السابق على جميع صيغها.

يبدأ الخبر ٣٣ بزرارة عن أبي عبد الله عليه السلام، ويصف كشف الأرض والسماء وما فيهما. ويبدأ الخبر ٣٤ بعبد الرحيم القصير عن أبي جعفر عليه السلام، ويذكر السماوات السبع والأرضين السبع، ثم يذكر إراءة النبي صلى الله عليه وآله ويعقب بإشارة إلى «صاحبكم». وفي الخبر ٣٥ نقل عن زرارة عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، مع تمييز الكلام المنسوب إلى كل منهما. أما الخبر ٣٦ فيرد بوصفه رواية أخرى عن زرارة عن أبي جعفر، وفيه تعبير عن إعطاء البصر قوة ينفذ بها إلى ما وراء المشاهد المعتاد [م٢٠٠].

تتيح المقارنة ملاحظة طريقتين في التعبير داخل المادة المنقولة: كشف ما يحجب المرئي، وتقوية بصر الناظر. نثبت اختلاف التعبير، ولا نزعم أنهما وصفان تقنيان لعملية واحدة، أو أننا نعرف آليتها. كما لا نستبدل «صاحبكم» باسم داخل المتن؛ فتعيين المشار إليه بحث تفسيري لا يجيز تغيير اللفظ المنقول.

والصيغ المعروضة في هذا المصدر تبدأ بالرواة المذكورين، ولا تعرض تمام الطريق من العياشي إليهم. لذلك تحقق هنا تعيين مواضع الشواهد ومقارنة مضامينها، لا إثبات اتصال أسانيدها أو الحكم بصحتها. كثرة أرقام الأخبار لا تعني وحدها كثرة طرق مستقلة مكتملة؛ ويظل جمع الأصول ومقابلة النسخ ودراسة الرجال لازمًا قبل تقوية بعضها ببعض.

ويقرب من نقل مجمع البيان شاهد في التبيان للطوسي عند الأنعام ٧٥؛ فكلاهما ينسب إلى أبي جعفر ذكر كشف السماوات والأرض ورؤية الملائكة وحملة العرش [م٨٧، م٢٩٠]. يفصّل المجمع الأرضين وما تحتهن ثم السماوات وما فيهن، بينما يجمع التبيان السماوات والأرض في عبارته. يثبت هذا التقارب النصي، ولا يكفي وحده للجزم بأن الطبرسي نقل من التبيان أو لتعيين طريق الرواية؛ إذ لا يسوق الموضع في أي منهما إسنادًا متصلًا من المصنف إلى الإمام.

وبعد النقل يطرح الطوسي سؤالًا عن إمكان رؤية ما تحجبه الأرض والسماء، ويجيب باحتمال وجود منافذ وتقوية الشعاع [م٢٩٠]. هذا جواب المفسر في سياق مناقشة الإمكان، وليس تتمة للقول المنسوب إلى أبي جعفر. ولا يحوّل الكتّاب ذلك التصور إلى تفسير فيزيائي مثبت للرؤية أو إلى تعيين لكيفية الإراءة الغيبية.

أما بصائر الدرجات فيسوق في الباب ٢٠ من الجزء الثاني، المتعلق بعرض الملكوت، خبرًا برقم ٦، في ص ١٢٨ بحسب ترقيم النص الإلكتروني المقابل [م٢٩١]. طريقه: عبد الله بن محمد، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة، عن منصور بن حازم، عن عبد الرحيم القصير، عن أبي جعفر عليه السلام. يذكر كشف السماوات والأرض وما فيهما ورؤية العرش، ثم إراءة رسول الله صلى الله عليه وآله. هنا سلسلة أسماء يصرح بها المصدر؛ وإثباتها كما وردت لا يساوي إثبات اتصالها وصحتها، ولا يجيز توسيع الأسماء المختصرة بلا تحقيق.

وتلي هذا الخبر في الصفحة نفسها صيغ قصيرة مرقمة ٧–٩، ثم صيغة برقم ١٠ عن أبي عبد الله تتحدث عن السماوات السبع والأرضين السبع وإراءة النبي و«صاحبكم» [م٢٩١]. تتقارب هذه الأخيرة مع خبر العياشي ٣٤ في المضمون، لكن العياشي ينسب خبره إلى أبي جعفر بواسطة عبد الرحيم القصير [م٢٠٠]. لذلك تحفظ

نسبة كل صيغة كما هي، ولا يجمع المتنان في رواية واحدة، ولا تحسب كل فقرة مرقمة في هذه الصفحة طريقًا كاملًا مستقلًا.

حصيلة المقارنة أن النقل المختصر في مجمع البيان صار محاطًا بشواهد معينة المواضع في التبيان والعياشي وبصائر الدرجات، مع تمييز الألفاظ والنسب وسياق الشرح. لم يثبت بذلك أي شاهد منها مصدرًا مباشرًا للطبرسي، ولم يخز حكم رجالي مستقل أو استقصاء للمخطوطات. ويبقى أصل الإراءة واليقين ثابتًا في الآية، أما تفاصيل المرئي وكيفية الإراءة فتدرس خبرًا خبرًا، مع حفظ تنزيه الله المتقدم في مباحث العرش والرؤية.

إحالات الفصل: الأنعام ٧٥–٧٩؛ الأعراف ٥٤؛ النحل ٩٠؛ المؤمنون ٨٨؛ يس ٨٢–٨٣؛ الشورى ١١؛ الحديد ٧؛ الملك ١–٢؛ الكهف ٣٢–٤٤؛ مجمع البيان، الأنعام ٧٤–٧٥ [م٨٧]. البقرة ٢٦٠ كاملة؛ الكافي، الروضة، الخبر ٤٧٣ [م١٤١]؛ مرآة العقول، ج ٢٦، ص ٣٨٨–٣٨٩ [م١٤٢]؛ تفسير العياشي، ج ١، ص ١٤٢، ح ٤٦٩–٤٧٠ [م١٤٣]. الأعراف ١٨٥ كاملة؛ مجمع البيان، تفسير الأعراف ١٨٢–١٨٦ [م١٩٩]؛ تفسير العياشي، سورة الأنعام، الأخبار ٣٣–٣٧ في ترتيب السورة [م٢٠٠]؛ إحالة إلى شاهد الإرادة في الفصل الثاني [م٥٦، م١٥٣]. مجمع البيان، تفسير الأعراف ٥٤ [م٢٦٦]؛ الميزان، تفسير يس ٨٢–٨٣ [م٢٦٧]؛ مجمع البيان، تفسير الحديد ٧ [م٢٦٨]. التبيان، تفسير الأنعام ٧٥ [م٢٩٠]؛ بصائر الدرجات، الجزء الثاني، الباب ٢٠، ص ١٢٦–١٢٨ بحسب ترقيم النص الإلكتروني، ولا سيما الخبر ٦ والصيغ التي تليه [م٢٩١].

# الفصل ٣٦ — الكون في قصص الأنبياء ومعجزاتهم

## ١. الطبيعة داخل القصة

يحضر الماء والنار والريح والجبل والحيوان في قصص القرآن بوصفها أجزاء من مشهد الهداية والابتلاء. ليست جميع هذه المشاهد معجزات بالمعنى الاصطلاحي نفسه؛ فمنها آية مخصوصة لنبي، ومنها نعمة أو نجاة أو رؤيا أو خبر عن جماعة. لذلك نجمعها هنا لعلاقتها بموضوع الكون، مع حفظ الفروق بينها.

ويبدأ الجمع من النص القرآني، دون ملء سكوته بتفاصيل متخيلة. لا يعيّن هذا الفصل تواريخ الحوادث أو مواقعها الأثرية حيث لا يثبت ذلك، ولا يسوي بين الخبر القرآني وبين كل حكاية متداولة تحمل اسم الشخصية.

## ٢. آدم والأرض ومعنى البداية الإنسانية

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١].

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦].

﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦].

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧].

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨].

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

تربط البقرة ٣٠-٣٩ قصة آدم عليه السلام بالخلافة والتعليم والابتلاء والتوبة والهبوط. وفي الحجر ٢٦-٢٩ ذكر مادة خلق الإنسان وتسويته. تتصل القصة بالسؤال عن مكان الإنسان في الخلق، لكنها لا تمنح بمفردها سجلًا جيولوجيًا مؤرخًا يمكن ملء جميع فراغاته بالحساب.

قال تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٩].

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠].

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١].

﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢].

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وتحضر زوج آدم شريكة في خطاب السكن والابتلاء في البقرة ٣٥ والأعراف ١٩-٢٣؛ ولا يذكر القرآن اسمها في هذه المواضع. لذلك يحفظ هذا العرض تسمية النص، ولا يحمل المرأة وحدها تبعة القصة؛ فالدعاء بالتوبة في الأعراف يأتي بصيغة التثنية.

### ٣. نوح والماء والسفينة

قال تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود: ٣٧].

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨].

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هود: ٣٩].

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود: ٤١].

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢].

﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤].

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [القمر: ١١].

﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ١٢].

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر: ١٣].

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٤].

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥].

في هود ٣٧-٤٤ تأتي صناعة السفينة والماء والموج والنجاة وانحسار الطوفان في مشهد واحد، وتضيف القمر ١١-١٥ صورة أبواب السماء وعيون الأرض. لا تتحقق النجاة في القصة بالتفرج؛ هناك صنع واستجابة وركوب، ثم حدث يتجاوز قدرة البشر على التحكم.

ويكشف حوار نوح وابنه في هود أن طلب النجاة بالجبل لا يكفي في ذلك الموقف. لا يحول الكتاب هذا الخبر إلى حكم يمنع الأخذ بالأسباب في حياتنا؛ فالخبر مخصوص بسياقه. كما لا يستخرج منه وحده خريطة نهائية لنطاق الطوفان، أو ارتفاع الماء، أو تعيين بقايا السفينة في صورة حديثة.

### ٤. هود وصالح ولوط

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: ٢٤].

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦].

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٨].

في خبر عاد والرسول هود عليه السلام تحضر الريح في الأحقاف ٢٤–٢٥ والحاقة ٦–٨. يخطئ القوم قراءة ما يقبل عليهم حين ينتظرون منه المطر، فيصبح المشهد تذكيرًا بأن المظهر الذي نتوقع منه النفع لا يضمن لنا ما نتمناه.

قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥].

﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾ [القمر: ٢٧].

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [القمر: ٢٨].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨].

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [هود: ٦٧].

وفي قصة صالح عليه السلام تظهر الناقة وتقسيم الشرب في الشعراء ١٥٥ والقمر ٢٧–٢٨، ثم ترد الرجفة في الأعراف ٧٨ والصيحة في هود ٦٧. يحفظ الجمع ألفاظ المواضع دون اختزالها في تشخيص جيولوجي معاصر لم يقدمه النص.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود: ٨٢].

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣].

وفي قصة لوط عليه السلام يأتي انقلاب القرى والحجارة في هود ٨٢-٨٣. لكن تشابه موقع طبيعي مع صورة نتخيلها ليس برهانًا كافيًا على تعيين مكان الواقعة. والأهم أن أخبار العقوبة المعينة لا تمنحنا معرفة بالغيب نحكم بها على ضحايا كارثة في زماننا.

## ٥. إبراهيم والأجرام والنار والطير

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦].

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧].

﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨].

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨].

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

يجمع مسار إبراهيم عليه السلام بين محاجة تتصل بالكوكب والقمر والشمس في الأنعام ٧٦-٧٩، ونجاة من النار في الأنبياء ٦٨-٧٠، وسؤال عن كيفية إحياء الموتى في البقرة ٢٦٠. في القراءة الإمامية تراعى عصمة النبي عند تفسير المحاجة؛ فلا تقدم عباراته بوصفها إقرارًا مستقرًا بالشرك، مع وجود البحث في كيفية عرض الحجة على قومه.

ولا تفرغ نجاة إبراهيم من خصوصيتها بافتراض حيلة طبيعية لم يذكرها النص. كذلك لا يصير مشهد الطير وصفًا لتجربة يستطيع أي إنسان تكرارها باتباع خطوات ظاهرة؛ إنه خبر عن إراءة متعلقة بالقدرة الإلهية وطمأنينة القلب.

قال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢].

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣].

﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٩].

﴿قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الذاريات: ٣٠].

وتحضر زوجة إبراهيم في بشارة الولد في هود ٧١-٧٣ والذاريات ٢٩-٣٠. يذكر القرآن تعجبها في مواجهة الخبر، ولا يذكر اسمها في هذين الموضعين. وجودها جزء من بناء القصة: البشارة تمس حياتها وجسدها ومستقبل بيتها، فلا تختصر إلى هامش في سيرة الرجل.

### ٦. يوسف والرؤيا والسنون

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

تظهر الشمس والقمر والكواكب في رؤيا يوسف عليه السلام في يوسف ٤، ثم يتصل تأويل الرؤيا بأهله في الآية ١٠٠. إن تحويلها إلى تقرير عن عدد كواكب المجموعة الشمسية يهمل أن النص نفسه يعرض مسار تأويلها.

قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٦].

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [يوسف: ٤٧].

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ [يوسف: ٤٨].

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩].

وتأتي سنوات الزرع والجدب وتدبير الغذاء في يوسف ٤٦-٤٩. هنا تتصل المعرفة بحفظ الأقوات والتخطيط لما سيأتي. لا يقدم المشهد مجرد صورة للدهشة، بل يبين كيف يصبح التعامل مع المحصول والزمن جزءًا من إنقاذ حياة الناس.

ويتضح التدبير في ثلاث مراحل مترابطة: زرع متتابع في سنوات السعة مع حفظ معظم المحصول، ثم إنفاق المدخر في السنوات الشداد مع إبقاء قدر مصون، ثم عام الإغاثة والعصر. لا يكتفي الجواب بتحديد وقوع الشدة؛ يوجه إلى عمل سابق لها وإلى ضبط الاستهلاك خلالها. وهذا يجعل المعرفة هنا أمانة في حق الجماعة التي ستحتاج إلى الطعام.

وتبقى طريقة إبقاء المحصول في سنبله أمرًا منصوصًا في القصة؛ أما صلاحية طريقة تخزين معينة لمحصول معاصر وفي مناخ محدد فتحتاج إلى معرفة زراعية وفحص للرطوبة والآفات وظروف الحفظ. لا نقدم القصة بديلًا عن هذا الفحص، ولا ننسب إلى الآيات بيانات مخبرية لم تذكرها. كذلك لا نجعل تعبير يوسف للرؤيا نموذجًا يبيح لكل أحد أن يتنبأ بسنوات الجدب من الأحلام.

قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

تصل هذه الآية طلب تولي خزائن الأرض بوصفي الحفظ والعلم. ونقرأ اجتماع الوصفين في سياق القصة: النية الحسنة تحتاج إلى معرفة بما يصون الأقوات، والمعرفة تحتاج إلى أمانة في التصرف. ومن هنا تتصل قصص الأنبياء بموضوع هذا الكتاب؛ فالتفكر في الخلق يثمر خدمة الناس حين يتحول إلى تدبير مسؤول. وليس هذا الموضع استنباطًا لجميع أحكام الولاية أو طلب المنصب، بل بيان للصلة الظاهرة بين الوصفين والعمل المذكور.

### ٧. موسى والماء والجبل

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨].

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ٩].

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠].

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ١١].

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [القصص: ١٢].

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ١٣].

يبدأ حضور الماء في قصة موسى عليه السلام قبل الرسالة: توحي الآيات إلى أمه بإرضاعه وإلقائه في اليم عند الخوف، وتذكر أخته التي تتبع خبره، وامرأة فرعون التي تدعو إلى إبقائه، ثم رجوعه إلى أمه في القصص ٧-١٣ . لا يسمي القرآن الأم أو الأخت في هذا السياق، لكنه يثبت دورهما بالفعل والمبادرة.

قال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧].

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٨].

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٠].

ثم تظهر العصا واليد في الأعراف ١٠٧-١٠٨، وانفلاق البحر في الشعراء ٦٣، وانبجاس العيون في الأعراف ١٦٠. تثبت الآيات هذه المشاهد، ولا تقدم لهذا الفصل حق تعيين طريق العبور أو حجم العصا أو آلية الحدث بتخمين.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١].

وفي الأعراف ١٤٣ يرتبط الجبل بمشهد سؤال موسى والتجلي والصعق. يقرأ الخبر في ضوء التنزيه، فلا يجعل ظهور أثر في الجبل دليلًا على أن الله جسم حل فيه. وفي القصص ٨١ يرد خسف قارون وداره؛ وهذه واقعة مسماة، لا قاعدة نطبقها على كل من أصاب أرضه خسف.

### ٨. داود وسليمان وملكة سبأ

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠].

﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١١].

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢].

يرد مع داود عليه السلام تسبيح الجبال والطير وتليين الحديد في سبأ ١٠-١١، ويرد مع سليمان تسخير الريح وعين القطر في الآية ١٢. وحين تذكر الصناعة والعمل في هذه المشاهد، لا تختفي المسؤولية: يأتي توجيه العمل الصالح حاضرًا مع العطية.

قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦].

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧].

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠].

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢١].

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢].

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وفي النمل ١٦-٢٢ يرد منطق الطير والنملة والهدهد، ثم ينتقل الخبر إلى قوم يسجدون للشمس، وتنتهي قصة الملكة بإعلان إسلامها لله في النمل ٤٤. لا يسميها القرآن في القصة. وهي ليست مجرد تفصيل يثبت قدرة سليمان؛ لها سؤال ومشاورة وقرار وتحول في الموقف.

## ٠٩. مريم وعيسى وزكريا

قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [مريم: ٢٢].

﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣].

﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤].

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥].

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦].

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: ١٦].

﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧].

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨].

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩].

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠].

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١].

في مريم ٢٢-٢٦ تظهر النخلة والرطب والماء في مشهد الولادة. يتجاور الألم مع الرعاية، والتوجيه إلى فعل مع العطاء. لا يختزل حضور مريم عليها السلام في كونها طريقًا إلى سيرة ابنها؛ فهي صاحبة ابتلاء وخطاب ومقام ظاهر في النص.

قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: ٢].

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤].

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥].

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٦].

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧].

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨].

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩].

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠].

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١].

﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢].

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٣].

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤].

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥].

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ

طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٠].

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١].

وتذكر آل عمران ٣٧ رزقها وعلاقة زكريا بالمحراب، ثم يأتي دعاؤه بالبشارة بالولد في الآيات التالية. وفي مريم ٢-١٥ تتسع قصة زكريا ويحيى عليهما السلام. أما آيات عيسى عليه السلام في آل عمران ٤٩ والمائدة ١١٠ فتذكر الطين والطير والإبراء والإحياء مقيدة بالإذن الإلهي، فلا تعرض القدرة النبوية استقلالًا عن الله.

## ١٠. أيوب ويونس وشخصيات أخرى

قال تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢].

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٩].

﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الصافات: ١٤٠].

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات: ١٤١].

﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٢].

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣].

﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٤].

﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥].

﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٦].

يرد في ص ٤٢ الماء في قصة أيوب عليه السلام، في سياق رفع الضر، ولا تتحول الآية إلى وصفة علاجية عامة لكل مرض. ومع يونس عليه السلام البحر والحوت واليقطين في الصافات ١٣٩-١٤٦، ضمن حكاية تشمل الضيق والدعاء والنجاة والرعاية.

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣].

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤].

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٥].

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦].

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٨٧].

﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٨].

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٩].

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠].

﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٩١].

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٩٢].

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: ٩٣].

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤].

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥].

﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦].

﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧].

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨].

وترد الشمس وعلاقتها بمأوى أصحاب الكهف في الكهف ١٧، وتأتي رحلة ذي القرنين ومشاهدها في الآيات ٨٣-٩٨. يذكر هؤلاء ضمن الشخصيات القرآنية، دون الجزم بنبوة من لم يحسم النص أمره. كما أن وصف ما وجده ذو القرنين عند المغرب لا يحول المشهد إلى تقرير بأن جرم الشمس يدخل عينًا أرضية.

## ١١. النبي محمد صلى الله عليه وآله

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢].

يثبت الإسراء ١ الانتقال الليلي إلى المسجد الأقصى، وتعرض سورة النجم مشاهد سبق بحثها في موضعها من الكتاب، وتذكر القمر ١-٢ انشقاق القمر وموقف المعرضين عن الآية. وفيما يأتي مقابلة لأخبار محددة من الإسراء والمعراج، تفصل أصل المشهد عن تفاصيل الروايات وأحكام شارحها؛ ولا تستوعب جميع طرق الباب.

يقسم الطبرسي أخبار المعراج إلى أربعة أقسام: ما يقطع بصحته لتواتره، وما تجوزه العقول ولا تأباه الأصول، وما يحتاج ظاهره إلى تأويل موافق للدليل، وما لا يستقيم إلا بتعسف فيرد. وينسب إلى ظاهر القرآن وقوع الإسراء في اليقظة، وينزه الله عن التشبيه والتجسيم. هذا منهج للطبرسي في نقد المضامين، لا حكم سندي مفصل على كل خبر يجمعه في عرضه؛ فلا تتحول الروايات المتعددة في التفسير إلى رواية واحدة مسندة لمجرد انتظامها في قصة متصلة [م٢٩٢].

في روضة الكافي، الحديث ٣٧٦، يروي الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن حديد، عن أبي عبد الله عليه السلام: أن النبي صلى الله عليه وآله أخبرهم صباحًا بالإسراء، فسألوه وصف بيت المقدس، فأراه جبرئيل البيت فوصفه وهو ينظر إليه، وأخبرهم بعير تقدم مع طلوع الشمس. وفي وصف الجمل لفظ «أورق أو أحمر»؛ فتحفظ «أو» في النقل، ولا يختار أحد الوصفين وكأنه اللفظ الوحيد للخبر [م٢٩٣].

قال المجلسي في شرح هذا الخبر: «موثق، ولعل في السند سقطًا» [م٢٩٤]. نقل الحكم كاملًا يحفظ قيده، فـ«لعل» احتمال ذكره الشارح، ولا تثبت بنفسها سقوط راو معين، ولا تجيز إدخال اسم في الطريق. وموضع الحكم في الجزء السادس والعشرين من مرآة العقول، ص ٢٥٢، بحسب النص المقابل، مع اختلاف رقم الجزء في الإحالة المختصرة المعروضة بجوار الخبر في موقع الثقلين.

ويروي الصدوق في المجلس ٦٩ من الأمالي، الحديث الأول، عن أبيه، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم، عن محمد بن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن الإمام الصادق عليه السلام خبرًا يشتمل على وصف بيت المقدس والعير. وفيه صورة البيت تجاه وجه النبي، وتفصيل الماء والبعير الضال، ولفظ «جمل أورق» دون الترديد الموجود في خبر الكافي [م٢٩٥]. يتفق الخبران في قدر من القصة، لكن طريق الأمالي يمر بابن أبي عمير ويصل من أبان إلى الإمام دون ذكر حديد، بخلاف طريق الكافي؛ فلا يدمجان في إسناد واحد، ولا يعد اتفاق بعض المضمون تحقيقًا مستقلًا لصحة الطريقين.

وفي الكافي، باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ووفاته، الحديث ١٢، طريق آخر: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن حماد بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام. وفيه انتهاء جبرئيل بالنبي إلى مكان ثم مفارقته له، وقوله له أن يمضي، وأنه وطئ مكانًا لم يطأه بشر قبله [م٢٩٦]. حكم المجلسي على هذا الخبر بأنه «حسن» [م٢٩٨]. ولا يحدد هذا المتن عدد مرات المعراج، فلا يحمل حكمه على الخبر التالي الذي يذكر العدد.

أما الحديث ١٣ من الباب نفسه فطريقه: عدة من أصحاب الكليني، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد الجوهري، عن علي بن أبي حمزة؛ وهو يحكي سؤال أبي بصير للإمام الصادق عليه السلام مع التصريح بحضوره. وفي جوابه عدد المعراج «مرتين»، ثم مشهد الوقوف والخطاب والولاية [م٢٩٧]. حكم المجلسي على هذا الحديث بأنه «ضعيف» [م٢٩٨]؛ وهذا حكم منقول عنه على الخبر المعين، لا حكم على أصل الإسراء الثابت بالآية.

ومن ألفاظ الحديث الثالث عشر «إن ربك يصلي»، ثم يفسر المتن ذلك بقول يشتمل على التسبيح والتقديس وسبق الرحمة الغضب. ويذكر المجلسي في شرحه معنى الترحم أو الصلاة على النبي [م٢٩٧–م٢٩٨]؛ فلا ينقل اللفظ إلى هيئة صلاة المخلوقين. وفي وصف الحجاب قيد «ولا أعلمه إلا وقد قال زبرجد»؛ وهو تردد في النقل ينبغي إبقاؤه إذا نقل الوصف، لا تحويله إلى جزم بمادة الحجاب.

وترد رواية عدد آخر، هو مائة وعشرون مرة، في الخصال وبصائر الدرجات. وقوبل خبر الخصال كاملًا بصورتي ص ٦٠٠-٦٠١، الخبر ٣: محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، عن الحسن بن متيل الدقاق، عن سلمة بن الخطاب، عن منيع بن الحجاج، عن يونس، عن صباح المزني، عن أبي عبد الله عليه السلام، وفيه العدد والوصية بالولاية. وبذلك استُكملت بداية الطريق التي لم تشملها المقابلة الإلكترونية الأولى [م٢٩٩، م٣١٢]. أما وصف منيع بالإهمال وترجيح أن يونس هو ابن أبي وهب القصري، فهما من تعليق علي أكبر الغفاري في الحاشية، لا من متن الصدوق، وإثبات النص لا يساوي تصحيح السند.

وفي بصائر الدرجات يرد العدد نفسه والوصية بالولاية، بطريق علي بن محمد بن سعيد، عن حمدان بن سليمان، عن عبد الله بن محمد اليماني، عن راوٍ رسم اسمه «منبع» في النسخة الإلكترونية المعاد صفها، ص ٩٩، الخبر ١٠ [م٣٠٠]. وبمقابلة صورة طبعة الأعلمي الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص ١١١، الخبر ١٠، ثبت فيها الرسم «منيع»، ثم يونس، ثم صباح المزني، عن أبي عبد الله عليه السلام [م٣١١]. تعتمد هذه القراءة عند نقل هذه الطبعة، مع حفظ الفرق بين النسختين. ولا تتضمن صورة بصائر الدرجات هنا عبارة «بن الحجاج»؛ فلا يكفي توافق رسم الاسم لإثبات اتحاد الراوي مع منيع بن الحجاج في الخصال، أو لتصحيح أي من الطريقين.

وللجمع بين «مرتين» و«مائة وعشرين مرة» يقترح المجلسي احتمالات: اختلاف المكان بين مكة والمدينة، أو بلوغ العرش والسماء، أو المعراج بالجسم والروح، أو اختلاف ما أخبر النبي بتفاصيله وما لم يخبر. يرجح بعض هذه الوجوه في سياق الشرح، لكنها تبقى وجوه جمع من الشارح، لا ألفاظًا في الخبرين ولا جدولًا زمنيًا ثابتًا للرحلات [م٢٩٨]. لذلك ينسب كل عدد إلى روايته، ويفصل نقل الاختلاف عن الحكم على طرقه، ويبقى استقصاء أخبار المعراج وتحقيق جميع أسانيدها أوسع من هذه المقابلة.

ولا يصح تقديم صورة لسطح القمر بوصفها إثباتًا أثريًا قاطعًا للانشقاق دون دليل علمي مستقل. الإيمان بالخبر شيء، وصحة نسبة تفسير جيولوجي إلى صورة شيء آخر، ولا يزداد الأول قوة باختلاق الثاني.

## ١٢. المارّ على القرية وسؤال الإحياء

قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

تعرض البقرة ٢٥٩ إنسانًا مر على قرية خاوية فسأل عن إحيائها بعد موتها. ثم تذكر إماتته مائة عام وبعثه، وتضع تقديره لما لبث بإزاء المدة التي أخبر بها، وتوجه نظره إلى الطعام والشراب والحمار والعظام، حتى ينتهي المشهد إلى بيان القدرة الإلهية. تتجاور في آية واحدة حياة الإنسان ومشهد الخراب وما بقي من الزاد وما يجري على الجسد.

لا تذكر الآية اسم المار. وينسب الطبرسي تعيينه بعزير إلى قتادة وعكرمة والسدي، ويذكر أنه مروي عن أبي عبد الله عليه السلام؛ وينسب تعيينه بأرميا إلى وهب، ويذكر أنه مروي عن أبي جعفر عليه السلام؛ وينقل القول بأنه الخضر عن ابن إسحاق [م٨٨]. هذه نسب كما يعرضها مجمع البيان دون بسط أسانيدها في هذا الموضع، فلا تكون مجرد شهرة أحد الأسماء ترجيحًا سنديًا له.

وفي تفسير العياشي شاهدان محددان للاختلاف: الخبر ٤٦٦، عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام، يسمي أرميا، وتستمر قصته من ص ١٤٠ إلى ص ١٤١؛ وهو شاهد بهذه النسبة، لا يدمج بالنقل المجمل عن أبي جعفر في مجمع البيان. وفي الخبر ٤٦٨ اسم عزير ضمن جواب منسوب إلى أمير المؤمنين عن ولد أكبر من أبيه. ويبدأ طريق هذا الخبر بأبي طاهر العلوي، عن علي بن محمد العلوي، عن علي بن مرزوق، عن إبراهيم بن محمد، ثم يقول: «ذكر جماعة من أهل العلم» قبل حكاية سؤال ابن الكواء [م٣٠١]. تحفظ هذه العبارة التي لا تسمي أفراد الجماعة، ولا تعرض سلسلة الأسماء قبلها كأنها إسناد متصل ثبت سماع جميع رجاله.

ويناقش الطباطبائي روايات أرميا وعزير في البحث الروائي من الميزان، فيصفها بالآحاد، وينبه إلى بعض الضعف في أسانيدها، وإلى أن ظاهر الآيات لا يشهد لتعيين الاسم [م٣٠٢]. هذا تقويم منسوب إليه، لا حكم جديد نصدره على كل طريق. وحاصل المقابلة هنا إثبات مواضع الأقوال والشواهد وحدود نقلها؛ أما حسم هوية المار فيحتاج إلى تحقيق أوسع، ولا يتوقف عليه عرض القصة القرآنية الثابتة.

وتفيد المقارنة داخل الآية أن تقدير الإنسان للمدة لا يستوعب ما أخبر به. لكن تحويل المائة عام إلى مثال محسوب على تمدد الزمن الفيزيائي يحتاج إلى شروط لم يذكرها النص. كذلك لا يقدم بقاء الطعام والشراب طريقة تخزين يمكن تعميمها؛ فالموضع يعرض آية مخصوصة في الإحياء، لا تجربة صناعية أو درسًا في حفظ الأغذية.

ويجاور هذا المشهد سؤال إبراهيم في الآية التالية [البقرة: ٢٦٠]، الذي سبق عرضه. إن جمع الموضعين يبرز عناية السياق بالإحياء واليقين، مع حفظ اختلاف الشخص والمشهد وطريقة البيان. فلا تدمج القصتان في رواية واحدة، ولا تنقل تفاصيل إحداهما إلى الأخرى لتكميل صورة تخيلناها.

### ١٣. موسى وفتاه والعبد الصالح

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠].

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: ٦١].

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢].

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣].

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤].

تبدأ رحلة موسى في الكهف ٦٠-٦٤ بطلب بلوغ مجمع البحرين، ويؤدي الحوت والصخرة والرجوع على الآثار دورًا في الوصول. يصحب موسى فتاه، ويذكر الطبرسي أن أكثر المفسرين يسمونه يوشع بن نون، كما يعرض اختلاف الأقوال في تحديد ملتقى البحرين [م٨٩]. نحفظ التسمية بوصفها نقلًا تفسيريًا، ولا ننسب اسم الفتى أو موقعًا جغرافيًا معينًا إلى ألفاظ الآيات.

وللتسمية شاهد روائي محدد في تفسير العياشي، ج ٢، ص ٣٣٠، الخبر ٤٢، عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام، يذكر أن وصي موسى يوشع بن نون هو فتاه المذكور في الكتاب [م٣٠٣]. يثبت هذا وجود الشاهد ونسبته في المصدر، لكن الموضع المقروء لا يعرض طريق المصنف إلى أبي حمزة؛ فلا يوصف السند بالصحة بمجرد العثور على النص.

وترد تسمية يوشع أيضًا في السرد عند الآية ٦٠ من التفسير المنسوب إلى القمي، ج ٢، ص ٣٧، وتمتته في أول ص ٣٨. لا يظهر عند افتتاح هذا السرد سند مسمى، ثم يبدأ في ص ٣٨ خبر آخر بعبارة «فحدثني محمد بن علي بن بلال عن يونس»، وفي سياقه مكاتبة إلى الإمام الرضا في شأن موسى والعالم [م٣٠٤]. يفصل الخبر المبتدأ بهذا الطريق عن السرد السابق؛ فلا يسحب سنده على جميع تفاصيل القصة قبله. يبقى تحقيق نسبة المادة واتصال طرقها قائمًا، مع ثبوت مواضع التسمية في النصوص التي قوبلت.

قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧].

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨].

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩].

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠].

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١].

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٢].

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٣].

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤].

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٥].

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦].

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧].

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨].

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩].

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠].

﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١].

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

ثم يلتقيان عبدًا آتاه الله رحمة وعلمًا، وهو المعروف في التفسير بالخضر، ويطلب موسى أن يتعلم مما علم رشدًا. تأتي بعد ذلك السفينة والغلام والجدار، ثم بيان مقاصد الأفعال في صلتها بالمساكين والوالدين المؤمنين والغلامين اليتيمين وأبيهما الصالح [الكهف: ٦٥-٨٢]. تمتد القصة بذلك إلى رجال ونساء وأطفال لا تذكر أسماءهم، ولكنها تثبت مواضعهم في البيان.

لا يجوز أن تتحول هذه القصة إلى ترخيص لإنسان في إيذاء غيره بدعوى أنه يعرف مصلحة خفية. فالعبد يصرح في ختام البيان بأن ما فعله لم يكن عن أمره، وموسى يعترض بحسب ما ظهر له من خطورة الفعل. وليس لمدع عادي أن يستولي على هذا المقام بمجرد قوله إن وراء عمله سرًا.

وفي موضوع الكتاب تعلمنا القصة أن ما نراه من الواقعة قد لا يكون جميع ما يتعلق بها، لكنها لا تأمرنا بتعطيل السؤال أو إسقاط حق المتضرر. فطلب البيان حاضر في بنائها، والجواب يأتي محددًا لأفعال معينة. ومن ثم نجمع التواضع في المعرفة مع الوفاء بما نعلمه من تكاليف العدل وحفظ الحقوق.

### ١٤. جماعات ومشاهد تستكمل الخريطة

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

تذكر البقرة ٢٤٣ قومًا خرجوا من ديارهم حذر الموت، ثم أماتهم الله وأحياهم، دون أن تعين الآية أسماءهم أو عددهم التفصيلي وراء وصفهم بالألوف. وفي قصة طالوت يرد الابتلاء بالنهر قبل لقاء جالوت [البقرة: ٢٤٩-٢٥١]؛ فالماء هنا موضع اختبار للطاعة وضبط النفس ضمن مسار جماعي، لا مجرد عنصر في منظر طبيعي.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥].

﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٦].

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم: ١٧].

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ [القلم: ١٨].

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [القلم: ١٩].

﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم: ٢٠].

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم: ٢١].

﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ [القلم: ٢٢].

﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾ [القلم: ٢٣].

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ [القلم: ٢٤].

﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ [القلم: ٢٥].

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ [القلم: ٢٦].

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [القلم: ٢٧].

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨].

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [القلم: ٢٩].

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾ [القلم: ٣٠].

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ [القلم: ٣١].

﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ [القلم: ٣٢].

﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٣٣].

وفي خبر سبأ تقترن الجنتان بالرزق والشكر، ثم يأتي سيل العرم وتبدل الحال [سبأ: ١٥-١٧]. كما يعرض مثل أصحاب الجنة خروجهم إلى الثمر وعزمهم على منع المسكين، ثم اكتشافهم ما أصاب جنتهم ومراجعة بعضهم بعضًا [القلم: ١٧-٣٣]. تبقى هذه الجماعات بأوصافها القرآنية، ولا نستكمل أسماء أفرادها بالتخمين.

تكمل هذه المواضع حضور الطبيعة في قصص الهداية: ماء يختبر، وزرع يتصل بحق المحتاج، وخراب يعقبه إحياء، وعطاء يتصل بالشكر. وهي تمهد لباب الآخرة من جهة الإحياء والمصير، مع إبقاء قصص الدنيا في سياقاتها الخاصة، دون تحويلها إلى جدول تفصيلي لكل ما سيقع عند القيامة.

### ١٥. الآية المعجزة وحدود طلبها

قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨].

تستحضر آية الإسراء تكذيب الأولين وتخص بالذكر ناقة ثمود، ثم تبين جهة التخويف في إرسال الآيات. وتذكر آية غافر أن من الرسل من قصهم الله ومنهم من لم يقصصهم، وأن إتيان الرسول بآية يكون بإذن الله. فجمع المشاهد القرآنية لا يساوي الإحاطة بجميع ما وقع في تاريخ النبوات؛ والنص نفسه يرشد إلى حدود ما قصه علينا.

ويعرض الطبرسي عند الإسراء ٥٩ تفسيرًا يجعل المراد الآيات التي اقترحتها قريش، ويربط عدم إجابتها بما وقع للمكذبين من الأمم السابقة وبالحكمة في إمهال هؤلاء؛ فلا يكون الكلام عند هذا الوجه نفيًا لجميع دلائل النبوة. ويعرض أيضًا تمييزًا بين ما تتوقف عليه معرفة النبوة وما يكون لطفًا في الإيمان، وبين ما لا تتعلق به هذه الغاية

[م٢٦٩]. هذه وجوه تفسيرية يذكرها المصدر، وليست جميع التفاصيل الواردة معها ألفاظًا في الآية، ولا تعني أن امتناع المقترح عجز عن إظهاره.

ومن ثم لا نعالج المعجزة بوصفها حيلة يستطيع أي إنسان استعادتها متى عرف ترتيبًا ماديًا خفيًا، ولا نجعل قدرة النبي مستقلة عن الإذن الإلهي. وقد تذكر القصة فعلًا بشريًا مأمورًا به، كضرب البحر بالعصا أو هز جذع النخلة، من غير أن يصير الفعل وحده تفسيرًا كافيًا لكل ما ظهر في المشهد. وهذان المثالان مبينان بنصوصهما الكاملة في موضعي موسى ومريم المتقدمين.

ويفيد التفريق بين الخبر عن واقعة خارقة وبين القاعدة المستخلصة من ملاحظة الظواهر المعتادة. ففي دراسة الماء نسأل عن الشروط التي تتكرر معها حالة معلومة؛ وفي قراءة قصة موسى ننظر إلى واقعة يرويها الوحي بما فيها من أمر وإذن ونجاة. لا يلزمنا الإيمان بالقصة أن نخترع لها قياسات لم تصلنا، كما لا يجيز لنا شرح الظاهرة المعتادة أن ندعي أنه أحاط بكل فعل إلهي ممكن.

والثمرة العملية لهذا الضبط أن نقرأ كل قصة بميزانها: نثبت ما قاله القرآن، ونفحص ما زادته الروايات بأسانيدها، ونصرح بما نقترحه من تأمل. وإذا غاب اسم شخص أو مقدار زمن أو تفصيل مكان، لم نجعل رغبتنا في اكتمال الصورة دليلًا على تعيينه. إن بعض الفراغ الذي يحسه القارئ ناشئ من أسئلته، وليس نقصًا يحق له أن يملأه بنسبة الجواب إلى النص بلا بينة.

## ١٦. موسى والسحرة: من التخييل إلى الإقرار

تكمل سورة طه مشهد العصا بذكر ما رآه موسى، وما أوحي إليه، وكيف استجاب السحرة. قال تعالى:

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ [طه: ٦٥].

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦].

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه: ٦٧].

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٨].

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٧٠].

يتحرك المشهد في ثلاث مراحل مترابطة: حبال وعصي يظهر منها السعي بفعل السحر، ثم أمر إلهي لموسى بإلقاء ما في يمينه مع وعد بالغلبة، ثم سجود السحرة وإعلانهم الإيمان. يميز النص بين ما خُيّل وبين ما أبطل فعلهم؛ فلا يسوّي بين الطرفين لمجرد اشتراكهما في العصا أو في دهشة المشاهد. كذلك لا يحذف ما عرض لموسى من خيفة، بل يذكر معها خطاب التطمين، فتظل القصة خبرًا عن عبد مؤيد بالوحي.

وللخيفة المذكورة في طه ٦٧ أكثر من وجه في مجمع البيان. ينقل الطبرسي عن الجبائي أن موسى خاف التباس الأمر على الناس، ثم يذكر خوف الطبع عند رؤية الأمر المفزع، والخوف من تفرق الجمهور قبل انكشاف بطلان السحر، وغيرها من الوجوه [م٢٧١]. فإثبات الخيفة بنص القرآن لا يقتضي أن ننسب إلى النبي شكًا في ربه، كما أن صيانة مقامه لا تقتضي حذف الكلمة أو الجزم بسبب واحد لم تتفق عليه الأقوال. نبقي الآية ثم نعرض تفسيرها منسوبًا، ونقرأ خطاب التطمين في سياق إظهار الحجة.

وإعلان السحرة الإيمان برب هارون وموسى يجعل نهاية المشهد متجهة إلى التوحيد، لا إلى تمجيد أداة مادية أو تعلم حيلة أقوى. هذه قراءة لتتابع الآيات؛ أما وصف آلية التحول أو تعيين مقادير المادة والطاقة فليس مما قدمته هذه الآيات. وما صح من دراسة الظواهر المعتادة لا يكفي وحده لإعادة بناء واقعة المعجزة بتفاصيل لم ينقلها النص.

وعند الآية السابقة، طه ٦٦، يذكر مجمع البيان الزئبق داخل الحبال والعصي وتسخين الشمس له في شرحه لكيفية الحركة [م٢٧٠]. نثبت وجود هذا الشرح في الكتاب، لكن الآية نفسها لا تسمي الزئبق ولا تصف تركيب الأدوات، ولا يعرض هذا الموضع سندًا تاريخيًا متصلًا أو تجربة للتحقق من الآلية المذكورة. لذلك لا نعيد صياغته بوصفه كشفًا علميًا ثبت عن أدوات السحرة. يظل وصف التخييل قرآنيًا، وتبقى التفاصيل المادية التي أوردها المفسر في مرتبة ما يحتاج إلى دليل مستقل.

وهنا تظهر فائدة الفصل بين ثلاثة أسئلة: ماذا شاهد المخاطبون كما تصفه القصة؟ وكيف شرح المفسر ذلك؟ وما الدليل على تفسير مادي بعينه؟ فقد يصح نقل عبارة من كتاب، ولا يكفي ذلك لإثبات الحدث التاريخي الذي تشرحه. وهذه قاعدة في أمانة البحث أقترحها لقراءة قصص هذا الفصل، من غير أن أجعلها حكمًا إجماليًا على كل خبر أو بديلًا عن دراسة أسانيده.

### ١٧. اختلاف المعجزات في خبر ابن السكّيت

يروي الكليني في كتاب العقل والجهل، الحديث العشرين، سؤال ابن السكّيت لأبي الحسن عليه السلام عن اختلاف ما بعث به موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام. يعرض الجواب مناسبة الآيات لما عرفه المخاطبون: السحر في قصة موسى، والحاجة إلى الطب في قصة عيسى، والخطب والكلام في بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله. وفي نقل القسم الأخير قيد «وأظنه قال الشعر»، فلا يحذف عند وصف الرواية، ولا يجزم باسم صاحب هذا الظن [م٢٠١].

ومن جواب أبي الحسن عن الحجة على الخلق: «العقل يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه». ثم يعقب ابن السكّيت مؤيدًا الجواب؛ فتعقيبه خاتمة الحكاية، وليس تتمة لكلام الإمام. أما الطريق فهو: الحسين بن محمد، عن أحمد بن محمد السياري، عن أبي يعقوب البغدادي، قال: قال ابن السكّيت لأبي الحسن عليه السلام [م٢٠١]. نثبت الكنية كما وردت في هذا الموضع، دون إضافة تعيين لا يصرح به المتن.

حكم المجلسي على الحديث بأنه «ضعيف»، وشرح العبارة المتعلقة بآلة السحر على احتمال إرادة آلة إبطاله أو ما يشبهه في الظاهر؛ وهذا شرح منه، وليس تتمة لكلام الإمام. كما عدّ قيد الظن المتعلق بالشعر من كلام الراوي [م٢٠٢]. لذلك يرد الخبر هنا شاهدًا روائيًا مصحوبًا بحكمه، ولا يستقل بإثبات صورة تفصيلية لتاريخ العلوم والصناعات عند الأمم.

تساعد هذه المقارنة على صياغة سؤال القراءة: كيف صار الحدث حجة لدى من شهدوه، وإلى ماذا دعاهم؟ وفي مشهد طه السابق نجد جوابًا قرآنيًا ملموسًا في انتقال السحرة إلى الإيمان. لا تتوقف دلالة هذه الآيات على صحة الخبر المذكور، ولا يتحول ضعف طريقه إلى حكم على الآيات. وتبقى دراسة المناسبة بين المعجزة وخبرة المخاطب بحثًا يحتاج، عند التوسع التاريخي فيه، إلى شواهد مستقلة عن هذا الطريق.

### ١٨. ما الذي جمعته هذه الخريطة؟

تجمع هذه الصفحات المشاهد القرآنية الأساسية ذات الصلة بموضوع الكتاب، وتحفظ حضور الرجال والنساء، والمسمين ومن عرفوا بوصفهم. وقوبلت أخبار محددة من الإسراء والمعراج بأصولها وشروحها، مع فصل الطرق والألفاظ وأحكام المجلسي واحتمالاته في الجمع. لكنها ليست استقصاء لجميع روايات المعجزات أو سيرة كاملة لكل شخصية. ويبقى جمع سائر الطرق وتحقيقها عملًا أوسع من هذه المقابلات.

إحالات الفصل: مواضع الآيات مثبتة بجوار كل مشهد؛ وانظر الفصول ١٥، ١٨، ٢٣، ٣١، ٣٤-٣٥ للمسائل المتصلة بهذه القصص؛ البقرة ٢٤٣، ٢٤٩-٢٥١، ٢٥٩-٢٦٠؛ الكهف ٦٠-٨٢؛ سبأ ١٥-١٧؛ القلم ١٧ -٣٣؛ مجمع البيان، البقرة ٢٥٩ [م٨٨] والكهف ٦٠-٦٤ [م٨٩]. يوسف ٥٥، والإسراء ٥٩، وغافر ٧٨ بنصوصها الكاملة؛ وصل قصة إحياء الطير بحدود الزيادة الروائية في الفصل ٣٥ [م١٤١-م١٤٣]. وأضيف مشهد طه ٦٥-٧٠ كاملًا، وخبر ابن السكّيت في اختلاف المعجزات [م٢٠١] مع تضعيف المجلسي وشرحه [م٢٠٢]. مجمع البيان، تفسير الإسراء ٥٩ والآيات المقترحة [م٢٦٩]؛ تفسير طه ٦٦ وشرح التخييل [م٢٧٠]؛ تفسير طه ٦٧ ووجوه الخيفة [م٢٧١]. الإسراء والمعراج: تقسيم الطبرسي [م٢٩٢]؛ خبر الروضة وحكم المجلسي وشاهده في الأمالي [م٢٩٣-م٢٩٥]؛ خبرا الكافي في باب مولد النبي وحكاهما وشرح اختلاف العدد [م٢٩٦-م٢٩٨]؛ شاهد الخصال وطريق بصائر الدرجات في المقابلة الإلكترونية [م٢٩٩-م٣٠٠]، واستكمال المقابلة بصور الطبعتين [م٣١١-م٣١٢]. تعيين المار وفتى موسى: شاهدا العياشي في البقرة وتقويم الميزان [م٣٠١-م٣٠٢]؛ شاهد التسمية في العياشي وفصل مقطعي تفسير القمي [م٣٠٣-م٣٠٤].

# الفصل ٣٧ — الإنسان أمام الكون — التفكر والعبادة والأمانة

## ١. العودة من السماء إلى العمل

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

بعد هذه الرحلة لا يبقى السؤال: كم عرفنا من أسماء الأشياء؟ بل: ماذا صنعت المعرفة فينا؟ تجمع آل عمران ١٩٠–١٩١ ذكر الله والتفكر في خلق السماوات والأرض والدعاء، فلا يبقى التأمل مشاهدة معزولة عن حياة صاحبه. ينظر الإنسان ويسأل، ثم يجد نفسه مدعوًا إلى موقف من العبث والمسؤولية والمصير.

ولا يشترط هذا التفكر أن يكون كل إنسان متخصصًا في الفلك. يمكن أن يبدأ من تعاقب الليل والنهار، ومن ماء يشربه، ومن قدرته على الفهم. لكن التبسيط لا يبرر الخطأ: إذا تجاوز المتأمل المشاهدة العامة إلى دعوى علمية محددة، صار مطالبًا بدليل يناسبها.

ويشرح الطبرسي أولي الألباب بذوي البصائر والعقول، ويصل تفكرهم بالاستدلال على القدرة والعلم والحكمة. وعند ذكر الله قيامًا وقعودًا وعلى الجنوب يعرض شمول الذكر للأحوال، ويذكر تفسيرًا بالصلاة بحسب الاستطاعة، ويرى إمكان اجتماعهما [م٦٦]. فلا يكون حضور التأمل في الآيات صرفًا عن العبادة، ولا تكون العبادة عذرًا لترك النظر. أما تحويل هذا المعنى إلى خطة تعليم أو أسئلة بحثية محددة فهو تطبيق أقترحه، لا نصّ برنامج مفصل في التفسير.

## ٢. التفكر والعبادة

ورد خبر الإمام الرضا عليه السلام في الكافي، باب التفكر، الحديث الرابع، بطريق محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن معمر بن خلاد، وفيه وصل العبادة بالتفكر في أمر الله [م١٢]. قوبل تصحيح المجلسي بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ٧، ص ٣٤١ [م٩٤]. وقوبل الخبر بصورة صحيح الكافي، ج ١، ص ٧٢، برقم ١٩١ في تسلسل المختار [م٣٠٨]؛ فثبت إدراج البهبودي له ضمن ما اختاره صحيحًا وفق مقدمته [م٣٠٥]. هذه مقابلة لمصادر الأحكام المنسوبة إلى أصحابها، ولا تستبدل بدراسة رجالية مستقلة.

لا يقرأ المعنى بوصفه إلغاءً للصلاة والصيام، بل دعوة إلى ألا يتحول العمل التعبدي إلى حركة غافلة عن القصد والفهم. وكذلك لا يصير التفكير بديلًا لفظيًا عن إصلاح السلوك: من عرف قيمة العدل ثم أصر على ظلم قادر على رفعه، لم يؤد حق ما عرف.

والتفكر المثمر لا يساوي الاستغراق في أسئلة لا سبيل لنا إلى كيفيتها. يستطيع الإنسان أن يسأل عن آثار الخلق وحكمة انتظامه، وأن يميز ذلك من توهم الإحاطة بذات الخالق. يحفظ التنزيه للتأمل وجهته، ويحفظ الدليل للبحث طريقته.

### ٣. التسخير وحدود التصرف

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

تذكر الجاثية ١٣ تسخير ما في السماوات وما في الأرض وتختم بالدعوة إلى التفكر. لا يلزم من التسخير أن يقدر كل فرد على إخضاع كل شيء، أو أن يكون كل تصرف نافع له في اللحظة مباحًا من جهة الأخلاق. الانتفاع قدرة تتطلب حسن استعمال، ولا تتحول إلى رخصة مفتوحة في الإضرار.

وفي تفسير الجاثية ١٣ يشرح مجمع البيان التسخير بخلق الموجودات بحيث ينتفع بها الإنسان، وينقل عن ابن عباس تفسير «جميعًا منه» بالرحمة، وعن الزجاج التفضل والإحسان [م٢٧٢]. بهذا يتصل التسخير في البيان التفسيري بالعطاء والشكر والتفكر. وأما الحكم على تصرف معين في الماء أو الحيوان أو الأرض، فلا يستوفى من لفظ التسخير وحده؛ إذ يلزم جمعه مع أدلة العدل والنهي عن الإفساد والإسراف، ومع معرفة أثر الفعل. هذا الجمع هو وجه التطبيق الأخلاقي الذي يتبعه الفصل.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وتنهى الأعراف ٥٦ عن الإفساد في الأرض بعد إصلاحها، وتنهى الآية ٣١ عن الإسراف. ومن هذين الأصلين يمكن أن نسأل عن الماء والطاقة والغذاء والنفايات. هذه تطبيقات معاصرة نحتاج عند تفصيلها إلى معرفة واقعية، لا إلى الاكتفاء بشعار عام أو نسبة إجراء تقني واحد إلى النص بوصفه الخيار الوحيد.

فترشيد مورد لا يعني حرمان المحتاج منه، وحماية مكان لا تتحقق بإبعاد الضرر عن أعين المقتدرين وتحميله للفقراء. يدخل العدل في تقويم الأثر: من ينتفع؟ ومن يدفع الكلفة؟ وهل توجد وسيلة أقل ضررًا تحقق الغرض نفسه؟

### ٤. الأمانة والاختيار

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

تأتي الأمانة في الأحزاب ٧٢ في مشهد السماوات والأرض والجبال والإنسان. وللآية بحث تفسيري لا يختزل في شعار بيئي وحده. يستحضرها هذا الفصل من جهة ثقل التكليف، ولا يزعم أن معنى الأمانة محصور في إدارة الموارد.

ويعرض الطبرسي في تفسير الأحزاب ٧٢ معنى الأمانة بما أمر الله به ونهى عنه، منقولًا عن أبي العالية، ومعناها بالأحكام والفرائض عن ابن عباس ومجاهد، ويصف القولين بالتقارب. ويعرض في كيفية حمل مشهد العرض وجوهًا متعددة، منها تقدير العرض على أهل السماوات والأرض والجبال، ومنها المقابلة التي تبين ثقل الأمانة، ومنها العرض على سبيل التقدير [م٢٧٣]. فلا يجوز أن نختار واحدًا من هذه الوجوه ثم نقدمه بلا نسبة بوصفه التفصيل الوحيد الذي تنص عليه الآية.

وفي ختام عرضه يصرح الطبرسي بأن وصف الإنسان بالظلم والجهل لا يشمل الأنبياء والأولياء والمؤمنين على العموم، ويرفض حمله على آدم، مستدلًا باصطفائه [م٢٧٣]. نحفظ هذا بوصفه موقف المفسر في صيانة مقام النبوة، ولا نجعل عبارة «حمل الأمانة» وحدها حكمًا بتساوي جميع الناس في الخيانة. كما أن عناية الإنسان بالمورد المشترك يمكن أن تكون تطبيقًا للمسؤولية، لكنها لا تستوعب جميع الأقوال في معنى الأمانة ولا تحل محل بحثها.

إن صغر حجم الإنسان قياسًا بالسماء لا يبطل مسؤوليته. فالحجم مقياس للمقدار، أما الصدق والرحمة والعدل فتتعلق بالفعل والاختيار. وقد يترك عمل صغير أثرًا عظيمًا في حياة ضعيف، كما قد تتسع أدوات إنسان دون أن يتسع معها ضميره.

### ٥. أمانة المعرفة

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

تنهى الإسراء ٣٦ عن اتباع ما ليس لنا به علم، ثم تنهى الآية التالية عن المشي في الأرض مرحًا. يعرض مجمع البيان المعنى متصلًا بصدق القول فيما سمع الإنسان ورأى وعلم، وبالتواضع وترك التكبر [م٤٥]. تلتقي هنا أمانة المعلومة وأدب صاحبها.

ومن تطبيقات ذلك في هذا الكتاب أن نفرق بين النص وتفسيره، وبين الخبر والحكم على سنده، وبين الصورة وما يقال عنها، وبين نتيجة البحث والتأمل الشخصي فيها. وإذا ظهر خطأ، فتصحيحه جزء من الوفاء للقارئ. لا نخدم الدين بخبر غير ثابت، ولا نخدم العلم بإخفاء حدوده.

ولا يقتصر هذا الأدب عليّ بصفتي كاتبًا، بل يمتد إلى القارئ والناشر: لا يصبح الادعاء صحيحًا بكثرة تداوله، ولا تكون الدهشة وحدها سببًا كافيًا لإعادة نشره. يكفي أحيانًا أن نتوقف عند عبارة «لا أعلم» حتى لا نضيف إلى العالم خطأ جديدًا.

## ٦. التفكر الذي يبدأ بالسؤال المحدد

يمكن أن يبدأ التفكر من سؤال صغير يصدق فيه صاحبه: من أين وصل الماء إلى هذا المكان؟ وما الذي أعرفه فعلًا عن الصورة التي أشاهدها؟ وأي جزء من جوابي مشاهدة، وأيه نقل عن مختص، وأيه استنتاج مني؟ لا ينتقص تقسيم السؤال من الدهشة؛ بل يمنع أن تغطي الدهشة فراغ المعرفة.

ولنأخذ مثالًا تعليميًا: رأى شخص نبتة ذابلة بعد أيام حارة، فظن أن سبب ذبولها نقص الماء. هذا احتمال يمكن فحصه، لكنه لم يصبح حقيقة نهائية بمجرد توافقه مع الجو. إذا روى المشهد لغيره فليفرق بين ما رآه وبين السبب الذي رجحه. ويصح هذا الأدب في الخبر اليومي كما يصح في الكتابة عن الآيات الكونية.

ثم يسأل عما يستطيع فعله: هل يحتاج إلى تعلم، أو إلى سؤال صاحب خبرة، أو إلى تغيير في تصرفه؟ إن الانتقال من الملاحظة إلى سؤال يمكن بحثه، ومن المعرفة إلى فعل يمكن مراجعته، يمنح التفكر ثمرة تتجاوز تراكم الانطباعات. وهذه طريقة يقترحها الكتاب لتدريب الأمانة، لا حديث ننسبه إلى المعصوم.

## ٧. حق الغائب عن المشهد

حين ننتفع بالماء أو الغذاء أو الطاقة قد نرى حاجتنا القريبة وحدها، بينما يغيب عنا من شارك في توفير المورد ومن يتأثر باستهلاكه. وتعيدنا آيات العدل إلى أشخاص حقيقيين وراء الأرقام: عامل، وأسرة، وجار، ومحتاج، ومن سيأتي بعدنا. لا تكفي نية الإصلاح إذا لم نحاول معرفة آثار الوسيلة التي اخترناها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

تأمر المائدة ٨ بالعدل مع التحذير من أن يحملنا بغض قوم على تركه، وتدعو النساء ١٣٥ إلى القسط والشهادة لله ولو على النفس والأقربين. يستحضر الفصل هذين الأصلين في تقويم العمل البيئي والمعرفي: فلا نخفي ضررًا لأن المتضرر بعيد، ولا نحسن وصف إجراء لأن صاحبه قريب منا.

ويتصل ذلك بأمانة الكتابة نفسها. إذا وجد القارئ في هذا الكتاب نصًا يحتاج إلى تصحيح، فحقه أن يعرض اعتراضه، وحق المعلومة أن تعاد إلى أصلها. كما أن نقل حكم عالم على رواية لا يجعلني صاحب تحقيق رجالي مستقل، وتكرار المرجع لا يعوض قراءة الموضع الذي تتوقف عليه الدعوى.

بهذا يبقى التفكر عبادة للقلب وعملًا للعقل ومسؤولية في المعاملة. والغاية التي نقترحها ليست أن يغادر الإنسان الرحلة مدعيًا أنه أجاب عن كل شيء، بل أن يصير أقدر على السؤال الصادق، وأقل جرأة على ما لا يعلم، وأشد عناية بما يقدر على إصلاحه.

## ٨. أمانة البيان وخطر القول بغير علم

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

تدعو آية الحجرات إلى التبين حتى لا يصيب المرء قومًا بجهالة ثم يندم، وتنهى آية النحل عن نسبة التحليل والتحريم إلى الله بالكذب. فليست دقة النقل زينة يضيفها الباحث بعد فراغه من الكتابة؛ قد يتعلق بها حق إنسان أو فهم قارئ لدينه. ولا يخرج الكلام من مسؤولية قائله لأنه نُقل بحسن نية أو شاع حتى ألفه الناس.

روى الكليني في الكافي، ج ١، كتاب فضل العلم، باب النهي عن القول بغير علم، الحديث الثالث، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن أبي عبيدة الحذاء، عن الإمام الباقر عليه السلام: «من أفتى الناس بغير علم ولا هدى لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه» [م١٤٤]. وقوبل حكم المجلسي على هذا الخبر في مرآة العقول، ج ١، ص ١٣٧، فثبت وصفه بالصحيح [م١٤٥].

يتعلق متن الحديث بالإفتاء بغير علم أو هدى، ويذكر أثره فيمن يعمل بالفتوى. فلا نلغي تخصيصه فنحكم بأن كل خطأ لغوي أو هفوة في رقم صفحة هو بالضرورة عين الوعيد المذكور. لكننا نأخذ منه جدية المسؤولية عن نسبة الحكم إلى الدين، ونتذكر أن القارئ قد يبني عمله على عبارة وثق بكاتبها. أما تنزيل الأحكام على الأشخاص والوقائع فليس من وظيفة هذه المقارنة.

وبوصفي باحثًا وجامعًا لما في الكتب، لا رجل دين ولا صاحب أهلية للإفتاء، يكون واجبي هنا تعريف القارئ بموضع النص وحدود ما نقلت. فإذا قلت: صحح المجلسي هذا الخبر، وجب أن أميز ذلك من قول: درست أنا رجاله وصححته. وإذا نقلت قولًا تفسيريًا لم أجعله كلام الإمام من غير مستند. وما يحتاج إلى اجتهاد فقهي يراجع فيه أهله؛ فالجمع والشرح خدمة للبحث، ولا يمنحان صاحبهما اختصاصًا لم يحصله.

### ٩. قول لا أدري جزء من صيانة المعرفة

وفي الباب نفسه، الحديث السادس، روى الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن حماد بن عيسى، عن حريز بن عبد الله، عن محمد بن مسلم، عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل لا أدري ولا يقل الله أعلم فيوقع في قلب صاحبه شكا وإذا قال المسؤول لا أدري فلا يتهمه السائل» [م١٥٥]. وقد كان حكم المجلسي منقولًا بواسطة الموقع؛ وقوبل الآن بأصله الإلكتروني في مرآة العقول، ج ١، ص ١٣٨، فثبت وصف الحديث بالصحيح [م١٤٦].

يفسر المجلسي موضع النهي باحتمالات تتعلق بحال المتكلم وما يفهمه السائل: فقد يتوهم السائل أن المسؤول يعلم الجواب ويضن به أو يعرض عنه. ويصل ذلك بالخبر السابق في الباب وبالفرق بين العالم وغيره [م١٤٦]. لذلك لا نفصل عبارة الحديث عن هذا السياق فنحولها إلى منع مطلق من قول «الله أعلم»؛ المقصود في الشرح المقروء إزالة الإيهام عند الجواب عما لا يعلمه المسؤول.

وتظهر قيمة هذا الأدب عند التحقيق في مثال صغير: إذا وجدت رواية في كتاب تفسير بلا طريق تام، فالأدق أن أقول إن الصفحة لا تعرض الطريق، ثم أبحث عن الأصل. لا أستعجل الحكم بأن الخبر لا أصل له، ولا أصفه بالصحيح لمجرد موافقته معنى أحبه. وقد رأينا تطبيقًا لذلك في خبر أبي بصير: انتقل البحث من نقل في مجمع البيان إلى أصل مسند في الكافي، ثم إلى حكم للمجلسي ومقارنة مع العياشي، مع بقاء أعمال أخرى لم تنجز.

وقول لا أدري ليس نهاية البحث متى تيسرت وسيلته؛ يمكن أن يتبعه تحديد السؤال والبحث عن المصدر وتصحيح الجواب المنشور. وهنا يتصل هذا الفصل بمقدمتي المراجعة في الكتاب: نعود إلى ما كتبناه لأننا قد نعثر على أصل أدق أو نص أكمل أو خطأ في إحالة. حفظ الأمانة يقتضي إثبات التصحيح، كما يقتضي ألا نعلن أن كل المسائل قد حسمت لأن بعض الإحالات قد استقام.

## ١٠. الأمانة حق يؤدّى إلى صاحبه

قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

تصل آية النساء بين أداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل، وتنهى آية الأنفال عن الخيانة مع العلم. يوجهنا هذا الخطاب إلى سؤال عملي بعد التفكر في الخلق: ما الذي صار في عهدتي، ولمن ينبغي أن أؤديه؟ فلا يكتمل الحديث عن الانتفاع بالأرض إذا أهمل الإنسان حق من يشاركه فيها، أو استعمل ما اؤتمن عليه لمنفعة نفسه خارج الغرض الذي سلم إليه من أجله.

وفي الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الصدق وأداء الأمانة، الحديث الأول، يروي محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام: «إن الله عز وجل لم يبعث نبيا إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البر والفاجر» [م٢٠٣]. وحكم المجلسي على هذا الطريق بأنه «حسن» في مرآة العقول، ج ٨ ص ١٨٠ [م٢٠٥].

يمنح ذكر البر والفاجر لهذا المبحث معنى واضحًا: لا تتحدد أمانة الإنسان بإعجابه بصاحب الحق. ويتصل ذلك بما سبق من العدل مع المخالف؛ فحفظ ما اؤتمن عليه المرء لا يصبح منّة على صاحبه، ولا يزول لمجرد النفور منه.

أما تفصيل أحكام الوديعة والتصرف والتعويض فيرجع فيه إلى البحث الفقهي، ولا نستخرجه من هذه الإشارة العامة وحدها.

وفي تطبيق يقترحه الكتاب، يمكن أن يكون المورد المشترك أداة عمل أو ماءً خصص لغرض معلوم أو سجلًا يتوقف عليه حق آخرين. تبدأ الأمانة بمعرفة حدود الإذن، ثم بصيانة الشيء واستعماله في موضعه وأدائه إلى مستحقه. هذه أمثلة توضح الصلة بين المسؤولية والسلوك، وليست حصرًا لمعنى الأمانة في القرآن أو نقلًا لأمثلة وردت في الحديث.

### ١١. صدق العبادة يظهر في المعاملة

وفي الحديث الثاني من الباب نفسه، ورد عن أبي عبد الله عليه السلام: «لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة» [م٢٠٤]. ويبدأ الطريق في هذا الموضع بلفظ «عنه»، ثم عثمان بن عيسى، عن إسحاق بن عمار وغيره؛ نحفظ هذا التعليق كما هو في عرض المصدر، ولا نحوله هنا إلى سلسلة موسعة من غير مقابلة خاصة. وحكم المجلسي على الحديث بأنه «موثق» في ج ٨ ص ١٨١ [م٢٠٥].

لا ينفصل هذا الشاهد عن مبحث التفكر والعبادة في صدر الفصل: فالمطلوب أن يمتد أثر العبادة إلى اللسان واليد وما بين الإنسان والناس. وأما شرح المجلسي فيقارن بين اعتياد الأفعال الظاهرة وبين صدق المرء وأمانته حين تدعوه مصلحته إلى خلافهما؛ وهذا بيان من الشارح، يميز عن ألفاظ المتن [م٢٠٥]. ولا يجعل النص الصلاة والصيام موضع استخفاف، بل يمنع الاكتفاء بمظهرهما في تقدير أمانة صاحبها.

ومن ثمرات هذه القراءة أن أقوّم عملي عند موضع الاختبار: هل أنسب الفكرة إلى صاحبها ولو قلل ذلك من نصيبي في الثناء؟ وهل أثبت نتيجة خالفت توقعي؟ وهل أصحح إحالة أخطأت فيها بعد أن اعتمدها قارئ؟ هذه أسئلة تطبيقية أقترحها هنا. لا تكفي الإجابة عنها بخطاب جميل؛ تظهر الأمانة في النسخة المصححة، وفي رد الحق، وفي بيان ما تغير ولماذا.

والثقة لا تعني عصمة الإنسان من الخطأ، كما أن الاعتراف بالخطأ لا يسقط كل ما أصاب فيه. يمكن للقارئ أن يجمع بين تقدير الجهد ومراجعة دليله، وللباحث أن يتلقى التصحيح ثم يحسن عمله. بذلك تتصل رحلة النظر في الكون بتربية النفس على الوفاء، قبل الانتقال إلى وسائل المعرفة العلمية وحدود الاستدلال بها.

## ١٢. ثمرة الرحلة

يمكن للإنسان أن يغادر هذا الباب بعادات قليلة واضحة: يلاحظ قبل أن يحكم، ويتثبت قبل أن ينقل، وينتفع دون إسراف، ويراجع أثر قراره في غيره. ليست هذه نهاية الأسئلة، بل طريقة أحسن لحملها.

وهكذا يصل الكتاب إلى باب المعرفة العلمية. لقد سألنا عما يدل عليه الخلق في خطاب الوحي، وسنسأل الآن كيف نجمع أدلتنا عن العالم المشاهد، وما الذي يجعل القياس موثوقًا، وأين تنتهي قدرة كل نوع من المعرفة. يبقى الخشوع مصاحبًا للبحث، وتبقى الدقة جزءًا من الأمانة.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨].

﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩].

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: ٤٠].

إحالات الفصل: آل عمران ١٩٠–١٩١؛ الأعراف ٣١، ٥٦؛ الإسراء ٣٦–٣٧؛ الأحزاب ٧٢؛ الجاثية ١٣ ؛ الكافي، باب التفكر، الحديث ٤ [م١٢]؛ مجمع البيان، تفسير الإسراء ٣٦–٤٠ [م٤٥]؛ النساء ١٣٥؛ المائدة ٨. الحجرات ٦ والنحل ١١٦ كاملتان؛ الكافي، باب النهي عن القول بغير علم، ح ٣ وح ٦ [م١٤٤، م٥٥]؛ مرآة العقول، ج ١، ص ١٣٧–١٣٨ [م١٤٥–م١٤٦]. النساء ٥٨ والأنفال ٢٧ كاملتان؛ الكافي، باب الصدق وأداء الأمانة، ح ١–٢ [م٢٠٣–م٢٠٤]؛ مرآة العقول، ج ٨ ص ١٨٠–١٨١ [م٢٠٥]. مجمع البيان، تفسير آل عمران ١٩٠–١٩١ [م٦٦]، والجاثية ١٣ [م٢٧٢]، والأحزاب ٧٢ ووجوه الأمانة والعرض [م٢٧٣].

# الباب السادس — المعرفة العلمية وقراءة آيات الكون

معرفة بالآثار والقياس، ومقارنة تحفظ اختلاف أنواع الأدلة.

## الفصل ٣٨ — كيف نعرف الكون؟

### ٠١. أثر يصل إلينا

لا تبدأ معرفة الكون بزيارة كل نجم، بل باستقبال أثر منه. نرى ضوءًا، ونقيس تغيرًا، ثم نسأل عن مصدره وطريق وصوله وما فعلته به الأداة. ولهذا لا يكون التلسكوب آلة تمنح المعنى كاملًا؛ إنه جزء من سلسلة تتصل فيها الملاحظة بالحساب والمقارنة والتفسير.

ومن المفيد أن نتخيل باحثًا يسجل انخفاضًا في ضوء نجم. ما ثبت أولًا هو تغير الإشارة في تسجيل محدد. أما تفسير ذلك بعبور كوكب فهو خطوة لاحقة تحتاج إلى اختبار. إن التمييز بين الجملتين لا يضعف الاكتشاف، بل يكشف الطريق الذي يجعله جديرًا بالثقة.

### ٠٢. أكثر من نافذة للرصد

الضوء المرئي جزء من الطيف الكهرومغناطيسي، وإلى جانبه نطاقات مثل الراديو وتحت الحمراء والأشعة السينية. يتيح اختلاف النطاقات دراسة جوانب مختلفة من الأجرام. ويستعمل الفلك أيضًا رسلًا أخرى، منها الجسيمات وموجات الجاذبية؛ فتلتقي معلومات متنوعة عن بعض الحوادث بدل الاعتماد على نافذة واحدة [ع٢٩].

وحين تعرض بيانات غير مرئية في صورة ملونة، تكون الألوان وسيلة لتمثيل المعلومات. يجب أن يخبرنا شرح الصورة بما رصد، وكيف ربطت القيم بالألوان. لا تصبح الصورة مزيفة لأنها معالجة، ولا تصبح منظرًا مطابقًا للعين البشرية لمجرد جمالها. الحكم يتوقف على وضوح علاقتها بالبيانات والغرض من إعدادها.

### ٠٣. قراءة الضوء والكواكب البعيدة

يمثل الطيف توزع شدة الإشعاع بحسب الطول الموجي أو التردد، وتتيح دراسته البحث عن بصمات المادة في الضوء [ع٥٠]. ومن تطبيقاته تحليل ضوء نجم يمر عبر الغلاف الجوي لكوكب أثناء العبور. كذلك يستدل

الباحثون على كواكب من الانخفاض الدوري في ضوء النجم، أو من التغيرات المرتبطة بحركة النجم تحت تأثير الجذب المتبادل. لكل طريقة ما تقيسه مباشرة وما تستنتجه بمساعدة معلومات أخرى [ع٣٠].

هذه العلاقة مهمة لفهم عبارة «اكتشاف كوكب». ليست كل الاكتشافات صورًا تفصيلية لسطح، وقد يكون الدليل نمطًا متكررًا في القياس. والصورة الفنية التي ترافق الخبر تساعد على التخيل، لكنها لا تثبت وجود قارات أو محيطات أو ألوان بعينها. يجب إبقاء الفاصل ظاهرًا بين ما رصد وما رسم لتقريب الفكرة.

## ٤. المعايرة وعدم اليقين

لا تكفي كثرة الأرقام لجعل النتيجة دقيقة. ينبغي معرفة ما تستطيع الأداة قياسه، وكيف تتأثر بالضوضاء والانحرافات، وما الإجراءات التي استعملت لتصحيحها. كما لا يصح أن نساوي بين تحسن عدد المنازل العشرية وبين تحسن المعرفة إذا كانت هناك مشكلة مشتركة في طريقة القياس.

ويعبّر «عدم اليقين» كمّيًا عن تشتت القيم التي يمكن إسنادها إلى الكمية المقيسة بحسب البيانات والطريقة؛ فلا يعني أن جميع الإجابات متساوية، ولا يساوي مقدار الخطأ الفعلي المعلوم [ع٥١]. فرق بين مسافة مقدرة مع بيان عدم يقينها ومسافة مجهولة تمامًا. ويزداد الاطمئنان حين تتفق وسائل مستقلة، مع الانتباه إلى أن وسيلتين قد تشتركان في افتراض أو مرجع واحد، فلا يكون اتفاقهما استقلالًا كاملًا.

هذه مبادئ منهجية عامة يستعملها هذا الفصل لتدريب القراءة، وليست تقريرًا بأن كل بحث منشور استوفاها بالقدر نفسه. يظل تقويم دراسة بعينها محتاجًا إلى قراءة طريقتها وبياناتها ومناقشة أهل الاختصاص.

## ٥. الرصد والنموذج والتنبؤ

النموذج وصف منظم لبعض جوانب الواقع، يمكن أن يكون رياضيًا، وتختبر فائدته بمقارنته بالمشاهدات. لا يكون نسخة من العالم بكل تفاصيله، ولا يتحول إلى مجرد رأي لأنه مبني على افتراضات معلنة. السؤال المفيد هو: ما المجال الذي نجح فيه؟ وما الذي يتنبأ به؟ وما النتائج التي قد تدعو إلى تعديله؟

وإذا ظهر اختلاف بين توقع ورصد، فقد يكون سببه خطأ في البيانات أو نقصًا في النموذج أو عاملًا لم يحسب. لا يصح تعيين السبب قبل فحصه. والبحث الصادق لا يخفي هذا الاختلاف لراحة القارئ، ولا يحوله فورًا إلى إعلان انهيار كل ما عرفناه.

ومن وسائل فحص النتائج التمييز بين إعادة إنتاج الحساب واختبار النتيجة ببيانات جديدة. يتبنى تقرير الأكاديميات الوطنية للعلوم والهندسة والطب سنة ٢٠١٩م تعريفًا للأولى يقوم على الحصول على نتائج متسقة باستعمال البيانات الأصلية والخطوات والبرمجيات وشروط التحليل نفسها؛ وللثانية على اتساق نتائج دراسات تجيب عن السؤال نفسه، لكل منها بياناتها، مع تقويم ذلك في ضوء عدم اليقين. وينبه التقرير إلى اختلاف استعمال المصطلحين بين التخصصات؛ لذا نعتمد هنا هذا التعريف المصرح به، كما في المعجم العلمي [ع١٠٣].

فإذا أعاد باحث حساب خصائص كوكب من الملفات نفسها، اختبر إمكان الوصول إلى النتيجة المنشورة وفق طريقتها. وإذا جمع أرصادًا جديدة، أضاف اختبارًا آخر لاتساق الاستنتاج. أقدّم هذا المثال التطبيقي: لا تجعل إعادة الحساب وحدها جميع الافتراضات صحيحة، ولا يصبح اختلاف نتيجة جديدة دليلًا تلقائيًا على سوء الأمانة؛ ينبغي فحص البيانات والشروط وأسباب الاختلاف. ويدعو التقرير إلى إتاحة تفاصيل البيانات والطريقة وبيئة الحساب بما يمكّن من المراجعة [ع١٠٣].

## ٦. اختلاف الدليل لا يعني انقطاع الحوار

قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣].

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٤].

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

تدعو العنكبوت ٢٠ إلى السير والنظر، وتدعو الملك ٣–٤ إلى إعادة البصر، وتضبط الإسراء ٣٦ مسؤولية القول بغير علم. تمنح هذه الآيات للتأمل وجهة، لكنها لا تقوم مقام معايرة جهاز أو حساب إشارة.

وفي المقابل، لا يثبت التلسكوب سند رواية، ولا يحسم قياس إشعاع بمفرده سؤال استحقاق العبادة. تتصل العلوم والأسئلة الدينية في حياة الباحث، لكن لكل دعوى طريقًا مناسبًا لفحصها. وبهذا نصل إلى سؤال نشأة الكون ونحن أقدر على معرفة ما قيس، وما استنتج، وما بقي سؤالًا.

## ٧. كيف نتعرف إلى مادة بعيدة؟

لو وصل إلينا ضوء نجم ثم فصلناه بحسب أطواله الموجية، لما كان السؤال عن جمال الألوان وحده، بل عما يزيد أو ينقص عند مواضع معينة. توضح ناسا أن للعناصر أنماطًا مميزة من خطوط الامتصاص والانبعاث؛ فالغاز قد يمتص أطوالًا موجية محددة من الضوء المار فيه، وقد يصدر خطوطًا مضيئة في ظروف أخرى. وتعين مقارنة النمط بما يعرف من دراسة المادة على تحديد مكونات الغاز، بينما تتأثر قوة الخطوط أيضًا بالحرارة والكثافة ووفرة المادة [ع٥٠].

لهذا لا تختزل قراءة الطيف في رؤية لون أحمر والحكم بوجود عنصر بعينه. المقصود ترتيب من العلامات وعلاقات بينها. وفي الغلاف الجوي لكوكب عابر يمكن أن يحمل الضوء المار خلاله أثر امتصاص بعض مكوناته؛ لكن مقدار ما نستنتجه يتوقف على جودة البيانات ومدى قدرة النماذج على تمييز التفسيرات.

ولتقريب الفكرة نتصور نصًا وصل إلينا ناقص الحروف. وجود حرف واحد لا يكفي لتعيين الجملة، بينما يساعد ظهور مجموعة مرتبة من الحروف على ترجيح قراءة دون أخرى. هذه مقارنة تعليمية من صنعنا، وليست مساواة بين عمل المطياف وقراءة الكتابة. فائدتها تذكير القارئ بأن قوة الدليل قد تنشأ من نمط متكامل، لا من علامة معزولة.

## ٨. مثال يفرق بين الخطأ وعدم اليقين

ينبه المعهد الوطني الأمريكي للمعايير والتقنية إلى أن نتيجة القياس لا تكتمل إلا ببيان كمي لعدم يقينها، ويميز بين الخطأ الفعلي وعدم اليقين المقدّر. فقد تكون نتيجة قريبة جدًا من القيمة المقصودة، مع بقاء عدم يقينها كبيرًا بحسب المعلومات المتاحة. ويصنف طرق تقدير المكونات إلى ما يستند إلى تحليل إحصائي للمشاهدات وما يستند إلى وسائل أخرى؛ ولا يطابق هذا التقسيم ببساطة ثنائية العشوائي والمنهجي [ع٥١].

ولنأخذ مثالًا افتراضيًا: أعطت أداة قراءات متقاربة عند قياس طول واحد. يدل التقارب على جانب من اتساقها في تلك الظروف، لكنه لا يثبت وحده صحة مرجعها. فإذا كانت نقطة بدايتها مزاحة، أمكن أن تتكرر الإزاحة في جميع النتائج. يساعد التكرار على فهم التشتت، وتساعد المقارنة بمرجع مناسب على فحص جانب آخر من العملية.

وعند قراءة رقم فلكي نسأل لذلك عما يعنيه النطاق المصاحب له وكيف حسب، لا عن الرقم الأوسط وحده. ولا نقارن نطاقين كأنهما من النوع نفسه قبل معرفة تعريفهما. إن هذه العناية لا تعوق القارئ غير المتخصص؛ يكفيه أولًا أن يعرف أن الرقم يحمل طريقة للوصول إليه، وأن حذف تلك الطريقة قد يمنحه يقينًا أكبر مما يملك.

## ٩. من نقص الضوء إلى تقدير كوكب

قال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

تدعو الآية إلى النظر فيما في السماوات والأرض، وتذكر أن الآيات والنذر لا تغني عن قوم لا يؤمنون. وفي المثال الآتي نصف وسيلة بشرية للرصد، من غير أن نزعم أن الآية عينت هذه التقنية أو أوجبت تفسيرها بها. تبدأ طريقة العبور بقياس تغير ضوء النجم حين يمر كوكب بينه وبين الراصد، فيما تتتبع طريقة السرعة الشعاعية أثر الجذب في حركة النجم وإزاحة طيفه [ع٣٠].

ولا يكفي الانخفاض الدوري وحده لحسم وجود كوكب؛ فقد تختلط إشارة نجمين يحجب أحدهما الآخر بضوء نجم آخر ضمن مجال القياس، فيبدو الكسوف أخف مما هو عليه. عرض توريس وزملاؤه سنة ٢٠١١م نمذجة هذه الاحتمالات في دراسة كيبلر-٩، وجمعوا المقارنة بين المنحنيات مع قيود أرصاد المتابعة لاستبعاد تفسيرات بديلة [ع١٠٤]. الاستشهاد هنا بملخص الدراسة المنشور في مستودع ناسا، لا بإعادة تحليل بياناتها. وثبوت تغير الضوء يظل متميزًا عن تعيين الجسم الذي سببه.

ولتقريب دلالة انخفاض الضوء نضع مثالًا هندسيًا مفترضًا: قرص نجم منتظم السطوع، يعبر أمامه قرص كوكب معتم أصغر منه، ويقع كامل القرص الصغير داخل الكبير. إذا نقص الضوء واحدًا في المئة، فإن المساحة المحجوبة تساوي في هذا المثال واحدًا في المئة من مساحة النجم. وبما أن مساحة القرص تتناسب مع مربع نصف قطره، يكون نصف قطر الكوكب عُشر نصف قطر النجم، لا واحدًا في المئة منه. هذه نتيجة حسابية لشروط المثال، وليست تحليلًا لقياسات نجم معين.

تكشف هذه الخطوة أيضًا حد ما نعرفه: حصلنا على نسبة بين نصفَي قطرين، ثم نحتاج إلى معرفة نصف قطر النجم لنقدر الحجم المطلق للكوكب. ولا نحصل من هذه النسبة وحدها على كتلته أو تركيب باطنه. تضاف معلومات أخرى ويختبر اتساقها، وتراعى في الرصد الحقيقي خصائص النجم ومسار العبور التي اختصرها مثال القرص المنتظم.

ولبيان أثر الضوء المختلط نضيف مثالًا افتراضيًا إلى نموذج القرصين: إذا ساوى ضوء نجم آخر ضوء النجم الذي يعبره الكوكب، وكان الضوءان مجموعين في القياس، فإن حجب واحد في المئة من ضوء النجم المضيف يخفض المجموع بنصف في المئة فقط. هذه نتيجة حسابية لشروط المثال، وليست قياسًا لمنظومة بعينها. وهي توضح لماذا يلزم التحقق من مساهمة المصادر المجاورة قبل استنتاج نسبة الأنصاف من عمق الانخفاض، كما يلزم فحص احتمال الكسوف المختلط المتقدم [ع١٠٤].

ومن الشواهد التطبيقية دراسة بلوم وزملائه المنشورة سنة ٢٠٢٠م عن الكوكب تي أو آي-١٢٣٥ ب. جمعت الدراسة قياسات العبور والسرعة الشعاعية والتصوير والرصد الضوئي الأرضي، وقدرت كتلته بنحو ٥٫٩ ± ٠٫٦ من كتلة الأرض، ونصف قطره بنحو ١٫٦٩ ± ٠٫٠٨ من نصف قطر الأرض، ثم استنتجت كثافته وقارنتها بنماذج التركيب [ع٦٢]. نذكر نتيجة الدراسة المؤرخة لتوضيح تضافر الوسائل، لا بوصفها قائمة محدثة بكل تقديرات هذا الكوكب.

وهكذا يتدرج الاستدلال من تغير مسجل في الضوء إلى هندسة العبور، ثم إلى خصائص تستخلص بمعلومات إضافية. ويستطيع القارئ أن يسأل عند كل انتقال: ما الذي رُصد، وما الذي حُسب، وما الافتراض المستخدم؟ لا تنتقص هذه الأسئلة من الاكتشاف؛ إنها تبين لماذا يحمل أكثر من مجرد نقطة مضيئة في صورة.

## ١٠. حدث واحد ورسائل مختلفة: رصد اندماج نجمي

في ١٧ أغسطس ٢٠١٧م رصدت شبكة لايغو وفيرغو إشارة موجات الجاذبية التي سميت «جي دبليو-١٧٠٨١٧»، واتسقت مع اندماج نجمين نيوترونيين. ورصد جهاز مراقبة انفجارات أشعة غاما على مرصد فيرمي، بصورة مستقلة، انفجارًا وصل بعد زمن الاندماج المستدل عليه بنحو ١٫٧ ثانية. وتذكر الدراسة أن فريق «متر واحد، نصفا الكرة» اكتشف المصدر الضوئي العابر في المجرة «إن جي سي-٤٩٩٣» بتلسكوب سويب ذي المرآة البالغ قطرها مترًا، خلال أقل من إحدى عشرة ساعة، ثم رصدته فرق أخرى بصورة مستقلة خلال ساعة من اكتشافه [ع٦٧]. هذا تسلسل منشور في دراسة سنة ٢٠١٧م، وليس عرضًا لجميع التطورات اللاحقة.

توضح هذه الحالة المقصود بتعدد الرسل الفلكية: فموجات الجاذبية والإشعاع الكهرومغناطيسي يقدمان معلومات مختلفة عن الحدث نفسه. ليست المسألة أن مراصد كثيرة كررت صورة واحدة؛ بل إن صلة الزمن والموضع بين إشارات من نوعين أتاحت سؤالًا أوسع مما تتيحه إشارة منفردة. وقد ناقش الفريق ارتباط إشارة غاما بإشارة الجاذبية في ضوء توافقهما الزمني والمكاني [ع٦٩].

وتذكر الدراسة أن الإشعاع السيني والراديوي اكتشفا في موضع المصدر بعد نحو تسعة أيام وستة عشر يومًا، على الترتيب، عقب محاولات مبكرة لم يظهر فيها رصد لهما [ع٦٧]. يفيد هذا التسلسل في قراءة معنى «لم يرصد»: ينبغي أن نعرف متى جرى البحث، وفي أي نطاق، وبأي حساسية. فالنتيجة تتعلق بمشاهدة محددة وشروطها، وليست جملة منفصلة عن الزمن والأداة.

أما الفاصل البالغ نحو ١٫٧ ثانية فلا يحول وحده إلى إعلان أن الضوء أبطأ من موجات الجاذبية. يشرح الفريق أن المقارنة تتطلب جمع فرق الوصول مع المسافة وتوقع زمن انبعاث كل إشارة من المصدر [ع٦٩]. ويمكن تقريب ذلك بمثال تعليمي: وصول رسالتين في وقتين مختلفين لا يكشف سرعة انتقالهما قبل معرفة وقت إرسال كل منهما. المثال يوضح السؤال المنطقي فقط، ولا يقوم مقام النموذج الفيزيائي وتحليل القياس.

ولمزيد من الدقة، يذكر البحث الأصلي فرق وصول مقداره ١٫٧٤ ± ٠٫٠٥ ثانية. وفي قسم مقارنة السرعتين استعمل الباحثون مسافة ٢٦ ميغافرسخ، وهي الحد الأدنى للمجال الاحتمالي ذي المستوى ٩٠ في المئة للمسافة الضيائية المستنتجة من إشارة الجاذبية. ثم افترضوا انبعاث الإشارتين معًا لاستخراج الحد الأعلى، وانبعاث غاما بعد إشارة الجاذبية بعشر ثوانٍ لاستخراج الحد الأدنى [ع١٠٩]. فالعشر ثوانٍ فرض في الحساب، وليست زمنًا قيس مباشرة عند المصدر.

توضح هذه الخطوات كيف يجتمع الرصد والافتراض في قيد واحد. وتنبه الدراسة إلى أن تغيير نماذج الانبعاث قد يوسع مجال فرق السرعتين المسموح به [ع١٠٩]. لذلك لا تختزل النتيجة في تأخر الوصول وحده، ولا توصف بأنها برهان على تطابق مطلق بلا مجال أو شروط. نعرض هذه النتيجة المؤرخة سنة ٢٠١٧م لشرح الاستدلال، دون ادعاء أنها آخر قيود منشورة أو أننا أعدنا تحليل بياناتها.

## ١١. حين يساعد ضعف الإشارة على تحديد موضعها

يبين الملخص العلمي لفريق لايغو أن أثر الحدث كان واضحًا في مخططي كاشفي لايغو، ولم يظهر بالوضوح نفسه في مخطط فيرغو. ولم يكن هذا الاختلاف سببًا لإهمال بيانات الكاشف الثالث؛ فحساسية الكاشف تتغير باختلاف اتجاه المصدر. ساعد ضعف الإشارة فيه، مع ظهورها في الكاشفين الآخرين ومعرفة استجابة الأجهزة للاتجاهات، على تضييق المنطقة التي يرجح وصول الموجات منها [ع٦٨].

وفي بيانات كاشف ليفنغستون ظهرت أيضًا دفعة ضوضاء قصيرة قرب نهاية الإشارة، أثرت في التنبيه الآلي الأولي. يعرض الفريق معالجة تلك الدفعة لتقويم خصائص الإشارة مع الحفاظ عليها [ع٦٨]. يذكر هذا المثال

القارئ بأن البيانات ليست مشهدًا صافياً يصل دون أثر للأداة، وقد يكون جزء من العمل العلمي تمييز ما جاء من المصدر مما نتج عن الجهاز، مع شرح كيفية المعالجة.

والدرس المنهجي الذي نستخلصه هنا أن غياب علامة متوقعة قد يحمل معلومة إذا عرفنا أين وكيف كان يفترض ظهورها. أما غيابها من سجل مجهول الحساسية أو من جهاز لم يكن يرصد الاتجاه المطلوب، فلا يحمل الدلالة نفسها. لذلك يبدأ تقويم النتيجة بالسؤال عن شروط البحث، ثم عن التوقع الذي اختبرته، بدل القفز من عدم ظهور شيء إلى نفي وجوده في كل موضع وحال.

ولا ينبغي أن تصبح المعالجة اسمًا عامًا يغني عن البرهان. عند قراءة دراسة نسأل: هل وصفت أثر الجهاز؟ وهل بينت الإجراء الذي عالجته به؟ وكيف فحصت تأثير ذلك في النتيجة؟ هذه أسئلة تعليمية يقترحها الكتّاب، لا ادعاء بأننا أعدنا تحليل البيانات بأنفسنا. وهي تصل هذا المثال بمبحث المعايرة وعدم اليقين، وتمهد للفصل التالي حيث تقوم نماذج نشأة الكون على تضافر أنواع متعددة من الرصد.

إحالات الفصل: الإسراء ٣٦؛ العنكبوت ٢٠؛ الملك ٣–٤؛ ناسا، استشعار الكون [ع٢٩]؛ طرق اكتشاف الكواكب ووصفها [ع٣٠]؛ ناسا، أنواع الأطياف [ع٥٠]؛ المعهد الوطني الأمريكي للمعايير والتقنية، مكونات عدم اليقين [ع٥١]. يونس ١٠١ كاملة؛ دراسة بلوم وزملائه عن تي أو آي–١٢٣٥ ب، سنة ٢٠٢٠م [ع٦٢]. دراسة الرصد متعدد الرسل لحدث جي دبليو–١٧٠٨١٧ [ع٦٧]؛ شرح الفريق لاستجابة الكواشف ومعالجة الضوضاء [ع٦٨]؛ تفسير اقتران موجات الجاذبية وأشعة غاما وحدود فرق الوصول [ع٦٩]. تقرير الأكاديميات الوطنية، إعادة الإنتاج الحسابي واختبار النتائج ببيانات جديدة، ٢٠١٩م [ع١٠٣]؛ توريس وزملاؤه، نمذجة احتمالات الإشارات الملتبسة في كيبلر–٩، ٢٠١١م، الملخص في مستودع ناسا [ع١٠٤]. ولتفصيل فروض مقارنة سرعة الجاذبية والضوء في البحث الأصلي، القسم ٤٫١: [ع١٠٩].

# الفصل ٣٩ — نشأة الكون واتساعه وتطور بنيته

## ٠١. ماذا يصف نموذج الانفجار العظيم؟

يعرض علم الكون نموذجًا لتطور عالم كان في مرحلة مبكرة حارًا وكثيفًا، ثم تمدد وتبرد. ليس الاسم وصفًا لقنبلة انفجرت في فراغ خارجي، ولا يفرض وجود نقطة داخل الفضاء تكون مركزًا تتباعد عنه جميع الجهات. يتعلق التمدد بتطور المسافات الكونية ضمن وصف للفضاء ومحتواه، لا بانفجار جسم مألوف.

ويقدر العمر في النموذج الكوني المعتمد بنحو ١٣٫٨ مليار سنة. إنه تقدير مستنتج من بيانات ونموذج، وليس قراءة ساعة وضعت عند بداية الكون. لهذا يذكر الرقم مع إطاره، ولا يقدم بوصفه تفسيرًا لعدد أيام الخلق في القرآن أو تحديدًا لمرادها [ع١، ع٣١].

ولا يقتضي التمدد الكوني أن تتزايد المسافة بين كل جسمين؛ فالمنظومات المرتبطة بالجاذبية، كالمنظومة الشمسية والمجرات المحلية المرتبطة، لا تتبع هذا التمدد العام بالطريقة نفسها. يوضح درس مختبر الدفع النفاث أن حركة الأجرام القريبة تحتاج إلى تمييزها من التباعد الكوني [ع١٠٥]. لذلك لا يناقض وجود اقتراب محلي وصف التمدد على المقاييس الواسعة.

## ٠٢. تاريخ نقرؤه من آثاره

في الدقائق المبكرة تكونت نوى خفيفة، ثم أتاح التبرد لاحقًا ارتباط الإلكترونات بالنوى وتكون ذرات متعادلة. وبعد نحو ٣٨٠ ألف سنة أصبح الضوء أقل تعرضًا للتشتت بالإلكترونات الحرة، وتمكن من السفر لمسافات واسعة. نرصد اليوم الإشعاع الكوني الخلفي بوصفه أثرًا لذلك العصر، وليس صورة مباشرة للحظة الأولى [ع١].

وتكشف خرائط هذا الإشعاع فروقًا صغيرة بين الاتجاهات. أسهمت قياسات بعثة ويلكنسون في تضييق نطاق تقديرات العمر والمحتوى والهندسة الكونية، وفي دراسة البذور التي تطورت منها البنى اللاحقة. لا تعني ألوان الخريطة وجود سحب مصبوغة بهذه الألوان؛ إنها عرض لفروق مقيسة ينبغي قراءة مفتاحها [ع٣١].

ومن المفيد التمييز بين رصد الإشعاع الخلفي ورؤية المجرات الأولى. أوضح جون ماثر في حوار نشرته ناسا سنة ٢٠١٧م أن كوبي وويلكنسون وبلانك ترصد أثر عصر أسبق من الأجرام التي صُمم تلسكوب ويب لدراستها [ع١٠٦]. نستشهد بالحوار لتوضيح اختلاف الهدف الرصدي، مع حفظ تاريخه السابق لإطلاق ويب. فعبارة «النظر إلى الماضي» لا تجعل كل مرصد يرى الحقبة نفسها، ولا تجعل صورة مجرة قديمة صورة للحظة بدء الكون.

### ٣. من التجمعات إلى النجوم

لم تكن المادة موزعة بتجانس تام. ومع تطور الفروق في الكثافة والجذب تكونت تجمعات، وظهرت نجوم ثم تطورت المجرات وبناها. لا يختزل هذا المسار في موعد واحد تشتعل فيه كل النجوم، ولا في مخطط جامد تمضي فيه كل مجرة بالطريقة نفسها [ع١].

والحديث عن تاريخ بعيد لا يعني أن الباحث شاهد كل مرحلة مباشرة. إنه يعيد بناء التاريخ من آثار متنوعة ومن قوانين تختبر في مجالاتها. لذلك يميز العرض الدقيق بين صورة مرصودة، ومحاكاة تعيد تمثيل تطور محتمل، ورسم تعليمي يضع الأحداث في ترتيب تقريبي.

### ٤. المادة المظلمة والطاقة المظلمة

تستدل أبحاث المادة المظلمة على مكون ذي آثار جاذبية لا تفسرها المادة العادية المرصودة وحدها. لا تعني «مظلمة» أنها مادة سوداء يمكن تصوير سطحها، ولا أنها اسم ديني لعالم غيبي. يتعلق الاسم بمشكلة في وصف المحتوى المادي للكون، وما تزال طبيعته التفصيلية موضوع بحث [ع٣٢].

أما الطاقة المظلمة فتتصل بتفسير تسارع التمدد الكوني. إنها مسألة مختلفة عن المادة المظلمة، ولا يجوز استعمال الاسمين بالتبادل. وفي العرض الشائع للنموذج تمثل المادة العادية نحو ٥٪، والمادة المظلمة نحو ٢٧٪، والطاقة المظلمة نحو ٦٨٪ من ميزانية محتوى الكون. هذه نسب نموذجية تقريبية، لا قياس لقطع متجاورة تشغل هذه النسب من خريطة مكانية [ع٣٢، ع٣٣].

ولا تسد التسمية فراغ المعرفة بالطبيعة. يمكن أن يملك الباحث أدلة على أثر، ويظل مختلفًا في التفسير التفصيلي لمصدره. والاعتراف بذلك أصدق من القول إن كل شيء قد اكتشف، وأدق من الزعم أن الاسم وحده يعني غياب أي دليل.

### ٥. التضخم وحدود البداية

يطرح التضخم الكوني مرحلة مبكرة من تمدد شديد السرعة لتفسير خصائص واسعة في الكون. ويعرض بوصفه إطارًا بحثيًا له أدلته ومسائله المفتوحة، دون مساواة كل تفاصيله برسوخ الدليل على تاريخ الكون الحار. تشير ناسا إلى بقاء أسئلة عما دفع هذه المرحلة وما سبقها [ع١].

ومن ثم لا يصح تحويل امتداد معادلة إلى حد رياضي إلى إعلان أننا شاهدنا كيفية الخلق من العدم. السؤال الفيزيائي عن أقدم مرحلة يمكن وصفها يختلف عن السؤال الفلسفي عن أصل الوجود وافتقاره وعلته. قد يتحاور السؤالان، لكن أحدهما لا يصبح جوابًا كاملًا عن الآخر بمجرد اشتراكهما في كلمة «البداية».

## ٦. قراءة الذاريات ٤٧

في قوله تعالى عن بناء السماء والإيساع مجال للبحث التفسيري. يشرح مجمع البيان الإيساع في قسم اللغة بالإكثار من إذهاب الشيء في الجهات. وفي قسم المعنى ينقل عن ابن عباس القدرة على خلق ما هو أعظم من السماء، وعن الحسن توسعة الرزق بالمطر، ثم يذكر وجه القدرة على رزق الخلق دون عجز [م٤٦]. نحفظ الفرق بين التعريف اللغوي والأقوال في تفسير الآية ونسبتها؛ فلا يقدم جمعها تقريرًا لمقادير التمدد الكوني الحديث. ويثبت نص الآية مع الآيتين التاليتين كاملًا في المبحث العاشر.

يمكن للقارئ أن يبحث إمكان التوافق بين دلالة يختارها والاتساع المرصود، على أن يبين حجته اللغوية والسياقية ودرجة دعواه. أما استخراج مقدار معدل التمدد أو عمر الكون أو جميع مراحل النموذج من اللفظ وحده فليس ما يثبته هذا الفصل.

وتبقى قيمة العلم في كشف آثار واسعة من تاريخ العالم. لا يحتاج إلى وعد بالإحاطة بكل شيء، ولا يحتاج الإيمان إلى تعليق صدقه على كل رقم قابل للتحسين.

## ٧. ماذا تعني إزاحة خطوط الطيف؟

إذا عرف الباحث المواضع التي يظهر عندها نمط طيفي في المختبر، أمكنه مقارنتها بمواضعه في ضوء جرم بعيد. وتشرح وكالة الفضاء الأوروبية أن الانزياح نحو الأحمر يقاس بهذه المقارنة. وفي السياق الكوني يرتبط ازدياد الطول الموجي بتمدد الفضاء خلال رحلة الضوء؛ وهو تفسير ينبغي تمييزه من أثر حركة المصدر والراصد خلال الفضاء [ع٥٤].

لا تعني كلمة «الأحمر» أن كل مجرة بعيدة يجب أن تبدو للعين قرصًا أحمر. إنها تشير إلى انتقال نحو أطوال موجية أكبر، وقد تقع الإشارة أصلًا خارج المجال المرئي. والمعلومة التي يرصدها الجهاز لا تتحول إلى مسافة بمجرد تغيير اسمها؛ فربط الانزياح بتاريخ الكون ومسافاته يستعمل وصفًا كونيًا وافتراضات محددة.

وللتوضيح الحسابي نضع مثالًا افتراضيًا: إذا كان الطول الموجي المرجعي لخط ٥٠٠ نانومتر ورُصد عند ١٠٠٠ نانومتر، فإن الانزياح يساوي فرق الطولين مقسومًا على الطول المرجعي، أي ١. هذا عدد بلا وحدة، وليس مليار سنة أو مسافة جاهزة؛ فالانتقال إلى العمر والمسافة يحتاج إلى النموذج الكوني [ع١٠٥].

ومن هنا يتضح الفرق بين خطوتين: تحديد نمط في الضوء، وبناء استنتاج عن تاريخ مصدره. يمكن للباحث أن يكون واثقًا من الخطوة الأولى بدرجة عالية، ثم يناقش حدود الثانية ومعلماتها. هذه البنية لا تخص الفلك وحده؛ فكثير من معارفنا ينتقل من أثر حاضر إلى تاريخ سابق، مع حاجة مستمرة إلى تمييز الأثر من طريقة قراءته.

كذلك لا تساوي المسافة الحالية بالضرورة زمن رحلة الضوء مضروبًا في سرعته؛ فالتمدد يغير المسافة خلال الرحلة. يلفت درس مختبر الدفع النفاث إلى هذا الفرق [ع١٠٥]. لذا ينبغي عند قراءة رقم لبعد مجرة معرفة نوع المسافة المقصودة، وعدم الخلط بين ما نستنتجه عن موضعها الآن وما نراه من ضوء انطلق قديمًا.

## ٨. الخلفية الكونية ليست مجرد ضجيج

تذكر وكالة الفضاء الأوروبية أن قياسات الإشعاع الكوني الخلفي أظهرت طيفًا شديد القرب من طيف الجسم الأسود عند نحو ٢٫٧٣ كلفن، مع تفاوتات صغيرة جدًا بين الاتجاهات. وتعاقبت بعثات كوبي وويلكنسون وبلانك على دراسة خصائصه، وأتاح تعدد نطاقات القياس تحسين فصل إشارات مجرتنا وغيرها من الإشارة الخلفية المطلوبة [ع٥٢].

والجسم الأسود هنا اسم لنموذج فيزيائي للإشعاع الحراري، لا وصف لجرم أسود التقطت صورته خلف المجرات. كذلك لا تمثل خريطة تفاوت الحرارة سطح كرة صلبة تحيط بالعالم؛ إنها عرض لما يصل من اتجاهات مختلفة. تساعد معرفة هذه الاصطلاحات على قراءة الشكل العلمي دون أن تتحول طريقة الرسم إلى جسم نتخيله في الفضاء.

وتكمن قيمة هذه البيانات في أن النموذج مطالب بأكثر من شرح خبر منفرد: عليه أن يفسر خصائص الإشعاع وصلته بتاريخ المادة والبنية. وحين تتحسن القياسات قد تضيق مجالات بعض القيم، أو يبرز سؤال لم يكن ظاهرًا من قبل. التقدم هنا لا يعني أن كل شيء يتغير مع كل خبر، ولا أن كل تفسير قد أصبح نهائيًا.

وبذلك نعود إلى مقصد الفصل: عرض تاريخ كوني تسنده آثار قابلة للدراسة، مع إبقاء أقدم الحدود والأسئلة غير المحسومة واضحة. لا يكتمل وصف أصل الوجود بمجرد وضع أقدم تاريخ تستطيع معادلاتنا بلوغه، كما لا تفقد الآثار المقيسة قيمتها لأن سؤالًا أوسع ما زال قائمًا.

### ٩. رقم كوني له نموذج ومجال تقدير

تعرض دراسة معلمات الكون في نتائج بلانك لعام ٢٠١٨م، المنشورة في مجلة الفلك والفيزياء الفلكية سنة ٢٠٢٠م، تقديرًا لثابت هابل مقداره ٦٧٫٤ ± ٠٫٥ كيلومتر في الثانية لكل ميغافرسخ، ضمن النموذج الكوني الأساسي ذي الثابت الكوني والمادة المظلمة الباردة [ع٦٣]. وتوضح الدراسة أن القيم المعروضة للمعلمات في ملخصها تقترن بمجالات عند مستوى ٦٨ في المئة. يجب إبقاء الشرط النموذجي ومجال التقدير مع الرقم؛ فهما من معنى النتيجة.

نختار هذا المثال التاريخي لأن مصدره يصرح بأن تقدير بعض معلمات الكون المتأخر مستنتج بافتراض نموذج معين. لا يعني ذلك أن جهاز بلانك وضع عدادًا على مجرة فقرأ هذا العدد مباشرة. قاس خصائص الإشعاع الكوني الخلفي، ثم استعمل التحليل الصلة بينها وبين معلمات النموذج. فالبيانات، واختيار النموذج، والقيمة المستنتجة طبقات متصلة يمكن تمييزها [ع٦٣].

والعدد المصحوب بوحدة سرعة لكل مسافة لا يساوي سرعة جميع المجرات بمقدار واحد، كما أن مجال عدم اليقين ليس وعدًا بأن كل تطوير للنموذج سيبقي النتيجة داخله. والغرض هنا تعليم قراءة النتيجة المنشورة؛ فلا نقدم هذا المثال وحده بوصفه حسمًا لكل مناقشات معدل التمدد أو وصفًا لآخر ما بلغته جميع طرق القياس.

ومن الخطأ أن ينتقل الكاتب من تغيير في تقدير معلمة إلى القول إن جميع آثار التاريخ الكوني قد زالت، أو من قوة رصد معين إلى القول إن جميع أسئلة البداية قد أغلقت. الأليق أن يعين موضع المراجعة: هل تغيرت المعايرة، أم مجموعة البيانات، أم الفرض الذي يربطها بالمعلمة؟ بذلك يبقى الاختلاف قابلًا للفهم، ويستطيع غير المتخصص أن يعرف ما الذي تغير فعلًا.

### ١٠. الإيساع في التبيان: إضافة إلى المقارنة التفسيرية

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨].

قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

بعد عرض مجمع البيان، رجعنا إلى التبيان للطوسي في تفسير الذاريات ٤٦–٥٥ [م١٤٧]. يفسر الأيد بالقوة، ويعرض في الإيساع ثلاثة أوجه: التوسعة في الرزق بالمطر منسوبة إلى الحسن، وتوسعة السماء منسوبة إلى ابن

زيد، والقدرة على الاتساع بأكثر من اتساع السماء. ثم يشرح الاتساع بزيادة إذهاب الشيء في الجهات، ويذكر أن الله أوسع السماء بما لا بناء أوسع منه.

تمنع هذه المقابلة عبارة عامة تزعم أن التفاسير القديمة لا تعرف إلا معنى سعة الرزق. لكنها لا تسوغ العبارة المقابلة التي تجعل كل تلك الوجوه تقريرًا واحدًا للتمدد الكوني بمعناه الرياضي المعاصر. فمن حق النص التفسيري أن يحفظ تعدد الأقوال ونسبتها، ومن حق المقارنة العلمية أن تبين ما تضيفه من تحديد لا يتضمنه مجرد نقل القول.

وعليه، حين نضع توسعة السماء الواردة في التبيان إلى جانب المعرفة الحديثة، تكون الدعوى محددة: يوجد في هذا التفسير وجه يتعلق بسعة السماء، يمكن بحث علاقته بما نصفه علميًا. أما تعيين معدل التمدد وتطوره الزمني ومعادلاته من هذا الوجه وحده فلا تثبته المقارنة. وقد عرضنا الآيات المتجاورة كاملة لئلا ينفصل لفظ الإيساع عن سياق الخلق والتذكير في المقطع.

## ١١. تكوّن النوى قبل تكوّن الذرات

يفرق تاريخ الكون بين جمع البروتونات والنيوترونات في نوى، وبين ارتباط الإلكترونات بتلك النوى لتكوين ذرات متعادلة. حدث التخليق النووي المبكر في الدقائق الأولى، في حين جاء الارتباط الواسع للإلكترونات بالنوى بعد نحو ٣٨٠ ألف سنة. لذلك لا تعني عبارة «تكوّنت نوى الهيليوم» أن الغاز صار في اللحظة نفسها غازًا من ذرات متعادلة، ولا أن الضوء أصبح قادرًا فورًا على قطع المسافات الواسعة التي وصفت في مبحث الخلفية الكونية [ع١].

وتشرح وزارة الطاقة الأمريكية التخليق النووي بأنه تكوين نوى ذرية جديدة. ومن خطواته المبكرة اتحاد بروتون ونيوترون في نواة الديوتيريوم، وهو نظير للهيدروجين، ثم تفاعلات تنتج الهيليوم ونوى خفيفة أخرى. أما كثير من النوى الأثقل فترتبط بتاريخ لاحق من العمليات في النجوم ونهاياتها واندماجاتها [ع٧٠]. فليس الجدول الدوري كله حصيلة دقيقة كونية واحدة، وليس تكوّن النوى اسمًا لعملية كيميائية تجمع الذرات في جزيئات.

ومن المفيد للقارئ أن يميز ثلاث طبقات: بنية النواة، وحالة الذرة من جهة ارتباط الإلكترونات، ثم الجزيئات التي تتكون من الذرات. تغير إحدى هذه الطبقات لا يعني تلقائيًا تغير الطبقات كلها بالطريقة نفسها. يساعد هذا التمييز على فهم كيف يمكن لمادة أن تحتفظ بنوع نواتها بينما تتبدل قدرتها على التفاعل مع الإشعاع بحسب حالتها وظروفها.

وعندما نربط مراحل مختلفة بتاريخ واحد، ينبغي أن تبقى علامة كل مرحلة واضحة: البحث في وفرة النوى الخفيفة يسأل عن حصيلة التفاعلات المبكرة، والبحث في الخلفية الكونية يسأل عن الإشعاع الذي وصل إلينا من عصر لاحق. إن اتصال الموضوعين لا يجعل الدليلين شيئًا واحدًا، كما أن ترتيب المراحل لا يبيح تحويلها إلى تعيين لمعاني أيام الخلق دون بحث تفسيري مستقل.

## ١٢. الديوتيريوم: كيف تصبح وفرة صغيرة دليلًا كونيًا؟

في دراسة كوك وبيتيني وستايدل المنشورة سنة ٢٠١٨م، حلل الباحثون خطوط امتصاص في ضوء كوازار مرّ بسحابة غازية قليلة العناصر الثقيلة، مستعملين بيانات مطياف على تلسكوب كيك. جمعت الدراسة قياسًا أعيد تحليله مع ستة قياسات سابقة للوصول إلى تقدير للوفرة البدئية للديوتيريوم [ع٧١]. فالمرصود ضوء يحمل أثر الغاز في طريقه، وليس عينة التقطت مباشرة من الدقائق الأولى للكون.

وبلغ التقدير المجمع في تلك الدراسة ٢٫٥٢٧ ± ٠٫٠٣٠ من الديوتيريوم لكل مئة ألف من الهيدروجين، بوصفه نسبة عددية. وذكرت الدراسة أن مجالات عدم اليقين فيها عند مستوى ٦٨ في المئة ما لم يصرح بخلاف ذلك [ع٧١]. لا يقرأ العدد على أنه نسبة مئوية للكتلة أو مقدار متطابق في كل سحابة؛ إنه نتيجة معينة لعينة وتحليل محددين.

ويتطلب وصف الوفرة بأنها «بدئية» تقدير ما طرأ على الغاز بعد تلك المرحلة. تناقش الدراسة أثر مروره في أجيال النجوم، واختلاف التأين، واحتمال ارتباط الديوتيريوم بالغبار [ع٧١]. هذه الحلقة من الاستدلال أساسية: لا يكفي أن يكون الغاز بعيدًا حتى يصبح تلقائيًا سجلًا لم يتغير. نحتاج إلى سبب لاختيار البيئة، وإلى فحص المؤثرات التي يمكن أن تحول القياس الحاضر عن القيمة المراد استنتاجها.

يساعد المثال على ترتيب السؤال العلمي من دون تضخيم الرقم: نحدد الأثر الطيفي أولًا، ثم نستنتج نسبة في الغاز، ثم ندرس صلاحية استعمالها لتقدير الوفرة المبكرة، وبعد ذلك نقارنها بالحسابات الكونية. قد يتحسن طور من هذا العمل من غير أن تصبح جميع أطواره محسومة. ونورد نتيجة سنة ٢٠١٨م لتوضيح هذه الطريقة، لا بوصفها أحدث قيمة جامعة لكل الأبحاث اللاحقة.

وهنا تكتمل صورة أوسع من الاستدلال على التاريخ الكوني: التمدد، وخصائص الإشعاع الخلفي، وآثار التفاعلات النووية المبكرة موضوعات متصلة، لكل منها ما يرصد وما يحسب وما يفترض. كلما عرف القارئ

وظيفة الدليل وحدوده صار أقدر على متابعة المراجعة العلمية، وعلى إبقاء المقارنة مع النص الديني محددة في عبارتها ودرجة دعواها.

نصوص قرآنية مكملة لإحالات الفصل:

قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥١].

﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢].

﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات: ٥٤].

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٧].

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الذاريات: ٥٩].

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٦٠].

إحالات الفصل: الذاريات ٤٧؛ العنكبوت ٢٠؛ ناسا، تاريخ الكون [ع١]، وبعثة ويلكنسون [ع٣١]، والمادة المظلمة [ع٣٢]، والطاقة المظلمة [ع٣٣]؛ مجمع البيان، تفسير الذاريات ٤٧-٦٠ [م٤٦]؛ وكالة الفضاء الأوروبية، الإشعاع الكوني الخلفي [ع٥٢] والانزياح نحو الأحمر [ع٥٤]. الذاريات ٤٧-٤٩ كاملة في المقارنة؛ التبيان، تفسير الذاريات ٤٦-٥٥ [م١٤٧]؛ نتائج بلانك ومعلمات النموذج [ع٦٣]. التمييز بين تكوّن النوى وتكوّن الذرات [ع١، ع٧٠]؛ دراسة كوك وبيتيني وستايدل للوفرة البدئية للديوتيريوم، سنة ٢٠١٨م [ع٧١].

مختبر الدفع النفاث، التمدد والحركة المحلية وحساب الانزياح والتمييز بين زمن الضوء والمسافة [ع١٠٥]؛ حوار جون ماثر، اختلاف حقبة الخلفية الكونية عن حقبة الأجرام المستهدفة بويب [ع١٠٦].

# الفصل ٤٠ — المجرات والنجوم والكواكب والثقوب السوداء

## ٤٠.١ ترتيب المقاييس

قد تبدو نقطة مضيئة في السماء بسيطة للعين، بينما يكون الحديث عنها متعلقًا بنجم، أو كوكب يعكس الضوء، أو تجمع بعيد. لذلك نحتاج قبل الأرقام الكبيرة إلى أسماء واضحة: الشمس نجم، والأرض كوكب في نظامها، والنظام الشمسي جزء من مجرة درب التبانة. والمجرة ليست الكون كله.

تضم المجرات نجومًا وغازًا وغبارًا ومكونات ترتبط بالجاذبية، وتتنوع أشكالها بين الحلزونية والإهليلجية وغير المنتظمة. وتنتظم مجرات في مجموعات وعناقيد، وتظهر على المقاييس الواسعة شبكة من البنى والفراغات. هذا التنظيم لا يعني أن كل مستوى نسخة مكبرة مطابقة للمستوى الأصغر [ع١٣].

وحين نقول «سنة ضوئية» فنحن نسمي وحدة مسافة: ما يقطعه الضوء في سنة في الفراغ. وليست العبارة عمرًا للجرم. ومن الخطأ أن يستبدل أحدهما بالآخر بلا بيان، أو أن يقرأ اتساع الكون المرصود بوصفه حدًا مثبتًا لكل ما قد يوجد.

## ٤٠.٢ درب التبانة وموضعنا

نحن داخل درب التبانة، ولذلك لا ننظر إليها من خارجها كما تنظر كاميرا إلى مبنى كامل. وتوضح الصور والرسوم التي تقدم شكل المجرة فرقًا ينبغي للقارئ ملاحظته بين بناء تمثيل شامل اعتمادًا على الأدلة وبين التقاط منظر خارجي مباشر. الشمس جزء من المجرة، وليست مركز جميع أجرام الكون [ع١٣].

ولا يعني اتساع المشهد ضياع قيمة الإنسان. هذا الاستنتاج الأخلاقي لا تقرره وحدة المسافة؛ فالمقياس الفلكي يصف الأحجام والامتدادات، بينما سؤال المسؤولية يتعلق بما نعلم ونختار. يمكن للمعرفة أن تعلّم التواضع دون أن تتحول إلى حكم بأن حياة الإنسان بلا معنى.

## ٤٠.٣ حياة النجم ليست احتراق حطب

تولد النجوم من انهيار مناطق في سحب الغاز والغبار تحت الجاذبية. وتتطور النواة إلى ظروف تسمح باندماج الهيدروجين وتحرير الطاقة. لذلك لا يفسر ضوء النجم باحتراق كيميائي كالذي نراه في موقد، ولا تعني كلمة الوقود أن عمليته نسخة من احتراق الخشب [ع١٤].

وتؤثر الكتلة بقوة في حياة النجم. ليس النجم الأكبر مخزنًا يدوم بالضرورة أطول؛ فالنجوم الأشد كتلة تستهلك وقودها أسرع. ومع تطور النجم تتغير خصائصه، وتختلف مراحله الأخيرة بحسب كتلته وظروفه [ع١٤].

وللون النجم صلة بتوزيع طاقته على الأطوال الموجية. تعرض مادة ناسا عن الأطياف المستمرة مقارنة بين نموذجين عند ٨٠٠٠ و٣٠٠٠ كلفن؛ يميل الأعلى حرارة إلى الزرقة والأبرد إلى الحمرة، ويعين شكل الطيف على تقدير الحرارة [ع١٠٧]. النجوم ليست أجسامًا سوداء مثالية، لكن هذا التقريب يصف الشكل العام لطيفها. والمقصود حرارة مرتبطة بالإشعاع الصادر، لا قياس حرارة قلب النجم من لون صورة منشورة وحده.

### ٤. نهايات متعددة

يمر نجم كالشمس بمراحل تمدد لاحقة، ويلفظ طبقاته الخارجية، ويبقى منه قزم أبيض يبرد تدريجيًا. أما بعض النجوم الأشد كتلة فتترك بعد انهيارها نجمًا نيوترونيًا أو ثقبًا أسود. ليست نهاية كل نجم واحدة، ولا يصح أن نجعل كل نجم نراه ثقبًا أسود منتظرًا [ع١٤].

ويستعمل هذا الفصل كلمة النهاية بمعنى انتهاء مرحلة نجمية أو تحول الجسم، لا بمعنى اختفاء جميع مادته من الوجود. وهذا فرق يساعد على قراءة اللغة العلمية دون حمل ألفاظها تلقائيًا على مشاهد القيامة التي سيعرضها الباب التالي.

### ٥. الكواكب واحتمال الحياة

تكشف وسائل العبور والسرعة الشعاعية والتصوير وغيرها كواكب خارج نظامنا، وتتيح تقدير بعض خصائصها. ولكن رسم كوكب بحر أزرق في مادة إعلامية لا يساوي اكتشاف بحر عليه؛ يجب الرجوع إلى ما أثبته الرصد فعلًا [ع٣٠].

ويشير النطاق الصالح للسكن، في الاستعمال الفلكي المقصود هنا، إلى نطاق من المسافات قد يسمح بالماء السائل على السطح إذا توافرت شروط مناسبة. يتغير موقعه بحسب النجم، ولا يكفي وقوع كوكب فيه لإثبات وجود الماء أو الحياة. كما أن التشابه في الحجم مع الأرض لا يثبت التشابه في الغلاف الجوي أو الظروف السطحية [ع٣٤].

ويمضي البحث من إمكان البيئة إلى قياس خصائصها، ثم إلى تقويم ما إذا كانت الإشارات تحتمل تفسيرًا حيويًا أو غير حيوي. لا تقفز المعرفة من «قد يكون مناسبًا» إلى «توجد عليه مخلوقات عاقلة». ولا يسد خبر غير محقق هذا الانتقال.

## ٦. أفق الحدث وما نراه

الثقب الأسود منطقة لا تستطيع الإشارات الضوئية الإفلات من داخلها إلى الخارج وفق النسبية العامة الكلاسيكية، وأفق الحدث حد هذه المنطقة. أما المادة خارج الأفق فقد تصدر إشعاعًا شديدًا. وتعرض الصور المعروفة ضوء المادة المحيطة ومنطقة ظل تتصل بسلوك الضوء في الجاذبية القوية؛ فتصف أثر الثقب في الإشعاع الذي يصل إلينا، ولا تحمل ضوءًا خرج من باطنه عبر الأفق [ع١٥].

وقد تتجمع مادة في قرص حول الثقب، لكن ليس لكل ثقب قرص مضيء حاضر. كما أن التفرد في الوصف الرياضي ليس نقطة التقطنا صورتها وقسنا كثافتها اللانهائية؛ قد يشير إلى حدود النظرية والحاجة إلى وصف أكمل يجمع آثارًا لم يشملها الحساب [ع١٥].

وينبغي ألا نسوي بين أفق الحدث والظل الظاهر في الصورة: الأفق حد في وصف الزمكان، أما الظل فمنطقة نقص في الإشعاع تتشكل بفعل احتجاز الضوء وانحناء مساراته، ويكون امتدادها الظاهري أكبر من امتداد الأفق [ع١٥]. لذلك لا يصح قياس مساحة البقعة الداكنة في صورة ثم تسميتها مباشرة مساحة سطح الثقب؛ فالربط يحتاج إلى نموذج يصف الضوء والهندسة وظروف الرصد.

كذلك لا تعني النفاثات المرصودة قرب بعض الثقوب السوداء أن مادة أفلتت من داخل أفق الحدث. يشرح عرض ناسا أن جزءًا من المادة المتجهة نحو الثقب قد يعاد توجيهه قرب المنطقة الداخلية لقرص التراكم إلى نفاثين، مع بقاء تفاصيل عملهما موضع بحث [ع١٥]. ومن ثم نفرق بين ما يحدث في البيئة المحيطة بالثقب وبين عبور الأفق إلى الخارج؛ فإطلاق كلمة «من الثقب» في وصف إعلامي مختصر لا يحسم هذا الفرق.

## ٧. ثقبان أسودان في إشارة واحدة

في الرابع عشر من سبتمبر ٢٠١٥ سجل كاشفا مرصد لايغو إشارة موجات جاذبية عابرة. عرض البحث الأصلي توافق شكلها مع توقعات النسبية العامة لاقتراب ثقبين أسودين واندماجهما ثم استقرار الثقب الناتج. وقدرت

الدراسة كتلتي الجسمين بنحو ٣٦ و٢٩ كتلة شمسية، وكتلة الناتج بنحو ٦٢ كتلة شمسية، مع مقادير محددة لعدم اليقين، وطاقة مشعة في الموجات تعادل نحو ثلاث كتل شمسية [ع٥٣].

هذه الأعداد تقريب لمقادير استدلت عليها الدراسة، وليست أوزانًا قرأها الباحث من ميزان وضع قرب الجسمين. كذلك لم تكن الإشارة صورة ضوئية لسطحيهما. لقد وصلت معلومة من نوع آخر، ثم قورنت بأشكال متوقعة ضمن النظرية، واستخرجت منها تقديرات خصائص المصدر.

والسؤال الذي قد يثيره جمع العددين ومقارنته بالناتج ليس ثغرة حسابية؛ فالطاقة المحمولة في الموجات تدخل في ميزانية الحدث. لكن هذا التفسير لا يجيز تصور أن المادة اختفت بلا أثر، أو أن كلمة «أسود» تعني غياب كل وسيلة لمعرفة الجسم. يعتمد الفهم على نوع الأثر الممكن رصده وعلى النموذج الذي يربطه بالمصدر.

ومن الثمرات المنهجية لهذا المثال أن الدليل غير المباشر ليس مرتبة واحدة. قد يكون تخمينًا ضعيفًا، وقد يكون استنتاجًا مضبوطًا تؤيده إشارة مفصلة واختبارات للبدائل. لذلك لا يكفي أن نسأل: هل رأيناه بالعين؟ بل نسأل أيضًا: ما الذي قيس، وكيف استبعدت التفسيرات المنافسة، وما الحدود التي بقيت؟

ولتقريب أثر الكتلة، تعرض ناسا تجربة ذهنية: لو استبدلت الشمس بثقب أسود له كتلتها نفسها، لبقيت مدارات الكواكب على حالها في هذا المثال، مع فقد ضوء الشمس [ع١٠٨]. ليست هذه نبوءة لمصير الشمس؛ فهي لا تملك الكتلة اللازمة لتسلك هذا المسار، وقد تقدم أن بقاياها ستكون قزمًا أبيض. المقصود أن صغر حجم الجسم وشدة الجاذبية قربه لا يعنيان أن قوة جذبه عند مدار بعيد ازدادت بلا تغير في كتلته، أو أنه يجذب كل الأجرام إلى داخله تلقائيًا.

## ٨. الاسم الفلكي لا يحدد مصيرًا دينيًا

يمر القارئ في هذا الفصل بأسماء مثل القزم الأبيض والنجم النيوتروني والثقب الأسود. لكل منها تعريف يضبط موضوعًا من موضوعات الفيزياء الفلكية، ولا تنشأ بينها وبين مفردات الغيب مطابقة بسبب اللون أو الغرابة. فإذا سمي جسم «أسود» لم يصبح بذلك دليلًا على موضع عقاب، وإذا ظهر ضوء شديد لم يصبح موضع ثواب.

ومثل ذلك عبارة «موت النجم»: إنها تسمية لتحول في مسار جسم مادي، وقد يبقى بعده جرم وتنتشر مادة وطاقة. أما الموت والبعث في خطاب التكليف والجزاء فلهما سياق آخر. يحسن الكاتب أن يبين مراده حين يستخدم كلمة مشتركة، حتى لا تنتقل خصائص موضوع إلى آخر خفية.

وعند الانتقال إلى باب القيامة سنحتاج إلى هذا الانضباط نفسه. فالمعرفة بمصير نجم تساعد على فهم ما تقوله الفيزياء عن النجوم، لكنها لا تعين وحدها موعد الساعة أو تفاصيلها. يبقى لكل خبر دليله، ويصير اتساع المعرفة معينًا على دقة السؤال بدل أن يكون ذريعة للجزم بما لم نعلم.

## ٩. كيف تكون للثقب الأسود صورة؟

عرض تعاون تلسكوب أفق الحدث سنة ٢٠١٩م صورًا أعيد بناؤها من قياسات راديوية للمصدر المركزي في المجرة مسييه ٨٧، عند طول موجي يبلغ ١٫٣ مليمتر. تبين الدراسة الأولى حلقة انبعاث لامعة تحيط بانخفاض مركزي في السطوع، وتفسر توافقها مع توقع ظل ثقب أسود في النسبية العامة. وينشأ الظل المتوقع من انحناء مسارات الضوء واحتجاز فوتونات عند أفق الحدث [ع٦٤]. فالصورة تتعلق بأثر الثقب في الإشعاع المحيط، ولا تحمل ضوءًا خرج من داخله عبر الأفق إلى الراصد.

ويضيف البحث الرابع من السلسلة سؤالًا عن الثقة في إعادة بناء الصورة. أنتجت أربع مجموعات صورًا دون اطلاع كل منها على عمل الأخريات في المرحلة الأولى، ثم اختبرت طرق التصوير على بيانات اصطناعية لأشكال معلومة. وساعد الاتفاق في السمات الأساسية، ومنها الحلقة، عبر طرائق وافتراضات مختلفة على تقويم ثبات النتيجة [ع٦٥]. هذا وصف لإجراءات الدراسة، ولا يعني أن كل تفصيل في كل صورة أصبح مستقلًا عن طريقة المعالجة.

ومن المفيد مقارنة هذا المثال بموجات الجاذبية المذكورة سابقًا: في أحدهما ندرس إشعاعًا كهرومغناطيسيًا في جوار جرم شديد الجاذبية، وفي الآخر ندرس إشارة مرتبطة بتغير المجال الجذبي أثناء الاندماج [ع٥٣، ع٦٤]. لا تختزل كلمة الرصد في نوع واحد من الأثر. وقد تتعاون نوافذ المعرفة المختلفة دون أن تمنحنا وصولًا مباشرًا إلى كل ما وراء الأفق.

وتعود فائدة المثال إلى أمانة الوصف: يجوز أن نعرض الصورة بوصفها إنجازًا رصديًا، وأن نشرح في الوقت نفسه أنها أعيدت من قياسات باختبارات وطرائق معلنة. فالمعالجة لا تعني اختلاق المشهد، كما أن وجود صورة لا يعني أن العين البشرية تستطيع رؤية ألوانها وهي تطفو بجوار الجسم. تفهم الصورة حين نقرأ معها كيف صنعت وما الذي تمثله.

## ١٠. تفاعل المجرات: ما الذي يتصادم؟

قد توحي عبارة «تصادم مجرتين» بأن نجومهما تتلاقى كما تتلاقى حبات في صندوقين اصطدما. لكن شرح ناسا لصورة مجرتي الهوائيات يبين أن الاصطدام المباشر بين النجوم ليس النتيجة المعتادة؛ فالنجوم تشغل جزءًا صغيرًا من حجم المجرات، وتفصل بينها مسافات واسعة. تستطيع الجاذبية مع ذلك أن تشوه بنية المجرتين، بينما تتفاعل سحب الغاز والغبار، وقد ينضغط الغاز فتزداد مناطق تكوّن النجوم [ع٧٢].

وهكذا لا تكون كلمة التصادم وصفًا واحدًا لجميع المكونات. النجوم والغاز يدخلان في الحدث المجري نفسه، لكن لا يلزم أن تكون استجابتهما متماثلة. يفيد هذا التمييز في فهم اجتماع صورتين تبدوان متعارضتين لأول وهلة: اضطراب في البنية الكبرى، ومناطق تزداد فيها ولادة النجوم. فالتحول لا يساوي مجرد محو للأجرام الموجودة.

ونعرض مجرتي الهوائيات هنا مثالًا بصريًا على هذا التفاعل، اعتمادًا على شرح الصورة المنشور سنة ٢٠٠٦م، دون نقل عبارة «أحدث الصور» الواردة في مادته القديمة إلى زمان القارئ. كذلك لا نستنتج من صورة مفردة زمنًا دقيقًا لكل مرحلة أو مصير كل نجم. الصورة ترينا توزيع الإشعاع في نطاقات معينة؛ أما إعادة بناء تاريخ الحركة فتتطلب أدلة وحسابات إضافية.

ويمكن للقارئ أن يبدأ قراءة أي خبر عن اندماج المجرات بثلاثة أسئلة مترابطة: ما المكونات التي يتحدث عنها الخبر؟ وما الأثر المرصود لكل منها؟ وأي جزء من تسلسل الحدث مستنتج بالنموذج؟ هذه أسئلة يقترحها الكتاب لتنظيم القراءة. وهي تمنع أن تتحول استعارة من الحياة اليومية إلى وصف فيزيائي كامل لمشهد يختلف عنها في المقاييس والعمليات.

## ١١. حلقات الأقراص والكواكب التي نستدل عليها

قبل أن نبحث صلاحية كوكب للحياة يمكن أن نسأل كيف نشأ نظامه. درست ورقة أندروز وزملائه سنة ٢٠١٨م، ضمن مشروع «دي شارب»، عينة من عشرين قرصًا كوكبيًا أوليًا قريبًا، بأرصاد مرصد ألما للانبعاث المتصل عند تردد ٢٤٠ غيغاهرتز، الموافق لطول موجي يقارب ١٫٢٥ مليمتر. ويهدف المشروع إلى وصف البنى في التوزيع المكاني للجسيمات الصلبة في هذه الأقراص. كشفت صور الانبعاث حلقات وفجوات، وأظهرت بعض الحالات بنى حلزونية أو أقواسًا. فالمرصود هنا توزيع شدة الانبعاث في الأقراص، وليس صورًا تفصيلية لسطوح كواكبها [ع٧٣].

وتعرض الدراسة التفاعل الديناميكي بين كواكب أقل كتلة من المشتري ومادة القرص تفسيرًا ممكنًا لبنى الحلقات والفجوات، استنادًا إلى المحاكاة [ع٧٣]. لذلك نفرق بين ثبوت البنية في الرصد وبين ترجيح سببها: لا تمنح كل فجوة وحدها اسم كوكب وكتلة محسومة ومدارًا مقيسًا على نحو مستقل. يصبح التفسير أقوى بقدر نجاحه في شرح تفاصيل يمكن اختبارها ومقارنتها بالبدائل.

وتنبه الورقة إلى أن العينة تميل إلى أقراص كبيرة ولامعة، ولا تمثل جميع الأقراص تمثيلًا عامًا [ع٧٣]. وهذا قيد له أثر في اللغة: قولنا إن بنية شائعة في العينة يختلف عن القول إنها موجودة بالنسبة نفسها حول كل نجم شاب. فقد تؤثر القدرة على تمييز التفاصيل في اختيار الأهداف التي تدرس أصلًا.

ولتقريب الفرق نتصور مجموعة صور اختيرت لأن تفاصيلها واضحة. نستطيع وصف ما نجده فيها بأمانة، لكن الانتقال منها إلى جميع الصور الممكنة يحتاج إلى معرفة طريقة الاختيار. هذا مثال تعليمي، وليس وصفًا بديلًا لتحليل ألما. فائدته أن يجعل سؤال العينة جزءًا من قراءة الصورة، إلى جانب سؤال الدقة والنطاق المرصود.

وبهذا تتصل مباحث الفصل من المجرة إلى النجم والقرص والكوكب: نرى آثارًا بأحجام مختلفة، ونحاول تفسيرها دون إلغاء الفارق بين الأثر ومصدره. وحين ننتقل إلى الفصل التالي عن التفسير العلمي، يبقى هذا الفارق حاضرًا؛ فمقارنة نص ديني بخبر فلكي تقتضي أولًا أن نفهم مقدار ما يثبته الخبر نفسه.

إحالات الفصل: ناسا، المجرات [ع١٣]؛ النجوم [ع١٤]؛ بنية الثقوب السوداء [ع١٥]؛ اكتشاف الكواكب ووصفها [ع٣٠]؛ النطاق الصالح للسكن [ع٣٤]؛ بحث لايغو وفيرغو في رصد موجات الجاذبية من اندماج ثقبين أسودين [ع٥٣]. تلسكوب أفق الحدث، نتائج مسييه ٨٧ الأولى، البحثان الأول والرابع، سنة ٢٠١٩م [ع٦٤–ع٦٥]. ناسا، شرح مجرتي الهوائيات وتفاعل الغاز والنجوم [ع٧٢]؛ أندروز وزملاؤه، المشروع الأول لدي شارب، سنة ٢٠١٨م، مع قيد اختيار العينة وحدود تفسير الفجوات [ع٧٣]. علاقة الطيف المستمر بالحرارة [ع١٠٧]؛ التمييز بين الظل والأفق والنفاثات المحيطة [ع١٥]؛ تجربة استبدال الشمس بثقب له كتلتها نفسها بوصفها مثالًا افتراضيًا [ع١٠٨].

# الفصل ٤١ — بين التفسير العلمي والتكلف في المطابقة

## ١. لماذا تغرينا المطابقة؟

قد يسمع القارئ مصطلحًا علميًا جديدًا، ثم يتذكر لفظًا قرآنيًا، فيشعر بأن بينهما صلة. هذا الشعور يصلح بداية للبحث، لكنه لا يحمل وحده قوة البرهان. فما يبدو متشابهًا في عبارة موجزة قد يختلف عند تحديد المعنى والشروط والمقادير.

ولا يعالج هذا الفصل العلاقة بين القرآن والعلم برفض عام أو قبول عام. إنما يقترح أن تفحص كل دعوى بعينها، وأن تسمى مرتبتها. فالاستئناس بمعرفة حديثة في التأمل أوسع من الجزم بأن الآية لا تعني إلا نظرية محددة.

## ٢. ثلاث طبقات ينبغي فصلها

الطبقة الأولى هي النص: ألفاظه وقراءته وسياقه. والثانية تفسير النص: ما يحتمله اللسان، وما يفسر بعضه بعضًا، وما ورد في المصادر مع تقويم الاستناد. والثالثة هي الدعوى العلمية: بياناتها ونموذجها وحدودها. لا يكفي رسوخ طبقة واحدة لضمان صحة الربط بين الطبقات الثلاث.

فصحة نسبة آية إلى القرآن لا تثبت كل شرح كتب تحتها، كما أن دقة قياس علمي لا تثبت أن لفظًا قديمًا يشير إليه حصرًا. يحتاج الانتقال من أحدهما إلى الآخر إلى حجة مستقلة، لا إلى وضعهما في صفحتين متجاورتين.

## ٣. مثال الإيساع

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

عرض الفصل ٣٩ الذاريات ٤٧ والنموذج الكوني. وفي مجمع البيان شرح لغوي للإيساع إلى جانب وجوه القدرة وسعة الرزق في تفسير «لموسعون» [م٤٦]. ينبغي عرض هذا التمييز بصدق؛ فلا ينسب إلى جميع القدماء تفسير علمي حديث واحد، ولا يحذف من المصدر ما يستحق المناقشة اللغوية.

إذا اختار باحث دلالة على الاتساع، بقي عليه أن يشرح وجه الترجيح ونوع العلاقة بالاكتشاف. وحتى لو قبل القارئ مناسبة عامة، فإن المناسبة لا تستخرج جميع المعادلات ولا تمنح كل قيمة عددية صفة النص. بهذا التحديد يمكن أن يستمر الحوار دون تحميل الآية ما لم يثبت.

### ٤. أمثلة تضبط الحد

في موضوع السماوات السبع لا يكفي العثور على تصنيف حديث يتكون من سبع وحدات لإثبات المطابقة؛ فقد يختلف عدد الوحدات باختلاف معيار التقسيم. وفي البرزخ بين المياه، سبق بيان أن وجود تدرج أو حد فاصل في الخصائص لا يعني انعدام الامتزاج. وفي الجبال، لا يصح تحويل وصف ديني إلى قاعدة تمنع حدوث الزلازل في كل إقليم جبلي. تراجع الأدلة التفصيلية في الفصول ٩، ٢٥، ٢٦ و٣١.

وتشترك هذه الأمثلة في خطأ واحد: إضافة قضية إلى النص، ثم الاستدلال على النص بالقضية التي أضفناها. لذلك تكون أول خطوة إصلاحية أن نعيد كتابة الدعوى بألفاظ واضحة: ماذا تقول الآية فعلًا؟ وما الجملة التي صاغها المتحدث من عنده؟

### ٥. من التوافق إلى دعوى الإعجاز

قد يقع توافق بين معنى مقبول ومعلومة صحيحة، لكن وصفه بالإعجاز دعوى أوسع. تحتاج هذه الدعوى إلى بيان قوة الدلالة، ودرجة ثبوت المعلومة، وما الذي يجعل المعرفة بها في السياق التاريخي محل استدلال خاص. لا يفي بها مجرد القول إن المعلومة مدهشة أو إن المتحدث سمعها أول مرة.

ويجب كذلك فحص البدائل. هل العبارة عامة إلى حد يقبل نماذج متعارضة؟ هل انتقي معنى واحد وأهملت معانٍ معتبرة؟ هل ترجمت الكلمة إلى لغة أخرى بصياغة أضافت ما ليس فيها؟ هذه أسئلة تحمي القارئ من قوة العرض التي تتجاوز قوة الحجة.

ولدعوى السبق التاريخي سؤال يختلف عن سؤال صحة المعلومة: ما الشاهد المؤرخ على فهمها بهذا التحديد قبل ظهور الاكتشاف؟ لا يكفي أن يعاد شرح لفظ قديم بعد الاكتشاف ثم يجعل الشرح اللاحق دليلًا على أن جميع تفاصيل المعرفة كانت مقررة من قبل. هذه خطوة أقترحها لفحص نوع الحجة، ولا أقصد بها حصر دلالات القرآن فيما صرح به مفسر سابق أو نفي إمكان استنباط جديد؛ وإنما أطلب لكل دعوى مقدارها من الإثبات.

### ٦. الرواية بين النقل والدلالة

إذا دخلت رواية في المقارنة، أضيف سؤال عن مصدرها وطريقها واختلاف ألفاظها. لا تكفي عبارة «ورد عن أهل البيت» لتعيين كتاب أو موضع أو مرتبة. وقد يكون المصدر معروفًا بينما يبقى السند محتاجًا إلى بحث؛ وقد يثبت اللفظ ثم يختلف الباحثون في المراد منه.

ولهذا حافظ الكتاب على سجل يميز بين توثيق الموضع والحكم على الخبر. وما لم ينجز تحقيقه لا يرفع إلى درجة اليقين بسبب موافقته الظاهرية لمعلومة نحبها. كما لا يرفض الخبر لمجرد نفور أولي قبل فهم لغته وسياقه ونوع القضية التي يتحدث عنها.

### ٧. ماذا نفعل عند التعارض الظاهر؟

نبدأ بتحرير طرفي المسألة. هل المعلومة العلمية رصد راسخ أم فرضية أو عنوان صحفي؟ وهل المعنى الديني نص صريح أم اجتهاد تفسيري؟ وهل تتناول الجملتان الموضوع نفسه وفي الشروط نفسها؟ قد يزول التعارض بتصحيح أحد هذه الأمور، وقد يبقى سؤال يستحق مزيدًا من البحث.

ولا ينبغي أن نتعجل تأويلًا بعيدًا لمجرد التخلص من الحرج، أو أن نرفض بيانات موثوقة دفاعًا عن شرح لم تثبت نسبته إلى النص. يمكن أن نقول إننا لا نملك جوابًا كافيًا بعد، مع بيان ما نعرفه وموضع الإشكال.

### ٨. كيف نراجع ترجمة تحمل دعوى علمية؟

قد يبدأ الخلل قبل المقارنة نفسها، حين تترجم كلمة قرآنية إلى مصطلح حديث أضيق منها، ثم يقدم النص المترجم شاهدًا على ذلك المصطلح. عندئذ تبدو النتيجة موجودة في النص لأنها أضيفت في الترجمة أولًا. ولهذا يبدأ التحقيق من اللفظ العربي وسياقه، ثم يسأل عما نقلته الترجمة وما زادته من تفسير.

وعند مراجعة ترجمة الإيساع، نضع بجانبها ما أثبتناه من تعدد الوجوه: فالطبرسي يذكر القدرة وسعة الرزق مع بيان لغوي للإيساع [م٤٦]، والطوسي ينقل ضمن ثلاثة أقوال توسعة السماء عن ابن زيد [م١٤٧]. فإذا صيغت الترجمة بمصطلح كوني تقني واحد، نسأل: هل أبقت هذا الاحتمال والتعدد ظاهرين، أم قدمت اختيار المترجم كأنه جزء من اللفظ؟ لا تمنع المقارنة الترجيح، لكنها توجب تمييزه من النص الذي يترجمه الباحث.

ولا يلزم من وجود معنى في اللغة أنه المراد في كل موضع، كما لا يلزم من اختيار مفسر أن جميع وجوه البحث قد أغلقت. الذي نطلبه من صاحب المطابقة هو حجة واضحة على الترجيح في السياق، ثم حجة على الصلة بالمسألة العلمية المحددة. وتظل نتيجة المقارنة بقدر ما تحمله هاتان الحجتان.

### ٩. بطاقة تطبيقية لفحص دعوى

لنفترض عنوانًا يقول إن صورة فلكية أثبتت معنى آية بعينها. نبدأ بتعيين أصل الصورة: الجهة التي أصدرتها، وما إذا كانت رصدًا أو محاكاة أو رسمًا توضيحيًا. ثم نقرأ شرحها لنعرف ما تمثله ألوانها ومقاييسها. هاتان الخطوتان تفحصان المادة العلمية، ولا تحسمان بعد معنى الآية.

بعد ذلك نثبت موضع الآية ونعرض التفسير الذي استعمله صاحب العنوان مع نسبته إلى مصدره. فإذا دخلت رواية، رجعنا إلى موضعها وطريقها ولفظها. وأخيرًا نصوغ جملة الربط منفصلة: هل هي تشابه في الصورة، أم توافق في معنى عام، أم ادعاء دلالة محددة على حقيقة لم تكن معلومة؟ اختلاف الجملة يغير مقدار الدليل المطلوب.

وقد تنتهي المراجعة إلى قبول المعلومة العلمية ورفض العنوان، أو قبول مناسبة تأملية مع رفض الحصر، أو إلى سؤال يبقى مفتوحًا. ليس من اللازم أن ينتهي كل فحص بحكم واحد شامل على القرآن أو على العلم أو على جميع الباحثين.

هذه البطاقة من اقتراح الكتّاب لتنظيم القراءة، وليست حكمًا منقولًا عن مفسر أو معصوم. وفائدتها أن تجعل محل الاتفاق والخلاف قابلًا للتعيين. فإذا صححنا لاحقًا لونًا في صورة، أو لفظًا في ترجمة، عرفنا أي جزء من الدعوى تأثر، بدل أن نلقي بأحكام واسعة لا تميز بين النص والأداة والاجتهاد.

### ١٠. لون الصورة ليس وحده دلالة تفسيرية

تشرح ناسا طريقة إنتاج صور ويب الملونة بأن الإشعاع تحت الأحمر الذي ترصده الأدوات لا تراه العين، فتُسند نطاقاته إلى ألوان مرئية وفق ترتيب معلن. وقد تجمع الصورة تعرضات التقطت بمرشحات مختلفة، مع معايرة ومحاذاة ومعالجة للآثار التي أحدثها الجهاز أو أصابته بها جسيمات. ويأتي معها مفتاح يبين الألوان والمرشحات المستعملة [ع٦٦].

لذلك، إذا ظهرت سحابة في صورة منشورة بلون أحمر، فلا يكفي لونها للحكم بأن الجرم نفسه يبدو أحمر للعين أو أن له درجة حرارة استنتجناها من الشاشة. نبدأ بشرح الصورة: ما الأطوال الموجية الممثلة، وكيف أسندت الألوان إليها، وما الذي يقيسه السطوع؟ هذه الأسئلة لا تمنع الاستمتاع بالصورة، بل تحمي تفسيرها من خلط العرض بالشيء المعروض.

وإذا جاء من يطابق هذا اللون أو شكلًا في الصورة بآية عن مشهد أخروي، كان عليه أن يبرهن على الصلة من النص وسياقه، لا من شبه بصري منفرد. فقد تتغير هيئة العرض بتغيير نطاق القياس أو مفتاح اللون دون أن يتغير الجرم إلى شيء آخر. وعلى هذا الأساس لا نجعل صورة سحابة أو بقايا نجم تعيينًا لمشهد القيامة؛ ويشرح الباب السابع تلك المشاهد من نصوصها.

## ١١. صدق النسبة قبل قوة العبارة

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

تذكر الآية ضمن المحرمات القول على الله بغير علم. ونستحضرها هنا عند الصياغة التي تبدأ بقول الكاتب إن الله أراد بهذه الآية تحديدًا هذه الظاهرة الحديثة. قد يكون أمامه احتمال لغوي أو مناسبة تأملية؛ فإذا حذف هذا الحد وأعلن القطع فقد أضاف إلى الدليل ما لا يحمله. ولا يتوقف صدق النسبة على جمال الفكرة أو إعجاب الجمهور بها.

وأقترح للباحث ثلاث صيغ يختار بينها بحسب حال عمله: هذا هو لفظ النص؛ وهذا تفسير فلان له؛ وهذه مقارنة أقترحها مع وصف علمي معين. فإذا تطورت المقارنة أمكن تعديلها دون تغيير لفظ القرآن أو إنكار وجود القول التفسيري. وقد طبقنا ذلك في الإيساع: أثبتنا وجوه الطوسي والطبرسي، ثم أبقينا تقدير بلانك مرتبطًا ببياناته ونموذجه، ولم ندع أن أحدهما ينطق بالأرقام التي جاء بها الآخر [م٤٦، م١٤٧، ع٦٣].

وهذا الأدب يلزمني في مواضع الإثبات والاعتراض معًا. فلا أنسب إلى النص تفصيلًا لم يقله، ولا أنسب إلى الباحث دعوى أشد من عبارته، ولا أصف كل دراسة بالوهم لأنني وجدت خطأ في مثال. من يطلب الحقيقة يحتاج إلى بيان محل الحكم وحدوده، وإلى استعداد لأن يصحح عبارته حين يتبين له أن المصدر أدق أو أوسع مما نقل.

## ١٢. الخُنَّس والجوار الكُنَّس: ما الذي يثبته اللفظ؟

قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٥–٢١].

يرد الطبرسي أصل الخُنَّس والكُنَّس إلى الستر، ويشرح الكناس بالمأوى الذي يختفي فيه الحيوان. وفي المعنى يذكر النجوم الجارية المتوارية، وينقل تعيين زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد عن علي عليه السلام، ثم يورد بقر الوحش عن ابن مسعود والظباء عن ابن جبير [م٢٠٦]. هذه نسب كما وردت في التفسير، وإثباتها هنا لا يتضمن تصحيح أسانيدها أو جعل جميع الأقوال قولًا واحدًا للمعصوم. يحفظ عرضها تعدد المادة التي يواجهها من يقترح تعيينًا فلكيًا حديثًا.

إذا اقترح قارئ أن الخُنَّس الجوار الكُنَّس هي الثقوب السوداء، فالسؤال الأول عن الدليل الذي يخصص هذا المعنى. فالاختفاء والحركة وصفان عامان، ولا تكفي المشاركة فيهما لإثبات هوية فلكية بعينها. ويحتاج الانتقال من معنى الاستتار إلى خصوص أفق الحدث إلى قرينة مستقلة؛ كما لا يصح بناء الحجة على إيحاء الكنس بإزالة ما حول الجسم مع إغفال شرح الكناس في المصدر اللغوي والتفسيري المستعمل.

وفي الوصف العلمي، يمثل أفق الحدث حدًّا لا يصل إلى الراصد الخارجي ضوء من داخله، ويمكن رصد الإشعاع الصادر عن المادة المحيطة قبل عبورها هذا الحد. وتوضح ناسا أن بعض الثقوب السوداء المعزولة لا يملك قرص تراكم بعد استهلاك المادة المحيطة به [ع١٥]. هذه أوصاف فيزيائية محددة؛ فلا ينشئ تشابه الاسم وحده دليلًا على أن الآيتين تقررانها، ولا يحمل اللفظ بمجرده تفاصيل الرصد التي شرحناها في الفصل السابق.

ثم إن الآيات لا تقف عند الألفاظ الثلاثة؛ يتلوها القسم بالليل والصبح، ثم الخبر عن الرسول الكريم. ويجعل الطبرسي الآية التاسعة عشرة جواب القسم، ويفسر الرسول هنا بجبرائيل عليه السلام، مؤديًا كلام الله [م٢٠٦]. يبقى سياق الوحي وأمانة تبليغه حاضرًا في القراءة، ولا تختزل الفقرة في البحث عن اسم جرم سماوي.

والنتيجة المنهجية في هذا المثال محددة: لم يقدم التشابه المذكور وحده دليلًا كافيًا للجزم بالتعيين. يجوز أن يكون باعثًا على سؤال يبحثه صاحبه، على أن يصرح بأنه مقارنة مقترحة، ويبين ما يستند إليه وما بقي محتاجًا إلى دليل. أما تحويله إلى قول قاطع بأن القرآن سمى الثقوب السوداء بهذه الألفاظ فيحتاج إلى أكثر من توافق وصفي عام.

ويجب ضبط النتيجة في الاتجاه الآخر أيضًا: قصور هذا التشابه عن إثبات التعيين لا يساوي برهانًا على استحالة كل صلة يمكن أن يقترحها باحث لاحق. محل الحكم هنا هو الدليل المعروض، لا جميع الأدلة الممكنة. ولذلك نفرق في عبارة المراجعة بين «لم يثبت بهذا الوجه» و«ثبت بطلانه بدليل آخر»؛ فالثانية تحتاج إلى حجة إضافية، مثلما تحتاج دعوى الحصر إلى حجة تتجاوز مجرد الاحتمال.

### ١٣. رد الحديث إلى الكتاب والسنة وحدود المقارنة

ورد في الكافي، في كتاب فضل العلم، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب، الحديث الثالث، عن أيوب بن الحر أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف» [م٢٠٧].

وطريقه في الموضع: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن أيوب بن الحر. وحكم المجلسي على الحديث الثالث بـ«صحيح» في مرآة العقول، ج ١، ص ٢٢٩؛ وقد قوبل هذا الحكم مباشرة بالنص الإلكتروني للشرح [م٢٠٨]. هذه نسبة حكم إلى صاحبه، مع تعيين موضعه، ولا تعني أنني أنجزتُ تحقيقًا رجاليًا مستقلًا لجميع رجال الطريق.

ويشرح المجلسي رد الأمور الدينية إلى الكتاب والسنة بالأخذ منهما مباشرة أو بواسطة، ويبين أن موافقة السنة داخلة في موافقة الكتاب من جهة دلالته على حجيتها. وهذا شرح المجلسي، وليس زيادة في لفظ الإمام. وبه يظهر أن الشرح لا يحصر الموافقة في العثور على آية تكرر ألفاظ كل خبر، ولا يلغي دور السنة في البيان [م٢٠٨].

وعند تنزيل هذه القاعدة على موضوع فصلنا، ينبغي حفظ الفرق بين فحص نسبة الخبر وفهم دلالته. فصحة معلومة عن جرم سماوي لا تثبت أن عبارة متداولة صدرت عن الإمام، مثلما لا يكفي تشابه العبارة مع عنوان علمي لإكمال سندها أو تعيين مرادها. يبدأ البحث بالمصدر والطريق واللفظ، ثم ينظر في الدلالة والقرائن وفي موضع الخبر من الكتاب والسنة.

وهذا التطبيق من ترتيب البحث في هذا الكتاب؛ لا ننسب تفصيله إلى متن الرواية. كما لا نزعم بهذا المثال استيفاء مباحث عرض الأخبار أو الترجيح عند التعارض. المقصود أن يبقى الاستشهاد منضبطًا: نص محفوظ، وحكم منسوب إلى قائله، وشرح مميز من المتن، ثم مقارنة يصرح صاحبها بمقدماتها وحدود نتيجتها.

### ١٤. قاعدة القراءة التي ترافق بقية الكتاب

قبل قبول مطابقة، يكتب القارئ لنفسه النص ومصدر الشرح والمصدر العلمي ودرجة العلاقة المقترحة. ثم يسأل: إذا تغير هذا النموذج أو بطل هذا المثال، فأي جزء من استدلالي يبقى؟ السؤال لا يفترض أن كل علم متقلب، بل يكشف أين علقنا يقيناً على مقدمة أضعف منه.

وللتوثيق العملي، يقترح الكتاب أن يحتفظ الباحث بصياغة دعواه قبل التعديل، ثم يسجل سبب المراجعة والجزء الذي تغير: نقل المصدر، أو فهم اللفظ، أو المعطى العلمي، أو وجه الربط. بذلك لا يوهم القارئ أن تفسيرًا جديدًا كان هو المقصود دائمًا، ولا يحول تصحيح اجتهاد بشري إلى تعديل في القرآن. هذا إجراء تنظيمي أقترحه، وليس نصًا روائيًا أو حكمًا منسوبًا إلى المفسرين.

بهذه الأمانة ننتقل إلى مشاهد الساعة. سنقرأ ما يخبر به الوحي عن انقلاب النظام المألوف، مع تجنب تحويل أخبار الغيب إلى امتداد محسوب لسيناريو فلكي واحد. لكل باب أدلته، ويجمع الأبواب احترام الحقيقة وحدود ما نعلم.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

إحالات الفصل: الإسراء ٣٦؛ الذاريات ٤٧؛ مجمع البيان [م٤٦]؛ مراجعة تطبيقية للفصول ٩، ٢٥–٢٦، ٣١ ، ٣٨–٤٠؛ وملحق مقارنة التفاسير. الأعراف ٣٣ كاملة؛ التبيان [م١٤٧]؛ طريقة ألوان صور ويب [ع٦٦]؛ أمثلة القياس والتصوير في [ع٦٢–ع٦٥]. التكوير ١٥–٢١ كاملة؛ مجمع البيان في الخنّس والجوار الكُنّس [م٢٠٦]؛ الكافي، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب، ح ٣ [م٢٠٧]، وشرح المجلسي وحكمه [م٢٠٨]؛ أفق الحدث وقرص التراكم [ع١٥]. قوبلت في هذه المتابعة وجوه الإيساع ونسب الأقوال في التكوير بالمصدرين [م٤٦ ، م١٤٧، م٢٠٦]؛ ضوابط السبق التاريخي وتسجيل المراجعة من اقتراحي.

# الباب السابع — انقلاب المشهد — الكون عند قيام الساعة

من انقضاء النظام المألوف إلى البعث والجزاء وحدود وصف الغيب.

## الفصل ٤٢ — الساعة وموعد التحول العظيم

### ٠١. حين ينتهي زمن الإمهال

لم تعد السماء في هذا الباب مجرد مشهد نتأمل انتظامه، ولا الأرض موطنًا نبحث في نشأته وأسباب صلاحيته للحياة. ندخل إلى الخبر الذي يضع العالم كله أمام تحوّل يتصل ببعث الإنسان ومحاسبته. فالساعة في سياق هذه الفصول ليست نهاية قصة المادة وحدها؛ إنها انقضاء الحال التي يجري فيها الامتحان، وظهور ما وعد الله به من الرجوع والجزاء.

ومن هنا يختلف السؤال عنها عن السؤال عن عمر نجم. يمكن للباحث أن يدرس تغير جرم وفق نموذج وأدلة، أما الساعة التي يخبر بها القرآن فتشمل من المعاني ما لا تستقل أدوات الرصد بإثباته أو نفيه. يحفظ هذا الفرق للبحث العلمي ميدانه، وللخبر الوحي دلالته، ويمنع أن نستبدل بالحساب الأخروي حسابًا لحركة الأجرام.

### ٠٢. علم الموعد عند الله

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

تضع آية الأعراف ١٨٧ حدًا صريحًا للتوقيت بإثبات علم الساعة لله. ويأتي السؤال نفسه في الأحزاب ٦٣، ويرد ذكر علم الساعة في لقمان ٣٤. هذه المواضع تقيم أصلًا واحدًا في موضوعنا: لا أملك، ولا يملك القارئ، تاريخًا موثقًا لقيامها نبني عليه تقويمًا للناس.

ويعرض الطبرسي عند الأعراف ١٨٧ أن حجب الموعد يدعو إلى اليقظة والطاعة، ويذكر وجوهًا في ثقل الساعة تتصل بخفاء العلم بها أو شدة ما يقع فيها [م٤٧]. ننسب هذا البيان إلى التفسير، مع إبقاء أصل اختصاص الله بعلمها مستندًا إلى الآية نفسها. وليست كثرة الأسئلة سبيلًا إلى اختراق حد لم يجعل النص معرفته متاحة.

### ٣. الإنذار وظيفة، والتوقيت دعوى أخرى

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢].

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾ [النازعات: ٤٣].

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ [النازعات: ٤٤].

﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥].

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦].

في النازعات ٤٢–٤٦ يتجه الخطاب من سؤال الموعد إلى وظيفة الإنذار. فلا يعرّف الرسول الناس بجدول زمني يختارون عند نهايته أن يؤمنوا؛ وإنما يوقظهم إلى الحقيقة التي تتعلق بها مسؤوليتهم. ويختم السياق بتصوير قصر مكثهم في إحساسهم حين يرونها، فيتغير مقدار الدنيا في نظر من كان يحسبها أفقًا لا ينتهي.

ويفصل مجمع البيان عند النازعات بين العلم بأنها واقعة والعلم بوقتها، ناقلًا هذا الوجه عن الحسن. وعند بيان انتهاء أمرها إلى الله يعرض جهة إقامتها التي لا يقدر عليها غيره، ثم ينقل وجه انتهاء علم وقتها إليه [م٢١]. بهذا لا يكون بيان الرسول لخبر الساعة امتلاكًا لسلطة إقامتها أو إعلان موعدها؛ فالإخبار بالحدث وإيقاعه وتعيين زمنه معانٍ ينبغي تمييزها في قراءة المقطع.

قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

والعلم بأن حدثًا سيقع غير العلم بتاريخه. كما أن ذكر قرب الساعة في القمر ١، أو قرب الحساب في الأنبياء ١، لا يمنحنا عددًا من السنين نستخرجه من اختيار حسابي. ليس في هذه الآيات مفتاح لتحويل الحروف والأرقام إلى موعد، ولا ترخيص لإلباس التخمين ثوب التفسير.

ويفسر الطبرسي تخصيص من يخشى الساعة بالإنذار من جهة الانتفاع به، ثم ينقل عن قتادة أن رؤية الآخرة تصغّر الدنيا في أعينهم حتى تبدو مدة إقامتهم فيها قصيرة [م٢١]. فلا يدل تخصيص المنتفع على أن سائر الناس لم يوجَّه إليهم إنذار، كما لا يتحول هذا التصوير إلى نسبة حسابية ثابتة بين ساعات الدنيا والآخرة. ونسبة القول إلى صاحبه جزء من حفظ الفرق بين النص القرآني وشرحه.

### ٤. البغتة لا تلغي الإنذار

تذكر الأعراف ١٨٧ مجيء الساعة بغتة. والمفاجأة هنا لا تعني أن الناس لم يسمعوا عنها قط؛ فقد سبقهم الإنذار، لكن سماع الخبر لا يجعل الإنسان مالكًا للحظة تحققه. يستطيع المرء أن يتناسى ما حُذّر منه، ثم يفاجأ به حين لا يجد فسحة لاستدراك ما فرّط فيه.

قال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩].

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٥٠].

ويظهر هذا المعنى في يس ٤٩-٥٠ حيث تقطع الصيحة حال التخاصم، فلا تستمر القدرة على التوصية والرجوع إلى الأهل كما كانت. لا نضيف إلى المشهد تحديدًا لمدينة أو مهنة أو سنة. يكفي ما يقرره السياق من أن الانشغال اليومي لا يضمن بقاء الفرصة، وأن الاعتياد ليس برهانًا على الأمان من التحول.

### ٥. أسماء تكشف وجوه المشهد

قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١].

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢].

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ٣].

﴿الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١].

﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ٢].

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ٣].

﴿الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١].

﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٢].

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٣].

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤].

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٤].

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ﴾ [النازعات: ٣٥].

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦].

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧].

﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النازعات: ٣٨].

﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٩].

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠].

﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١].

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ [عبس: ٣٣].

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤].

﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ [عبس: ٣٥].

﴿وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٦].

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨].

﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٩].

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠].

﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤١].

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٤٢].

ترد الواقعة والحاقة والقارعة والطامة الكبرى والصاخة في سور تتحدث عن اليوم الآخر أو أهواله [الواقعة: ١-٣ ؛ الحاقة: ١-٣؛ القارعة: ١-٥؛ النازعات: ٣٤-٤١؛ عبس: ٣٣-٤٢]. تتنوع الأسماء والأوصاف مع تنوع المقاصد: وقوع لا يدفعه التكذيب، وهول يقرع القلوب، وأمر يستولي على الانتباه فلا تبقى المشاغل على ترتيبها القديم.

لا يلزم من تعدد الأسماء تعدد قيامات منفصلة، ولا يجوز أن نرتبها زمنيًا بحسب ترتيب السور في المصحف. فالتسمية قد تكشف جانبًا من الحدث، والوصف قد يبرز أثره في الإنسان. لذلك نقرأ كل اسم مع سياقه قبل أن نجمعه مع غيره في تصور واحد.

## ٦. العلامات لا تصبح تقويمًا

قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد: ١٨].

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

تذكر محمد ١٨ أشراط الساعة، وتذكر النمل ٨٢ دابة الأرض، وتتحدث الأنبياء ٩٦-٩٧ عن يأجوج ومأجوج واقتراب الوعد الحق. نثبت مواضع هذه الأخبار من القرآن، ونترك تفصيل ما سكتت عنه إلى بحث يستند إلى روايات معينة. فلا نعين أشخاصًا معاصرين أو جماعات أو تقنيات بوصفها المقصود القطعي لمجرد تشابه محتمل.

كذلك يجب التمييز في الروايات بين علامات الساعة وعلامات ظهور الإمام المهدي عليه السلام وسائر الوقائع التي تتناولها الأخبار. الاشتراك في بعض موضوعات آخر الزمان لا يجعل كل عنوان مرادفًا للآخر. وقبل اعتماد أي خبر نسأل عن نصه ومصدره وموضوعه وطريقه، ثم عن مقدار ما يدل عليه فعلًا، لا عن مقدار ما يمكن أن تتخيله النفس حوله. وسيأتي في المبحث الثاني عشر مثال موثق على حفظ موضوع السؤال في خبر التوقيت.

ولتنظيم قراءة العلامات نقترح ثلاث مسائل متتابعة: ثبوت الخبر في مصدره، وثبوت دلالته على العلامة المقصودة، ثم الدليل على انطباقها على الواقعة التي أشير إليها. قد يصح النقل ولا يصح التعيين المعاصر. وحتى لو

ثبت تحقق علامة، فلا تستخرج منها مدة باقية إلا بدليل يحدد تلك المدة؛ فالعلم بأن حدثًا يسبق آخر لا يخبر وحده بمقدار الفصل بينهما. هذا ترتيب بحثي أقترحه، لا نص مضاف إلى الروايات.

## ٧. لماذا لا يساوي الموت الفردي قيام الساعة؟

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩].

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

تقرر آل عمران ١٨٥ ذوق كل نفس للموت، وتذكر المؤمنون ٩٩–١٠٠ البرزخ إلى يوم البعث. وهما موضعان يساعدان على حفظ الفرق بين نهاية حياة الإنسان الحاضرة وبين الحشر العام. لا نختصر المراحل كلها في لحظة واحدة لمجرد أن الإنسان يفقد عند موته قدرته على العمل في الدنيا.

تفصيل الجسد والروح والبرزخ من موضوعات «حكاية الإنسان» و«حكاية الروح» في السلسلة. أما حضورها هنا فبقدر ما يوضح موقع النهاية الكونية في طريق الإنسان. بذلك لا تضيع الصلة بين الكتب، ولا يتضخم هذا الفصل بتفاصيل تنتمي إلى بحث آخر.

## ٨. أثر الإيمان في يومنا الحاضر

لا يصير انتظار الساعة فضيلة إذا حمل صاحبه على ترك حق معلوم أو تعطيل نفع يستطيع تقديمه. فمن يتذكر الحساب يستطيع أن يراجع أمانة أُوكلت إليه، أو يصلح ظلمًا وقع منه، أو يكف عن نشر خبر لم يتحقق منه. هذه ثمرة تربوية نستخلصها من اتصال الإنذار بالمسؤولية، وليست رواية جديدة ننسبها إلى المعصوم.

وتحفظ الموازنة بين الخوف والرجاء للإنذار غايته. فلا يكون الحديث عن الساعة وسيلة لإرعاب الناس بتفاصيل مختلقة، ولا ذريعة للاطمئنان إلى أن العمل يمكن تأجيله. يغيب الموعد عنا، لكن الواجب الحاضر لا يغيب؛ ومن هذا الحاضر تبدأ الاستجابة الصادقة لما يخبر به القرآن عن المستقبل.

**٩. مطلع الحج: الهول والحجة**

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢].

تبدأ سورة الحج بنداء الناس إلى التقوى، ثم تصور شدة زلزلة الساعة في أثرها على المرضعة والحامل وعلى من يبدو كأنه سكران من هول ما يرى [الحج: ١-٢]. لا يكتفي الخطاب بذكر اضطراب الأرض؛ إنه يبين ما يصنعه الخوف بالعلاقات والأحوال التي عرفناها في حياتنا القريبة. وحضور المرأة هنا جزء من التصوير القرآني نفسه، لا تفصيل يضاف لتكميل المشهد.

ويعرض مجمع البيان قولًا بمقارنة الزلزلة لقيام الساعة، وقولًا بأنها قبلها ومن أشراطها، ويصل هذا الاختلاف بفهم صورة الإرضاع والحمل [م٩٠]. نثبت وجود القولين دون أن نحسم توقيتًا تفصيليًا من عندنا. وما تتفق عليه القراءة في الموضع هو عظم الأمر وضرورة التقوى، أما تعيين موقع كل وصف في تسلسل شامل فيبقى محتاجًا إلى جمع الأدلة.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: ٣].

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٤].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦].

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧].

ثم تنتقل السورة إلى من يجادل بغير علم، وإلى إقامة الحجة على البعث من أطوار خلق الإنسان وإحياء الأرض بعد همودها [الحج: ٣-٧]. سبق أن درسنا حياة الأرض في بابها؛ والجديد هنا هو وظيفة ذلك المشهد داخل الحجة: يعاد النظر إلى ما ألفناه ليقرب إمكان الإعادة، لا ليزودنا بتاريخ قيامها.

ومن تأمل هذا البناء أدرك أن الإنذار لا يعمل بالخوف وحده. إنه يخاطب العقل أيضًا، ويدعو إلى مراجعة الاعتراض ودليله. فلا نخدم مقصد السورة إذا أكثرنا من الصور المفزعة وأهملنا حجتها، أو إذا اكتفينا بتفسير ظواهر الأرض وغفلنا عن السؤال الذي سيقت له في هذا السياق.

وتبقى المعرفة بوقوع الساعة باعثًا على الاستعداد، مع الجهل بموعدها. يستطيع الإنسان أن يصلح عملًا حاضرًا دون أن يعرف كم بقي من الزمن؛ بل قد يكون إرجاء الإصلاح حتى معرفة الموعد صورة من صور الغفلة التي يحذر منها الخطاب.

**١٠. حين يعاد السؤال عن العمر**

قال تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٢].

قال تعالى: ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ [المؤمنون: ١١٣].

قال تعالى: ﴿قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٤].

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

يعرض هذا الحوار سؤالًا عن مدة اللبث في الأرض، ثم يصل جواب القلة بالسؤال عن العبث والرجوع إلى الله. فتتحول السنوات التي عاشها الإنسان إلى موضع مراجعة من جهة قيمتها ومآلها. لا تعطي الآيات للقارئ معادلة يحول بها أيام الدنيا إلى وحدات زمنية أخروية، ولا تحدد بهذه المحاورة موعد الساعة على تقويمنا.

وما نستفيده في بناء هذا الباب أن طول العمر في شعور صاحبه لا يجعله مستغنيًا عن السؤال عما فعل به. فقد يستهلك الإنسان سنين في انتظار علامة يظنها فاصلة، بينما يبقى حق قريب أو عمل صالح قادر عليه مؤجلًا. هذا تطبيق تربوي أقترحه؛ أما تفاصيل إدراك الزمن بعد البعث وكيفية السؤال والجواب فتبقى بقدر ما فصلت النصوص، دون زيادة من الخيال.

بهذا يجتمع التحذير من البغتة مع الدعوة إلى العمل في الحاضر. لا يطلب الاستعداد أن نمتلك تاريخ الحدث الغيبي، بل أن نفهم أن حياتنا ذات غاية وأن الرجوع إلى الله داخل تلك الغاية. ويظل تحديد الأشخاص والأحداث المعاصرة بوصفها علامات قاطعة محتاجًا إلى دليل مستقل، لا يستخرجه المرء من خوفه أو من تشابه صورة عابرة.

### ١١. الساعة في خطاب موسى: العبادة والجزاء وإخفاء الموعد

قال تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥].

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه: ١٦].

يرد ذكر الساعة هنا في خطاب الله لموسى عليه السلام، متصلًا بالأمر بالتوحيد والعبادة وإقامة الصلاة، ثم بالجزاء على السعي والتحذير من اتباع الهوى. يمنح هذا التتابع الخبر موقعه في حياة الإنسان: فالعمل الذي يأتيه في الدنيا لا ينفصل عن الحساب عليه. والآية تخبر بوقوع الساعة وغاية الجزاء، دون أن تحدد للقارئ تاريخًا يحسب منه مقدار ما بقي.

ويعرض الطوسي في التبيان عدة وجوه لعبارة «أكاد أخفيها»، منها المبالغة في عدم إظهارها، وينقل قولًا يجعل الإخفاء بمعنى الإظهار، مع شواهده اللغوية. ثم يفسر الجزاء بأنه بحسب عمل كل نفس من الطاعة والمعصية [م٢٠٩]. فموضع الخلاف في شرح العبارة محفوظ، ولا يصح اختزاله في معنى واحد ثم نسبته إلى جميع المفسرين.

ويعرض الطبرسي وجه إرادة إخفائها عن العباد، ويبين ما في خفاء وقتها من حملهم على الحذر. وينقل أيضًا تفسير الإخفاء بالإظهار، ويذكر عبارة «من نفسي» في الأقوال المنقولة؛ ثم يورد عن المبرد حملها على المبالغة العربية في الكتمان [م٢١٠]. المقصود في هذا الوجه البلاغي شدة الإخفاء عن الخلق، ولا يفيد نفي علم الله بالساعة. وعبارة «من نفسي» مما يشرح هنا ضمن النقل التفسيري؛ لم نضفها إلى نص الآية المثبت أعلاه.

هذه مقابلة لوجوه التفسير في المصدرين، لا حكم على أسانيد جميع الأقوال الواردة فيهما ولا بحث مستوفى للقراءات. وما نحتاج إليه في بناء الفصل أن نفرق بين تفسير لفظ الإخفاء وبين امتلاك موعد الساعة: لا يرد في الوجوه المعروضة تاريخ معين، ولا تتحول مناقشة لغوية إلى إذن باستخراج يوم أو سنة من أعداد الحروف.

ويعيد آخر المقطع النظر إلى السلوك؛ فالتحذير من الصد واتباع الهوى يضع أمام القارئ مسؤوليته عن قبول الحق والعمل به. ومن التطبيق التربوي لذلك أن يسأل عن واجبه في الزمن المتاح له: عن عبادة يحافظ عليها، ومظلمة يردها، وأمانة يؤديها. هذه أمثلة أقترحها لبيان أثر الإيمان بالجزاء، وليست ألفاظًا مضافة إلى الوحي.

### ١٢. خبر «إنا أهل بيت لا نوقت»: حفظ السؤال وحدود الجواب

يروي الكليني في الكافي، كتاب الحجة، باب كراهية التوقيت، الحديث الثالث، عن أبي بصير أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن القائم عليه السلام، فكان الجواب: «كذب الوقاتون، إنا أهل بيت لا نوقت» [م٢١١]. أثبتنا السؤال مع الجواب لأن موضوعه جزء من فهم الخبر، وحذف السؤال قد يوهم أن اللفظ ورد ابتداءً في تعيين وقت القيامة.

وطريق الخبر في الموضع: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير. وفي مرآة العقول، ج ٤، ص ١٧٤، حكم المجلسي على الحديث الثالث بـ«صحيح»، وشرح «لا نوقت» بقوله: «أي حتمًا أو بعد ذلك كما مر» [م٢١٢]. قوبل الحكم والشرح مباشرة بالنص الإلكتروني، ولا ننقل هذا التصحيح إلى سائر أحاديث الباب لمجرد اشتراكها في الموضوع.

وإثبات هذا الحكم نسبة إلى المجلسي، وليس إعلانًا عن تحقيق رجالي مستقل أنجزتُه. كما أن القيد الذي ذكره المجلسي من شرحه، فلا يدمج في كلام الإمام. أما إحالة الشارح إلى ما تقدم فتدل على أن استيفاء مناقشته يحتاج إلى قراءة الباب كله، ولا ندعي أن هاتين العبارتين تختصران جميع مباحث التوقيت والبداء أو تجمعان طرق أخبارها.

وموضع الاستفادة هنا هو ضبط مجال الاستشهاد: السؤال عن القائم عليه السلام غير السؤال عن وقت البعث العام. فلا نستبدل في النقل كلمة الساعة بكلمة القائم، ولا نستخرج من هذا الخبر مساواة بين الظهور والقيامة. وقد تقدم أصل اختصاص الله بعلم موعد الساعة من آياتها نفسها؛ أما هذا الخبر فيبين كيف تحفظ حدود موضوع الرواية عند جمع نصوص تتناول المستقبل.

ويحفظ الناقل اللفظ في كل طريق أيضًا؛ ففي الحديث الثالث الذي ندرسه وردت عبارة «كذب الوقاتون» مرة واحدة. لا نزيد تكرارًا أو جملة من خبر آخر ثم نضع الجميع بين علامتي اقتباس بإحالة واحدة. ويمكن جمع الأخبار في دراسة أوسع، مع إثبات كل نص وطريق وحكمه على حدة، ثم بيان وجه الجمع بوصفه عمل الباحث.

وبهذا ننتقل إلى النفخ في الصور: نقرأ ألفاظ كل موضع وما يصرح به من أثر، ثم نجمع النصوص دون افتراض ترتيب أو مدة لم يثبتها الدليل. وتظل غاية الإنذار حاضرة في البحث؛ فالتحقيق في وصف المستقبل يزداد قيمة حين يصحح فهم الإنسان ومسؤوليته في الحاضر.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

إحالات الفصل: آل عمران ١٨٥؛ الأعراف ١٨٧-١٨٨؛ طه ١٤-١٦؛ الأنبياء ١، ٩٦-٩٧؛ الحج ١-٧ ؛ المؤمنون ٩٩-١٠٠، ١١٢-١١٥؛ النمل ٨٢؛ لقمان ٣٤؛ الأحزاب ٦٣؛ يس ٤٩-٥٠؛ محمد ١٨؛ القمر ١؛ الواقعة ١-٣؛ الحاقة ١-٣؛ النازعات ٣٤-٤٦؛ عبس ٣٣-٤٢؛ القارعة ١-٥. مجمع البيان في الأعراف والحج [م٤٧، م٩٠]؛ التبيان ومجمع البيان في طه [م٢٠٩-م٢١٠]؛ الكافي، باب كراهية التوقيت، ح ٣ [م٢١١]، وحكم المجلسي وشرحه [م٢١٢]. مجمع البيان في النازعات ٤٢-٤٦: العلم بالوقوع والوقت والانتفاع بالإنذار [م٢١]؛ خطوات لفحص العلامة وتعيين مصداقها من اقتراحي.

# الفصل ٤٣ — النفخ في الصور — الحدث وتسلسله في النصوص

## ٠١. مركز المشهد في سورة الزمر

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

تجمع الزمر ٦٨ بين نفخ يعقبه الصعق ونفخ آخر يعقبه القيام. هذا التعاقب الصريح هو أوضح نقطة ننطلق منها في ترتيب ما ورد عن الصور؛ إذ لا نحتاج إلى تخيل الأحداث ثم البحث عن آيات تشبهها. نبدأ بما عيّنه النص، ثم نضم إليه المواضع الأخرى بحسب دلالتها.

قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٩].

وفي بقية السياق، من الزمر ٦٩ إلى ٧٥، يتصل القيام بالحكم والوفاء بالجزاء ومآل الفريقين. لذلك لا يعزل النفخ عن غايته في بناء المشهد. إننا أمام انتقال من حال إلى حال يتهيأ فيه الخلق للعرض، وليس أمام ظاهرة سمعية عابرة تزيد معرفتنا بأصوات الكون.

## ٠٢. الفزع والصعق والقيام

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧].

تذكر النمل ٨٧ الفزع عند النفخ مع الاستثناء، وتذكر الزمر ٦٨ الصعق ثم القيام. والفزع وصف للخوف، أما الصعق فتدرس دلالته في السياق، ولا يلزم أن نثبت من كل اختلاف في اللفظ نفخة مستقلة. فقد يذكر النص أثرًا في موضع وأثرًا آخر في موضع آخر من الحدث نفسه.

يرجح الميزان أن ظاهر الآيات نفختان للإماتة والإحياء، ويعرض الأقوال التي تزيد العدد، وينبه إلى أن الصعق يستعمل في الغشية وأن فهم الموت هنا مرتبط بجمع النصوص [م١٣]. هذا ترجيح تفسيري نذكره باسمه، ولا نجعل صياغته جزءًا من لفظ القرآن، ولا نزعم أن عرضنا الموجز استقصى جميع مباحث المسألة.

وعند القيام والنظر يعرض الميزان معنى الانتظار ومعنى النظر المعروف، ثم يجمع بين القيام والإسراع إلى المحشر والإتيان أفواجًا والفزع، باعتبارها أحوالًا متقارنة لا يدفع بعضها بعضًا [م١٣]. فالجمع الذي يقترحه لا يجعل لكل فعل مرحلة منفصلة لمجرد اختلاف العبارة. وهذه طريقة المفسر في قراءة الصلة بين المواضع، وليست تعيينًا منا لمدة كل حال أو لجميع تفاصيل ترتيبها.

### ٣. الصيحة والخروج من الأجداث

قال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩].

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٥٠].

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١].

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣].

﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤].

في يس ٤٩-٥٣ ينتقل السياق من الصيحة التي تأخذ الناس في انشغالهم إلى النفخ والخروج من القبور والحضور جميعًا. ثم تأتي الآية ٥٤ لتقرر انتفاء الظلم وارتباط الجزاء بما كان الناس يعملون. وهكذا يجمع المقطع سرعة التحول ودقة العدل، فلا يطغى تصوير الهول على المعنى الذي يفضي إليه.

قال تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١].

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢].

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ [ق: ٤٣].

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤].

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ: ١٧].

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨].

وتذكر ق ٤١-٤٤ النداء والصيحة والخروج وتشقق الأرض عن الناس، وتذكر النبأ ١٧-١٨ يوم الفصل والإتيان أفواجًا. هذه إحالات متساندة في أصل الحشر، لكنها لا تعطينا وحدها وصفًا لجميع الحركات أو حسابًا لمسافاتها. يحتفظ كل موضع بما يضيفه، ولا نحوله إلى نسخة زائدة من موضع آخر.

### ٤. النفخة الواحدة وحدود العد

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣].

ترد النفخة الواحدة في الحاقة ١٣، ثم حمل الأرض والجبال ودكهما في الآية التالية. يدل الوصف على شأن النفخة في هذا السياق، ولا يكفي وحده لنفي النفخ الآخر الذي صرحت به الزمر. فذكر فعل واحد عند تصوير مشهد لا يساوي حصر جميع الوقائع في ذلك الفعل.

ومن القواعد المفيدة هنا أن نجمع النصوص قبل أن نستنتج عددًا نهائيًا، وأن نفرق بين ترتيب وردت عليه أداة تعاقب وبين جمع أوصاف بالواو. لا تعطي كل صياغة الدرجة نفسها من البيان الزمني. وإذا بقيت كيفية الجمع محل اجتهاد، كان إعلان موضع الاجتهاد جزءًا من دقة الحكاية.

### ٥. إسرافيل في النص الدعائي

لا تسمي آيات النفخ المذكورة النافخ باسم إسرافيل. وفي الدعاء الثالث من الصحيفة السجادية، في الصلاة على حملة العرش والملائكة، يرد: «وإسرافيل صاحب الصور، الشاخص الذي ينتظر منك الإذن، وحلول الأمر، فينبه بالنفخة صرعى رهائن القبور» [م٤٨]. يثبت هذا الموضع التسمية في النص الدعائي، ويصل وظيفة النفخ بانتظار الإذن، فنحفظ الفرق بين ما ورد في الدعاء وما صرحت به الآيات.

نعرض الموضع بوصفه واردًا في الصحيفة المنسوبة إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام، من غير ادعاء أننا أنجزنا هنا دراسة جميع طرق الصحيفة. ولا نستخرج من هذه العبارة وحدها شكل الصور أو مادته أو مقدار حجمه. فالتسمية ووظيفة النفخ شيء، وتفاصيل الهيئة شيء آخر يحتاج إلى مستند آخر.

### ٦. الاستثناء يحفظ حدّ العلم

في النمل ٨٧ والزمر ٦٨ يأتي استثناء من شاء الله. ولا تعيّن هاتان العبارتان جميع المستثنين بأسمائهم. يسجل الميزان أقوالًا في تعيينهم وينقد استنادها إلى ألفاظ الآيات، ثم يناقش احتمال استثناء الأرواح على أساس أن الموت يلحق الأجساد بانقطاع تعلقها بها، ويذكر تأييد بعض الروايات لهذا الوجه [م١٣]. نحفظ هذا الاحتمال

كما عرضه المفسر، فلا نحول نقده للأقوال إلى امتناع كل بحث في المستثنين، ولا نرفع الوجه الذي ناقشه إلى نص قرآني يصرح بأسمائهم.

والأمانة هنا لا تقتضي إنكار كل خبر ورد في تعيين المستثنين، وإنما تقتضي دراسة ذلك الخبر في موضعه. يختلف القول إن الآية لم تسمهم عن القول إنه يستحيل أن يخبر نص آخر عنهم. يحفظ هذا التفريق باب الرواية مفتوحًا للتحقيق، ويمنع التساهل في جعل المحتمل يقينًا.

## ٧. ما لا نستخرجه من لفظ النفخ

نتلقى خبر الصور والنفخ كما ورد، لكن تصور الآلة الدنيوية ليس إحاطة بحقيقة غيبية. لا دليل في الآيات المذكورة على أن انتقال أثر النفخ يخضع بالضرورة لقياسات الهواء الذي نعرفه، أو أن أثره في جميع الخلق يمكن حسابه بمسافة أرضية. هذه إضافات من خبرتنا نحن، فلا تلزم النص من غير حجة.

لم تحدد الآيات المعتمدة هنا عددًا للسنين بين النفختين، وأخبار المدة تحتاج إلى جمع طرقها وضبط ألفاظها قبل اعتمادها. إثبات التعاقب لا يساوي معرفة الفاصل، ومعرفة اسم الحدث لا تساوي معرفة جميع كيفياته. وسنقابل في المبحث الثالث عشر خبرين متجاورين من تفسير القمي، لتمييز جواب السؤال عن المدة من عدد ورد في خبر آخر.

## ٨. البعث لا يضيع الفرد في الجمع

تصف الآيات الحضور العام، لكن عموم الجمع لا يعني غياب قصة كل إنسان. فالذي يحضر ضمن الأفواج هو نفسه المسؤول عن فعله؛ لا يستبدل به شخص آخر ولا تسقط عنه حقيقة ما صنع لمجرد أنه صار واحدًا بين خلق كثير. ويبرز هذا المعنى عند اتصال النفخ بالعدل في يس ٥٤.

ويعود الكتاب بذلك إلى أصل لازم في قراءة النهاية: كبر المشهد لا يصغر الحق الفردي. قد يخفي الزحام صاحب حق في الحياة، أما الحشر الذي يقترن بنفي الظلم فلا يجيز لنا تصور ضياعه في العدد. ومن هنا يصير خبر النفخ دعوة إلى العدل الآن، قبل أن ينقطع زمن إصلاح ما نملك إصلاحه.

## ٩. من القبور إلى الاستجابة

قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر: ٦].

﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧].

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٨].

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤].

تصف القمر ٦-٨ خروج الناس من الأجداث وانتشارهم وإسراعهم إلى الداعي، وتستعمل صورة الجراد المنتشر في تقريب كثرة الجمع وحركته. وتصف القارعة ٤ الناس بالفراش المبثوث. لا يلزم أن تكون الصورتان تعريفًا واحدًا لكل أحوال الحشر؛ فكل تشبيه يبرز جهة من المشهد في سياقه، ولا يتحول اختلافهما إلى تناقض بمجرد اختلاف ما شبّه به.

وفي يس ٥١-٥٢ يقترن الخروج بالكلام عما كان الناس فيه وبصدق وعد الرحمن والمرسلين. فالذين يجمعون ليسوا أجسامًا بلا وعي بقصتهم؛ يظهر في الحوار اتصال الموقف بما سبق من إنذار. ولا نضيف إلى هذا الكلام حوارًا تخيليًا أو أسماء لم يعينها النص.

### ١٠. القرابة وما لا تستطيع حمله

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢].

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٣].

تذكر المؤمنون ١٠١ النفخ في الصور مع نفي الأنساب والتساؤل يومئذ، ثم تنتقل إلى ثقل الموازين وخفتها [المؤمنون: ١٠١-١٠٣]. لا يحق لنا أن نمحو بهذا الموضع جميع الآيات التي ورد فيها حوار أهل الموقف، أو أن نمحو تلك الحوارات من أجل جمع متعجل. يحتاج الجمع إلى بحث الحال المقصودة ودلالة التساؤل في كل سياق.

ويعرض الطبرسي في نفي الأنساب وجهًا عن الحسن يتعلق بانقطاع التعاطف والتواصل بها مع بقاء المعرفة، ووجهًا عن ابن عباس والجبائي يتعلق بانتفاء التفاخر بها [م٢٧٤]. فنفي أثر من آثار النسب في ذلك الموقف لا يلزم منه أن القرابة لم تكن موجودة أو أن الناس فقدوا معرفة أقربائهم. هذه وجوه تفسيرية منقولة، وليست حكمًا جديدًا على مصير أحد بسبب أسرته.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠].

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ [المعارج: ١١].

﴿وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾ [المعارج: ١٢].

﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ [المعارج: ١٣].

﴿وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [المعارج: ١٤].

وتعرض المعارج ١٠-١٤ حميمًا لا يسأل حميمًا، ثم رغبة المجرم في الافتداء ببنيه وصاحبته وأخيه وعشيرته والناس جميعًا. لا توصف هذه الرغبة لتجعل الأسرة قليلة القيمة، بل لتكشف عجز الإنسان عن نقل تبعة فعله إلى أحبائه حين يطلب النجاة لنفسه.

ومن هنا تتسع دلالة النفخ: ليس انتقالًا كونيًا فحسب، بل انقطاعًا عن امتيازات توهم الإنسان أنها تكفي لحمايته. فقد ينفعه اسم عائلته في خصومة دنيوية، لكنه لا يجعل عمله عمل شخص آخر. وهذا تأمل في اتصال النصوص بالمسؤولية، لا تعيين لمدد بين مشاهدها ولا حكم على مصير أسرة بعينها.

وفي نفي التساؤل يذكر مجمع البيان الانشغال عن السؤال عن الأحوال، ويورد وجهًا آخر في عدم طلب حمل الذنب عن صاحبه. ثم يعرض الجمع باختلاف أحوال القيامة ومواطنها، وينسب معناه إلى ابن عباس؛ وينقل عن السدي وجهًا يجعل التساؤل المذكور لأهل الجنة عند دخولها [م٢٧٤]. حفظ هذه الوجوه يوضح كيف يبحث المفسر اختلاف السياق، دون أن يتيح لنا اختراع ترتيب دقيق للمواقف لم يصرح به الدليل.

### ١١. من الغفلة إلى حضور الشهادة

قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٠].

قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١].

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

يتجاور في هذا المقطع ذكر سكرة الموت، والنفخ في الصور، ومجيء كل نفس ومعها سائق وشهيد، ثم كشف الغطاء. تعرض الآيات انتقال الإنسان إلى حقيقة كان عنها في غفلة، مع إبقاء الفرد ظاهرًا داخل المشهد العام. فالجموع التي يصفها الفصل لا تلغي حضور كل نفس وما يصاحبها.

وقد يعين ترتيب الآيات على فهم اتصال المشاهد، لكنه لا يزودنا وحده بمدد فاصلة بين كل جملتين أو بعدد جميع الوقائع التي قد تذكرها مواضع أخرى. نجمعه مع آيات الزمر والنمل والحاقة التي عرضت في الفصل، دون أن نحول اختلاف زاوية البيان إلى جدول من عندنا. كما لا نعين هنا هوية السائق والشهيد وتفاصيل عملهما بما يتجاوز لفظ الآية دون نقل محقق.

ويصل معنى كشف الغطاء إلى تنبيه القارئ اليوم: بعض الحقائق التي يعرض عنها لا يغيب أثرها بإعراضه. إنما تنفعه القدرة على المراجعة ما دام يستطيع أن يستدرك فعلًا أو يرد حقًا. هذه ثمرة تأملية للمشهد، لا ادعاء بأننا نعرف كيفية الإدراك في ذلك اليوم أو نقيسها بإدراكنا الحالي.

## ١٢. الراجفة والرادفة: قراءة التعاقب في سياق إنكار البعث

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات: ٦].

﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٧].

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٨].

﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ [النازعات: ٩].

﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [النازعات: ١٠].

﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ [النازعات: ١١].

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢].

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [النازعات: ١٣].

﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤].

يعرض المقطع رجفة تتبعها رادفة، ثم القلوب المضطربة والأبصار الخاشعة، ويورد سؤال المنكرين عن الرجوع بعد أن تصير العظام بالية. ويأتي الجواب بصورة الزجرة الواحدة والظهور بالساهرة. فإذا قرأنا أول المقطع وحده فاتنا أن الحديث عن الحدث الكوني موصول باعتراض الإنسان على البعث وما ينكشف له عند وقوعه.

ويفسر الطبرسي الراجفة بالنفخة الأولى، والرادفة بالنفخة الثانية التي يكون معها البعث، ويصل ذلك بآية الزمر ٦٨. ويعرض أيضًا قولًا بأن المراد اضطراب الأرض ثم اضطراب آخر يتبعه. فالتفسير بالنفختين وجه مذكور في المصدر، مع وجود قول آخر ينبغي حفظه عند المقارنة، لا إخفاؤه لإظهار اتفاق لم ينقله المفسر [م٢١٣].

وعند «فإنما هي زجرة واحدة» يذكر الطبرسي النفخة الأخيرة، وعند الساهرة يعرض معنى وجه الأرض وظهرها، وينقل قولًا بعرصة القيامة [م٢١٣]. تشرح هذه الوجوه ألفاظ المشهد، دون أن تجعل الساهرة عنوانًا لمدينة معاصرة أو تمنحنا خريطة تحدد أبعاد أرض المحشر. وما لم يعينه النص أو الدليل لا أستكمله بمجرد اختيار صورة أستطيع تخيلها.

والفائدة من ضم هذا المقطع إلى الزمر ويس أن عبارة النفخة الواحدة أو الزجرة الواحدة تقرأ بحسب موضعها. فالواحدة التي يذكرها النص في مشهد لا تمحو ما صرح به نص آخر من نفخ يعقبه نفخ آخر. وفي الوقت نفسه، فإن إثبات التعاقب لا يبيح عد كل وصف حدثًا زائدًا، بل يحتاج كل تعيين إلى قرينته.

ويكشف ذكر العظام النخرة موضع الاعتراض: كيف يرجع من بلي جسده؟ يأتي الجواب في هذه الآيات بإظهار نفاذ الأمر الإلهي وسرعة تحقق المشهد. أما تفاصيل تكوّن الأجساد وكيفية اجتماعها فلا تشرحها هذه الألفاظ. سيأتي بحث البعث والحشر في موضعه، مع إبقاء الفرق بين أصل الخبر والتفصيل الذي يحتاج إلى نص آخر.

## ١٣. خبران متجاوران في تفسير القمي: المدة بين النفختين ومطر البعث

في التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمي، عند الزمر ٦٨، يرد خبر طويل عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام. وفي مطلعه: «سئل عن النفختين كم بينهما؟ قال: ما شاء الله». ثم ينتقل السؤال إلى كيفية النفخ، ويتناول الخبر إسرافيل والصور وموت الخلائق ثم الحشر [م٢١٤]. نثبت هذا المطلع بحدوده، مع التنبيه إلى أن دراسة سند الخبر وتمام دلالاته لم تستكمل هنا.

ويبدأ الطريق في الموضع بلفظ «حدثني أبي»، ثم الحسن بن محبوب، ومحمد بن النعمان الأحول، وسلام بن المستنير، وثوير بن أبي فاختة، عن علي بن الحسين عليهما السلام. وتستمر الرواية من الصفحة ٢٥٢ إلى أول الصفحة ٢٥٣، وتنتهي بذكر بكاء الإمام. حفظ هذه النهاية مهم حتى لا تلحق بها رواية تالية لمجرد استمرار الكلام في الصفحة نفسها [م٢١٤].

ويبدأ بعد ذلك طريق آخر: «وحدثني أبي عن ابن أبي عمير عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله عليه السلام». وفي مطلعه: «إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السماء على الأرض أربعين صباحا فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم» [م٢١٥]. هذا طريق جديد بعد خبر الإمام علي بن الحسين عليهما السلام. ويتصل بفقرة المطر في الصفحة قول الراوي «وقال»، ثم قصة خروج النبي صلى الله عليه وآله مع جبرئيل إلى البقيع؛ ولا يعاد سند جديد عند ابتداء هذه القصة في النص المعروض. لذلك نميز هذا الانتقال عن ابتداء الطريق السابق، ولا ننقل فقرة المطر بوصفها تمام المادة الواردة تحته.

وعليه، فالجواب المنقول في الخبر الأول لم يسم عددًا من السنين أو الأيام، والعدد في مطلع الخبر الثاني متعلق بالمطر المذكور فيه. لا يصح أن نجمعهما في عبارة من صنعنا تقول إن المدة بين النفختين أربعون صباحًا، ثم ننسب تلك العبارة إلى الإمام. فالتجاور في المصدر لا يكفي لإثبات اتحاد الروايتين أو تعيين العلاقة الزمنية بين جميع ما تصفانه.

وما أنجز في هذه المقابلة هو تعيين المصدر والموضع والطريق وحدود النصين؛ ولم يصدر هنا حكم مستقل بصحة أي من السندين أو ضعفه. ولا يغني وجود الخبر في كتاب تفسيري عن دراسة رجاله ونسخه وشواهده. لذلك تبقى تفاصيل الهيئة والمدة الواردة في الأخبار في سجل التحقيق، بينما يبقى أصل النفخ والتعاقب والبعث الذي عرضناه قائمًا على الآيات المثبتة في الفصل.

وهذا التفريق يعين القارئ على مراجعة أي نقل مختصر: أين بدأ السند، وأين انتهى المتن، ولأي فعل يعود العدد؟ فقد ينشأ معنى لم يقله المصدر من إسقاط سؤال أو ضم جواب إلى خبر مجاور. وصيانة حدود الرواية جزء من صيانة معناها، كما أن التصريح بما لم يكتمل بحثه جزء من الأمانة في جمعها.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

قال تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: ٧٠].

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢].

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤].

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤].

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٥].

﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦].

﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

إحالات الفصل: النمل ٨٧؛ يس ٤٩-٥٤؛ الزمر ٦٨-٧٥؛ ق ١٩-٢٢، ٤١-٤٤؛ الحاقة ١٣-١٨؛ النبأ ١٧-١٨؛ النازعات ٦-١٤؛ القمر ٦-٨؛ القارعة ٤؛ المؤمنون ١٠١-١٠٣؛ المعارج ١٠-١٤. الميزان في النفختين والاستثناء [م١٣]؛ الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث [م٤٨]؛ مجمع البيان في الراجفة والرادفة [م٢١٣]؛ تفسير القمي، خبر النفختين [م٢١٤] ومطلع خبر المطر قبل البعث [م٢١٥]، مع فصل الطريقين وبيان حدود التحقيق. وجوه نفي الأنساب والتساؤل والجمع بين أحوال الموقف في مجمع البيان [م٢٧٤]؛ احتمال المستثنين وجمع أوصاف القيام في الميزان [م١٣].

# الفصل ٤٤ — الشمس والقمر والنجوم في مشاهد القيامة

## ١. الأنوار التي عرفنا بها الطريق

صحبتنا الشمس والقمر والنجوم في فصول الاهتداء والمنازل والمواقيت. كانت آيات في الانتظام الذي تتيسر به حياة الإنسان، ثم تعود في سور القيامة ضمن خبر تغير ذلك الانتظام. لا ينقض المشهد الثاني الأول؛ فالذي جعلها علامات للناس لم يجعل دوام حالها حقًا ذاتيًا لا يتبدل.

وهذا الرجوع إلى الأجرام المألوفة يقرب معنى التحول إلى القارئ. إنه لا يسمع عن عالم غريب لا صلة له به، بل يرى في الخطاب نهايات ما ألف أن يبدأ به نهاره ويضبط به شهره ويهتدي به في سفره. تتصل نهاية الحكاية ببدايتها، ويظهر الفرق بين الانتفاع بالمخلوق والتعلق به تعلقًا ينسى خالقه.

## ٢. تكوير الشمس

يفتتح المشهد بقوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]. وفي مجمع البيان بيان لأصل التكوير في اللف والجمع، وعرض لأقوال في ذهاب ضوء الشمس أو جمعه أو إلقائها [م٤٩]. نذكر تعدد الوجوه لأن اللفظ لا يتحول بمجرد شرحه إلى مخطط فيزيائي تفصيلي.

ويثبت في سياق السورة تغير حال الشمس، أما تعيين العملية النجمية التي نراها في كتب الفلك على أنها التفسير القطعي، فيحتاج إلى دليل لم تقدمه هذه الآية بمفردها. سبق بحث حياة النجوم في الفصل ٤٠، وتبقى المعرفة بتطورها معرفة في مجالها؛ لا يصبح كل تشابه بينها وبين وصف أخروي دليلًا على وحدة الحدث.

## ٣. الانكدار والانتثار والطمس

قال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢].

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢].

تذكر التكوير ٢ انكدار النجوم، والانفطار ٢ انتثار الكواكب، والمرسلات ٨ طمس النجوم. ينقل الطبرسي في الانكدار التساقط والتناثر عن مجاهد وقتادة والربيع بن خثيم، وتغير الحال من الكدورة عن الجبائي، ويرجح الأول مستدلًا بآية الانتثار [م٤٩]. فنحفظ الفرق بين القول المنقول وترجيح المفسر. وأما الطمس فيشرحه بمحو آثار النجوم وذهاب نورها [م٢١٧]؛ وسيأتي نصه مع سياق يوم الفصل في المبحث الحادي عشر.

لا نساوي بين هذه الألفاظ ومصطلحات الرصد المعاصرة مساواة تلقائية، ولا نفترض أن لفظ الكواكب في كل سياق يطابق حصريًا التعريف الاصطلاحي للكوكب الذي استعملناه في الفصل الفلكي. اللفظ القرآني يقرأ في لسانه وسياقه، والتعريف العلمي يستعمل داخل نظامه التصنيفي؛ وقد يكون بينهما اشتراك من غير تطابق تام.

### ٤. خسوف القمر وجمع الشمس والقمر

قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ [القيامة: ٧].

﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٨].

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩].

﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ [القيامة: ١٠].

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [القيامة: ١١].

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: ١٢].

في القيامة ٧–١٢ يقترن اضطراب البصر بخسوف القمر وجمع الشمس والقمر، ثم يتجه السؤال إلى المفر ويأتي نفي الملجأ. ليست هذه صياغة لتقويم خسوف اعتيادي؛ فالسياق يربطها بالمرجع الأخير للإنسان. ولذلك لا يكفي رصد خسوف دوري للقول إن المشهد الأخروي الوارد في السورة قد تحقق.

ويعرض الطبرسي في معنى الجمع قولًا بأن الشمس والقمر يشتركان في ذهاب الضوء، نقله عن مجاهد وذكر اختيار الفراء والزجاج له، وقولًا آخر باجتماعهما في الطلوع من المغرب، نقله عن ابن مسعود [م٢١٦]. فالجمع في الصفة والجمع في جهة الظهور وجهان مختلفان في التفسير؛ وعرضهما لا يجعل اصطدام الجرمين تفسيرًا لازمًا للآية، ولا يحول الأقوال المنقولة إلى نص قرآني إضافي.

ويمضي السياق من سؤال الفرار إلى ما يواجه الإنسان من عمله:

قال تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣].

﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤].

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: ١٥].

وفي تفسير الآية الثالثة عشرة ينقل الطبرسي، ضمن الوجوه، ما عمله الإنسان في حياته وما سنّه فاستمر العمل به بعد موته، كما يعرض في البصيرة معنى شهادة الجوارح ومعنى معرفة الإنسان بنفسه وعمله [م٢١٦]. وهنا يتصل اضطراب المشهد الكوني بانكشاف السيرة الشخصية: لا ينتهي المقطع عند فقدان الضوء، بل عند عجز المعاذير عن حجب ما قدمه الإنسان. وهذا الاتصال هو الذي يحفظ للآيات وجهتها في الحساب.

### ٥. من اتساع السماء إلى حق الطفلة

قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: ٨].

﴿بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٩].

يشرح مجمع البيان سؤال الموءودة بأنه توبيخ لقاتلها، وينسب هذا الوجه إلى الفراء؛ ثم ينقل عن أبي مسلم وجهًا يجعل المعنى مطالبة القاتل بحجة على قتلها [م٤٩]. يختلف الوجهان في توجيه السؤال، ويتفقان في إظهار جريمة القتل. فلا يصير سؤال الضحية اتهامًا لها، ولا تضيع حرمة حياتها بين مشاهد التحول الكوني. وهذه نسبة للشرح إلى صاحبيه، دون حكم مستقل على أسانيد الأخبار الأخرى في الموضع.

في هذا التجاور درس في طريقة قراءة الكون: ليس موضوع الخالق في القرآن منفصلًا عن العدل بين خلقه. فلا ينبغي أن نجعل النقاش في الكيفيات المحتملة لتكوير الشمس أكثر حضورًا من الحق الذي قرنته السورة بذلك المشهد. وهذه ملاحظة تدبرية في ترتيب الخطاب، لا دعوى أن الآيات اقتصرت على معنى أخلاقي يلغي حقيقة أخبارها.

### ٦. الصحف وما أحضرت النفس

قال تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠].

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١١].

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [التكوير: ١٢].

﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [التكوير: ١٣].

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤].

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١].

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣].

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤].

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥].

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦].

﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧].

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨].

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ [الانفطار: ٩].

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الانفطار: ١٠].

﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١١].

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٢].

يجعل الطبرسي في إعراب سورة التكوير علم النفس بما أحضرت جوابًا لسلسلة الشروط المتقدمة، ويشرح نشر الصحف بإظهار ما كتب فيها من الأعمال ليقرأها أصحابها [م٤٩]. فالصلة بين مشاهد الكون والحساب ظاهرة في تركيب المقطع، وليست موعظة ألحقناها به من خارجه. وفي الانفطار يعود علم النفس بما قدمت وأخرت بعد ذكر السماء والكواكب والبحار والقبور، ثم يأتي خطاب الإنسان وذكر حفظ الأعمال [الانفطار: ١-١٢].

وفي تفسير الانفطار ٥ ينقل الطبرسي عن ابن مسعود وجهًا يضم إلى ما عمله الإنسان ما سنّه فاقتدى به غيره بعده، من خير أو شر [م٢٢٨]. نذكره بوصفه وجهًا تفسيريًا منسوبًا إلى صاحبه، لا حديثًا عن الإمام ولا حكمًا على كل ما يقع بعد موت الإنسان. وتطبيقه التربوي هنا أن يراجع المرء ما ينشره ويعلّمه ويشجع عليه؛ وهذه أمثلة أقدّمها، لا زيادة في المنقول أو تحديد لمقادير الجزاء.

بهذا يتغير السؤال الذي نحمله من الفصل: لا يعود الأمر مجرد رغبة في معرفة مصير الأجرام، بل معرفة ما ينبغي أن نصنع في الوقت الذي ما زلنا ننتفع فيه بضوئها. فالذي يقرأ عن نشر الصحف يستطيع أن يتذكر صدق كلمته اليوم، والذي يسمع عن علم النفس بعملها يستطيع أن يراجع ما يؤخر مراجعته.

### ٧. ما الذي يصح في المقارنة العلمية؟

يمكن أن يذكّرنا العلم بأن للأجرام تاريخًا وتغيرًا، فيزيل وهم ثبات كل ما يبدو ثابتًا للعين. لكن هذه مناسبة عامة في التأمل، وليست رصدًا لليوم الآخر. لا تثبت مشاهد القيامة بمجرد صورة لانفجار نجمي، ولا تتوقف حقيقتها عند المؤمن على نجاح تفسير فلكي اقترحه كاتب.

ويضر بالبحث أن تروى صور الأجرام كما لو كانت صورًا لأحداث لم تقع بعد في عالمنا المشهود. فالتوثيق الجيد للصورة يخبرنا بمصدرها وما تمثله، ولا يمنحها هوية دينية إضافية. أما الأوصاف الأخروية فنثبتها بمصادرها، ونبين ما فهمناه منها وما بقي خارج إحاطتنا.

### ٨. زوال المشهد وبقاء المسؤولية

عظمة الأجرام لا تجعلها مستقلة عن أمر الله، ودقة الحساب الذي تعلمناه عنها لا تعفينا من الحساب الذي يتعلق بأفعالنا. وفي هذا الانتقال تحفظ الحكاية توازنها: نتعلم من السماء النظام، ثم نتعلم من خبر تبدله أن الانتظام الحاضر نعمة مؤقتة بالنسبة إلى حياتنا، لا عقد أمان من كل نهاية.

لا تستدعي هذه القراءة احتقار الدنيا أو كراهية جمالها. بل تدعو إلى شكر النور الذي نرى به، والوقت الذي نعمل فيه، وإلى الكف عن ظلم قد نحاول إخفاءه حتى يمر يوم آخر. فحين يخبر القرآن عن تغير الأنوار، يذكّرنا أيضًا بأن ما صنعناه تحتها لا يضيع.

### ٩. نور المؤمنين والمؤمنات

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٤].

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَاكُمْ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٥].

إلى جانب أخبار تغير الشمس والقمر، تعرض الحديد ١٢-١٥ المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم أمامهم وبأيمانهم، والمنافقين والمنافقات يطلبون الاقتباس منه، ثم يفصل بين الفريقين سور له باب. ينتقل النظر من الأنوار التي اشترك الناس في الانتفاع بها في الدنيا إلى وصف أخروي يتصل بالإيمان والموقف والعمل.

وينقل مجمع البيان وجهًا في النور بوصفه ضياء يراه المؤمنون ويسيرون فيه، ووجهًا يربطه بهداهم، كما يعرض أقوالًا في تفاصيل المشهد [م٩١]. نذكر هذا الاختلاف في الشرح، ولا نحوله إلى قياس لطول موجي أو إلى تصوير يحدد مصدر الإضاءة. كذلك لا نعتمد جميع الأخبار الواردة في الصفحة لمجرد ورودها مع التفسير.

وفي الحوار سؤال عن الصحبة السابقة، وجواب يتحدث عن الفتنة والتربص والارتياب والاغترار بالأماني. القضية أوسع من وجود إنسان إلى جوار آخر في المكان؛ فالمشاركة في ظاهر الجماعة لا تضمن وحدة الباطن والمصير. وهذه دلالة مستفادة من الحوار نفسه، لا إذن لنا بتعيين منافقين من معارفنا أو توزيع النور عليهم من عندنا.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

وتكمل التحريم ٨ المشهد بدعاء المؤمنين بإتمام نورهم والمغفرة لهم. لا يقدم هذا الدعاء صورة للإنسان مستغنيًا عن رحمة الله بما عمل؛ بل يربط السعي بالرجاء. وحين نجمعه مع الحديد نحفظ للخبر اتجاهه التعبدي، فلا ينتهي فصل الأنوار عند وصف زوال ضوء الأجرام وحده.

يمكن للقارئ أن يعود من هذه المقارنة بسؤال عن الصدق: هل يكتفي بانتساب ظاهر، أم يصلح ما بينه وبين الله وما بينه وبين الناس؟ إن الحديث عن نور الآخرة يدعوه إلى مراجعة عمله الآن، من غير اختزال حقيقة الخبر في موعظة تنفي ما أثبته النص.

## ١٠. النور والعمل الذي يسبق الموقف

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨].

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ۖ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد: ١٩].

بعد عرض نور المؤمنين والمؤمنات في صدر المقطع من سورة الحديد، نقرأ هاتين الآيتين المتصلتين بذكر الصدقة والقرض الحسن والإيمان والأجر والنور. يدخل العمل الذي يبذله الإنسان في دنياه في أفق الجزاء، ولا يبقى حديث النور مجرد مشهد بصري منفصل عن حياة صاحبه.

ولهذا لا نستدل على مقام أخروي لشخص من إشراق وجهه في صورة، ولا ننسب نور الآخرة إلى مادة ضوئية حددتها أجهزة الرصد. فالمقام مقام وعد إلهي، وقد عرفتنا الآيات بعض صفاته وصلته بالإيمان والعمل، ولم تعطنا وسيلة دنيوية لفحص سرائر الأفراد أو تعيين مصائرهم.

وتظهر وحدة الباب حين تزول الأنوار التي اعتاد الإنسان الاهتداء بها، ويبقى مسؤولًا عن الاستجابة التي اختارها. يرجع القارئ من هذا المعنى إلى فعل يستطيع أداءه: إحسان لا يفسده المن، أو صدق يحفظ به حقًا، أو تصحيح لما نسبه بغير علم. هذه أمثلة للمراجعة العملية، ولا ندعي بها إحاطة بشروط كل ثواب أو بمقداره.

## ١١. طمس النجوم ويوم الفصل

تجمع سورة المرسلات بين التحول في النجوم والسماء والجبال وبين حضور الرسل ويوم الفصل. ولإدراك هذا الترابط نقرأ المقطع متصلًا، بعد القسم الذي يفتتح السورة:

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ [المرسلات: ٧].

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المرسلات: ٨].

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ [المرسلات: ٩].

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [المرسلات: ١٠].

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات: ١١].

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ [المرسلات: ١٢].

﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ [المرسلات: ١٣].

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ [المرسلات: ١٤].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥].

يفسر مجمع البيان الوعد بالبعث والنشور والثواب والعقاب، ويشرح طمس النجوم بذهاب نورها، وتفريج السماء بشقها، ونسف الجبال باقتلاعها أو إذهابها [م٢١٧]. ثم ينقل في توقيت الرسل وجه جمعهم في يوم القيامة

للشهادة على الأمم، ويشرح يوم الفصل بالقضاء بين الخلائق. وبذلك يجمع المقطع تغير معالم العالم وظهور شأن الرسالة والحكم؛ فلا تستنفد قراءة صورة النجوم وحدها معنى السياق.

ويجيب النص عن السؤال المتعلق باليوم الذي أُجّلت له الرسل بتسميته يوم الفصل. إنه تعيين للموقف الذي تتجه إليه الأحداث، من غير أن يقدم للقارئ تاريخًا يحسبه من عمر نجم أو من دورة جرم. كما أن الانتقال إلى وعيد المكذبين يبين أن الخبر يخاطب موقف الإنسان من الوعد الإلهي، ولا يقتصر على إخبار المشاهد بما سيتغير فوقه.

وعندما نجمع هذا السياق إلى ما سبق من القيامة والتكوير والانفطار، يظهر خيط مشترك في قراءة الفصل: يتغير ما ألفه الإنسان من معالم الاستقرار، ويواجه ما اكتسبه من عمل. هذه ملاحظة في بناء المقاطع، ولا تقتضي أن نرتب جميع أوصافها في جدول زمني تفصيلي واحد.

## ١٢. الظلم وظلمات يوم القيامة

يتصل بحث نور المؤمنين بحديث يرد في الكافي، في كتاب الإيمان والكفر، باب الظلم، الحديث الحادي عشر. يرويه الكليني عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن عيسى، عن منصور، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّهُ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» [م٢١٨].

وقد وصف المجلسي هذا الحديث بعينه بأنه «صحيح» في مرآة العقول، ج ١٠، ص ٣٠١، وقوبل موضع حكمه مباشرة بالنص الإلكتروني للكتاب [م٢١٩]. هذا نقل لحكم المجلسي على الطريق المعين، ولا يتضمن ادعاء إجماع النقاد أو استيفاء دراسة رجالية مستقلة لكل راوٍ.

وفي شرح العبارة نفسها، بعد الخبر السابق في الباب، يعرض المجلسي احتمال الظلمات الحقيقية التي تنكشف مع آثار الأعمال، واحتمال إرادة الشدائد والأهوال، ويربط الاحتمال الأول بنور المؤمنين [م٢١٩]. هذه وجوه في الشرح؛ أما المتن المنقول هنا فموجز، يجمع النهي عن الظلم إلى التحذير من عاقبته يوم القيامة. لذلك نفصل عبارة النبي صلى الله عليه وآله عن التفصيل الذي يذكره الشارح.

وتفيد قراءة الحديث مع آيات الحديد والتحريم المتقدمة أن رجاء النور يستدعي مراجعة العمل. فمن أمثلة هذه المراجعة أن يسأل الإنسان نفسه عن مال احتبسه بغير حق، أو شهادة كتمها، أو إساءة استسهلها لقلة حيلة صاحبها. هذه أمثلة تطبيقية أذكرها، وليست تتمة للحديث. وفيها يعود التأمل من اتساع السماء إلى مسؤولية قريبة يستطيع القارئ أن يبدأ بإصلاحها.

وهكذا يظل ذكر انطفاء الأنوار المألوفة متصلًا برجاء رحمة الله والخوف من ظلم عباده. وفي الفصل التالي ننتقل إلى أوصاف السماء نفسها: انشقاقها وطيّها وتبدلها، مع حفظ كل وصف في سياقه.

ومن الآيات الواردة في إحالات هذا الفصل:

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣].

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤].

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥].

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦].

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧].

﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١].

إحالات الفصل: القيامة ٧–١٥؛ المرسلات ٧–١٥؛ التكوير ١–١٤؛ الانفطار ١–١٢؛ الحديد ١١–١٥، ١٨–١٩؛ التحريم ٨. التفسير: مجمع البيان في التكوير [م٤٩]، والحديد [م٩١]، والقيامة [م٢١٦]، والمرسلات [م٢١٧]. الرواية: الكافي، باب الظلم، ح ١١ [م٢١٨]؛ حكم المجلسي وشرحه في مرآة العقول [م٢١٩]. ولحدود المقارنة العلمية بالخبر الأخروي: الفصلان ٤٠–٤١. ترجيح معنى الانكدار، ووجها سؤال الموءودة، وجواب الشروط ونشر الصحف في مجمع البيان [م٤٩]؛ تفسير ما قدمت النفس وأخرت في الانفطار [م٢٢٨].

# الفصل ٤٥ — السماء يوم القيامة — الانشقاق والطيّ والتبدل

## ١. السماء التي ألفنا تماسكها

نظرنا في الفصول السابقة إلى بناء السماء وانتظام المشهد الذي يظهر لنا فيها. أما سور القيامة فتذكر الانشقاق والانفطار والفرج والطي والكشط. يلتقي هذا التنوع في الإخبار بأن النظام المألوف لا يستمر على حاله، لكنه لا يسلمنا رسمًا واحدًا نستغني به عن قراءة كل موضع.

قال تعالى: ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦].

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١].

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ [المرسلات: ٩].

وفي الحاقة ١٦ يقرن انشقاق السماء بوصف الوهن، ثم يأتي ذكر الملائكة والعرض. وفي الانفطار ١ تبدأ السورة بانفطارها، وفي المرسلات ٩ يرد فرجها. يستوقفنا انتقال ما بدا للإنسان عظيم التماسك إلى حال لا يتحكم فيها، ليجد أن عجزه عن تصور النهاية لا يحول المخلوق إلى أزلي.

## ٢. الانشقاق وطاعة الأمر

قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١].

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ٢].

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣].

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٤].

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ٥].

يأتي انشقاق السماء في مطلع السورة مقرونًا بإذعانها لربها، ثم يرد نظير ذلك في الأرض حين تمد وتلقي ما فيها. ويشرح الطبرسي الإذن هنا بالاستماع والطاعة على سبيل التوسع في التعبير عن انقياد المخلوق للتدبير، ويبين أن تكرر الآية في الموضعين متعلق أولًا بالسماء وثانيًا بالأرض [م٢٢٠]. فالمشهد كله يجري تحت الأمر الذي قام به الخلق ابتداء.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].

ويشرح مجمع البيان الكدح بالسعي والدأب في العمل، ويعرض في اللقاء وجه لقاء جزاء العمل، ووجه الصيرورة إلى حكم الله الذي لا يستقل أحد بالحكم دونه [م٢٢٠]. وهكذا ينتقل الخطاب من طاعة السماء والأرض إلى الإنسان الذي يحمل عمله إلى الحساب. فاللقاء في هذا الشرح لا يرسم مسافة إلى موضع تحل فيه الذات الإلهية، بل يبين نهاية السعي وما يلقاه صاحبه من الجزاء.

### ٣. طي السماء كطي السجل

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

تذكر الأنبياء ١٠٤ طي السماء وتشبهه بطي السجل، ثم تصل بين بدء الخلق وإعادته والوعد الإلهي. وفي مجمع البيان يشرح الطبرسي الطي بالمعنى المعروف مع نسبته إلى قدرة الله، وينقل قولًا بذهاب السماء عن الحس. ثم يفسر السجل بالصحيفة التي تحمل الكتابة، ضمن أقوال أخرى، ويعرض في الإعادة وجه الاستدلال بالقدرة على الابتداء [م٥١]. فذكر الصحيفة يوضح طرف التشبيه في هذا الوجه، ولا يثبت أن السماء من جنس مادة الصحف.

يقرب التشبيه هيئة من خبرتنا إلى معنى يخبر به الوحي. ولا يلزم أن يكون كل ما نعرفه عن الورق والمادة مطابقًا لكل خصائص السماء. فنحن نفهم أصل الطي والخضوع للقدرة من غير أن نستخرج أبعادًا هندسية أو تركيبًا ماديًا لم يذكرهما النص.

### ٤. لماذا لا يثبت الطي نموذجًا كونيًا بعينه؟

قد يقترح كاتب ربط الآية بانكماش كوني مفترض أو بظاهرة من ظواهر الجاذبية. ولكي يصح هذا الربط يحتاج إلى أكثر من التشابه بين كلمة الطي وصورة الانطواء. عليه أن يبين الدلالة اللغوية، وحدود النموذج العلمي، ولماذا يختص هذا النموذج دون بدائل أخرى بالمعنى المراد.

ولا ينتج من رفض الجزم بهذه المطابقة إنكار التحول الذي تخبر به الآية. إنما نفرق بين الخبر وبين الشرح الذي أضفناه إليه. فإذا تغيرت الفرضية التي استأنس بها الباحث، لم يتغير لفظ الآية ولم تصبح دلالتها رهينة بذلك التغير. وقد تقدم ميزان فحص هذه الدعاوى في الفصل ٤١.

### ٥. الوردة والدهان

قال تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧].

في الرحمن ٣٧ يأتي وصف السماء عند انشقاقها بأنها وردة كالدهان. يعرض الطبرسي وجوهًا تتعلق باللون وتبدله، وبالورد أو الفرس الورد، وبالدهن أو الأديم الأحمر في تفسير الدهان [م٥٠]. ما نحتاجه هنا هو حفظ تعدد الوجوه، وألا نعامل ترجمة واحدة للكلمة بوصفها تعريفًا فيزيائيًا متفقًا عليه.

ليس تشابه صورة لسديم مع وردة برهانًا على أنها الصورة التي تصفها الآية. فالصورة الفلكية تشير إلى جرم معين، بينما الآية في سياق التحول الأخروي. وقد يصلح التشابه البصري لتقريب فكرة إلى الخيال إذا صُرّح بأنه تشبيه من عندي؛ لكنه لا يصح توثيقًا لوقوع ذلك الحدث أو تصويرًا حقيقيًا له.

### ٦. السماء كالمهل وكشطها

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٨].

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١١].

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٩].

تصف المعارج ٨ السماء بالمهل، ويتلو ذلك وصف الجبال بالعهن. ويعرض مجمع البيان في المهل وجوهًا منها دردي الزيت، أي ما يبقى فيه من عكر، وعكر القطران، والفضة أو الصفر إذا أذيبا [م٢٢١]. وتساعد هذه الوجوه على فهم صورة تغير الهيئة والسيولة في التشبيه؛ أما تعيين مادة كيميائية واحدة للسماء من بينها فلا تدل عليه أداة التشبيه وحدها.

وفي الكشط يشرح الطبرسي أصل اللفظ بالقلع بعد شدة الالتصاق، ويذكر في الآية إزالة السماء عن موضعها، أو قلعها كالسقف، أو كشفها عمن فيها [م٤٩]. وبذلك يتميز الكشط، من جهة اللغة، من تشبيه السماء بالمهل. ويظل كل وصف داخل مقطعه: المعارج تصل التحول بهول العلاقات بين الناس، والتكوير تصل مشاهدها بعلم النفس بما أحضرت.

وتفيد المقارنة الموضوعية في إظهار اشتراك الأوصاف في التحول، مع إبقاء خصوصية كل صورة. فالانشقاق ليس في اللفظ عين الطي، والكشط ليس اسمًا بديلًا لكل ما سبق. لكن تعيين هل هي مراحل متتابعة، وكيف تتصل، لا يستفاد من اختلاف الكلمات وحده.

### ٧. الملائكة والعرش في مشهد العرض

قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

تذكر الحاقة ١٧ الملائكة وحمل العرش يومئذ، ويتبعها خبر العرض في الآية ١٨. ويجب أن ترافق هذا الموضع قاعدة التنزيه التي تقررت في الفصل ١٤؛ فلا يجعل القارئ الخالق جسمًا يحتاج إلى مكان يحمل فيه، ولا يصنع من ذكر العرش وصفًا تشريحيًا للذات الإلهية.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥].

كما تذكر الفرقان ٢٥ تشقق السماء ونزول الملائكة. نثبت هذه العلاقة بحسب النص، ونترك ما لم يسمه من الهيئات والمقادير إلى الدليل الخاص إن وجد. وليس في ذكر عدد في موضع أو جماعة في موضع آخر إذن برسم خريطة لجميع الملائكة ووظائفهم وأماكنهم.

وفي شرح «بالغمام» ينقل مجمع البيان عن أبي علي الفارسي وجه المصاحبة، أي تتشقق السماء وعليها غمام، وعن الفراء وجه الانشقاق عن الغمام الأبيض [م٢٧٥]. يبين اختلاف الوجهين أثر حرف الجر في فهم العلاقة بين الانشقاق والغمام، ولا يثبت وحده أن السحاب الدنيوي الذي نصفه في علم الطقس هو بعينه كيفية هذا المشهد. هذه مقارنة لغوية منقولة؛ أما تعيين الهيئة والمقادير فيحتاج إلى دليل زائد.

### ٨. افتتاح السماء والتمييز بين السياقات

قال تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النبأ: ١٩].

يفسر الطبرسي فتح السماء في النبأ ١٩ بشقها لنزول الملائكة، ويشرح صيرورتها أبوابًا بمعنى كونها ذات أبواب، ثم يورد وجهًا بأنها تصير ذات طرق لم تكن فيها من قبل [م٢٧٦]. يقع ذلك في سياق يوم الفصل والنفخ والإتيان أفواجًا. فالشرح يعين المعنى الذي يتناوله المصدر، لكنه لا يحدد عدد هذه الأبواب أو أبعادها، ولا يمنح لفظ «الطرق» تعريفًا لظاهرة فيزيائية حديثة.

لذلك لا ننقل تفسيرًا وضع لآية إلى أخرى لمجرد وجود كلمة مشتركة. وقد تكون مناسبة كل موضع لحجته أقوى من رغبتنا في بناء نموذج شامل. سلامة الجمع تبدأ باحترام الفروق، ثم لا نصل بين النصوص إلا بقدر ما يسمح به دليلها.

وترد بعد هذا الشرح في صفحة التفسير رواية مطولة عن أصناف من المحشورين [م٢٧٦]. الاستشهاد بشرح الأبواب لا يعني اعتماد تلك الرواية أو تصحيح طريقها؛ فحدود المقطع المستعمل هنا هي تفسير الآية، وما عداه يبقى محتاجًا إلى تحقيقه الخاص. هذا التمييز يمنع أن يحمل رابط صفحة واحدة القارئ على الظن بأن الكتاب يتبنى كل ما جمعته الصفحة من تفسير ونقل.

### ٩. من الإعادة إلى الوفاء بالوعد

يقترن الطي في الأنبياء ١٠٤ بوعد الإعادة؛ فلا تقف القراءة عند صورة انقضاء العالم. يعود سؤال البداية الذي افتتح الكتاب هنا بوصفه حجة على القدرة، ويظهر أن نهاية الحال المألوفة لا تعني خروج الخلق عن العلم الإلهي أو ضياع مصيرهم.

أما الرسم الذي يمكن أن نصنعه لشرح معاني الطي أو الانشقاق فهو وسيلة تعليمية محدودة. إذا استخدمناه وجب أن يعرف القارئ أنه تقريب للفظ، وأنه لا ينقل مشاهدة للغيب. وقد يكون ترك الرسم أصدق حين يوهم من التفاصيل أكثر مما يبين من المعنى.

### ١٠. ألفاظ متشابهة في سياقات مختلفة

قبل الآيات التي تنكر نسبة الولد إلى الرحمن، يرد في سورة مريم هذا المقطع:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣].

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٤].

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦].

﴿لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧].

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨].

﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ [مريم: ٨٩].

﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠].

﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩١].

﴿وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢].

في مريم ٨٨-٩٢ يرد اقتراب تفطر السماوات وانشقاق الأرض وخرور الجبال في سياق إنكار نسبة الولد إلى الرحمن. وقد تبدو الألفاظ قريبة من ألفاظ مشاهد القيامة، لكن موضوع الخطاب المباشر مختلف: هنا تعظيم لبشاعة القول وردّه، لا سرد مستقل لمراحل التحول الأخير.

ويعرض مجمع البيان عند هذا الموضع وجوهًا في فهم هذا التعظيم وما ورد في لغته [م٩٣]. لذلك لا يصح انتزاع الجملة من سياقها ووضعها في قائمة أحداث مؤرخة كما لو أن الآيات جميعًا تتناول الحال نفسها. المقارنة بين المواضع مفيدة حين تكشف اشتراك اللغة واختلاف المقصد، وتصبح مضللة إذا ألغت الفرق.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩].

﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور: ١٠].

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الطور: ١١].

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ [الطور: ١٢].

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣].

﴿هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [الطور: ١٤].

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥].

﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦].

وفي الطور ٩-١٦ يأتي مور السماء وسير الجبال متصلين بوعيد المكذبين، ثم يواجهون بما كانوا يكذبون به. هنا يظهر السياق الأخروي بوضوح في صلة التحول بالجزاء. ليست العناية بالسياق قيدًا شكليًا، إنها ما يحدد السؤال الذي تجيب عنه الآية أصلًا.

ولنفرض أن قارئًا جمع الكلمات المتصلة بالسماء وحدها، وأسقط ما قبلها وما بعدها. قد يحصل على صور قوية، لكنه يخسر المخاطب والحجة والغاية. ثم إذا حاول ترتيب تلك الصور صار يبني على مقتطفات حرمها بنفسه من القرائن التي تضبطها.

ولهذا نقرأ تشقق السماء في موضعه، ثم نعود إلى النصوص الأخرى للمقارنة. لا ننفي حقيقة التحول لوجود لغة تصوير، ولا نجعل كل تصوير وصفًا لمرحلة مادية مستقلة. وتبقى الخريطة الموضوعية للآيات وسيلة للرجوع إلى السياقات، لا بديلًا عن قراءتها كاملة.

### ١١. القدرة على الإذهاب والإتيان بخلق جديد

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩].

قال تعالى: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ٢٠].

تذكر الآيتان خلق السماوات والأرض بالحق والقدرة على إذهاب المخاطبين والإتيان بخلق جديد. وهذا تقرير لسعة القدرة وانتفاء العجز، يقرب في سياق الكتاب معنى أن النظام المألوف ليس قيدًا على خالقه. لكنه ليس وحده تفصيلًا لكيفية طي السماء أو وصفًا لجميع مراحل القيامة.

ويحفظ هذا الفرق بين المقامات انسجام الاستدلال: آية تتحدث عن القدرة والخلق بالحق، وأخرى تخبر عن طي السماء وإعادة الخلق، وثالثة تصف الانشقاق. نجمع دلالاتها دون أن نسوي كل تركيب لغوي بواقعة مفصلة واحدة. وقد رأينا في مبحث مريم أن تشابه لفظ التفطر لا يغني عن قراءة السبب والسياق.

والقيمة العقدية التي يحملها هذا الجمع لا تحتاج إلى ربط حتمي بنموذج عن انكماش الكون أو نهايته الحرارية. لكل نموذج مقدماته ومجال استعماله، أما نسبة القدرة والوعد إلى الله فمن جهة النص الذي نقرؤه. يمكن أن يوسع العلم معرفتنا بالعالم المشاهد مع بقاء خبر المصير محتاجًا إلى دليله الخاص.

### ١٢. طي السماوات في سياق القدرة والتنزيه

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

تبدأ الآية بإنكار عدم تعظيم الله حق تعظيمه، وتختم بتنزيهه عن الشرك. وبين الطرفين يرد ذكر الأرض والسماوات. وفي تفسير هذا الموضع يشرح الطبرسي القبضة بكمال الاقتدار على الأرض، مستندًا إلى استعمال العرب اليد والقبضة فيما يهون التصرف فيه، ويشرح الطي بالقدرة واليمين بتأكيد الاقتدار والملك [م٢٢٢]. وقراءة العبارة مع فاتحتها وخاتمتها تحفظ جهة التوحيد التي يقوم عليها المقطع.

وفي كتاب التوحيد للصدوق، الباب السابع عشر، الحديث الثاني، يرد خبر في تفسير الآية، من طريق أحمد بن محمد بن الهيثم العجلي، عن أحمد بن يحيى بن زكريا القطان، عن بكر بن عبد الله بن حبيب، عن تميم بن بهلول، عن أبيه، عن أبي الحسن العبدي، عن سليمان بن مهران، عن أبي عبد الله عليه السلام [م٢٢٣]. وفي السند بكر بن عبد الله بن حبيب المزني، وقد وصفه محمد الجواهري في المفيد من معجم رجال الحديث بأنه «مجهول» [م٢٢٥]؛ لذا لا نقدّم هذا الطريق بوصفه صحيحًا، ولا نجعل موافقة مضمونه للتنزيه بديلًا من إثبات سنده.

يسأل سليمان في الخبر عن القبضة، فيأتي الجواب بمعنى اختصاص الله بالملك، ثم عن اليمين، وفي الجواب: «اليمين اليد، واليد القدرة والقوة»، ويعقب ذلك تفسير طي السماوات بقدرته وقوته [م٢٢٣]. هذا اقتباس من جواب الخبر وتلخيص لموضع الشاهد، وليس نقلًا لتمام الرواية؛ إذ تتضمن أيضًا تفصيلًا لاستعمال القبض في مواضع أخرى. كما لا نخلط هذا الطريق بطريق الخبر السابق له في الباب.

والحاصل من الجمع في هذا الموضع أن الآية القرآنية هي أصل القراءة، وأن تفسير الطبرسي والخبر المنقول عند الصدوق يذكران وجه القدرة في شرح ألفاظها، مع اختلاف نوع المصدر وحال الاستناد إليه. فلا توضع للذات الإلهية هيئة جسمانية في رسم يشرح الطي، ولا ينتقل حكم راوٍ في هذا الطريق إلى الحكم على جميع أخبار التنزيه. وقد تقدم أصل هذا البحث في الفصل ١٤؛ والمقصود هنا تطبيقه على مشهد السماء.

وتتلو هذه الآية في الزمر آية النفخ المدروسة في الفصل ٤٣. يربط هذا التجاور خبر التحول بسيادة الأمر الإلهي، مع بقاء البحث في تسلسل النفخ وما استثني منه في موضعه، فلا نكرر تفاصيله هنا.

### ١٣. انفطار السماء والوعد الذي يصير تذكرة

قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧].

﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: ١٨].

﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٩].

يتوسط خبر انفطار السماء سؤالًا عن الاتقاء من هول اليوم، ودعوة إلى اتخاذ السبيل إلى الله. ويشرح الطبرسي جعل الولدان شيبًا بوصف شدة ذلك اليوم، على نحو ما يستعمل في العربية لتعظيم الأمر الذي يشيب منه الوليد. ويعرض في انفطار السماء معنى انشقاقها في ذلك اليوم أو بسببه، وينقل وجهًا آخر بأمر الله وقدرته [م٢٢٤]. فقراءة الآية الثامنة عشرة وحدها تحجب هذين الجانبين من سياقها: التحذير الذي يسبقها والتذكرة التي تليها.

ويفسر مجمع البيان تمام الوعد بوقوعه من غير خلف، والتذكرة بالموعظة التي يعمل بها الإنسان [م٢٢٤]. لذلك لا تترك هذه الخاتمة القارئ عند مراقبة السماء، بل ترده إلى اختياره وسعيه. ومثلما انتهى مطلع الانشقاق إلى الكدح واللقاء، ينتهي هذا المقطع إلى السبيل الذي يستطيع المخاطب أن يتخذه.

وفي ضوء هذه المقاطع يتضح مقصد الفصل: تتنوع أوصاف التحول، وتبقى متصلة بالقدرة والوعد والحساب. أما الأرض التي يعيش عليها الإنسان والجبال والبحار التي عرفها، فلها في النصوص أوصاف أخرى نتابعها في الفصل التالي.

إحالات الفصل: الأنبياء ١٠٤؛ الزمر ٦٧؛ الفرقان ٢٥؛ الرحمن ٣٧؛ الحاقة ١٦-١٨؛ المعارج ٨-٩؛ المزمل ١٧-١٩؛ المرسلات ٩؛ النبأ ١٩؛ التكوير ١١؛ الانفطار ١؛ الانشقاق ١-٦؛ مريم ٨٣-٩٢؛ الطور ٩-١٦؛ إبراهيم ١٩-٢٠. التفسير: مجمع البيان [م٤٩-م٥١، م٩٣، م٢٢٠-م٢٢٢، م٢٢٤]. الرواية: التوحيد للصدوق، ب ١٧ ح ٢ [م٢٢٣]، مع بيان ملاحظة رجالية في الطريق من المفيد [م٢٢٥]. ولأصل التنزيه وحدود المقارنة العلمية: الفصلان ١٤ و٤١. مجمع البيان في وجهي «بالغمام» في الفرقان [م٢٧٥]، وفتح السماء والأبواب في النبأ [م٢٧٦]، مع فصل التفسير المستعمل عن الأخبار المجاورة.

# الفصل ٤٦ — الجبال والأرض والبحار عند التحول

## ٠١. حين تتغير علامات الثبات

للجبال في خبرة الإنسان معنى الرسوخ، وللأرض معنى القرار، وللبحار حدود يعرف بها موضع اليابسة. وعندما يخبر القرآن عن سير الجبال ورج الأرض وتغير البحار، فإنه يرد القارئ إلى ما ألف ثباته ليبين أن ألفته لا تمنح الأشياء بقاءً مستقلًا.

ولا يناقض ذلك ما عرضناه عن صلاح الأرض للحياة. فالتهيئة الدنيوية والتحول الأخروي متعلقان بحالين مختلفين، ولا يلزم من صدق أحدهما نفي الآخر. كانت الأرض موطنًا للأعمال، ثم تظهر في الخبر الأخروي ضمن المشهد الذي تنكشف فيه نتائجها.

## ٠٢. رج الأرض ودكها

قال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ [الواقعة: ٤].

﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة: ٥].

﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا﴾ [الواقعة: ٦].

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣].

﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤].

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٥].

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١].

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣].

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤].

تجمع الواقعة بين رج الأرض وبس الجبال وصيرورتها هباء منبثًا. وفي شرحها يبين الطبرسي الرج بالتحريك الشديد المصحوب بالاضطراب، وينقل في البس التفتيت والتكسير والقلع والتسيير، ثم يشرح الهباء بالغبار الدقيق المتفرق

الذي يظهر في شعاع يدخل من نافذة [م٢٢٦]. تبرز هذه الشروح الانتقال من الكتلة الراسخة إلى أجزاء متفرقة، من غير أن تحصر اللفظ في قياس مخبري لحجم تلك الأجزاء.

وتجمع الحاقة ١٣-١٥ بين النفخ وحمل الأرض والجبال ودكهما ووقوع الواقعة. أما الفجر ٢١-٢٤ فيصل دك الأرض بتذكر الإنسان وتحسره على ما لم يقدمه لحياته. وذكر مجيء الرب يقرأ مع أصل التنزيه الذي تقدم في الفصل ١٤ وطبقناه في الفصل ٤٥؛ فلا يحوّل خبر الموقف إلى وصف انتقال جسم في مكان.

وفي شرح الفجر ٢١ يعرض الطبرسي كسر ما على الأرض من جبل وبناء وشجر، وينقل وجه مدها عن ابن عباس وتسوية مرتفعاتها عن ابن قتيبة [م٢٧٧]. اختلاف هذه العبارات لا يعطينا وحده عدد مراحل الحدث. وعند الآية التالية ينقل عن الحسن والجبائي تفسير المجيء بالأمر والقضاء والمحاسبة، وعن أبي مسلم مجيء الأمر الذي لا أمر معه، ويصرح بتنزيه الله عن المجيء والذهاب الجسمانيين. فالتنزيه هنا مؤيد بشرح الموضع نفسه، لا بمجرد إحالة إلى بحث سابق.

نثبت هذا الاقتران من غير أن نجعل كل لفظ مقياسًا لزلزال من النوع الذي تسجله أجهزة الأرض الحالية. كان الفصل ٣١ عن أسباب الظواهر الأرضية التي ندرسها في حاضرنا؛ أما هنا فمصدر الخبر نصوص الآخرة، وحدود المقارنة بينها وبين الحوادث الطبيعية لا تزول بمجرد اشتراكها في لفظ الاهتزاز.

### ٣. سؤال الجبال وجواب النسف

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥].

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: ١٠٦].

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧].

في طه ١٠٥-١٠٧ يرد السؤال عن الجبال، ويأتي الجواب بنسفها ثم ذكر القاع الصفصف. ويشرح مجمع البيان النسف بتفريق الجبال وإزالة أثرها، ويذكر في القاع الأرض الملساء أو المنكشفة، وفي الصفصف استواء الموضع الذي لم يبق فيه أثر للجبل. ويعرض في نفي العوج والأمت نفي الانخفاض والارتفاع أو الوادي والرابية [م٢٢٧]. تتكامل الألفاظ هنا في وصف زوال التضاريس المألوفة؛ ولا يكفي استبدالها بكلمة عامة مثل الدمار لإظهار ما خص به السياق سطح الأرض.

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

ثم تتصل الآيات باتباع الداعي وخشوع الأصوات والعلم الإلهي والحضور [طه: ١٠٨-١١٢]. فاستواء المشهد ليس غاية الخبر الأخيرة؛ إنه يأتي في سياق عجز الناس عن الاختفاء أو اتخاذ التواءات المكان مهربًا من الموقف. هذا استنباط من اتصال الآيات، لا إضافة جغرافية تحدد شكل أرض المحشر بأبعاد.

### ٤. العهن والهباء والسراب

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣].

قال تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٩].

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤].

﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠].

تذكر القارعة ٥ الجبال كالعهن المنفوش، وتذكر المعارج ٩ تشبيهها بالعهن، وتذكر المزمل ١٤ الكثيب المهيل، وتذكر النبأ ٢٠ سيرها وصيرورتها سرابًا. تحمل هذه الصور مقابلة قوية بين ما عرفناه كثيفًا متماسكًا وما يخبر به النص من زوال حاله.

ويعرض مجمع البيان عند تفسير الكهف ٤٧ وجهًا يجمع الأوصاف في ترتيب: تسيير الجبال، ثم صيرورتها كثيبًا مهيلًا، فعهنًا منفوشًا، فهباء منبثًا، ثم بمنزلة السراب [م٢٢٩]. نسجل هذا الجمع بوصفه وجهًا تفسيريًا منقولًا، ولا نضيف إليه مددًا زمنية لم يذكرها. كما أن عرض هذا الوجه لا يساوي ثبوت حديث مستقل بهذا التسلسل؛ فتمييز كلام المفسر من الرواية لازم عند جمع صور الآيات.

**٥. حركة الجبال بين موضعين من البحث**

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧].

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

تذكر النمل ٨٨ مرور الجبال بعد آية النفخ والفزع. ويحتاج من يستدل بها على حركة في عالمنا الحاضر إلى مناقشة هذا السياق، لا إلى حذف ما قبله والاكتفاء بتشابه صورة الحركة. ولا يحسم هذا الفصل جميع الأقوال في الآية؛ إنما يسجل أن تحديد زمان المشهد مسألة تفسيرية سابقة على أي مطابقة.

ويعين مجمع البيان موضع هذا الوصف عند إزالة الجبال من أماكنها للتلاشي، ويقابله بتشبيهها بالعهن المنفوش. وينقل سرعة سيرها عن ابن عباس، ويشرح توهم وقوفها ببعد أطرافها، مستشهدًا بصورة جيش كثيف يبدو للناظر واقفًا مع حركته [م٢٧٨]. هذا بيان لقراءة الطبرسي وحجته التصويرية؛ فلا نقدمه إجماعًا على جميع أوجه الآية، ولا نضع مكانه نظرية جيولوجية ثم ننسبها إليه.

وحين نقرر أن الصفائح تتحرك أو أن للجبال تاريخًا جيولوجيًا، لا نكون قد عيّنا بذلك المراد من كل آية تتحدث عن حركتها. لقد استفدنا من المصادر العلمية في موضعها، ونحفظ هنا الفرق بين الحقيقة المقيسة وبين الاستدلال على مدلول النص.

ويشرح الطبرسي الإتقان في ختام الآية بالإحكام والاتساق، ثم يصل العلم بالأفعال ببيان جزاء الفريقين في الآيات التالية [م٢٧٨]. لذلك لا يكفي الاحتجاج بلفظ الإتقان وحده لنقل المشهد إلى زمن آخر، بل يلزم بيان علاقة هذا الاختيار بما قبله وما بعده. هذا تنبيه منهجي أقدّمه في تقويم المطابقة، مع إبقاء قول المفسر متميزًا من كل ترجيح قد يقترحه باحث آخر.

**٦. تسجير البحار وتفجيرها**

قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦].

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣].

تذكر التكوير ٦ تسجير البحار، وتذكر الانفطار ٣ تفجيرها. وفي مجمع البيان وجوه في التسجير، منها الامتلاء واتصال البحار، ومنها الإيقاد، ومنها ذهاب الماء [م٤٩]. أما التفجير فيشرح أصله بفتح مواضع الماء بعضها إلى بعض، وينقل في الآية اختلاط العذب والملح حتى تصير البحار بحراً واحداً، وقولًا آخر بذهاب الماء [م٢٢٨]. فبين بعض الوجوه تقارب، مع بقاء اللفظين مختلفين؛ ولا تقتضي المقارنة جمع كل قول في وصف واحد مقطوع به.

ولا يكفي وجود الماء في المشهد لكي نختار له آلية كيميائية ونزعم أن الآية شرحتها. فالنص لم يعين تركيب الحدث ولا خطواته. كما لا يساوي تغير مستوى البحر أو وقوع موجة شديدة في عصرنا تحققًا تلقائيًا لهذا الخبر؛ إذ لا يستقيم حمل وصف أخروي عام على حادث محدود لمجرد أنه مخيف.

## ٧. الأرض التي تحدث أخبارها

قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١].

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢].

﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ [الزلزلة: ٣].

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤].

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥].

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦].

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٨].

تفتتح الزلزلة بزلزال الأرض وإخراج أثقالها، ثم تذكر حديثها بأخبارها بإيحاء ربها، وتنتهي برؤية الأعمال صغيرها وكبيرها [الزلزلة: ١-٨]. تنتقل الأرض في هذا السياق من مكان يسير عليه الإنسان إلى شاهد يدخل في انكشاف ما عمله.

لا نحتاج، لفهم هذا المعنى الإيماني، إلى افتراض جهاز تسجيل مادي مختبئ في الصخور. ولم تحدد الآيات كيفية حديثها بمصطلحات الصوت التي ندرسها في المختبر. نثبت الخبر كما ورد، ونميز منه الشرح التخيلي الذي قد يقترحه واعظ أو فنان لتقريب المشهد.

## ٨. القبور والوحوش في المشهد

قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤].

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥].

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥].

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣].

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٤].

في الانفطار ٤ بعثرة القبور، وفي التكوير ٥ حشر الوحوش، وفي الانشقاق ٣–٤ مد الأرض وإلقاؤها ما فيها. يتجاوز التحول ما تراه العين على السطح اليومي؛ يدخل فيه من غاب في القبور وما عاش من مخلوقات لا يجعلها الإنسان عادة مركز حكايته.

يثبت ذكر حشر الوحوش في الآية، أما تفاصيل مآل كل نوع وكيفية جزائه فتحتاج إلى دراسة مستقلة للروايات وأقوال المفسرين. ولا يدل إقرار أصل الحشر على أن الكتاب استكمل تلك التفاصيل. يحال التوسع في حياة الحيوان وخصائصه إلى كتابه من السلسلة، مع إبقاء موضعه القرآني حاضرًا هنا.

## ٩. بين الحدث المحلي والتحول العام

قد يذكر زلزال أو فيضان الإنسان بضعفه، وهذه عبرة يستطيع أن يأخذها لنفسه. لكن الحكم على كل مصاب بأنه عقوبة معينة، أو على كل كارثة بأنها علامة محددة للساعة، يحتاج إلى دليل لا توفره المشاهدة وحدها. وقد سبق في باب الأرض التحذير من جعل معاناة الناس مادة لاستنتاجات غير موثقة.

ومن الوفاء بمعنى الأمانة أن يقودنا التأمل في هشاشة حياتنا إلى إغاثة المنكوب وحماية الضعيف وحفظ ما نستطيع حفظه. لا يصير انتظار الآخرة عذرًا لإهمال الأرض الآن؛ فالعمل فيها نفسه مما يعود أثره على الإنسان عند انكشاف حسابه.

### ١٠. ثبات الحق بعد زوال المعالم

إذا زالت الجبال التي كان الإنسان يستدل بها، لم يزل علم الله بما فعل بينها. وإذا تغيرت البحار التي قطعت بين الأمم، لم يجعل ذلك ظلم أمة لأخرى أمرًا ضائعًا. هذه ثمرة تدبرية تستند إلى اجتماع التحول والجزاء في الآيات، ولا تضيف خبرًا عن كيفية لم يذكرها النص.

وهكذا تقودنا نهاية هذا الفصل إلى سؤال الأرض التي يقوم عليها الحشر. لقد عرفنا أن الحال المألوفة تتبدل، وبقي أن نقرأ ما أخبر به القرآن عن التبديل نفسه، وما ورد في الروايات من أوصاف يحتاج جمعها وفهمها إلى عناية خاصة.

### ١١. أخبار الأرض بين النص ووجوه الشرح

يربط مجمع البيان حديث الأرض بما عمل عليها، ثم يذكر وجوهًا في كيفية إظهار أخبارها: إحداث الكلام فيها، أو تمكينها من النطق، أو ظهور ما يؤدي معنى الشهادة [م٩٢]. هذه وجوه يعرضها المفسر، ولا يقتضي تسجيلها أن نختار أحدها شرحًا قطعيًا أو أن ننسب الجميع إلى حديث واحد.

والفرق بين ثبوت الخبر والبحث في كيفيته واضح هنا. الآية تسند التحديث إلى الأرض وتربطه بوحي ربها، أما تصور الأعضاء والأصوات والآلات فهو من التفصيل الذي لا تمنحه لنا ألفاظها وحدها. لا نحتاج إلى استعارة تقنية معاصرة لكي نجعل الخبر ممكنًا في الإيمان، ولا يصبح التشبيه التقني دليلًا على مراد النص.

### ١٢. مثقال الذرة ووزن الفعل الصغير

تنتهي السورة برؤية الخير والشر وإن كانا بمقدار صغير [الزلزلة: ٧–٨]. وليس المقصود أن نجعل لفظ الذرة في هذا السياق اسمًا حصريًا لبنية الذرة في الفيزياء الحديثة، ثم نستخرج منه قانونًا لقياس الأعمال بالطاقة. إن نقل الاصطلاح بين مجالين يحتاج إلى دليل يتجاوز اشتراك الاسم.

قد يستهين الإنسان بكلمة جارحة لأنه نسيها بعد دقائق، بينما يبقى أثرها عند من سمعها. وقد ينسى عونًا قليلًا قدمه، ويظل عند المحتاج ذا شأن. هذه أمثلة تأملية تقرب المسؤولية عن العمل الصغير، ولا تحدد لنا كيفية الجزاء ولا مقداره.

ويذكر الطبرسي في مناقشة ختام السورة التوبة والعفو عند بحث عموم الجزاء [م٩٢]. لذلك لا نقتطع آية الجزاء لنغلق بها باب الرحمة الذي أثبته القرآن، كما لا نستعمل الرجاء لمحو مسؤولية الفاعل. نجمع النصوص التي تبين العدل والمغفرة، ونترك الحكم النهائي لله.

بهذا تصل الأرض التي تتبدل إلى أعمال كانت تجري عليها يومًا بعد يوم. والمرء الذي لا يستطيع أن يمنع تحولها يستطيع الآن أن يكف عن ظلم وأن يؤدي حقًا؛ وهذه المساحة القريبة هي موضع الاستجابة العملية لخبر بعيد عن إحاطتنا.

## ١٣. الأرض الشاهدة والجوارح التي تشهد

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥].

عرضت سورة الزلزلة تحديث الأرض بأخبارها، وتذكر آيتا النور شهادة الألسنة والأيدي والأرجل بما كان الناس يعملون. بذلك تتسع صورة الشهادة من الموطن الذي جرى فيه العمل إلى الجوارح التي باشرت الفعل. وتصل الآية التالية هذه الشهادة باستيفاء الجزاء الحق والعلم بأن الله هو الحق المبين.

وتضيف مقارنة موضعي النور والزلزلة فرقًا يستحق الحفظ: يصرح الأول بالجوارح وما كانت تعمله، ويصرح الثاني بإخبار الأرض بإيحاء ربها. يجتمع النصان في انكشاف العمل، بينما يبقى لكل منهما الشاهد الذي يسميه. وفي المبحث الخامس عشر يأتي خبر من الكافي يصل الجوارح وبقاع الأرض بالتوبة والستر، فيكمل البحث في الشهادة من جهة الرحمة.

وفي المقابل لا يضيع المعنى العملي لأن الكيفية لم تفصل لنا: ما يخفى عن الناس لا يخرج بذلك عن علم الله، والعمل الذي ظن صاحبه أنه انقضى لا يصبح بلا تبعة. ومن هنا يعود الحديث عن الجبال والبحار والأرض المتبدلة إلى عدل يخص الإنسان، وإلى فرصة الإصلاح قبل أن يصبح شاهدًا على ما لا يستطيع تغييره.

## ١٤. بروز الأرض وحضور الأعمال في الكتاب

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨].

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

يصل هذا المقطع تسيير الجبال ببروز الأرض، ثم الحشر والعرض ووضع الكتاب. وفي مجمع البيان وجهان في بروز الأرض: ظهور سطحها بعد زوال ما يستره من جبل أو بناء أو شجر، وظهور ما كان في باطنها من المحشورين [م٢٢٩]. يحفظ الوجه الأول صلة البروز بتغير معالم الأرض، ويصل الثاني اللفظ بالخروج منها، وكلاهما معروض في المصدر على جهة التفسير.

ثم يعرض الطبرسي في الحضور معنى وجود العمل مثبتًا في الكتاب، أو وجود جزائه، ويشرح نفي الظلم بعدم إنقاص ثواب المحسن أو الزيادة في عقاب المسيء [م٢٢٩]. فلا ينتهي اتساع المشهد إلى ضياع الفرد في الجمع: الآية ٤٧ تنفي ترك أحد من الحشر، والآية ٤٩ تنفي إغفال الصغيرة والكبيرة من الإحصاء. هذه مقابلة بين العبارتين تعين على فهم اتصال التحول بالعدل.

ومع حضور الأعمال تأتي خاتمة نفي الظلم. فتخوف المجرمين مما في الكتاب لا يجعل الحساب إجراءً اعتباطيًا، كما أن شمول الإحصاء لا يمنح القارئ حق إصدار حكم نهائي على أشخاص بأعيانهم. يبقى مقصد القراءة أن يراجع الإنسان عمله، وأن يعلم أن تغير الموطن الذي عمل فيه لا يخرج عمله من الحساب.

## ١٥. التوبة وستر ما شهدت عليه الجوارح والأرض

يروي الكليني في أول باب التوبة من كتاب الإيمان والكفر، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن معاوية بن وهب، قال:

«سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا تاب العبد توبة نصوحًا أحبه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة، فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب، ويوحي إلى جوارحه: اكتمي عليه ذنوبه، ويوحي إلى بقاع الأرض: اكتمي ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب» [م٢٣٠].

وصف المجلسي هذا الحديث الأول بأنه «صحيح» في مرآة العقول، ج ١١، ص ٢٩٥، وقوبل حكمه مباشرة بالنص الإلكتروني [م٢٣١]. الحكم هنا منسوب إلى المجلسي على هذا الطريق، ولا ينقل تلقائيًا إلى كل خبر يروى في التوبة أو إلى طريق آخر يحمل معنى قريبًا.

يبدأ الخبر بشرط التوبة النصوح، ثم يذكر محبة الله وسترَه على العبد. والسائل عن كيفية الستر هو معاوية بن وهب، الراوي عن الإمام؛ ثم يأتي جواب الإمام جامعًا الملكين والجوارح وبقاع الأرض. لذلك لا تقرأ أخبار الشهادة بمعزل عن باب التوبة، ولا يجعل ذكر الأرض شاهدًا سببًا للقنوط من رحمة الله. وقد سبق أن نقلنا من مجمع البيان عناية الطبرسي بالعفو عن التائب عند بحث ختام الزلزلة [م٩٢]؛ فالاستشهاد هنا يضيف نصًا روائيًا معينًا إلى أصل ذلك البحث.

والستر في هذا الخبر أثر للتوبة، لا حيلة لتجنبها. فمن استعمل الرجاء ذريعة للاستمرار في الإساءة يكون قد تجاوز الشرط الذي صدر به المتن. كما أن بيان الستر لا يفصل أحكام حقوق الناس وطرق ردها؛ فبحث تلك الحقوق يرجع إلى أدلته الخاصة، ولا يستخرج إسقاطها من السكوت عنها في هذا الموضع.

وبهذا يجمع الفصل بين تحول معالم الأرض، وشهادتها على العمل، وبقاء باب الرجوع إلى الله مفتوحًا لمن يصدق في توبته. وننتقل بعد ذلك إلى الآيات والأخبار التي تصف تبديل الأرض والسماوات وأرض المحشر.

إحالات الفصل: الكهف ٤٧-٤٩؛ طه ١٠٥-١١٢؛ النمل ٨٧-٨٨؛ الواقعة ٤-٦؛ الحاقة ١٣-١٥؛ المعارج ٩؛ المزمل ١٤؛ النبأ ٢٠؛ التكوير ٣، ٥-٦؛ الانفطار ٣-٥؛ الانشقاق ٣-٤؛ الفجر ٢١-٢٤؛ الزلزلة ١-٨؛ القارعة ٥؛ النور ٢٤-٢٥. التفسير: مجمع البيان [م٤٩، م٩٢، م٢٢٦-م٢٢٩]. الرواية: الكافي، باب التوبة، ح ١ [م٢٣٠]؛ تصحيح المجلسي في مرآة العقول [م٢٣١]. ولأصل التنزيه وحدود المقارنة بالظواهر المعاصرة: الفصول ١٤، ٣١، ٤١، ٤٥. مجمع البيان في دك الأرض ووجوه مجيء الأمر في الفجر [م٢٧٧]، وفي مرور الجبال وسياق الجزاء في النمل [م٢٧٨].

# الفصل ٤٧ — تبديل الأرض والسماوات وأرض المحشر

## ١. التبديل في سياق البروز

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩].

﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [إبراهيم: ٥١].

﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

تقرر إبراهيم ٤٨ تبديل الأرض والسماوات، وتقرن ذلك ببروز الخلق لله الواحد القهار. ثم تعرض الآيات ٤٩–٥١ حال المجرمين في الأصفاد والسرابيل وتصرح بالجزاء على الكسب. وفي ختام السورة تأتي غايات البلاغ والإنذار والعلم بوحدانية الله والتذكر. فالتبديل داخل في خطاب يواجه الإنسان بنتيجة ما عمل، ويدعوه الآن إلى أن يعقل ما بلغه.

ويشرح مجمع البيان الأصفاد بالأغلال أو السلاسل التي يقع بها التقرين، والسرابيل بالقمص [م٢٣٢]. يوضح هذا الشرح اللغة التي حملت الوعيد، وتبقى كيفية العذاب من شأن الخبر الأخروي؛ أما العبارة الجامعة للجزاء فتمنع أن ينفصل وصفه عن عمل النفس.

والبروز لله لا يعني أن شيئًا كان مستورًا عن علمه ثم انكشف له. التغير في حال الخلق وما يظهر لهم من انقطاع أسباب كانوا يتعلقون بها، لا في علم الخالق. وهذه قراءة يبرزها الميزان في تفسير الموضع [م١٤]، وتنسجم مع أصل الإحاطة الإلهية الذي صحب الكتاب من بدايته.

## ٢. هل يتبدل الشيء أم تتبدل صفاته؟

يعرض مجمع البيان قولين في التبديل: تغير صورة الأرض وهيئتها مع بقائها، وإنشاء أرض أخرى بدلها، وكذلك السماوات [م٢٣٢]. ويفيد هذا العرض أن الخلاف يتناول معنى التغير نفسه، ولا يقتصر على اسم لون أو مادة. كما أن جمع الأقوال في صفحة واحدة لا يجعل الأخبار التي استدل بها أصحابها متساوية في المصدر أو الطريق.

يعرض الطباطبائي الأقوال، ويرى أن التبديل أوسع من تسوية التضاريس أو استبدال مادة بأخرى؛ ويستدل بإشراق الأرض بنور ربها وصيرورة الجبال سرابًا على نظام غير المألوف [م١٤]. أما استشهاده بمرور الجبال في النمل ٨٨ فيقيده بكون الآية ناظرة إلى القيامة. نحفظ هذا القيد، وننسب الترجيح إليه، ولا نقدمه تفسيرًا متفقًا عليه أو وصفًا تفصيليًا لبنية العالم الآخر.

### ٣. الأرض البارزة واجتماع الناس

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨].

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

تذكر الكهف ٤٧ تسيير الجبال وبروز الأرض والحشر الذي لا يترك أحدًا، وتذكر الآيتان ٤٨-٤٩ العرض والكتاب وحضور الأعمال وانتفاء الظلم. يلتقي ظهور المكان مع ظهور عمل الإنسان؛ فلا تتحول أرض المحشر إلى فضاء فارغ من المعنى الذي اجتمع الناس لأجله.

ولا نأخذ من هذا الوصف مساحة حسابية أو جهة في خرائطنا الراهنة. فقد يكون القارئ حريصًا على تصور أين يقف كل إنسان، لكن الآيات المعتمدة هنا لا توفر تلك المقاييس. المعلوم في هذا المقام هو تمام الجمع ودقة الحساب، وما وراء ذلك لا يغني فيه رسم أنشأناه نحن.

### ٤. إشراق الأرض ونور ربها

قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٩].

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: ٧٠].

ينقل الطبرسي في إشراق الأرض وجهًا بمعنى ظهور عدل الله فيها، ووجهًا بنور يخلقه الله يضيء أرض القيامة من غير شمس ولا قمر [م٢٢٢]. الأول يبرز اتصال النور بالعدل، والثاني يذكر نورًا مخلوقًا منسوبًا إلى خالقه.

وفي كليهما تحفظ إضافة النور إلى الرب دون تصويره سبحانه جرمًا من الأجرام. والوجهان من التفسير المعروض في المصدر، وليسا نصين روائيين مسندين أثبتناهما هنا.

ويشرح المصدر وضع الكتاب بكتب الأعمال، ثم يذكر وجوهًا في الشهداء، ويصل القضاء بالحق باستيفاء الثواب وعدم إيقاع ما لا يستحق من العقاب. وفي ختم الآية التالية يبين أن كتابة الأعمال ليست لسد نقص في العلم الإلهي [م٢٢٢]. فانتقال السرد من الإشراق إلى الكتاب والشهادة ثم الوفاء يضع الضوء في مشهد ظهور الحق، ويعيد القارئ إلى معنى الإحاطة الذي افتتح به الفصل.

### ٥. خبر الأبرش الكلبي في الكافي

يروي الكليني في باب «أن ابن آدم أجوف لا بد له من الطعام»، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن سليمان بن جعفر، عن هشام بن سالم، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال:

«سأله الأبرش الكلبي عن قول الله عز وجل: يوم تبدل الأرض غير الأرض، قال: تبدل خبزة نقية يأكل الناس منها حتى يفرغ من الحساب. قال الأبرش: فقلت إن الناس يومئذ لفي شغل عن الأكل، فقال أبو جعفر عليه السلام: هم في النار لا يشتغلون عن أكل الضريع وشرب الحميم وهم في العذاب، فكيف يشتغلون عنه في الحساب» [م٥٢].

أثبت المتن هنا مع سؤال الأبرش واعتراضه وجواب الإمام، وبقي الاقتباس القرآني ضمن الخبر كما ورد في مصدره؛ وقد تقدمت آية إبراهيم ٤٨ كاملة في أول الفصل.

حكم المجلسي على الحديث الأول من هذا الباب بأنه «حسن»، وقوبل موضعه مباشرة في النص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ٢٢، ص ٩٦ [م٩٥]. تنسب هذه المرتبة إلى حكمه على الطريق المذكور، ولا تستبدل بدعوى إنجاز دراسة مستقلة لجميع رجاله أو طرق الخبر.

### ٦. طريق آخر لا ينبغي إسقاطه

وفي الحديث الرابع من الباب، يروي الكليني عن عدة من أصحابه، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن القاسم بن عروة، عن عبد الله بن بكير، عن زرارة، قال:

«سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: يوم تبدل الأرض غير الأرض، قال: تبدل خبزة نقية يأكل منها الناس حتى يفرغوا من الحساب. فقال له قائل: إنهم لفي شغل يومئذ عن الأكل والشرب، فقال: إن

الله عز وجل خلق ابن آدم أجوف ولا بد له من الطعام والشراب، أهم أشد شغلًا يومئذ أم من في النار؟ فقد استغاثوا والله عز وجل يقول: وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب» [م٥٣].

الاستشهاد الأخير جزء من آية الكهف كما اقتبسه متن الخبر، ولتمام القراءة نثبت الآية كاملة:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

أثبتنا اختلاف الطريقين لأن تشابه المتن لا يجعلهما إحالة واحدة. وقوبل وصف المجلسي للحديث الرابع بـ«مجهول» بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ٢٢، ص ٩٨ [م٩٦]، مع مطابقة طريقه بطريق خبر زرارة [م٥٣]. أما عبارة «لم يخرجه» المنقولة عن البهبودي بواسطة الثقلين فلا تستبدل بحكم آخر من عندنا. لا ينقل حكم الحديث الأول بالحسن إلى هذا الطريق.

## ٧. كيف نقرأ الأوصاف الروائية؟

يربط الميزان حمل الأوصاف الروائية المختلفة على التمثيل للتقريب بفرض صحة الروايات واتصالها، فاختلافها، على هذا الفرض، قرينة عنده على عدم إرادة ظواهرها [م١٤]. هذا توجيه تفسيري مشروط، وليس تصحيحًا لأسانيد الباب. لذلك يبقى منفصلًا عن متن كل خبر وعن الحكم المنقول على طريقه، ولا يغني عن دراسة إمكان اختلاف المواقف أو جهات الوصف.

وعند التحقيق تتجاور أسئلة متعددة: هل ثبت الطريق؟ وهل ضبط اللفظ؟ وهل الكلام في الموقف نفسه أو في حال أخرى؟ وهل بين الأخبار تعارض حقيقي أم اختلاف جهة؟ من الخطأ أن نختصرها كلها في السؤال عما إذا كانت الصورة سهلة التخيل. سهولة التخيل لا تصحح خبرًا، وصعوبة التصور لا تكفي لإبطاله.

## ٨. البعث الجسدي وهوية الإنسان

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩].

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠].

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣].

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق: ٤].

يعرض القرآن اعتراض من استبعد إحياء العظام، ويجيب بالإنشاء الأول والعلم بالخلق [يس: ٧٨-٨٣]. ويذكر في ق ٣-٤ استبعاد الرجوع بعد الموت والتراب، ثم إحاطة العلم بما تنقص الأرض من الناس. لذلك لا يسمح هذا الكتاب بأن يتحول المعاد إلى مجرد بقاء ذكر الإنسان في ذاكرة الآخرين.

وفي الوقت نفسه لا نقدم وصفًا بيولوجيًا تفصيليًا لكيفية الإعادة. فالإقرار بأن الذي يحاسب هو الإنسان نفسه لا يتوقف على أن أخترع آلية مخبرية لجمع أجزائه. نثبت ما دل عليه النص، ونحيل تفصيل مسائل الجسد والروح إلى موضعها في السلسلة.

### ٩. الاجتماع لا يمحو الفروق في العمل

تجمع الآيات الآتية بين وحدة اليوم وتنوع أحوال أهله:

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧].

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة: ٨].

﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [الواقعة: ٩].

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠].

﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١١].

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ [الغاشية: ٢].

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٣].

﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٤].

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥].

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٦].

﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٧].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ [الغاشية: ٨].

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الغاشية: ٩].

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الغاشية: ١٠].

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ [الغاشية: ١١].

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ [الغاشية: ١٢].

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣].

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٤].

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ [الغاشية: ١٥].

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٦].

يشمل الحشر الناس، لكن شمول الحضور لا يساوي تماثل أحوالهم. يذكر القرآن وجوهًا ناعمة ووجوهًا خاشعة في الغاشية، ويعرض في الواقعة تمايز المآلات. ليس اختلاف الجزاء أثرًا لحدود الدول أو مراتب المال التي ألفناها، وإنما يتصل بما يقرره الوحي عن الإيمان والعمل والعدل والرحمة.

ويحفظ هذا المعنى حق من لم تستطع أنظمة الدنيا إنصافه. فلا يجوز أن نقرأ أرض المحشر بما يجعل القوي يحتفظ بامتياز الإفلات الذي عرفه في حياته. تمثل نهاية الحجب الدنيوية نهاية الوهم بأن القدرة المؤقتة تملك إلغاء الحساب.

### ١٠. وفد وجمع، وكل إنسان فرد

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣].

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٤].

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦].

﴿لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧].

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨].

﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ [مريم: ٨٩].

﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠].

﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩١].

﴿وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢].

تصف مريم ٨٥ حشر المتقين إلى الرحمن وفدًا، وتقابله بسوق المجرمين إلى جهنم وردًا. ويشرح الطبرسي الوفد في جملة ما يعرضه بالوافدين والجماعات إلى دار الكرامة [م٩٣]. ثم ينتقل السياق إلى الشفاعة وإنكار نسبة الولد إلى الرحمن؛ وقد بسط الفصل ٤٥ وجه اتصال صور السماء والأرض بهذا الإنكار. نقرأ المقطع متصلًا كي لا نسوي بين وصف الحشر في أوله وبين سياق التعظيم والتنزيه في آخره.

وفي المقابل، يفسر مجمع البيان «وِردًا» بالعطاش المتجهين إلى مورد الماء، ناقلًا ذلك عن ابن عباس والحسن وقتادة، ويورد عن أبي مسلم وجه كون المجرمين نصيب جهنم [م٩٣]. فالأول يبرز حال المسوقين، والثاني يبين مآلهم. نثبت اختلاف الوجهين دون دمجهما في عبارة واحدة منسوبة إلى النص؛ ويبقى التقابل بين كرامة المتقين وسوق المجرمين هو الذي يصل الوصف بالعمل والجزاء.

قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

﴿لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٩٤].

﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥].

ثم تؤكد مريم ٩٣–٩٥ إحاطة العبودية والإحصاء، وأن كل واحد آت يوم القيامة فردًا. اجتماع الناس إذن لا يذيب الفرد، ووصف الفردية لا يلغي الاجتماع الذي صرحت به مواضع أخرى. إنهما جهتان مختلفتان: جمع لا يغيب عنه أحد، ومسؤولية لا يتولاها عن الإنسان مجرد انتمائه إلى جمع.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وفي الأنعام ٩٤ يرد المجيء فرادى وترك ما خول الناس وراء ظهورهم، مع انقطاع تعلقهم بشفعاء زعموهم شركاء. يصل هذا الموضع بالآخرة سؤالًا رافق حكاية الملك في الفصل ٣٥: ماذا بقي من قول الإنسان «هذا لي» حين لا يحمل معه ما كان يتباهى بامتلاكه؟

لا يعني ذلك أن كل علاقة صالحة في الدنيا بلا قيمة، أو أن المال الذي أحسن صاحبه استعماله لا أثر له. إنما تكشف القراءة عجز الملكية الدنيوية بذاتها عن ضمان النجاة. وتبقى قيمة ما صنع الإنسان بما ملكه داخلة في الحديث عن العمل.

وهكذا لا نحتاج إلى خريطة لأرض المحشر كي نفهم مقدارًا مهمًا من خطابها. نعلم أن الحضور شامل، وأن الفرد معلوم، وأن الأمر لا يستند إلى ثروته أو منزلته بين الناس. أما المكان وكيفيات الوقوف والانتقال، فلا يملؤها الكتاب بتفاصيل لا يملك مصدرها.

## ١١. الخروج إلى الموقف ووجها الحوار في خبر الطعام

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣].

قال تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٤].

تصف آيتا المعارج الخروج من الأجداث وحال الأبصار والذلة في اليوم الموعود، وقد سبقت آية التبديل والبروز في أول الفصل. يتجه النظر هنا من ذكر المكان إلى حال الحاضرين فيه، ثم إلى السؤال الذي عالجته روايتا الطعام.

في الخبر الأول ينقل زرارة سؤال الأبرش الكلبي، ويذكر النص اعتراض الأبرش على الأكل مع الانشغال بالحساب. أما الرابع فيبدأ بسؤال زرارة، ثم يقول إن قائلًا اعترض على الأكل والشرب، ولا يسمي هذا القائل. ويزيد الرابع تعليل حاجة ابن آدم إلى الطعام والشراب والاستشهاد بآية الكهف، بينما يذكر الأول الضريع والحميم [م٥٢–م٥٣]. تحافظ المقابلة على فروق اللفظ ونسبة السؤال، فلا تستبدل اسم الأبرش بالقائل غير المسمى في الطريق الآخر.

فالسؤال والجواب يعالجان استبعاد اجتماع الطعام مع شدة الموقف. ولا ينبغي أن نحذف الاعتراض فنحول الخبر إلى وصف مادي منفصل عن غرض محاورته. كذلك لا تعني قراءة الحوار أن جميع الروايات المشابهة قد توحدت سندًا؛ فالطريق الرابع عن زرارة بقي موصوفًا بالمجهول عند المجلسي [م٥٣، م٩٦].

ويبقى البحث في حمل الوصف على ظاهره أو في احتمالات التقريب التي عرضها الميزان بحثًا دلاليًا منفصلًا [م١٤]. نوضح هذه الطبقات للقارئ ليعرف موضع الاتفاق وموضع السؤال: الآية تثبت التبديل والبروز، والخبر يزيد وصفًا للطعام، والشارح يناقش فهمه. لا نمنح أي طبقة ألفاظ الطبقة الأخرى أو مرتبتها بمجرد جمعها في فقرة واحدة.

## ١٢. الداعي وخشوع الأصوات وأمن المؤمن من الهضم

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥].

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: ١٠٦].

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧].

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

تبدأ الآيات بنسف الجبال واستواء موضعها، ثم تنتقل إلى اتباع الداعي وخشوع الأصوات. فالمكان الذي زالت معالمه ليس وحده موضوع الوصف؛ إذ تظهر معه حال الخلق واستجابتهم. وما تقدم شرحه من القاع الصفصف في الفصل ٤٦ يمهد هنا لقراءة الحركة والصوت والوجوه في أرض المحشر.

يعرض مجمع البيان في نفي العوج وجهين: أن الدعوة لا تتجاوز أحدًا من المحشورين، وأنهم لا يعدلون عن إجابة الداعي. ويذكر في الهمس الصوت الخفي، ومن وجوه تفسيره صوت الأقدام أو إخفاء الكلام [م٢٣٣]. وبهذا يكون الخشوع وصفًا لاستكانة الخلق، لا فراغًا من الحضور أو انقطاعًا عن الاستجابة.

وتضع الآية ١٠٩ الشفاعة تحت إذن الرحمن ورضاه بالقول، ثم يرد العلم المحيط وخضوع الوجوه للحي القيوم. يجتمع في هذا النسق الخضوع والرجاء المنضبط بالإذن؛ فلا يعرض الفصل الشفاعة كسلطة مستقلة عن الله، ولا يتجاوز هذا الموضع إلى استقصاء تفاصيلها وأصحابها.

وفي ختام المقطع يرد التحذير من حمل الظلم، ثم الوعد لمن يعمل الصالحات وهو مؤمن. يشرح الطبرسي الهضم بالنقص، ويعرض نفي الظلم والهضم بمعنى ألا تضاف إلى الإنسان سيئة لم يعملها ولا تنتقص حسناته [م٢٣٣]. ومن هنا لا تعني رهبة الموقف أن حق المحسن معرض للضياع؛ فالوعد بالأمن من الظلم جزء من النص نفسه، إلى جانب ما ورد فيه من الخشوع والهيبة.

## ١٣. تشقق الأرض والحشر اليسير

قال تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١].

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢].

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ [ق: ٤٣].

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤].

سبق في هذا الفصل جواب السورة عن استبعاد الرجوع بعد الموت والتراب، وإحاطة علم الله بما تنقص الأرض من الإنسان. ويأتي هذا المقطع في آخرها ليربط النداء بالخروج، ويجعل الإحياء والإماتة والمصير إلى الله أصلًا لفهم الحشر.

يفسر مجمع البيان قرب مكان النداء بأن الخلائق يسمعونه على حد واحد، فلا يختص به القريب دون البعيد. كما يشرح تشقق الأرض بتصدعها وخروجهم منها، والإسراع بالتوجه إلى الداعي دون تأخير، ويبين يسر الحشر مع تباعد الديار والقبور [م٢٣٤]. هذا الوجه في القرب يتعلق بشمول بلوغ النداء، ولا يتطلب أن نضع مركزًا له على خريطة أو نحسب مسافة تفصل كل قبر عنه.

وتساعد مقارنة ق ٤٤ بالمعارج ٤٣-٤٤ على قراءة جهتين: الأولى تصف تشقق الأرض وسهولة الجمع على الله، والثانية تصف خروج الناس وسرعتهم وحال أبصارهم. أما ترتيب كل جزئية بالنسبة إلى سائر أوصاف التبديل، فلا يستخرج من مجرد تجاور الآيات في هذا الكتاب.

وفي نسبة اليسر إلى الله جواب عن قياس البعث بعجز الإنسان. فقد يتعذر علينا جمع ما تفرق أو الإحاطة بمن غاب، لكن السورة تقرن الخروج بالعلم والقدرة، فلا تجعل حدود عمل البشر حدودًا لما يقدر عليه خالقهم. وبهذا تعود حكاية الموطن الأخروي إلى الأساس الذي بدأت منه حكاية الخلق: الإيجاد والإعادة تحت قدرة واحدة.

## ١٤. ما الذي نثبته في خاتمة الفصل؟

نثبت التبديل والحشر والعرض وعدم ضياع العمل، ونذكر وجوه التفسير والأخبار بمراتبها. ولا نلزم القارئ بخريطة أو مادة أو مقدار لم يقم عليه دليل. ومن أراد استكمال التحقيق الروائي وجد في سجل الملاحق الطريقين ومواضع النصوص، ليبدأ من إحالة قابلة للمراجعة.

أما الثمرة التي يرجع بها القارئ إلى أرضه الحالية فهي أن مكان العمل قابل للتغير، لكن العمل لا يصير بلا قيمة. وما دام في وسع الإنسان أن يصلح، فالأرض التي يعيش عليها الآن موضع أمانته، قبل أن يبلغ الموطن الذي يظهر فيه حساب تلك الأمانة.

إحالات الفصل: إبراهيم ٤٨–٥٢؛ الكهف ٢٩، ٤٧–٤٩؛ طه ١٠٥–١١٢؛ يس ٧٨–٨٣؛ الزمر ٦٩–٧٠ ؛ ق ٣–٤، ٤١–٤٤؛ الواقعة ٧–١١؛ الغاشية ١–١٦؛ مريم ٨٣–٩٥؛ الأنعام ٩٤؛ المعارج ٤٣–٤٤. التفسير: الميزان [م١٤]؛ مجمع البيان [م٩٣، م٢٢٢، م٢٣٢–م٢٣٤]. الرواية: الكافي، باب أن ابن آدم أجوف لا بد له من الطعام، ح ١ و٤ [م٥٢–م٥٣]؛ حكم المجلسي على الطريقين في مرآة العقول [م٩٥–م٩٦]. نقلت الآيات من ذيل الفصل إلى مباحثها، وأزيل تكرار نص إبراهيم ٤٨ داخل الفصل.

# الفصل ٤٨ — الكون في مشاهد الآخرة — ما نعلمه وما يبقى غيبًا

## ١. نهاية المشهد الدنيوي لا نهاية المعنى

تبلغ حكاية الكون في هذا الفصل حدًا تنتقل فيه المعرفة من تتبع ما نرصده إلى تلقي ما أخبر به الوحي عن الآخرة. نقرأ البعث والحساب والجنة والنار بوصفها حقائق في خطاب الإيمان، ولا ندعي أننا زرناها أو قسنا مسافاتها. هنا يحتاج السرد إلى دقة تحمي المعنى من الجفاف ومن الخيال المنفلت معًا.

لقد تعلمنا في الأبواب السابقة أن تنوع وسائل المعرفة يستلزم تنوع السؤال. أما في هذا الباب فلا نصنع تجربة تكرر القيامة في المختبر، إنما نجمع النصوص ونتثبت من نسبتها وننظر في دلالتها. وما يكشفه البحث الطبيعي عن العالم المشهود لا يصبح، بمجرد اتساعه، وصفًا شاملًا لكل ما يمكن أن يخلقه الله.

## ٢. الحساب والميزان وحضور الأعمال

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٨].

تذكر الأنبياء ٤٧ الموازين القسط وانتفاء الظلم ودقة المحاسبة. ويشرح مجمع البيان القسط بالعدل، ويعرض وضع الموازين بما يحفظ للمحسن إحسانه ولا يزيد على المسيء إساءته، ويفسر إحضار مثقال حبة الخردل بإحضاره للمجازاة [م٢٣٥]. وتلتقي هذه الدلالة مع حضور العمل في الكهف ورؤية الخير والشر في الزلزلة: صغر العمل في نظر صاحبه لا يخرجه من العلم والحساب.

وفي الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، الحديث السادس والثلاثون في النص المقابل، يروي الكليني عن عدة من أصحابه، عن أحمد بن محمد، عن إبراهيم الهمداني يرفعه إلى أبي عبد الله عليه

السلام، في تفسير الموازين القسط في الآية المتقدمة، قال: «الأنبياء والأوصياء عليهم السلام» [م٢٣٦]. أثبت نص الجواب، وعين الطريق بصيغة «يرفعه» كما وردت، ولم تضف أسماء للوسائط التي لم يسمها المصدر.

ووصف المجلسي الحديث السادس والثلاثين بأنه «مرفوع» في مرآة العقول، ج ٥، ص ٣٦ [م٢٣٧]. فهذا الطريق في صورته المنقولة لا يعرض لنا جميع الوسائط إلى الإمام، ولا نقدمه بوصفه سندًا متصلًا صحيحًا. تعيين حاله يحفظ الفرق بين وجود التفسير الروائي في المصدر وبين مقدار ما ثبت من طريقه.

تنبيه في تعيين النسخة: يظهر خبر الموازين في الثقلين برقم ٣٥ وتعرض بطاقته حكم «مجهول». وحُسم موضع الحكم بإعادة مقابلة مرآة العقول، ج ٥، ص ٣٦: خبر الموازين هو السادس والثلاثون ووصفه المجلسي بالمرفوع، أما وصف المجهول فيخص الخبر الخامس والثلاثين السابق، في تفسير الدين بالولاية [م٢٣٦-م٢٣٧]. وتعرض بطاقة الثقلين رقم ٣٦ خبرًا آخر مع حكم «مرفوع». يشير هذا التتابع إلى خلل في مطابقة الحكم مع الخبر عند اختلاف الترقيم، وهذا استنتاج من المقابلة، لا اطلاع على طريقة بناء قاعدة الموقع. لذلك نعتمد موضع الحكم في الشرح، ونحفظ اختلاف رسم اسم الراوي؛ إذ يظهر «الهمذاني» في نسختي الثقلين ومرآة العقول المقابلتين، و«الهمداني» في النقل السابق. لا تتضمن هذه المقابلة توثيقًا مستقلًا للراوي أو تصحيحًا للسند.

وفي الصفحة التالية يعرض المجلسي تفسير الموازين بالأنبياء والأوصياء، ويناقش وجه جمعه مع القول بميزان توزن به الصحائف، على أساس حضورهم عنده وصلتهم بالحساب [م٢٣٧]. هذا توجيه الشارح في الجمع بين الأقوال، ويظل منفصلًا عن ألفاظ الجواب القصير. فلا تحل صورة واحدة نتصورها محل جمع الأدلة، ولا يضيع أصل العدل القرآني وسط الخلاف في الكيفية.

### ٣. الشهادة والشفاعة والإذن

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠].

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت: ٢١].

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢].

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٩].

قال تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: ٧٠].

تتحدث يس ٦٥ وفصلت ٢٠-٢٢ عن شهادة الجوارح، وتذكر الزمر ٦٩ حضور النبيين والشهداء. يدل مجموع هذه المواضع على أن قدرة الإنسان على صياغة عذر لنفسه لا تعني قدرته على محو ما فعل. ولا نحدد من عندنا لغة تلك الشهادة أو آليتها العضوية.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

كما أن ورود الشفاعة في النصوص لا يجعلها سلطة مستقلة عن الله، تقرنها البقرة ٢٥٥ بإذنه، وتذكر طه ١٠٩ شرط الإذن والقول المرضي. تثبت هذه القاعدة هنا، أما تفصيل من يشفع ولمن يشفع فيحتاج إلى جمع الروايات ومناقشة دلالاتها. وليس التعلق بالرحمة مبررًا للاستهانة بحقوق الخلق.

## ٤. نعيم يجمع الأمن وتمام الكرامة

قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣].

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

تصف الحجر ٤٧-٤٨ نزع الغل وانتفاء التعب والخروج، وتذكر الإنسان ١٣ حالًا لا يرى أهلها شمسًا ولا زمهريرًا، وتذكر التوبة ٧٢ أن رضوان الله أكبر. تتعدد جهات النعيم بين ما يتعلق بالحياة والإحساس والعلاقة بالآخرين والرضا الإلهي.

ويشرح الطبرسي آية الإنسان بانتفاء الشمس التي يتأذى أهل الجنة بحرها والزمهرير الذي يتأذون ببرده [م٢٧٩]. يوجه هذا الشرح النظر إلى تمام الراحة في سياق النعيم. أما تحويله إلى تحديد لدرجة حرارة الجنة أو مصدر إضاءتها فزيادة لا يقدمها هذا الموضع؛ لذلك نميز بين المعنى الذي شرحه المفسر وبين وصف فيزيائي تفصيلي لم يثبته.

وفي تفسير رضوان الله في التوبة ينقل مجمع البيان عن الجبائي أن الثواب متوقف على الرضوان، وعن الحسن أن سرور القلب برضا الله أعظم من سائر النعيم المذكور [م٢٨٠]. هذان وجهان لبيان عظم الرضوان، ولا يلغيان الجنات والمساكن التي سبقت في الآية. يجمع السياق بين العطاء ورضا المعطي، ويشمل الوعد المؤمنين والمؤمنات كما صرح النص.

قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

يسبق وعد قرة الأعين وصفُ من تتجافى جنوبهم عن المضاجع، ويدعون ربهم خوفًا وطمعًا وينفقون مما رزقهم. فلا يأتي إخفاء النعيم في سياق فضول مجرد عن العمل، بل بعد عبادة ودعاء وبذل. وفي مجمع البيان من وجوه الإخفاء عظم قدر الجزاء، وعدم إحاطة العلم بتفاصيله، ومقابلة العبادة الخفية بجزاء خفي [م٢٣٨]. نثبت هذه الوجوه بوصفها شرحًا من المفسر، دون أن نجعل كل خبر أورده في الصفحة قد درس طريقه في هذا الكتاب.

وتفيد قراءة الآيتين معًا أن الجهل بتفاصيل العطاء لا يمنع معرفة الطريق الذي يربط السياق به: توجه إلى الله ورجاء لرحمته وخوف من التقصير ونفع يتعدى إلى الآخرين بالإنفاق. كما أن معرفة بعض أسماء النعيم لا تمنحنا الإحاطة بكل خصائصه. نؤمن بما أخبر به النص، ونبقي للوعد سعته التي لا يستنفدها خيال القارئ.

### ٥. لا خريطة فلكية للجنة والنار

لم يثبت في هذا البحث ما يسمح بوضع الجنة داخل مجرة محددة، أو بجعل جهنم اسمًا لشمس أو ثقب أسود. تشابه بعض الألفاظ مع خبرة حسية لا يعين موقعًا في خريطة الرصد، والجرم الذي وصفناه في الفصل ٤٠ له أدلته وتعريفه الخاصان.

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧].

﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨].

﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩].

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠].

﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ [الواقعة: ٣١].

﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢].

﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣].

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤].

﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ [الواقعة: ٣٥].

﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة: ٣٦].

﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٧].

﴿لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٣٨].

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩].

﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٤٠].

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ [الواقعة: ٤١].

﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٢].

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٣].

﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٤].

وفي القرآن أوصاف للجنة والأنهار والظلال والثمار، وأوصاف للعذاب والحميم والسموم، تقرأ في سياقاتها [محمد: ١٥ ؛ الواقعة: ٢٧-٤٤]. نثبت دلالتها على النعيم والعذاب، ونحفظ الفرق بين الأسماء التي نفهمها وبين الإحاطة بكيفية تحققها في الآخرة. ولا تبيح معرفة الوصف إضافة حوارات أو تفاصيل من إنشائي ونسبتها إلى الوحي.

### ٦. الخلود ومعنى السلام

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

تذكر النساء ١٢٢ دخول المؤمنين العاملين للصالحات جنات مع الخلود فيها، ويأتي السلام في يس ٥٨. وفي مقابل ذلك يعرض القرآن التحذير من النار ومآل التكذيب والظلم. ينبغي أن يبقى الترغيب والترهيب معًا في السرد، من غير أن تنفصل الرحمة عن العدل أو يجعل الخوف بابًا إلى اليأس.

لا تعطي هذه الفصول حكمًا على المصير النهائي لشخص معين لم يعينه النص. موضوعها بيان الخبر وأثره في المسؤولية، لا توزيع منازل الآخرة على أشخاص نختارهم. ويظل التفصيل العقدي في أحوال المكلفين والحجة والعفو موضوعًا يحتاج إلى بحثه وأدلته.

### ٧. خبر العوالم والآدميين في التوحيد

سبق إدراج خبر جابر بن يزيد عن الإمام الباقر عليه السلام في التوحيد للصدوق، باب ذكر عظمة الله، الحديث الثاني. يتناول تجدد خلق بعد استقرار أهل الجنة والنار، ويذكر كثرة العوالم والآدميين [م١٥]. نعود إليه هنا مع الفصل الواضح بين تسجيله في المصدر واعتماد تفاصيله.

في طريقه عمرو بن شمر، وقد وصفه النجاشي بضعف شديد في ترجمته رقم ٧٦٥ [م١٦]. لذلك لا يعتمد هذا الطريق وحده لإثبات تلك التفاصيل. ولا نحول العدد الوارد فيه إلى إحصاء فلكي، ولا نستعمله برهانًا على فرضيات الأكوان المتعددة. وهذه نتيجة تخص الطريق المدروس، ولا تستغني عن فحص غيره.

### ٨. خبر آخر في الخصال

ورد في الخصال للصدوق خبر عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام، يذكر عوالم قبل آدم وتجدد خلق بعد المآل الأخروي. وطريقه يمر بابن الوليد والصفار ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب، ثم محمد بن عبد الله بن هلال والعلاء بن رزين إلى محمد بن مسلم [م٥٤، م١٥٠]. صُحح اسم ابن أبي الخطاب بالمقابلة؛ وترد نتيجة متابعة النص والراوي أدناه.

هذا غير طريق عمرو بن شمر في خبر التوحيد. وقد توسعت المتابعة إلى ترجمة محمد بن عبد الله بن هلال وموضع الحكم عليه، كما يأتي في المبحث الثالث عشر [م١٥١-م١٥٢]. لا ينقل إلى هذا الطريق حكم رجل لا يرد فيه، ولا يصحح بمجرد اختلافه عن الطريق الآخر. كذلك لا نجمع عددي الخبرين في معادلة واحدة؛ فاختلاف النص والسياق يحتاج إلى دراسة قبل بناء تصور زمني شامل.

### ٩. ماذا تضيف المقابلة بين الخبرين؟

﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥].

وردت ق ١٥ في السؤال الذي افتتح به خبر جابر في التوحيد [م١٥]، واحتج بها أيضًا متن الخصال [م١٥٠]. إثبات الآية هنا يتيح للقارئ فصل نصها عن التفاصيل التي تضيفها الروايتان؛ فالآية لا تسمي عدد العوالم أو الآدميين. ويبقى الانتقال من بيان القدرة على الخلق إلى تعيين وقائع معدودة متوقفًا على ثبوت الدليل الذي يحمل تلك الزيادة.

ولا يقتضي تعليق الحكم على تفاصيل الروايات أن نحد القدرة الإلهية بحدود العالم الذي عرفناه. لكن إمكان خلق عوالم أخرى قضية، وإثبات أن عوالم محددة وقعت بعدد وكيفية معينين قضية أخرى. لا يعوض العموم العقدي عن الدليل الخاص، ولا يصير الاحتمال تاريخًا ثابتًا لمجرد أننا لا نستبعده.

### ١٠. ما نعلمه وما يبقى غيبًا

نعلم من النصوص التي درسناها أن الخلق ليس عبثًا، وأن البعث والحساب والجزاء داخل مقصد الخطاب القرآني، وأن العلم الإلهي لا يضيع أعمال الخلق. ونعلم أن الإنسان لم يمنح في هذا الباب علمًا بكل الكيفيات أو المواعيد. الجمع بين الإثبات والتوقف هو ما يحفظ للمعرفة حدودها.

ومن المهم هنا التمييز بين تفصيل لم نجد له دليلًا كافيًا في المصادر التي راجعناها، وكيفية لم تفصلها النصوص المستعملة، ومسألة وردت فيها أقوال تحتاج إلى الترجيح. فالأول يصف حدود هذا البحث، والثاني يصف مقدار البيان في النصوص المعينة، والثالث يسجل اختلاف الفهم. لا يصح أن نجمعها في حكم بأن كل ما لم نحققه يمتنع أن يعرف، كما لا يصح ملء الفراغ بخبر غير ثابت. هذا تمييز منهجي نعتمده في قراءة نتائج الكتاب.

وتبقى أعمال التحقيق قائمة: مقابلة ألفاظ الأخبار ونسخها، ودراسة الطرق، وجمع ما تفرق في المصادر، ومراجعة وجوه التفسير. لم ننجز بهذه الصفحات استقصاء جميع روايات المعاد أو جميع مباحث علم الكلام. تقدم الملاحق سجلًا لما استعمل فعلًا، لئلا تختلط قائمة الأعمال المطلوبة بقائمة الأعمال المنجزة.

## ١١. الحوارات جزء من خبر الآخرة

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤].

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: ٤٥].

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۚ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦].

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧].

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأعراف: ٤٨].

﴿أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٩].

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠].

في الأعراف ٤٤ يتنادى أصحاب الجنة وأصحاب النار بشأن صدق ما وعدهم ربهم، ثم تبين الآية ٤٥ من وصفوا بالظلم في هذا السياق: الصد عن سبيل الله وطلبها عوجًا والكفر بالآخرة. وتعرض الآيات التالية رجالًا على الأعراف يعرفون جماعات بسيماهم، وتذكر طلب أهل النار الماء أو بعض الرزق. يبقى هذا الحضور الإنساني ضمن حكاية الكون؛ فالموقف يتضمن معرفة ومسؤولية وخطابًا، إلى جانب وصف الموطن.

ولا تعين هذه الآيات بألفاظها جميع أسماء الرجال على الأعراف، كما لا تمنحنا تفصيل مراتبهم من غير بحث تفسيري وروائي. نثبت موضعهم ودورهم المذكور، ونترك التعيين إلى دراسة نصوصه. بهذه الطريقة لا تسقط الشخصية التي لم يسمها القرآن من الفهرس، ولا يدخل اسم اجتهادي في المتن بوصفه نصًا قرآنيًا.

قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٥٠].

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [الصافات: ٥١].

﴿يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ [الصافات: ٥٢].

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣].

﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ [الصافات: ٥٤].

﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥].

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات: ٥٦].

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥٧].

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ [الصافات: ٥٨].

﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الصافات: ٥٩].

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصافات: ٦٠].

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

وفي الصافات ٥٠-٦١ يرد حوار عن قرين كان يناقش البعث والجزاء، ثم اطلاع على مآله وتعجب من النجاة من تأثيره. لا نسمي القرين أو نكتب له سيرة لم يذكرها النص. الذي يظهر في المشهد هو عودة كلام الدنيا إلى ذاكرة الموقف، ووعي الناجي بما كان يمكن أن يصرفه عن الإيمان.

**١٢. نعيم لا تفسده الخصومة**

قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [الواقعة: ٢٥].

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٦].

تصف الأعراف ٤٣ والحجر ٤٧ نزع الغل من صدور أهل الجنة، وتذكر الواقعة ٢٥-٢٦ انتفاء اللغو والتأثيم وحضور السلام. تجمع هذه الأوصاف بين حال النفس ونوع العلاقة والكلام. فلا يكتمل وصف النعيم بتعداد المآكل والمساكن مع إهمال زوال ما كان ينغص حياة الناس من حقد وأذى.

ومن تأملها وجد أن العدل والرحمة اللذين صاحبا الكتاب لا ينتهيان عند انقضاء الدنيا. لكن هذا التأمل لا يحول الجنة إلى مجرد حالة نفسية؛ إنما يضم إلى أوصافها الأخرى ما أثبته النص من صفاء العلاقة والأمن.

ولذلك يختم هذا التوسع بسؤال يصلح للحياة الحاضرة: أي كلام وأي سلوك نريد أن نحمله معنا؟ يمكن أن يبدأ الإنسان بمصالحة عادلة ورد حق وترك أذى، مع علمه أن نعيم الآخرة عطاء لا يحيط به خياله. وتظل حوارات القرآن كافية في مواضعها، فلا نزيدها محادثات من إنشائي ثم نرويها كأنها خبر.

## ١٣. متابعة طريق خبر العوالم وضبط نقله

عُين خبر محمد بن مسلم في الخصال في النص المقابل، ص ٣٥٨-٣٥٩، برقم ٤٥ من أبواب السبعة [م١٥٠]؛ بينما يظهر في متن الثقلين بالترقيم ٧-٤٦، مع بقائه في فهرسة الموقع في الباب ٣٢ من الكتاب الثامن [م٥٤]. وأثبتت المقابلة اسم محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، في مقابل «محمد بن الحسن بن أبي الخطاب» في النقل الإلكتروني المذكور. اختلاف الترقيم أو الرسم يوجب بيان النسخة، ولا يجعل الموضعين خبرين مستقلين.

ورجعنا في محمد بن عبد الله بن هلال إلى معجم رجال الحديث للسيد الخوئي، ج ١٧، ص ٢٦٦-٢٦٧، الترجمة ١١١٥٣ [م١٥١]. يذكر المعجم روايته عن العلاء بن رزين، ورواية محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عنه، ضمن عرض شيوخه وتلاميذه ومواضع روايته. تساعد هذه البيانات على تعيين الراوي في هذا الطريق، لكن إثبات الطبقة وكثرة الموارد ليسا بذاتهما نصًا صريحًا في التوثيق.

وفي ذخيرة المعاد، ص ٦٢٣، وصف المحقق السبزواري محمد بن عبد الله بن هلال بالمجهول عند مناقشة سند خبر فقهي آخر [م١٥٢]. ننقل الحكم بوصفه متعلقًا بالراوي وفي سياقه الذي وجدناه؛ فلا ننسب إلى السبزواري أنه حقق خبر العوالم نفسه، ولا نجعل الجهالة اتهامًا باختلاق الرواية. كما أن عرض ترجمة الراوي في معجم متأخر لا يزيل بمجرده سؤال وثاقته.

والنتيجة التي يسمح بها هذا القدر من المتابعة محدودة وواضحة: تعين الاسم وصلته بالطريق، وصحح موضع النقل، ووجد حكم رجالي يحتاج إلى وضعه ضمن مجموع مباني التوثيق وأقواله. لم يثبت لنا من هذا البحث الجزئي تصحيح

مستقل لطريق الخصال، فلا نعتمد تفصيل عدد العوالم أو كيفيتها على أنه نتيجة مقطوع بها. يبقى الخبر مسجلًا بموضعه وحدوده، ويستمر فحص طرق الباب دون خلطه بخبر عمرو بن شمر.

## ١٤. من الحساب الموعود إلى محاسبة النفس

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

تجعل آيتا الحشر النظر فيما قدمت النفس لغد عملًا حاضرًا، وتنهيان عن حال نسيان الله وما يتصل بها من نسيان النفس. فلا تنتهي معرفة الحساب إلى مراقبة الآخرين وحدهم أو انتظار مشهد بعيد؛ يعود السؤال إلى عمل القارئ ومقاصده وما يستطيع استدراكه.

وروى الكليني في الكافي، ج ٢، كتاب الإيمان والكفر، باب محاسبة العمل، الحديث الثاني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام، أي الإمام موسى الكاظم: «ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فإن عمل حسنا استزاد الله وإن عمل سيئا استغفر الله منه وتاب إليه» [م١٤٨]. وقوبل حكم المجلسي بالحسن في مرآة العقول، ج ١١، ص ٣٥٨ [م١٤٩].

يقابل متن الخبر بين الاستزادة من الحسن والاستغفار والتوبة من السيئ. لا يجعل المراجعة دورانًا في لوم النفس بلا فعل، ولا رضا عابرًا يمحو الحاجة إلى الإصلاح. ويمكن للقارئ أن يبدأ بسؤال محدد عن يومه: حق أديته أو ضيعته، كلمة نقلتها وتحتاج إلى تصحيح، وخير أستطيع الاستمرار فيه. هذه طريقة تطبيقية مقترحة، وليست ألفاظًا أخرى نلحقها بمتن الإمام.

وهذا هو الموضع الذي تلتقي فيه مراجعة النفس ومراجعة الكتاب: أعود إلى ما نقلت فأتحقق من لفظه وإحالته، وأثبت الخطأ إذا بان وأصححه، وأطلب علمًا فيما لم أحسن فهمه. لا يغني طول الكتاب عن هذا الأدب، كما لا تمنع كثرة ما بقي مجهولًا أن نعمل بما اتضح لنا. والرحمة التي نرجوها لا تنفصل عن صدق الطلب وبذل وسعنا في رد الحقوق وتصحيح القول.

## ١٥. القلب المنيب ووعد المزيد

قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١].

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ [ق: ٣٢].

﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣].

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق: ٣٤].

﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

ينتقل الخطاب في هذا المقطع من تقريب الجنة إلى وصف من وعدوا بها، ثم إلى السلام والخلود وما يشاءون وما لدى الله من مزيد. يشرح مجمع البيان الأواب بالرجاع إلى الطاعة ضمن وجوهه، والحفيظ بالمحافظ على ما أمر الله به، والقلب المنيب بالمقبل على طاعته. ويذكر في الخشية بالغيب الإيمان والطاعة مع عدم الرؤية، ووجهًا في إخلاص الخشية في الخلوة حيث لا يراه الناس [م٢٣٩].

تلتقي هذه الأوصاف مع محاسبة النفس في المبحث السابق: الرجوع إلى الله عمل يتجدد، وحفظ الأمر يظهر في الموقف الذي يغيب عنه نظر الآخرين أيضًا. فالحديث عن الجنة يدعو إلى صدق الباطن كما يدعو إلى استقامة الفعل الظاهر، ولا يكتفي بصورة اجتماعية يعرف الناس بها صاحبها.

وفي المزيد يورد الطبرسي زيادة على ما يشاؤونه مما لم يخطر ببالهم، ووجهًا بالزيادة على مقدار استحقاق الثواب بأعمالهم [م٢٣٩]. تجمع القراءة بذلك بين الجزاء والفضل؛ فلا يحد العطاء بما يستطيع الإنسان أن يسميه من رغباته، ولا يجعل رجاء الفضل عذرًا لترك ما قرن به السياق من إنابة وحفظ وخشية.

ويأتي السلام في موضع الدخول، والخلود وصفًا لليوم، فيتصل نعيم الجنة بالأمن من انقطاعه. ومن المناسب أن نختم وعد المزيد بمعنى التواضع: يعرف القارئ صدق الوعد من النص، ويقر بأن معرفته الحالية لا تستوعب جميع ما وعد الله به.

### ١٦. الزمر إلى المآل وصدق الوعد

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢].

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤].

يعرض ختام الزمر حال الفريقين بعد القضاء. في خطاب خزنة النار تذكير بالرسل وتلاوة الآيات والإنذار بلقاء اليوم، ويأتي الجواب بالإقرار ببلوغ الرسالة. وفي استقبال أهل الجنة سلام وطيب ودخول مع الخلود، ثم حمد على صدق الوعد. تختلف جهتا الخطاب مع ورود لفظ الزمر في الموضعين.

يشرح مجمع البيان الزمر بالجماعات، والسوق إلى النار بالعنف، ويبين أن ذكر سوق المتقين يأتي على جهة المقابلة مع حفظ تكريمهم. ويعرض في الطيب وجوهًا تتصل بصلاح العمل أو طيب النفس والمقام. كما يفسر الأرض الموروثة هنا بأرض الجنة، والتبوؤ باتخاذ المأوى فيها [م٢٤٠]. فلا ينقل لفظ الأرض في هذه الآية تلقائيًا إلى قطعة معلومة من جغرافية الدنيا.

ويحفظ الحمد في قول أهل الجنة صلة النعمة بوعد الله، كما تحفظ خاتمة أجر العاملين صلتها بالعمل. وقد تقدمت في الفصل محاسبة النفس والإنابة والإنفاق؛ فتعود هذه المعاني في مشهد المآل بوصفها ما ينبغي أن يعتني به القارئ في حاضره. ولا ينتقل من وصف فريقي المشهد إلى تعيين مصير أفراد لم يعينهم النص.

ثم يأتي في الآية ٧٥، التي نختم بها الفصل، تسبيح الملائكة وحمدهم والقضاء بالحق. وينبه الطبرسي في تفسير المشهد إلى تنزيه الله عن الجلوس على العرش وصفات الأجسام [م٢٤٠]. بذلك يبقى وصف العرش والملائكة متصلًا بتعظيم الله وعدله، على الأصل الذي صاحب مباحث العرش والكرسي في الأبواب السابقة.

## ١٧. آخر الحكاية وأول العمل

لا يخرج القارئ من خبر الآخرة بخريطة يتفاخر بامتلاكها، بل بسؤال أقرب إليه: ماذا يحمل من عمله إلى اليوم الذي لا يملك تأجيله؟ إذا زاده النظر في الكون تواضعًا، وزادته قراءة الرواية أمانة، وزاده تذكر الحساب عدلًا ورحمة، فقد أثمر العلم في موضعه.

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

وفي الزمر ٧٥ ينتهي المشهد بالحمد لله رب العالمين. هكذا يعود آخر الباب إلى معنى رافق أول الكتاب: الخلق دال على ربه، والرجوع إليه يجعل للحياة وزنها. تتوقف صفحات الحكاية، ويبقى باب التعلم والتوبة والإصلاح مفتوحًا ما دام الإنسان في زمن العمل.

إحالات الفصل: البقرة ٢٥٥؛ النساء ١٢٢؛ التوبة ٧٢؛ الحجر ٤٧–٤٨؛ الكهف ٤٩؛ طه ١٠٩؛ الأنبياء ٤٧ ؛ السجدة ١٦–١٧؛ يس ٥٨، ٦٥؛ الزمر ٦٩–٧٥؛ فصلت ٢٠–٢٢؛ محمد ١٥؛ ق ١٥، ٣١–٣٥؛ الواقعة ٢٥–٤٤؛ الإنسان ١٣؛ الزلزلة ٧–٨؛ الأعراف ٤٣–٥٠؛ الصافات ٥٠–٦١؛ الحشر ١٨–١٩. التفسير: مجمع البيان [م٢٣٥، م٢٣٨–م٢٤٠]. الرواية: الكافي، خبر الموازين المرفوع وحكم المجلسي [م٢٣٦–م٢٣٧]؛ حديث محاسبة النفس وحكمه [م١٤٨–م١٤٩]. أخبار العوالم: التوحيد ورجال النجاشي [م١٥–م١٦]؛ الخصال والنص المقابل وترجمة ابن هلال والحكم المنقول عليه [م٥٤، م١٥٠–م١٥٢]. ولشرح انتفاء أذى الحر والبرد وعظم الرضوان: مجمع البيان [م٢٧٩–م٢٨٠].

# الخاتمة — من التأمل في الخلق إلى معرفة الخالق

الحمد لله رب العالمين، الذي يسر لي جمع هذه المادة وترتيبها، وأعانني على مواصلة النظر في كتابه وآيات خلقه. والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين. أحمد الله على نعمة الإيمان والعقل، وأستحضر فضل ما بلغه رسوله وبيّنه أهل بيته عليهم السلام من هدى نستعين به على الفهم والعمل.

**ما الذي نحمله من هذه الرحلة؟**

بدأت الحكاية بسؤال عن الكون، ثم عادت إلى الإنسان الذي ينظر إليه. وبين السؤالين مررنا بالسماوات والأرض، والماء والضوء، والشمس والقمر والنجوم، والجبال والبحار، والنظام والتغير، ثم بما أخبر به الوحي عن انقلاب العالم والبعث والجزاء. وكلما اتسعت المادة ازدادت الحاجة إلى بيان ما نعرفه، والطريق الذي عرفناه به، والحد الذي يقف عنده الدليل.

وجدنا في القرآن دعوة متصلة إلى النظر والتفكر والشكر، وقرأنا من روايات أهل البيت عليهم السلام ومن جهود المفسرين ما يعين على فهم موضوعات الكتاب، مع إبقاء أحكام النقل منسوبة إلى أهلها. واستعنا بالمعرفة العلمية في وصف الظواهر التي تدرسها أدوات الرصد والقياس. وتقوم أمانة هذا الجمع على إظهار وظيفة كل دليل، حتى يتبين للقارئ موضع النص وموضع التفسير وموضع المعرفة العلمية وموضع شرحي.

وقد صاحبتنا حدود المعرفة في كل مرحلة. فالإيمان بما أخبر به الوحي لا يمنحنا إحاطة بكيفيته، ونقل خبر لا يغني عن معرفة حاله، ونجاح نموذج علمي في تفسير ظاهرة لا يجعله جواباً عن كل سؤال في الوجود. وفي مباحث الآخرة التقى الوعد بالعدل والرحمة والدعوة إلى محاسبة النفس؛ فبقاء بعض التفاصيل مجهولًا لا يمنع العمل بما اتضح. وحين نسجل اختلافًا أو نتوقف عند مسألة، نحفظ للقارئ حقه في معرفة موضع الدليل وما بقي بحاجة إلى دراسة.

أما الثمرة التي نرجو أن تعود إلى حياتنا فهي أن يجعلنا التأمل أشد انتباهًا للنعمة والمسؤولية. يظهر أثر المعرفة في ماء نصونه، وأرض نحفظها، وضرر نسعى إلى دفعه، وفي العدل الذي نقيمه والرحمة التي نبذلها. والناظر إلى اتساع السماء يبقى مسؤولًا عما تفعله يداه في الأرض، وعن صدق ما ينقله إلى الناس باسم الدين أو العلم.

ومما تعلمناه أن الدقة تظهر أحيانًا في تصحيح صغير له أثر كبير: اسم راوٍ، أو رقم جزء، أو عبارة كانت شرحًا فظُنّت متنًا. وقد يتسع الفهم حين نضيف آية كاملة أو نصل الخبر بسياقه، كما يتضح المثال العلمي حين نذكر

أداة القياس والافتراضات التي يقوم عليها المثال. هذه الأعمال جزء من خدمة الحقيقة التي أهديت إليها الكتاب، وأرجو أن يصحب أثرها القارئ بعد إغلاق صفحاته.

## كلمة الباحث إلى القارئ

أؤكد في ختام هذه الصفحات ما بينته في مقدمتها: لست رجل دين، ولا أدّعي أنني عالم؛ وإنما أنا باحث وجامع لما في بواطن الكتب، أرجو أن أحسن ترتيب ما أقرأه وتقديمه للباحثين عن الحقيقة العلمية والدينية. وأقر بأن حاجتي إلى التعلم والتصحيح باقية، وأن ما في هذا العمل من صواب فمن توفيق الله ومن جهود أهل العلم الذين رجعت إليهم، وما فيه من خطأ أو تقصير فمن قصوري.

أشكر والديّ وزوجتي وأولادي، ومعلميّ وطلابي، وكل من ساندني بسؤال أو كلمة أو دعاء. وأذكر بالوفاء أثر سماحة الشيخ أحمد الوائلي، رحمه الله، وما بقي في نفسي من أحاديثه وإرشاداته. كما أشكر العلماء والمحققين والباحثين الذين حفظوا النصوص وشرحوا معانيها، والجهود العلمية الأمينة التي أتاحت للقارئ معرفة موثقة يمكنه الرجوع إلى دليلها.

وأدعو القارئ إلى أن يصحب الكتاب بعين متأملة، فيراجع المصدر إذا احتاج، ويميز بين درجات القول، ويرسل ما يراه من تصحيح أو استدراك. فالملاحظة المبنية على الدليل عون لي وللكتاب، وقبولها جزء من الوفاء للغرض الذي كتب من أجله. وأرجو أن أكون أنا أول المنتفعين بما تدعوني إليه هذه الرحلة من تواضع ومراجعة للنفس.

ألّفت هذا الكتاب سنة ٢٠٢٠م، الموافقة لنطاق سنتي ١٤٤١–١٤٤٢هـ، ثم راجعته وحدثته سنة ٢٠٢٣م، الموافقة لنطاق سنتي ١٤٤٤–١٤٤٥هـ، وأعود إلى مراجعته وتحديثه مرة أخرى سنة ٢٠٢٦م، في المراجعة الحالية الموافقة لسنة ١٤٤٨هـ. هذه المراجعات تؤكد أن خدمة النص تستمر، وأن التوسع في مادته يستدعي مزيدًا من الضبط والتصحيح.

اكتملت رحلة إعداد هذا المتن عبر الأبواب السبعة والفصول الثمانية والأربعين، واتصلت بها الخاتمة والملاحق والفهارس. شملت المتابعة ضبط البنية والإحالات، وفحص النصوص القرآنية المبين في سجل التحقيق، ومقابلة نقول مختارة بمصادرها، مع تسجيل اختلاف الألفاظ والترقيم وحدود الاقتباس. ولا يزال الفرق قائمًا بين توثيق قول المحدث أو المفسر وبين تحقيق جميع طرقه، وبين مقابلة النص المتاح وبين استقصاء المخطوطات والطبعات.

لذلك أقدم هذه النسخة التحريرية ثمرة جهد موثق قابل للمراجعة المتخصصة قبل النشر، دون ادعاء استقصاء كل ما ورد في الكون أو حسم كل مسألة خلافية.

**وتتواصل الحكايات**

يمهد هذا الكتاب لقراءة أوسع في ميادين الخلق: في النبات والحيوان والإنسان، وفيما ورد عن الملائكة والجن والعوالم السابقة، ثم في مسيرة الهداية وصلتها بحياة الناس، وفي مباحث الروح والجنة وحدود معرفتنا بما لم يفصل لنا من الخلق. تحمل كتب السلسلة هذه الموضوعات في مواضعها، ولكل منها مدخله وطريقته في خدمة مجاله، مع وحدة الأمانة والمقصد.

ومن رغب في متابعة هذه الرحلة فليصحب كتبها عند صدورها إن شاء الله، وليجعل القراءة بابًا للتعلم والعمل. ما أرجوه من هذه السلسلة أن تقرب المادة إلى من يبحث عنها، وأن تصل محبة القرآن وأهل البيت عليهم السلام بالصدق في الفهم والنقل، وأن يتسع بها احترامنا للعلم ولمن أفنوا أعمارهم في خدمته.

اللهم ارزقنا صدق الطلب وأمانة القول، وأرنا الحق وأعنا على اتباعه، واهدنا إلى تصحيح ما نخطئ فيه. واجعل ما نتعلمه زيادةً في الشكر والتواضع، وما نكتبه نفعًا للناس، وتقبل منا هذا الجهد برحمتك، إنك سميع الدعاء.

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠].

قال تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨١].

قال تعالى: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٢].

والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الباحث والكاتب

السيد حسام زهاء مرتضى الصراف الحسيني

# الملحق الأول — جدول الآيات الكونية مرتبة بحسب الموضوع والسورة

دليل للآيات الأساسية المعتمدة في هذه النسخة، وليس حصرًا نهائيًا لكل الآيات ذات الصلة. الأرقام في عمود «السورة والآيات» أرقام الآيات، والأرقام في عمود «الفصول» تحيل إلى فصول الكتاب، وليست أرقام صفحات. يرجع القارئ إلى متن الفصل لقراءة الآيات في سياق الاستدلال أو ضمن شواهده المكمّلة.

| الموضوع | السورة والآيات | الفصول |
|---|---|---|
| النظر في الخلق والنعمة | البقرة ١٦٤؛ آل عمران ١٩٠–١٩٤؛ يونس ١٠١؛ فصلت ٥٣؛ الذاريات ٢٠–٢١ | ١، ٣٧ |
| التوحيد والتنزيه | الأعراف ٥٤؛ الأنبياء ٢٢؛ الشورى ١١؛ الزمر ٦٢ | ٢، ١٤ |
| بدء الخلق والإعادة | العنكبوت ١٩–٢٠؛ الروم ٢٧؛ ق ١٥ | ٣، ٣٩، ٤٥ |
| الماء والخلق والحياة | هود ٧؛ الأنبياء ٣٠؛ النور ٤٥ | ٥، ٧ |
| الدخان وتسوية السماوات | فصلت ٩–١٢ | ٦، ٨، ٩ |
| الأيام الستة | الأعراف ٥٤؛ يونس ٣؛ هود ٧؛ الفرقان ٥٩؛ السجدة ٤؛ ق ٣٨؛ الحديد ٤ | ٨ |
| السماوات السبع والأرضون | البقرة ٢٩؛ الإسراء ٤٤؛ المؤمنون ١٧، ٨٤–٨٩؛ فصلت ١٢؛ الطلاق ١٢؛ الملك ٣–٤؛ نوح ١٥–١٨ | ٩، ١٠ |
| شمول الربوبية ونفي العبث | الأنبياء ١٦–١٨؛ مريم ٦٥؛ طه ٦–٧؛ الشعراء ٢٣–٢٩؛ ص ٢٧–٢٨؛ الدخان ٣٨–٤٠ | ١١، ٤٨ |
| بناء السماء وطرقها وأبوابها | البقرة ٢٢؛ الأعراف ٤٠؛ الرعد ٢؛ الحجر ١٤–١٥؛ الأنبياء ٣٢؛ الحج ٦٥؛ المؤمنون ١٧؛ لقمان ١٠؛ ق ٦؛ الذاريات ٧؛ القمر ١١–١٥؛ النبأ ١٩؛ النازعات ٢٧–٢٩ | ١٢ |
| زينة السماء والحفظ | الحجر ١٦–١٨؛ الصافات ٤–١٠؛ فصلت ١٢؛ الملك ١– | ١٣، ٢٠ |

| الموضوع | السورة والآيات | الفصول |
|---|---|---|
| | ٥؛ الجن ٨-١٠، ٢٦-٢٨ | |
| العرش والكرسي | البقرة ٢٥٥؛ الأعراف ٥٤؛ يونس ٣؛ هود ٧؛ طه ٥-٦؛ غافر ٧-٩؛ الشورى ١١؛ الحديد ٤؛ الحاقة ١٧ | ١٤ |
| البيت المعمور والسدرة والرؤية والحجاب | الطور ١-٨؛ النجم ١١-١٨؛ الأنعام ١٠٣؛ طه ١١٠؛ الشورى ١١، ٥١؛ مريم ١٧؛ المطففين ١٥؛ البقرة ٣٠-٣٣؛ الأنبياء ٢٦-٢٧؛ التحريم ٦ | ١٥ |
| الشمس والقمر والمنازل | البقرة ١٨٩؛ يونس ٥؛ يس ٣٨-٤٠؛ الفرقان ٦١؛ فصلت ٣٧؛ نوح ١٦؛ النبأ ١٣-١٦؛ الفرقان ٤٥-٤٦؛ النحل ٤٨؛ الانشقاق ١٦-١٩ | ١٦، ١٧، ٢٣ |
| النجوم والهداية والبروج | الأنعام ٧٦-٧٩ و٩٧؛ يوسف ٤ و١٠٠؛ الحجر ١٦؛ النحل ١٦؛ الأنبياء ٣٣؛ يس ٤٠؛ الفرقان ٦١؛ البروج ١؛ لقمان ٣٤ | ١٨، ١٩ |
| الليل والنهار | يونس ٦ و٦٧؛ الفرقان ٦٢-٦٣؛ القصص ٧١-٧٣؛ النبأ ٩-١١؛ المزمل ١-٨ | ٢١ |
| المشارق والمغارب | الرحمن ١٧-١٨؛ المعارج ٤٠-٤١؛ المزمل ٩ | ٢٢ |
| اليوم واختلاف سياق المقدار | الحج ٤٧؛ السجدة ٥؛ المعارج ٤؛ التوبة ٣٦-٣٧ | ٢٣ |
| تهيئة الأرض للسكن | البقرة ٢٢؛ طه ٥٣؛ غافر ٦٤؛ الملك ١٥؛ النبأ ٦ | ٢٤ |
| الجبال والرواسي | النحل ١٥؛ الأنبياء ٣١؛ لقمان ١٠؛ النبأ ٧ | ٢٥ |
| البحر والبرزخ والانتفاع | النحل ١٤؛ الفرقان ٥٣؛ فاطر ١٢؛ الرحمن ١٩-٢٢ | ٢٦ |
| الأنهار والينابيع والمخزون | الرعد ٣؛ المؤمنون ١٨؛ الزمر ٢١؛ الملك ٣٠ | ٢٧ |
| الرياح والسحاب والمطر | الحجر ٢٢؛ الرعد ١٢-١٣؛ النور ٤٣؛ الروم ٤٦ و٤٨ | ٢٨، ٢٩ |
| الإنبات والإحياء | الأنعام ٩٩؛ الحج ٥؛ الروم ٥٠؛ فصلت ٣٩؛ عبس ٢٤ | ٣٠ |

| الموضوع | السورة والآيات | الفصول |
|---|---|---|
| | -٣٢ | |
| الرجفة والخسف | الأعراف ٧٨ و٩١؛ القصص ٨١؛ العنكبوت ٤٠ | ٣١، ٣٦ |
| التقدير والميزان | الفرقان ٢؛ القمر ٤٩؛ الرحمن ٧-٩ | ٣٢ |
| الأزواج والتنوع | الرعد ٣-٤؛ الروم ٢٢؛ فاطر ٢٧-٢٨؛ يس ٣٦؛ الذاريات ٤٩؛ الأنعام ١٤٣-١٤٤ | ٣٣ |
| التسبيح والسجود | الرعد ١٥؛ الإسراء ٤٤؛ الحج ١٨؛ النور ٤١؛ سبأ ١٠؛ ص ١٨-١٩ | ٣٤ |
| الخلق والأمر والملكوت | البقرة ١١٧؛ الأنعام ٧٥ و١٠١؛ الأعراف ٥٤؛ النحل ٤٠؛ يس ٨٢-٨٣؛ الملك ١؛ الأعراف ١٨٥ | ٢، ٣٥ |
| الأمانة والعلم والإصلاح | الأعراف ٥٦؛ الإسراء ٣٦؛ الأحزاب ٧٢؛ الجاثية ١٣ | ٣٧، ٣٨ |
| علم الساعة | الأعراف ١٨٧؛ لقمان ٣٤؛ الأحزاب ٦٣؛ النازعات ٤٢-٤٦ | ٤٢ |
| النفخ والصعق والبعث | النمل ٨٧؛ يس ٤٩-٥٣؛ الزمر ٦٨؛ الحاقة ١٣ | ٤٣ |
| تحول الأجرام والسماء | الأنبياء ١٠٤؛ الرحمن ٣٧؛ القيامة ٧-١٢؛ التكوير ١-٢؛ الانفطار ١-٢؛ الانشقاق ١-٥ | ٤٤، ٤٥ |
| الجبال والبحار وتبديل الأرض | إبراهيم ٤٨؛ الكهف ٤٧؛ طه ١٠٥-١٠٧؛ الواقعة ٤-٦؛ الحاقة ١٤؛ التكوير ٣ و٦؛ الانفطار ٣؛ القارعة ٥ | ٤٦، ٤٧ |
| الغيب الأخروي والجزاء | السجدة ١٧؛ الزمر ٦٩-٧٥؛ ق ٣٥؛ الزلزلة ٦-٨ | ٤٨ والخاتمة |

## دليل آيات الميزان والتنوع والتسبيح والملكوت

الميزان والتقدير والسنن: الرحمن ١-١٣؛ الفرقان ٢؛ القمر ٤٩؛ الرعد ١١؛ الأحزاب ٦٢؛ فاطر ٤٣. الفصل ٣٢.

التنوع والأزواج: الرعد ٣-٤؛ الروم ٢٢؛ فاطر ٢٧-٢٨؛ يس ٣٦؛ الذاريات ٤٩؛ الحجرات ١٣؛ الأنعام ٣٨ . الفصل ٣٣.

التسبيح والسجود: الرعد ١٥؛ النحل ٤٨-٤٩؛ الإسراء ٤٤؛ الحج ١٨؛ النور ٤١؛ سبأ ١٠؛ ص ١٨-١٩؛ الرحمن ٦. الفصل ٣٤.

الخلق والأمر والملكوت: الأنعام ٧٥-٧٩؛ الأعراف ٥٤؛ النحل ٩٠؛ المؤمنون ٨٨؛ يس ٨٢-٨٣؛ الشورى ١١؛ الحديد ٧؛ الملك ١-٢. الفصل ٣٥.

مشاهد آدم وزوجه: البقرة ٣٠-٣٩؛ الأعراف ١٩-٢٣؛ الحجر ٢٦-٢٩. ويوسف والأقوات: يوسف ٤، ٤٦-٤٩، ١٠٠. وموسى وأمه وأخته وامرأة فرعون: القصص ٧-١٣. ومريم وزكريا ويحيى: آل عمران ٣٧-٤١؛ مريم ٢-٢٦. بقية الإحالات موزعة بجوار المشاهد في الفصل ٣٦. وموسى والسحرة: طه ٦٥-٧٠ كاملة في المبحث ١٦.

التفكر والأمانة: آل عمران ١٩٠-١٩١؛ الأعراف ٣١، ٥٦؛ الإسراء ٣٦-٣٧؛ الأحزاب ٧٢؛ الجاثية ١٣. وأداء الأمانة: النساء ٥٨؛ الأنفال ٢٧. النصوص الكاملة وشروحها في الفصل ٣٧.

**دليل آيات الساعة ومشاهد الآخرة**

علم الساعة والإنذار: الأعراف ١٨٧-١٨٨؛ لقمان ٣٤؛ الأحزاب ٦٣؛ النازعات ٤٢-٤٦. العلامات المذكورة: محمد ١٨؛ النمل ٨٢؛ الأنبياء ٩٦-٩٧. الموت والبرزخ: آل عمران ١٨٥؛ المؤمنون ٩٩-١٠٠. الفصل ٤٢.

النفخ والحشر: النمل ٨٧؛ يس ٤٩-٥٤؛ الزمر ٦٨-٧٥؛ ق ٤١-٤٤؛ الحاقة ١٣-١٨؛ النبأ ١٧-١٨. الفصل ٤٣.

تحول الأنوار: القيامة ٧-١٥؛ المرسلات ٨؛ التكوير ١-٢؛ الانفطار ٢. صلة المشهد بالحق والعمل: التكوير ٨-١٤؛ الانفطار ٥-١٢. الفصل ٤٤.

تحول السماء: الأنبياء ١٠٤؛ الفرقان ٢٥؛ الرحمن ٣٧؛ الحاقة ١٦-١٨؛ المعارج ٨؛ المزمل ١٨؛ المرسلات ٩ ؛ النبأ ١٩؛ التكوير ١١؛ الانفطار ١؛ الانشقاق ١-٦. الفصل ٤٥.

الأرض والجبال والبحار: طه ١٠٥–١١٢؛ النمل ٨٧–٨٨؛ الواقعة ٤–٦؛ الحاقة ١٣–١٥؛ المعارج ٩؛ المزمل ١٤؛ النبأ ٢٠؛ التكوير ٣، ٥–٦؛ الانفطار ٣–٥؛ الانشقاق ٣–٤؛ الفجر ٢١–٢٤؛ الزلزلة ١–٨؛ القارعة ٥. الفصل ٤٦.

التبديل والعرض والإعادة — الفصل ٤٧: إبراهيم ٤٨–٥٢؛ الكهف ٢٩، ٤٧–٤٩؛ طه ١٠٥–١١٢؛ يس ٧٨–٨٣؛ الزمر ٦٩–٧٠؛ ق ٣–٤، ٤١–٤٤؛ المعارج ٤٣–٤٤. ترد النصوص الكاملة في سياقات شرحها داخل الفصل.

العدل والشهادة والنعيم — الفصل ٤٨: البقرة ٢٥٥؛ النساء ١٢٢؛ التوبة ٧٢؛ الحجر ٤٧–٤٨؛ طه ١٠٩؛ الأنبياء ٤٧؛ السجدة ١٦–١٧؛ يس ٥٨، ٦٥؛ فصلت ٢٠–٢٢؛ محمد ١٥؛ ق ١٥، ٣١–٣٥؛ الإنسان ١٣ ؛ الزمر ٦٩–٧٥. تُقرأ هذه الآيات كاملة في مواضع شرحها، مع شواهد الأعراف الواردة في الفصل.

## دليل آيات الشمس والمواقيت والمشارق

الشمس في خبر ملكة سبأ: النمل ٢٢–٤٤؛ الفصل ١٦. مواقيت الصلاة في الخبر المعروض: الإسراء ٧٨؛ هود ١١٤؛ البقرة ٢٣٨؛ الفصل ٢١. المشرق والمغرب في محاجة إبراهيم: البقرة ٢٥٨؛ الفصل ٢٢. تبقى سائر آيات الباب مثبتة في الجدول وإحالات الفصول.

## دليل آيات الأرض والماء والريح والحياة

الأرض والانتفاع المشترك: النازعات ٣٠–٣٣؛ الرحمن ١٠–١٣ — الفصل ٢٤. ألوان الجبال والخشية: فاطر ٢٧–٢٨ — الفصل ٢٥.

ظلمات البحر والنجاة: النور ٣٩–٤٠؛ يونس ٢٢–٢٣ — الفصل ٢٦. ماء مدين: القصص ٢٣–٢٦ — الفصل ٢٧.

تسخير الريح لسليمان: الأنبياء ٨١؛ سبأ ١٢؛ ص ٣٦ — الفصل ٢٨. الماء الواحد واختلاف الثمر: الرعد ٤ — الفصل ٣٠. قصة قارون في سياقها: القصص ٧٦–٨٢ — الفصل ٣١.

عمارة الأرض: هود ٦١؛ الأعراف ٥٦ — الفصل ٢٤. الجبل والماء: المرسلات ٢٥–٢٧ — الفصل ٢٥. تسخير البحر: الجاثية ١٢–١٣ — الفصل ٢٦. الماء والشكر: الواقعة ٦٨–٧٠ — الفصل ٢٧.

الرياح والإحياء: فاطر ٩ — الفصل ٢٨. الغيث والرحمة: الشورى ٢٨ — الفصل ٢٩. الحرث والإنبات: الواقعة ٦٣-٦٧ — الفصل ٣٠. المصيبة وتهذيب الاستجابة: الحديد ٢٢-٢٣ — الفصل ٣١. ويعرض مبحث رياح الرحمة والعذاب في الفصل ٢٨ آية يونس ٩٨. ومثل السيل والزبد: الرعد ١٧ — الفصل ٢٧. النصوص كاملة في المواضع المذكورة.

## دليل آيات النظام والمعنى ومسؤولية الإنسان

ميزان شعيب: هود ٨٤-٨٧؛ الشعراء ١٨١-١٨٣؛ ونفي الأمر بالفحشاء: الأعراف ٢٨ — الفصل ٣٢.

الطير صافات: النور ٤١؛ الملك ١٩ — الفصل ٣٤. صاحب الجنتين ومحاوره: الكهف ٣٢-٤٤ — الفصل ٣٥ .

الإحياء والمشاهد الجماعية: البقرة ٢٤٣، ٢٤٩-٢٥١، ٢٥٩-٢٦٠؛ رحلة موسى: الكهف ٦٠-٨٢؛ سبأ ١٥ -١٧؛ أصحاب الجنة: القلم ١٧-٣٣ — الفصل ٣٦.

العدل مع القريب والبعيد: النساء ١٣٥؛ المائدة ٨ — الفصل ٣٧.

الاختيار والمشيئة: الإنسان ٢٩-٣١؛ عدل الكيل والحساب: المطففين ١-٦ — الفصل ٣٢. اختلاف الخلق: النور ٤٥ والنحل ١٣ — الفصل ٣٣. التسبيح والعبادة: الطور ٤٨-٤٩ والحجر ٩٨-٩٩ — الفصل ٣٤.

إحياء الطير وحدود التفصيل الروائي: البقرة ٢٦٠ — الفصل ٣٥. حفظ الأقوات والإذن بالآية: يوسف ٥٥؛ الإسراء ٥٩؛ غافر ٧٨ — الفصل ٣٦. التبين وأمانة النسبة: الحجرات ٦؛ النحل ١١٦ — الفصل ٣٧. النصوص الكاملة في الفصول المذكورة.

## دليل آيات النظر وضوابط المعرفة

النظر في السماوات والأرض: يونس ١٠١ — الفصل ٣٨. الإيساع وسياق الخلق: الذاريات ٤٧-٤٩ — الفصل ٣٩. القول على الله بغير علم: الأعراف ٣٣ — الفصل ٤١. وفي الفصل ٤١ أيضًا يرد مقطع التكوير ١٥ -٢١ كاملًا، ضمن تطبيق يربط دلالة الألفاظ بسياق القسم وأمانة تبليغ الوحي.

## دليل آيات الهول والحشر والحساب

الهول والحجة على البعث: الحج ١-٧ — الفصل ٤٢. العبادة والساعة والجزاء في خطاب موسى عليه السلام: طه ١٤-١٦، كاملة في المبحث الحادي عشر.

الخروج والقرابة: القمر ٦–٨؛ القارعة ٤؛ المؤمنون ١٠١–١٠٣؛ المعارج ١٠–١٤ — الفصل ٤٣. الراجفة والرادفة والزجرة الواحدة: النازعات ٦–١٤، كاملة في المبحث الثاني عشر.

النور يوم الحساب: الحديد ١٢–١٥؛ التحريم ٨ — الفصل ٤٤. ويُقرأ مقطع المرسلات ٧–١٥ كاملًا متصلًا في المبحث الحادي عشر، بينما ترد القيامة ١٣–١٥ في المبحث الرابع متصلةً بشرح الحساب.

اختلاف سياقات انشقاق السماء: مريم ٨٣–٩٢؛ الطور ٩–١٦ — الفصل ٤٥. وترد الزمر ٦٧ في موضع شرحها، والمزمل ١٧–١٩ كاملة في المبحث الثالث عشر. ويُقرأ مقطع مريم متصلًا، مع حفظ الفرق بين مشهد الحشر وسياق إنكار نسبة الولد إلى الرحمن.

الحشر وفدًا وفردًا — الفصل ٤٧: مريم ٨٣–٩٥؛ الأنعام ٩٤. تُقرأ آيات مريم بترتيبها مع حفظ الفرق بين وصف الحشر وسياق إنكار نسبة الولد إلى الرحمن. وتنوع المآلات: الواقعة ٧–١١؛ الغاشية ١–١٦، في المبحث التاسع.

الحوارات وصفاء العلاقة: الأعراف ٤٣–٥٠؛ الصافات ٥٠–٦١؛ الواقعة ٢٥–٢٦ — الفصل ٤٨.

مدة اللبث والرجوع: المؤمنون ١١٢–١١٥ — الفصل ٤٢. الموت والنفخ والشهادة: ق ١٩–٢٢ — الفصل ٤٣ . الصدقة والأجر والنور: الحديد ١٨–١٩ — الفصل ٤٤. القدرة والخلق الجديد: إبراهيم ١٩–٢٠ — الفصل ٤٥.

شهادة الجوارح: النور ٢٤–٢٥ — الفصل ٤٦. الخروج والبروز: المعارج ٤٣–٤٤؛ إبراهيم ٤٨ — الفصل ٤٧ . محاسبة النفس: الحشر ١٨–١٩ — الفصل ٤٨. ويعرض المبحث الرابع عشر من الفصل ٤٦ مقطع الكهف ٤٧–٤٩ كاملًا. وترد النمل ٨٧، والتكوير ٣، والانفطار ٥، والفجر ٢٢–٢٤ في مواضع الاستدلال من الفصل نفسه.

## دليل آيات القلم والتعليم والنور

القلم والكتابة: القلم ١–٤؛ العلق ١–٥. الكتاب والمشيئة: الجاثية ٢٩؛ الرعد ٣٩. مثل النور والهداية: النور ٣٥. ويُستشهد بسبأ ٣ في سياق خبر الأولية، وبالبروج ٢١–٢٢ في اللوح المحفوظ، وبالكهف ١٠٩ في صورة البحر والمداد. النصوص الكاملة وشروحها في الفصل ٤.

# الملحق الثاني — جدول الروايات ومصادرها ومواضع دراستها وخلاصة الحكم عليها

السجل الآتي يخص النصوص التي استُخدمت أو نوقشت في هذه النسخة. إثبات المصدر لا يعني تصحيح السند، و«غير مكتمل التحقيق» لا تعني «موضوع». يلزم قبل اعتماد طبعة نهائية جمع بقية الروايات وطرقها ودراسة رجالها واختلاف ألفاظها.

| النص أو الموضوع والمصدر | موضعه في الكتاب | حالة التحقيق وحدود الاستفادة |
|---|---|---|
| ابتداء الخلق؛ نهج البلاغة، الخطبة الأولى [م١] | ٢ | نص معروف في المصدر؛ لم تستكمل طرقه السابقة على جمع النهج. يستفاد من اتجاهه التوحيدي دون ادعاء تحقيق سندي كامل. |
| جنود العقل والجهل؛ الكافي، ج ١، كتاب العقل والجهل، ح ١٤ [م٢، م١٧] | ٤ | ثبت النص والطريق وقيد «من الروحانيين» [م١٧]. وقوبل تضعيف المجلسي بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ١، ص ٦٥ [م٩٧]. لا يُبنى منه ترتيب زمني شامل. |
| مناقشة أبي قرة في العرش والحمل؛ الكافي، كتاب التوحيد، باب العرش والكرسي، ح ٢ [م٩، م٢٦] | ١٤ | عُرض الطريق والمتن في الفصل ١٤ [م٢٦]. وقوبل تصحيح المجلسي بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ٢، ص ٧٥ [م٩٨]؛ دون ادعاء إجماع أو تحقيق رجالي مستقل. |
| بدء البيت والطواف، ح ١–٢؛ الكافي، ج ٤، ص ١٨٧–١٨٨ [م١٠، م٢٨، م٧٤، م٧٥] | ١٥ | فُصل الطريقان واختلاف المتنين. قوبل حكما المجلسي بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ١٧: الأول ضعيف على المشهور، ص ٧ [م١٢٠]، والثاني ضعيف، ص ٩ [م١٢١]. صحح رقم الجزء؛ ولم يحسم تعيين السماء أو التحقيق الرجالي المستقل. |
| الكسوف عند وفاة إبراهيم ابن النبي؛ | ٢٣ | عُرض النص والطريق [م١١]، وقوبل حكم المجلسي |

| النص أو الموضوع والمصدر | موضعه في الكتاب | حالة التحقيق وحدود الاستفادة |
|---|---|---|
| الكافي، ج ٣، باب صلاة الكسوف، ح ١ [م١١] | | بالمجهول بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ١٥، ص ٤٣٨ [م٩٩]. استُخدم لعرض رفض ربط الكسوف بوفاة شخص؛ ولم تستقص جميع طرق القصة. |
| التفكر في أمر الله، الكافي، ج ٢، باب التفكر، ح ٤ [م١٢] | ٣٧ | قوبل تصحيح المجلسي بالنص الإلكتروني لمرآة العقول [م٩٤]، وثبت إدراج البهبودي للخبر في صورة صحيح الكافي [م٣٠٨]، وفق منهجه في المقدمة [م٣٠٥]. التفصيل في الفصل ٣٧. |
| تجدد عالم وذكر عوالم وآدميين، التوحيد، باب ذكر عظمة الله عز جلاله، ح ٢ [م١٥] | ٤٨ | في الطريق عمرو بن شمر، وصفه النجاشي بضعف شديد [م١٦]. لا يعتمد هذا الطريق وحده لإثبات التفاصيل. لا يستلزم ذلك حكمًا على جميع الطرق المحتملة. |
| خبر أولية الماء، الصدوق، التوحيد، باب التوحيد ونفي التشبيه، ح ٢٠ [م١٨] | ٤، ٥ | ثبت موضع خبر الماء وطريقه وفيه أبو سمينة، ضعفه النجاشي في الترجمة ٨٩٤ [م٢٢]. لا يعتمد هذا الطريق وحده لإثبات الأولية المطلقة، لم تستقص سائر الطرق. |

استكمال روايات العرش على الماء: فُصل في الفصل ٥ طريقا حديثي التوحيد [م١٩]، وبيّن اختلاف الراوي الأخير والمجلس. بدأ فحص طريق أبي الصلت بنقل وصف الجواهري لتميم بن عبد الله بالمجهول [م١٦٢]، ونُقل القيد إلى الاستشهاد في الفصل ٨. لم تستكمل دراسة بقية الرجال أو جميع الطرق. وتبقى بقية صيغ النور والحجب والصور من أعمال المتابعة.

## إضافات مراجعة الباب الأول

ضبط درجات هذه الإضافات: تنسب الأحكام إلى أصحابها، ويميز في كل موضع بين نقل الثقلين ومقابلة النص الإلكتروني أو صورة الكتاب. وفي الأخبار الستة المقابلة من صحيح الكافي ثبت إدراجها في مختار البهبودي؛ فنسبة التصحيح إليه مبنية على هذا الإدراج وبيانه في خاتمة المقدمة أنه ينتقي ما صح عنده سندًا ومتنًا [م٣٠٥–م٣١٠]، لا على عبارة حكم مستقلة بجوار كل خبر. وهذه المقابلات الجزئية لا تعني استكمال مراجعة أصول

كتب الحكم أو تحقيق أسانيد الأخبار. وفي أخبار الروضة اعتمد رقم الحديث ولم يعتمد ترقيم جزء مرآة العقول المعروض إلكترونيًا قبل مقابلته. تُراجع مناقشة كل خبر في موضعها ولا تستبدل بهذا السجل.

النهي عن الجواب بغير معرفة: الكافي، باب النهي عن القول بغير علم، ح ٦ [م٥٥]؛ المنهج والفصل ٣٧. قوبل تصحيح المجلسي وشرحه في مرآة العقول، ج ١، ص ١٣٨ [م١٤٦]؛ يراعى سياق النهي عن إيهام السائل.

خبر صفوان في الإرادة: الكافي، باب الإرادة أنها من صفات الفعل، ح ٣ [م٥٦]؛ الفصل ٢. قوبل تصحيح المجلسي بنص مرآة العقول، ج ٢، ص ١٦، وفُصل نقل الشارح عن تعليقه [م١٥٣]. وثبت الخبر في صورة صحيح الكافي، ج ١، ص ١٦، برقم ٤٨ [م٣٠٧]، مع مراعاة بيان منهج المختار [م٣٠٥]. وأبقيت كنية أبي الحسن كما في المتن.

خطبة الخلق «لا من شيء»: الكافي، باب جوامع التوحيد، ح ١ [م٥٧]؛ الفصل ٣. قوبل حكم المجلسي «مرفوع» في ج ٢، ص ٨٤، وشرحه لمعنى الخلق في ص ٨٥ [م١٥٥]. لا يثبت افتتاح الطريق باسمين اتصال الوسائط المحذوفة. فُصل تعليق الكليني اللاحق [م٥٨] وشرح المجلسي عن نص الخطبة.

خبر الكون والمكان: الكافي، الباب المذكور، ح ٢ [م٥٩]؛ الفصل ٣. قوبل تصحيح المجلسي وترجيحه لفظ «أين» بنص مرآة العقول، ج ١، ص ٣٠٨ [م١٥٤]. وقوبل نصا التوحيد، باب القدرة، ح ٣، ص ١٢٥، والعيون، ج ١، باب ١١، ح ٦، ص ١١٧، فثبت فيهما «أين كان»، مع تسجيل اختلاف وصف السائل والطريق، وفصل تعقيب الصدوق عن المتن [م٢٨١-م٢٨٢]. اقتصرت المقابلة على النصوص الإلكترونية المتاحة، دون استقصاء المخطوطات والطبعات.

حديث خلق العقل: الكافي، كتاب العقل والجهل، ح ١ [م٦٠]؛ الفصل ٤. قوبل تصحيح المجلسي بمرآة العقول، ج ١، ص ٢٥ [م١٥٦]، وثبت افتتاح صحيح الكافي به في صورة ج ١، ص ١، برقم ١ [م٣٠٦]، مع مراعاة منهج المختار [م٣٠٥]. لا تنقل الدرجة إلى الحديث ١٤ [م١٧]؛ ولفظ «لما خلق» لا يثبت وحده الأولية المطلقة.

خبر مرازم في النور: الكافي، كتاب الحجة، ح ٣ من الباب ١١١ [م٦١]؛ الفصل ٤. قوبل تضعيف المجلسي بالنص الإلكتروني لمرآة العقول [م١٠٩]، وميّز شرح الدلالة [م١١٠] من المتن.

خبر محمد بن عطية: روضة الكافي، ح ٦٧ [م٦٢]؛ الفصلان ٥ و٧. قوبل حكم المجلسي بأنه مجهول [م١٠٤]، وحُفظ اعتراض المتن على فهم السائل في الرتق والفتق [م١١٢].

خبر محمد بن مسلم في الماء والدخان: روضة الكافي، ح ٦٨ [م٦٣]؛ الفصلان ٥ و٦. قوبل تصحيح المجلسي في كتابه [م١٠٥]؛ فُصل اختلاف المتن عن احتمالات الشارح للجمع.

خبر عبد الله بن سنان في أيام الخلق: روضة الكافي، ح ١١٧ [م٦٥]؛ الفصل ٨. قوبل حكم المجلسي [م١٠١] ومعنى اليوم [م١٠٢]، ووُصل السند المختصر بسياق الأحاديث السابقة [م١١١]. أضيفت مناقشة الأقوات [م١١٣]؛ بقيت مقابلة النسخ والتحقيق الرجالي التفصيلي.

خبر أولية القلم: قوبل نقل المجلسي [م١٠٦] بأصله في النص الإلكتروني لتفسير القمي، ج ٢، ص ١٩٨، عند سبأ ٣ [م١٥٧]؛ الفصل ٤. يذكر الأصل «هشام» ويسميه المجلسي هشام بن سالم. أُنجز تعيين الموضع، وبقيت نسبة مادة الكتاب ومقابلة النسخ والتحقيق الرجالي.

خبر القلم والكتابة: قوبل بموضعه في تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٧٩–٣٨٠ [م١٥٨]، بعد قراءة [م١٠٧]؛ الفصل ٤. أضيف بحث الخوئي في اختلاف اسم القصير [م١٥٩]، مع فصل حكمه على طريق المشيخة عن طريق خبر القلم.

خبر اللوح والقلم في معاني الأخبار: باب معنى الحروف المقطعة، ح ١، ص ٢٢–٢٣ [م١٦٠]؛ الفصل ٤. عُين الطريق الكتابي إلى خبر سفيان الثوري، وفُصل عن خبري هشام والقصير. نُقل تضعيف حسين الخشن للطريق [م١٦١]، ولم يعتمد وحده لتقرير تفاصيل غيبية.

عرض البدء بالهواء: التفسير المنسوب إلى القمي، هود ٧ [م١٠٨]؛ الفصلان ٤ و٥. لم يظهر سند مسمى في افتتاح المقطع المقروء، لا يسوّى تلقائيًا بأخبار الطرق المصرح بها.

## إضافات سجل الروايات للباب الثاني

خبر الحسين بن خالد عن الإمام الرضا: قوبل النقل الذي أحال إليه مجمع البيان [م٢٥] بموضعه في النص الإلكتروني لتفسير القمي عند الذاريات ٧ [م٦٧]. الفصول ٩، ١٠، ١٢. بقيت نسبة مادة التفسير ودراسة الطريق ومقابلة النسخ غير مكتملة، وسجل موضع تركيب ألفاظ آيتين في النقل الإلكتروني. لا يعد النقل في الكتابين طريقين مستقلين.

خبر الجاثليق والأنوار الأربعة: الكافي، باب العرش والكرسي، ح ١ [م٩، م٢٧]؛ موضعه الفصل ١٤. يتضمن الطريق المعروض عبارة «رفعه» بعد البرقي، فلا توجد فيه أسماء جميع الوسائط. لم تعتمد الأوصاف التفصيلية لإنتاج رسم للعرش.

خبر حملة العرش والعلم: الكافي، الباب نفسه، ح ٦ [م٣١]؛ موضعه الفصل ١٤. قوبل حكم المجلسي «مجهول» مباشرة بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ٢، ص ٨٠ [م١١٥]. فُصلت الأسماء التي يذكرها الشرح عن متن الخبر؛ فليس كل ما يرد في شرح الحملة من ألفاظ الرواية نفسها.

أحاديث سعة الكرسي: الكافي، باب العرش والكرسي، ح ٣-٥؛ الفصل ١٤. قوبل حكم الثالث «كالصحيح» بمرآة العقول، ج ٢، ص ٧٨ [م٢٤٢]، فاستكملت مقابلة موضع الحكم الذي كان منقولًا بواسطة الثقلين [م٦٩]. وقوبل حكما الرابع «صحيح» والخامس «موثق كالصحيح» بمرآة العقول، ج ٢، ص ٧٩ [م١١٤]. وقوبلت طرق الأخبار الثلاثة وألفاظها بنظائرها في التوحيد، الباب ٥٢، ح ٣-٥ [م١٦٣]، مع بيان مواضع التقاء الطرق واختلاف صياغة المتن. لا تتضمن هذه المقابلات تحقيقًا مستقلًا لرجال الطرق أو نقل أحكام أسانيد الكافي إلى أسانيد التوحيد أو اعتماد رسم هندسي واحد.

البيت المعمور والحجب: قوبل حكما خبري بدء البيت في مرآة العقول، ج ١٧، ص ٧ و٩ [م١٢٠، م١٢١]، وحكم خبر إبطال الرؤية [م١٢٢]. وقوبل خبر زينب العطارة في التوحيد، ص ٢٧٥-٢٧٧، مع تمييز هامش المحقق [م١٢٣-م١٢٥]. تبقى أسانيد الحجب وسائر الطرق ومقابلة النسخ ضمن أعمال التحقيق. وأضيفت مقابلة خبر العطارة بروضة الكافي ح ١٤٣ [م١٦٤]، مع حكم المجلسي بتمامه [م١٦٥] واختلاف ترتيب الهواء والحجب.

## إضافات سجل الروايات في مراجعة الباب الثاني

خبر داود الرقي: الكافي، باب العرش والكرسي، ح ٧ [م٧٢]؛ الفصل ١٤. قوبل حكم ضعيف على المشهور في مرآة العقول، ج ٢، ص ٨١ [م١١٦]، وفصل تأويل الداماد من اعتراض المجلسي عليه. لا تعني المقارنة مع التوحيد [م١٩] استقلال جميع رجال الطريقين.

خبر حنان بن سدير: التوحيد، باب العرش وصفته [م٧٣]؛ الفصل ١٤. عُرض اختلاف جهات وصف العرش وعلاقته بالكرسي. عُين النص والطريق، ولم يستكمل التحقيق الرجالي أو الجمع مع سائر الأخبار.

خبر الرؤية: الكافي، باب في إبطال الرؤية، ح ٢ [م٧٨]؛ الفصل ١٥. قوبل تصحيح المجلسي بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ١، ص ٣٢٨ [م١٢٢]. بقي مستقلًا عن حديث أبي قرة في باب العرش والكرسي.

خبر الحجاب في المطففين: التوحيد، الباب ١٨، ح ١ [م٧٦]؛ الفصل ١٥. عرض تفسير الحجاب عن الثواب مع نفي الحلول المكاني. الطريق غير مكتمل التحقيق هنا.

خبر زينب العطارة: التوحيد، ص ٢٧٥-٢٧٧ [م١٢٣-م١٢٥]، وروضة الكافي ح ١٤٣ [م١٦٤]؛ الفصلان ١٠ و١٥. قوبل حكم المجلسي «مجهول، ويمكن عده في الحسان» بمرآة العقول ج ٢٦ ص ٥ [م١٦٥]. عُين التقاء الطريقين عند خلف بن حماد، واختلاف ترتيب الهواء والحجب، وقيد عدد الحجب بنص التوحيد. أضيف شرح المجلسي لانقطاع الخبر [م١٦٧] إلى احتمالات محقق التوحيد، دون حسم المراد. بقي تحقيق الرجال والنسخ وسائر الطرق.

**مقابلة حملة العرش في الاعتقادات**

قوبل حكم خبر الكافي السادس بأنه مجهول في مرآة العقول، ج ٢، ص ٨٠ [م١١٥]، وأضيفت نصوص الاعتقادات للصدوق، ص ٤٤-٤٦ [م١١٧-م١١٩]؛ الفصل ١٤. فُصل ذكر الأسماء عند الصدوق من ألفاظ خبر الكافي، وسجل اختلاف لفظ افتتاح عدد الملائكة بين النقلين دون حسمه.

**إضافات سجل الروايات للباب الثالث**

كلام المنجّم: نهج البلاغة، الخطبة ٧٩ [م٣٣]، وشاهد أمالي الصدوق، المجلس ٦٤، ح ١٦ [م١٣٥]؛ الفصل ١٨. عُين طريق شاهد الأمالي وفُصل لفظه عن استثناء الاهتداء الملاحي في النهج. وقوبل اعتراض ابن طاووس في فرج المهموم، ص ٥٧-٥٨ [م٢٨٣]، بنقله في الحديقة الهلالية، مع فصل تعليق محققها [م١٧٢]. ثبتت نسبة الاعتراض، دون حسم تعيين عمر بن سعد أو صحة الطريق؛ وتبقى دراسة الرجال وجمع الطرق وعلاقة النقلين من حدود التحقيق غير المنجز.

الليل والنهار خلفة: قوبل مختصر مجمع البيان [م٣٧] بشاهد تفسير القمي عند الفرقان ٦٢ [م١٣١]؛ الفصل ٢١ . عُين الطريق المعروض وسياق السؤال، من غير إثبات أن الطبرسي أخذ عنه مباشرة. بقي تحقيق الرجال ونسبة مادة التفسير وتفاصيل الفقه.

خبر الكسوف عند وفاة إبراهيم ابن النبي — الفصل ٢٣: عُين طريق النص المختصر في الكافي [م١١]، وقوبل وصف المجلسي له بالمجهول في مرآة العقول، ج ١٥، ص ٤٣٨ [م٩٩]. وقوبل به النص المطول في الجنائز، ح ٧ [م١٧٤]، ثم قوبل حكم المجلسي على هذا الموضع: «مجهول»، في ج ١٤، ص ١٣٨ [م٢٤٤]. وسجل اختلاف عمرو بن سعيد وعمرو بن عثمان، واختلاف علي بن عبد الله وعلي بن أبي عبد الله بين الكافي والتهذيب، مع تنبيه محققي الكافي [م١٧٥] وترجيح الصيغ في هامش الموسوعة الرجالية [م٢٤٥-م٢٤٦]. هذه مقابلة للنصوص وترجيح منسوب إلى مصدره، لا تعني توثيق جميع الرواة أو استقلال طريق التهذيب الذي يبدأ بمحمد بن يعقوب. وأضيف خبر زرارة ومحمد بن مسلم في كيفية الصلاة والانجلاء [م١٧٣]، وقوبل حكمه «حسن كالصحيح» في مرآة العقول، ج ١٥، ص ٤٣٩ [م٢٤١]. بقي استقصاء الطرق ومقابلة صور الطبعات والتحقيق الرجالي التفصيلي.

متابعة خبر الكسوف في المحاسن والفقيه — الفصل ٢٣: قوبل حديث المحاسن ٣١، ج ٢، ص ٣١٣-٣١٤، بطريق الحسين بن خالد، مع سياق اختصار إسناده في الأحاديث السابقة ونقل بحار الأنوار عنه [م٢٤٧، م٢٥٠]. وفُصل عنه القول النبوي المرسل في موضع الفقيه، ح ١٥٠٧، الذي لا يذكر وفاة إبراهيم [م٢٤٨]. وأثبت جرح النجاشي لأبي سمينة، مع حفظ صيغة «يقال» في ترجمة محمد بن أسلم [م٢٤٩، م٢٥١]. وأضيفت مقارنة مناقشة النوري والحائري لمحمد بن أسلم، والتمييز بين الخفّاف والصيرفي في المفيد [م٢٥٢-م٢٥٤]. وقوبل أصل المعجم وهامش تنقيح المقال وترجمتا النجاشي والطوسي [م٢٥٥-م٢٥٨]، ولم تثبت قرينة خاصة قاطعة لتعيين الراوي في هذا الطريق؛ ولم يُحكم بصحة الطريق لمجرد تعدد مواضع النقل.

تمييز الأقوال من الروايات: ما نُقل عن الزهري والبلخي في تفسير الجن ٨-٩ [م٣٥] عُرض بوصفه قولًا في تاريخ الحراسة، ولم ينسب إلى أهل البيت. كذلك فُصلت وجوه الطبرسي في المستقر والبروج والمشرقين عن الأخبار المرفوعة.

## نتائج الاستكمال الروائي في الباب الثالث

خبر أبي ذر في الشمس والقمر: التوحيد، ح ٧، ص ٢٨٠-٢٨١ [م١٢٦، م١٢٧]؛ الفصلان ١٦ و١٧. قوبل تمام الطريق والمتن، وضبط اختلاف ترقيم الواجهة [م٧٧]. بدأت مقابلة هوية موسى بن عمران وعمّه بترجمتي المعجم ج ٢٠ ص ٦٦-٦٧ [م١٦٨، م١٦٩]. فُصل تعيين الأسماء عن توثيق جميع الرجال، وربط

مقطع القمر بالخبر نفسه دون عده شاهدًا مستقلًا. بقي الحكم على مجموع الطريق ودراسة دلالته التفصيلية غير مكتملين.

دعاء الهلال: الصحيفة، الدعاء ٤٣ [م٨٠]؛ الفصل ١٧. أضيفت قراءة لطرف الطريق وخبر مقابلة الصحيفتين في المقدمة [م١٣٢]، وشرح جهة الخطاب عند البهائي [م١٣٣]. لا يعادل ذلك تصحيح الطريق أو مقابلة النسخ الباقية.

خبر ابن سيابة: روضة الكافي، ح ٢٣٣ [م٧٩]؛ الفصل ١٨. قوبل حكم المجلسي بالمجهول في مرآة العقول، ج ٢٦ ، ص ٩٥ [م١٢٨]، وصحح رقم الجزء. سجل اختلاف السنبلة والسكينة وشك الراوي في العدد من ص ٩٦ [م١٢٩]. وقوبلت ترجمة الحسن بن أسباط بالمعجم [م١٧٠]، ونُقل وصف الجواهري له بالمجهول [م١٧١]؛ وفُصل الحكم على الراوي عن حكم المجلسي على مجموع الحديث.

خبر زرارة: الكافي، ج ٣، ص ٢٧١ [م٨١]؛ الفصل ٢١. بُين التقاء الطرق في حماد، وقوبل تصحيح المجلسي في مرآة العقول، ج ١٥، ص ١٨ [م١٣٠]. فصل لفظ المصحف عن القراءة المذكورة في الرواية وعن التفسير؛ ولا ينقل حكمه إلى شاهد الخلفة.

## إضافات سجل الروايات للباب الرابع

فضل الزراعة والغرس — الكافي، ج ٥، كتاب المعيشة، باب فضل الزراعة، ح ٣ [م٤٢]؛ الفصل ٣٠. عُين الطريق، وقوبل حكم المجلسي بالمجهول في مرآة العقول، ج ١٩، ص ٣٣١ [م١٣٦]، وصحح رقم الجزء الظاهر في صفحة الثقلين. وثبت إدراج الخبر في صورة صحيح الكافي، ج ٢، ص ٣٦٧، برقم ٢٧٨٤ [م٣٠٩]، مع مراعاة منهج البهبودي [م٣٠٥]. بقيت دراسة مباني الحكمين مستقلة عن المقابلة؛ ولم يستعمل ذيل الخبر لتوقيت أحداث الغيب.

يبقى استقصاء بقية روايات الماء والرياح والرعد والزلازل، وجمع طرقها ومقابلة ألفاظها، من أعمال التحقيق اللازمة. أضيفت في هذا المرور النصوص المعينة أدناه، مع بقاء حدود التحقيق معلنة وعدم تقريرها وصفًا علميًا ثابتًا للظواهر.

دعاء السحاب والرعد — الصحيفة السجادية، الدعاء ٣٦ [م٨٢]؛ الفصل ٢٩. قُرئ النص وذُكر حد الاستعمال التعبدي، ووصل بعرض طرف طريق المقدمة في الفصل ١٧ [م١٣٢]. لم يستكمل تحقيق الطرق ومقابلة مخطوطات الدعاء.

خبر الرعد والسحاب — الكافي، ج ٨، الروضة، الخبر ٢٦٨ [م٨٣]؛ الفصل ٢٩. قوبل وصف المجلسي له بالمرفوع في مرآة العقول، ج ٢٦، ص ١٤١، وقرئت تتمة المتن وشرح الاحتمالات في ص ١٤٢ [م١٣٨]. لا يصحح ذلك الطريق؛ بقي جمع الشواهد والتحقيق الرجالي ومقابلة النسخ.

خبر الزرع وإصلاحه وحق الحصاد — الكافي، ج ٥، باب فضل الزراعة، ح ٦ [م٨٤]؛ الفصل ٣٠. قوبل حكم المجلسي بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ١٩، ص ٣٣٢ [م١٣٧]: ضعيف على المشهور وآخره مرسل. فُصلت زيادة «وروي» عن الإسناد الأول؛ بقي التحقيق المستقل ومقابلة صور الطبعات.

خبر رياح الرحمة والعذاب — الكافي، الروضة، ح ٦٤ [م١٧٦]؛ الفصل ٢٨. عُين الطريق وروجع صدره بالإحالة إلى ح ٦٣ [م١٧٧]. قوبل المتن بمرآة العقول، ج ٢٥، ص ٢١٩–٢٢٠، ثم قوبلت عبارة المجلسي «الحديث الرابع والستون: صحيح» في ص ٢١٩ [م١٧٨]، وصحح رقم الجزء المعروض في الثقلين. بقي تحقيق الرجال وجمع الطرق ومقابلة صور النسخ والطبعات، وفُصل خبر الغيب عن القياس الجوي.

روايات الزلازل — الفصل ٣١: قورنت مكاتبة علي بن مهزيار في عرضي الفقيه والتهذيب [م١٧٩–م١٨٠]، ثم بصورة التهذيب، ج ٣، ص ٣٢٥، بتصحيح وتعليق الغفاري [م٢٨٤]. ثبت لفظ «يرفع» في الصورة، خلاف «يدفع» في عرض الموقع، وقوبل الرمز «صح» بجانب الحديث ٨٩١، ورقمه ١٨ في الباب. نُسب الحكم إلى صاحبه، وبقي تحقيق طرق المكاتبة مستقلًا عن هذه المقابلة. وعُرض خبر سليمان الديلمي [م١٨١] دون تصحيح غير منجز، وفُصل وصفه الغيبي عن تفسير الصفائح وعن العمل التعبدي، مع حفظ احتياطات السلامة.

خبر أول المطر — الكافي، الروضة، ح ٣٢٦؛ الفصل ٢٩. عُين طريق علي بن إبراهيم عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة [م١٨٢]، وقوبل تضعيف المجلسي مباشرة بالنص الإلكتروني لمرآة العقول ج ٢٦ ص ١٩٥ [م١٨٣]. ثبت تفسير «فيما أظن» بكلام الراوي، وفصلت احتمالات الشارحين [م١٨٣–م١٨٤] عن المتن؛ بقي التحقيق الرجالي وجمع الشواهد ومقابلة النسخ المصورة. لا ينقل حكمه إلى خبر الرعد المرفوع ٢٦٨.

شواهد الرعد — الفصل ٢٩: فصل خبر العياشي ٢٢ عن ٢٣ في ج ٢ ص ٢٠٧ [م١٨٥]، مع عدم استكمال الطريق أو تعيين ضمير الخبر الأول. قوبلت عبارة تفسير القمي عند الرعد ١٣ [م١٨٦]، وسجل تنبيه محقق كنز

الدقائق في نسبة نقل الفقيه [م١٨٧]. قوبل أصل الفقيه لاحقًا، ج ١ ص ٥٢٥-٥٢٦، ح ١٤٩٦-١٤٩٧؛ ثبت غياب اسم علي عن العبارة وسبق سؤال أبي بصير أبا عبد الله. رجوع الضمير استظهار سياقي، وتبقى دراسة الطريق وجمع الشواهد. وأضيف مثل السيل والزبد، الرعد ١٧، كاملًا إلى الفصل ٢٧.

روايات الانتفاع بالماء — الفصل ٢٧: عُينت مكاتبة القنوات والرحى، الكافي، باب الضرار ح ٥، وخبر عقبة بن خالد ح ٦ [م١٨٨-م١٨٩]. قوبل حكما المجلسي «صحيح» للخامس و«مجهول» للسادس بنص مرآة العقول، ج ١٩، ص ٣٩٧ [م٢٤٣]. وقوبلت صورة صحيح الكافي، ج ٢، ص ٣٨٨، فثبت إدراج الخبرين برقَمي ٢٨٦٠ و٢٨٦١، وقراءة «نقع البئر» في الثاني [م٣١٠]؛ وتفهم نسبة التصحيح إلى البهبودي وفق مقدمته [م٣٠٥]. وقوبل تضعيف طريق الخبر السادس ومناقشة قراءته بنص محاضرات السيد السيستاني، ص ٥٣ [م١٩٠]. أغلقت مسألة مقابلة موضعي المختار؛ وبقي التحقيق المستقل للرجال وجمع الطرق واستقصاء اختلاف النسخ خارج المنجز، ولم يُدّع حسم جميع حقوق المياه.

**متابعة الروايات في الباب الخامس**

حديث التفكر — الكافي، ج ٢، باب التفكر، ح ٤ [م١٢]؛ الفصل ٣٧. عُيّن الطريق، وقوبل حكم المجلسي بالنص الإلكتروني لمرآة العقول [م٩٤]. وثبت الخبر في صورة صحيح الكافي، ج ١، ص ٧٢، برقم ١٩١ [م٣٠٨]، مع مراعاة منهج المختار [م٣٠٥]. بقي تحقيق الرجال مستقلًا عن هذه المقابلة.

مشاهد الفصل ٣٦: استكملت مواضع قرآنية في الإحياء والماء والزرع ورحلة موسى. ضُبطت نسبة أقوال تعيين المار على القرية في مجمع البيان [م٨٨]، وقوبل شاهدا العياشي في أرميا وعزير مع حفظ اختلاف النسبة وعبارة «ذكر جماعة من أهل العلم»، وأثبت تقويم الطباطبائي منسوبًا إليه [م٣٠١-م٣٠٢]. وفي فتى موسى قوبل شاهد أبي حمزة في العياشي، وفصل السرد في تفسير القمي عن خبر المكاتبة الذي يبدأ بطريق مستقل [م٨٩؛ م٣٠٣-م٣٠٤]. أُنجز تعيين هذه المواضع ومقابلة ألفاظها؛ وبقي التحقيق الرجالي واستقصاء سائر الطرق، دون جزم زائد على نتيجة المقابلة.

الإسراء والمعراج: قوبل تقسيم الطبرسي لأخبار المعراج بوصفه منهجًا تفسيريًا [م٢٩٢]. وعُين خبر الروضة ٣٧٦ وشاهده في أمالي الصدوق، مع اختلاف الطريق والوصف وحفظ حكم المجلسي «موثق، ولعل في السند سقطًا» [م٢٩٣-م٢٩٥]. وقوبل الحديثان ١٢ و١٣ من باب مولد النبي في الكافي؛ حكم المجلسي على الأول «حسن» وعلى الثاني «ضعيف»، وفصلت احتمالاته في الجمع بين الأعداد عن ألفاظ الروايات [م٢٩٦-م٢٩٨].

نتيجة متابعة المعراج: استُكملت مقابلة خبر المائة والعشرين كاملًا في الخصال، ص ٦٠٠-٦٠١، مع فصل حاشية المحقق عن متن الصدوق [م٢٩٩، م٣١٢]. وقوبل موضع بصائر الدرجات بصورة طبعة الأعلمي، ص ١١١، فثبت فيها رسم «منيع»، مقابل «منبع» في النسخة الإلكترونية المعاد صفها، ص ٩٩ [م٣٠٠، م٣١١]. أُغلقت بهذه المقابلة مسألة قراءة الموضع في الطبعة المصورة المحددة؛ أما اتحاد الراويين وتقويم الطريقين رجاليًا واستقصاء بقية أخبار المعجزات فليست نتائج تثبت بمجرد هذه المقابلة. ولا يفيد توافق العدد وحده حسم عدد مرات المعراج.

حديث الأمر بين الأمرين — الكافي، ج ١، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين، ح ١٣ [م٨٥]؛ الفصل ٣٢ . في الطريق واسطة غير مسماة، وقوبل وصف المجلسي بالمرسل بنص مرآة العقول الإلكتروني، ج ٢، ص ١٩٥ [م١٠٠]. لم يدرس مجموع طرق الموضوع.

نقول إراءة الملكوت — الفصل ٣٥: عُين أصل خبر أبي بصير في الكافي، الروضة، ح ٤٧٣ [م١٤١]، وقوبل تصحيح المجلسي وشرحه، ج ٢٦ ص ٣٨٨-٣٨٩ [م١٤٢]. فُصل شاهد العياشي في البقرة، ح ٤٦٩-٤٧٠ [م١٤٣]، عن خبره ٣٧ في الأنعام [م٢٠٠]، وسجلت فروق نقل مجمع البيان [م٨٧]. وقورنت شواهد الإراءة في العياشي ٣٣-٣٦ بنقل التبيان عن الباقر [م٢٩٠] وخبر بصائر الدرجات، الجزء الثاني، الباب ٢٠، ح ٦ [م٢٩١]؛ أُثبت طريقه المصرح به، وفصلت الصيغ التالية عنه، وحفظ اختلاف نسبة المتون المتقاربة إلى الباقر والصادق. وفصل جواب الطوسي في إمكان الرؤية عن النص المنسوب إلى الإمام. لا تعين هذه المقارنة مصدر الطبرسي المباشر، ولا تثبت صحة جميع الطرق؛ بقي التحقيق الرجالي ومقابلة المخطوطات والطبعات.

نفي الجبر والتفويض — التوحيد، باب ٥٩، ح ٧ [م١٣٩]؛ الفصل ٣٢. عرض الطريق وقوبل حكم النجفي بالصحة في موسوعته، ج ٢ ص ٣٤٧ [م١٤٠]، دون نقل الحكم إلى الطريق المرسل للخبر الآخر أو ادعاء تحقيق مستقل لجميع الرجال.

القول بغير علم — الكافي، كتاب فضل العلم، باب النهي عن القول بغير علم، ح ٣ وح ٦ [م١٤٤، م٥٥]؛ الفصل ٣٧. قوبل تصحيح المجلسي للخبرين في مرآة العقول، ج ١ ص ١٣٧-١٣٨ [م١٤٥-م١٤٦]. فُصل حكم الحديث عن شرح مدلوله؛ بقي جمع الطرق ومقابلة الطبعات والتحقيق الرجالي المستقل.

شاهدا الرحمة والعدل — الفصل ٣٢: الكافي، ج ١ ص ١٥٩، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين، ح ٩ وح ١١ [م١٩١]. حفظت عبارة «عن غير واحد» في الأول و«عن عدة» في الثاني، وأبقي الاختصار في أسماء

طريق الثاني. قوبل حكم المجلسي على كليهما «مرسل كالصحيح» بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ٢ ص ١٩٢ و١٩٤ [م١٩٢]، وفصل الشرح عن المتن وعن التطبيق الأخلاقي. لم ينجز تحقيق رجالي مستقل أو مقابلة صور الطبعات، ولم يعمم الحكم على الحديث الثالث عشر.

تقابل المخلوقات — الفصل ٣٣: التوحيد للصدوق، باب التوحيد ونفي التشبيه، الخبر ٢؛ يبدأ في ص ٣٤، وموضع الاستشهاد ص ٣٧-٣٨ [م١٩٤]. قوبلت صور هذه الصفحات من طبعة مكتبة الصدوق، طهران، ١٣٨٧هـ [م٢٨٩]. والطريق في صورة ص ٣٤: محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، عن محمد بن عمرو الكاتب، عن محمد بن زياد القلزمي، عن محمد بن أبي زياد الجدي، عن محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن الرضا عليه السلام. بناءً على هذه الصورة ضُبط «عمرو الكاتب» بدل «عمر والكاتب» التي ظهرت في النص الإلكتروني. ويذكر ابن أبي زياد طريقًا آخر عبر أحمد بن عبد الله العلوي عن القاسم بن أيوب العلوي. وقوبلت حاشية اختلاف اسم محمد بن زياد دون ترجيح قراءاتها، كما قوبل نص الشاهد وحاشية ص ٣٨ [م١٩٥] وفُصل التعليق عن المتن. لا تشمل هذه المقابلة توثيق الرواة أو تصحيح الطريقين أو استقصاء النسخ.

الأزواج الثمانية — الفصل ٣٣: قوبل الوجه المنقول في مجمع البيان [م١٩٣] بشاهد الكافي، ج ٨، ص ٢٨٣-٢٨٤، ح ٤٢٧ [م٢٨٥]. طريقه: محمد بن أبي عبد الله، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن إسماعيل الجعفي وعبد الكريم بن عمرو وعبد الحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبد الله عليه السلام. حُفظ عطف الأسماء كما في النص، ولم تُستبدل به سلسلة تفترض أن كل واحد منهم يروي عن الذي يليه. وقوبل حكم المجلسي «ضعيف على المشهور» في ج ٢٦ ص ٣٠٢ [م٢٨٦]. وقورن بنظيره في العياشي، ج ٢ ص ١٤٧-١٤٨، ح ٢٦ [م٢٨٧-م٢٨٨]؛ لم يظهر في الموضع طريق المصنف إلى إسماعيل بن جابر، ولم يُنقل حكم خبر الكافي إلى هذا النظير. هذه مقابلة لشاهدين، مع بقاء تحقيق الطرق وصور النسخ، ودون الجزم بمصدر نقل الطبرسي.

شواهد التسبيح والرفق — الفصل ٣٤: عُين طريق خبر تنقّض الجدر في الكافي، كتاب الزي والتجمل والمروءة، باب النوادر، ح ٤ [م١٩٦]؛ قوبل حكم المجلسي «ضعيف على المشهور» وشرحه الاحتمالي، ج ٢٢ ص ٤٤٥ [م١٩٧]. وعرضت أخبار باب نوادر في الدواب [م١٩٨]: الحديث الأول «ضعيف على المشهور»، والثاني «كالموثق» مع إبقاء «فيما أظن» في نقله، والرابع «ضعيف وآخره مرسل». قوبلت هذه الأحكام مباشرة بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ص ٤٥٤-٤٥٥، وفصل شرح المجلسي وما ينقله عن والده عن المتون. بقي جمع الطرق والتحقيق الرجالي ومقابلة صور الطبعات؛ ولم يستنبط حكم فقهي تفصيلي من هذا العرض.

شواهد إراءة الملكوت — متابعة الفصل ٣٥: عُينت الأخبار ٣٣-٣٦ من سورة الأنعام في النص الإلكتروني لتفسير العياشي [م٢٠٠]، وميزت روايات زرارة وعبد الرحيم القصير، والألفاظ المنسوبة إلى الباقر والصادق عليهما السلام. لا تعرض الصيغ تمام الطريق من المصنف إلى الرواة المذكورين، فلم يدع اتصالها أو تصحيحها أو استقلال طرقها. هي شواهد لمتابعة النقل الوارد في مجمع البيان [م٨٧]، دون الجزم بأنها مأخذه المباشر. بقيت مقابلة النسخ والأصول والتحقيق الرجالي. وأضيفت الأعراف ١٨٥ كاملة مع تفسير الطبرسي [م١٩٩]، وأحيل إلى تحقيق خبر الإرادة في الفصل الثاني.

اختلاف المعجزات — متابعة الفصل ٣٦: الكافي، كتاب العقل والجهل، ح ٢٠ [م٢٠١]؛ ضبط الطريق والمتن في الفصل، وحفظ قيد الظن في ذكر الشعر وكنية أبي الحسن كما وردت. قوبل تضعيف المجلسي مباشرة بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ١ ص ٧٨، وشرح الخبر ص ٧٨-٧٩ [م٢٠٢]. بقي جمع الطرق والتحقيق الرجالي المستقل ومقابلة صور الطبعات؛ لا يجعل العرض تصحيحًا للخبر أو إثباتًا مستقلًا لتاريخ علوم الأمم.

الصدق وأداء الأمانة — متابعة الفصل ٣٧: الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الصدق وأداء الأمانة، ح ١ [م٢٠٣] وح ٢ [م٢٠٤]. قوبل حكم المجلسي مباشرة بالنص الإلكتروني لمرآة العقول: الأول «حسن»، ج ٨ ص ١٨٠، والثاني «موثق»، ص ١٨١ [م٢٠٥]. حفظ ابتداء طريق الثاني بـ«عنه» ولفظ «وغيره»، ولم يدع استكمال التعليق أو التحقيق الرجالي المستقل. فصل شرح المجلسي عن المتنين، وبقي جمع الطرق ومقابلة صور الطبعات.

رد الحديث إلى الكتاب والسنة — متابعة الفصل ٤١: الكافي، كتاب فضل العلم، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب، ح ٣ [م٢٠٧]، من طريق أيوب بن الحر عن أبي عبد الله عليه السلام. قوبل تصحيح المجلسي وشرحه بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ١ ص ٢٢٩ [م٢٠٨]. فصل الحكم والشرح والتطبيق المنهجي عن المتن؛ ولم يدع تحقيق رجالي مستقل أو استيفاء مباحث عرض الأخبار والترجيح.

## إضافات سجل الروايات والنصوص الدعائية للباب السابع

خبر التوقيت في شأن القائم عليه السلام — الفصل ٤٢: الكافي، كتاب الحجة، باب كراهية التوقيت، ح ٣ [م٢١١ ]، من طريق أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام. قوبل تصحيح المجلسي وشرحه بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ٤ ص ١٧٤ [م٢١٢]. حفظ سؤال الراوي ولفظ الجواب، وفصل الشرح عن المتن؛ لا يجعل الخبر نصًا في موعد القيامة، ولا يعمم حكمه على أخبار الباب. بقي استقصاء الطرق والتحقيق الرجالي المستقل.

إسرافيل صاحب الصور: الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث [م٤٨]؛ الفصل ٤٣. ثبت موضع التسمية في النص المعروض، مع بقاء دراسة طرق الصحيفة خارج التحقيق المنجز؛ لا تنسب التسمية إلى آيات النفخ نفسها. أثبتت في المتابعة عبارة الدعاء المتصلة من التسمية إلى إيقاظ أهل القبور، وقوبلت بالمصدر.

خبر النفختين عن علي بن الحسين عليهما السلام — الفصل ٤٣: تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٥٢-أول ٢٥٣ [م٢١٤]؛ الطريق المبدوء بـ«حدثني أبي»، عن الحسن بن محبوب، عن محمد بن النعمان الأحول، عن سلام بن المستنير، عن ثوير بن أبي فاختة. قوبل مطلع السؤال والجواب «ما شاء الله» وحد انتهاء الخبر. تعيين الموضع والطريق منجز؛ دراسة السند وتمام الدلالات وجمع الشواهد غير مكتملة.

مطلع خبر المطر قبل البعث عن أبي عبد الله عليه السلام — الفصل ٤٣: تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٥٣ [م٢١٥]؛ يبدأ بـ«وحدثني أبي»، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج. فصل عن خبر النفختين السابق؛ الأربعون صباحًا في مطلعه متعلقة بالمطر المذكور، ولا تنقل تلقائيًا إلى الفاصل بين النفختين. لم يصدر هنا حكم مستقل على السند، ولا يدعي اقتباس المطلع نقل تمام ما يليه.

الظلم وظلمات يوم القيامة — الفصل ٤٤: الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الظلم، ح ١١، بطريق محمد بن يحيى إلى هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله [م٢١٨]. أثبت الطريق والمتن، وقوبل تصحيح المجلسي في مرآة العقول، ج ١٠ ص ٣٠١، مباشرة بالنص الإلكتروني [م٢١٩]. فصل حكم السند عن وجوه شرح الظلمات؛ لا يتضمن ذلك استيفاء تحقيق رجالي مستقل.

خبر القبضة واليمين — الفصل ٤٥: التوحيد للصدوق، ب ١٧ ح ٢، ص ١٦١-١٦٢، عن سليمان بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام [م٢٢٣]. أثبت الطريق وحد اقتباس الجواب، وفصل عن الخبر السابق في الباب. قوبل وصف بكر بن عبد الله بن حبيب المزني بالمجهول في المفيد، ص ٩١ [م٢٢٥]؛ لا يقدم الطريق هنا بوصفه صحيحًا، ولم تستكمل دراسة سائر وسائطه أو جمع طرق المتن.

التوبة والستر على الجوارح وبقاع الأرض — الفصل ٤٦: الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب التوبة، ح ١ [م٢٣٠]، بطريق محمد بن يحيى وأحمد بن محمد بن عيسى والحسن بن محبوب إلى معاوية بن وهب عن أبي عبد الله عليه السلام. أثبت المتن وقوبل تصحيح المجلسي مباشرة في مرآة العقول، ج ١١ ص ٢٩٥ [م٢٣١]. حفظ شرط التوبة النصوح، ولم يعمم الحكم على طرق أخرى أو يدع استكمال تحقيق رجالي مستقل.

خبر الأبرش الكلبي – الفصل ٤٧: الكافي، ج ٦، باب أن ابن آدم أجوف لا بد له من الطعام، ح ١ [م٥٢]. أثبت الطريق والمتن مع سؤال الأبرش واعتراضه وجواب الإمام. روجع وصف المجلسي بالحسن مباشرة في مرآة العقول، ج ٢٢، ص ٩٦ [م٩٥]؛ تبقى هذه نسبة لحكمه على الطريق دون ادعاء استقصاء رجالي مستقل.

الطريق الآخر عن زرارة – الفصل ٤٧: الكافي، الباب نفسه، ح ٤ [م٥٣]. أثبت الطريق والمتن، وميز سؤال زرارة واعتراض القائل غير المسمى عن خبر الأبرش. روجع وصف المجلسي بالمجهول مباشرة في مرآة العقول، ج ٢٢، ص ٩٨ [م٩٦]. لا ينقل إليه حكم الحديث الأول، وأثبتت آية الكهف ٢٩ كاملة بعد اقتباسها الجزئي ضمن المتن.

خبر تجدد الخلق في الخصال – محمد بن مسلم عن الإمام الباقر [م٥٤]؛ الفصل ٤٨. قوبل موضعه بص ٣٥٨-٣٥٩، ح ٤٥ [م١٥٠]، وصحح اسم محمد بن الحسين بن أبي الخطاب. روجعت ترجمة محمد بن عبد الله بن هلال في معجم الخوئي [م١٥١]، ونقل وصف السبزواري له بالمجهول في بحث سند آخر [م١٥٢]. لا يعد ذلك استقصاءً رجاليًا لجميع طرق خبر العوالم، ولا يخلط بحكم عمرو بن شمر.

الموازين والأنبياء والأوصياء – الفصل ٤٨: الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح ٣٦ في النص المقابل [م٢٣٦]. الطريق: عدة من أصحاب الكليني، عن أحمد بن محمد، عن إبراهيم الهمداني يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام. أُعيدت مقابلة مرآة العقول، ج ٥، ص ٣٦ [م٢٣٧]، فثبت أن المجلسي وصف خبر الموازين السادس والثلاثين بالمرفوع، وأن وصف المجهول يخص الخبر السابق. أما بطاقة الثقلين رقم ٣٥ فتجمع خبر الموازين مع حكم المجهول، وتعرض البطاقة التالية حكم المرفوع مع خبر آخر. أُغلق التعليق على موضع حكم المجلسي، وأُثبتت قرينة اختلاف مطابقة الترقيم بوصفها استنتاجًا؛ ولم يدّع فحص آلية الموقع أو استكمال دراسة الطرق. حُفظ اختلاف رسم الهمداني والهمذاني، وفُصل شرح المجلسي عن متن الجواب.

محاسبة النفس – الكافي، ج ٢، باب محاسبة العمل، ح ٢ [م١٤٨]؛ الفصل ٤٨. عرض المتن والطريق، وقوبل حكم المجلسي بالحسن في مرآة العقول، ج ١١، ص ٣٥٨ [م١٤٩]. لم تدرس جميع الشواهد والطرق استقلالًا.

تبقى روايات أعداد النفخات ومددها والمستثنين وأوصاف الصور والحشر وسائر تفاصيل المعاد من أعمال الاستقصاء. ما عرض في الفصول من القرآن لا يعد بديلًا عن جمع الأخبار، وما أُثبت في السجل لا يفيد الفراغ من تحقيق الباب.

# الملحق الثالث — مقارنة أقوال التفاسير الشيعية في المسائل الكونية الرئيسة

هذه مقارنة محدودة للمواضع التي أمكن الرجوع إليها، وليست عرضًا شاملًا لجميع المفسرين. يفصل الجدول الرأي المنقول عن النتيجة التحريرية التي يتبناها هذا الكتاب.

| المسألة | المصدر والقول المعروض | طريقة المعالجة في الكتاب |
|---|---|---|
| الرتق والفتق | التبيان ج ٧ ص ٤٨٠ يعرض أقوالًا، منها المطر والنبات [م٣]؛ الميزان ج ١٤ ص ٢٧٧ يناقش الاتصال والفصل وسياق الخلق والتدبير [م٤]. | لا إجماع مُدّعى على مطابقة الانفجار العظيم. يُحفظ اختلاف الأقوال. |
| أربعة أيام في فصلت | مجمع البيان يعرض معنى تتمة أربعة يدخل فيها اليومان الأولان [م٥]؛ الميزان ج ١٧ ص ٣٦٤ يختار تعلق الأربعة بتقدير الأقوات في الفصول [م٦]. | ينسب كل تفسير إلى صاحبه، ولا تُخلط القراءتان في جواب واحد. |
| الأرض مثلهن | الميزان ج ١٩ ص ٣٢٦ يقرأ ظاهر المثلية من جهة العدد ويناقش كيفية الأرضين [م٨]. | لا تعيين للقارات أو طبقات باطن الأرض بوصفها المراد القطعي. |
| النفخ في الصور | الميزان ج ١٧ ص ٢٩٣ يرجح ظاهر نفختي الإماتة والإحياء ويناقش غيره [م١٣]. | يُفصل نص الزمر ٦٨ عن التفصيل الاجتهادي في جمع بقية الآيات. |
| تبديل الأرض والسماوات | الميزان ج ١٢، تفسير إبراهيم ٤٨، يبرز اختلاف النظام ويعلق على تنوع الروايات [م١٤]. | لا خريطة لأرض المحشر ولا مقاييس مادية غير ثابتة. |
| الدخان والسماوات | الميزان، تفسير فصلت ٩–١٢ [م٧]، يناقش تسوية السماوات والأمر المتعلق بها. | المعنى التفسيري لا يتحول إلى تحديد للتركيب الفيزيائي للدخان بلا دليل. |

## استكمال المقارنات في الباب الثاني

الطباق والطرائق: يعرض مجمع البيان الفوقية ووجه التشابه في الإتقان عند الملك ٣، ويذكر المتطارقات وطرق الملائكة عند المؤمنون ١٧ [م٢٣، م٢٤]. يعرض الفصلان ٩ و١٢ هذه الوجوه بوصفها تفسيرًا، ولا يحولانها إلى قياسات أو مدارات محددة.

الحبك والأرضون: جرى تمييز الأقوال اللغوية والتفسيرية من خبر الحسين بن خالد في مجمع البيان [م٢٥]، ثم قوبل موضع الخبر في تفسير القمي [م٦٧]. ويفصل الفصل ١٢ بين اختيار الطبرسي نفي العمد وبين الوجه الآخر ونص الخبر [م٦٨]. تظل نسبة الرواية وتحقيق طريقها مبحثًا مستقلًا.

البيت المعمور: عُرض اختلاف التفاصيل بين مجمع البيان وخبري الكافي [م٢٨، م٢٩، م٧٤، م٧٥]. قوبل حكما المجلسي في الجزء ١٧ من مرآة العقول [م١٢٠، م١٢١]؛ وفُصل تفسيره للطواف عن ألفاظ الحديث. لم يحسم موضع البيت أو عدد الملائكة بجمع أجزاء الأخبار.

السدرة وجنة المأوى: فُصلت أقوال مجمع البيان [م٣٠] عن آيات النجم، وأضيف حوار الإمام الرضا مع أبي قرة في باب إبطال الرؤية من الكافي [م٧٨]. وقوبل حكم المجلسي بصحة الخبر بنص مرآة العقول الإلكتروني [م١٢٢]. يميز الفصل ١٥ بين رؤية آيات الله وإدراك الذات بالبصر.

## نتيجة المقارنة في العمد والحجب

العمد: يختار الطبرسي نفي العمد، مع عرضه وجه نفي المرئي منها [م٦٨]؛ ويعرض خبر الحسين بن خالد جوابًا آخر [م٦٧]. حفظ الكتاب اختلاف نوعي الدليل، ولم ينسب مطابقة بعينها للجاذبية إلى النصين.

الحجب: ميز الفصل ١٥ استعمالات القرآن من خبر تفسير المطففين [م٧٦] ومن خبر حجب النور [م٧٧]. لا ينشأ من الاشتراك في اللفظ حكم بتطابق المقصود في جميع المواضع. وقوبل خبر النور وتعليق المحقق على الانقطاع في التوحيد [م١٢٣–م١٢٥]. وفي المتابعة أضيف موضعه في الكافي [م١٦٤] وحكم المجلسي [م١٦٥]، مع فصل اختلاف الترتيب عن عدد الحجب الذي يذكره التوحيد.

## استكمال المواضع التفسيرية في الباب الثالث

مستقر الشمس: عرض مجمع البيان في يس ٣٨ وجوه انتهاء الجريان والأجل المقدر وغاية المسير في الصيف والشتاء [م٣٢]. يحفظ الفصل ١٦ هذا التعدد، ويفصل إثبات الحركة رصديًا عن تعيين المراد الحصري من المستقر.

المنازل والبروج: يعرض مجمع البيان منازل القمر في يس ٣٩ وتقسيم البروج في البروج ١ والفرقان ٦١ [م٣٢، م٣٤، م٣٧]. يميز الفصلان ١٧ و١٩ بين تقسيم الطريق ومدة دورة الأطوار، وبين الاصطلاح التراثي والكوكبات الحديثة؛ ولا يدعيان اتفاق التفاسير على تعريف واحد. وأضيفت قائمة المنازل الثمانية والعشرين من شرح البهائي، مع مثال حسابي مستقل لقسمة الدائرة [م١٣٤].

الشهب والحراسة: يتضمن مجمع البيان عند الجن ٨–٩ أقوالًا في سبق وجود الشهب واشتداد الحراسة [م٣٥]. لا ينسب الفصل ٢٠ إلى القرآن أن كل الشهب بدأت عند البعثة، ولا يحدد هوية غيبية لحدث مرصود.

المشرقان والمغربان: يعرض مجمع البيان عند الرحمن ١٧ وجه الصيف والشتاء ووجه الشمس والقمر [م٣٦]. يثبت الفصل ٢٢ الوجهين بوصفهما تفسيرًا، ويحفظ سياق الربوبية والآلاء؛ وهذه الإضافة عرض لمواضع من تفسير واحد، وليست مقارنة مكتملة بين جميع التفاسير.

## استكمال المقارنات في الباب الرابع

الرواسي والميد: يعرض مجمع البيان معنى الثبات ومنع الاضطراب في النحل ١٥ [م٣٨]. لا تساوي هذه القراءة وحدها دعوى علمية بأن كل جبل يمنع الزلازل؛ انظر الفصل ٢٥.

البرزخ: يستخدم مجمع البيان في الفرقان ٥٣ معنى الحاجز ومنع إفساد الملح للعذب [م٣٩]. يميز الفصل ٢٦ هذا الشرح عن وصف الامتزاج المقاس في المصبات، ولا يدعي حسم كل احتمالات التفسير.

لواقح: شرح مجمع البيان متصل بتلقيح السحاب وحمله الماء [م٤٠]. لا ينسب إليه الفصل ٢٨ حصر الآية في تلقيح النبات. وأضيف مثال التلقيح النباتي بمرجع علمي مستقل [ع٥٨]، مع التمييز بين تعريف العملية وبين تفسير لفظ الآية.

جبال البرد: يسجل مجمع البيان عدة وجوه في النور ٤٣ [م٤١]؛ يعرض الفصل ٢٩ هذا التنوع دون جعل قول منفرد تقريرًا فيزيائيًا قطعيًا.

## استكمال المقارنات في الباب الخامس

الميزان والتقدير: ينقل مجمع البيان عند الرحمن ٧-٩ معنى آلة الوزن عن الحسن وقتادة، والعدل عن الزجاج، ويذكر قولًا في القرآن دون تسمية قائله [م٤٣]. وعند الفرقان ٢ يعرض التقدير وفق الحكمة وينقل قولًا في صفات المخلوق ومدته عن الحسن [م٢٦٣]. يميز الفصل ٣٢ هذه الأقوال من التطبيقات العلمية وتأملي.

التسبيح: يعرض مجمع البيان دلالة الموجودات على التوحيد وأقوالًا في عموم التسبيح [م٤٤]، ويرجح الميزان تسبيحًا حقيقيًا مع علم يناسب الموجود، دون اشتراط ألفاظ البشر [م٢٦٥]. ويعرض الطبرسي وجهين لفاعل «علم» في النور ٤١ [م٤١]. يفصل الفصل ٣٤ هذه الترجيحات عن شرح المجلسي الاحتمالي لخبر تنقّض الجدر وحكمه على طريقه [م١٩٦-م١٩٧].

الأزواج: يشرح مجمع البيان والتبيان اللفظ عند يس ٣٦ بالأصناف أو الأشكال، ويذكران الذكر والأنثى في موضعهما [م٣٢، م٢٦٤]. يميز الفصل ٣٣ بين هذا البيان التفسيري ورتبة النوع العلمية وطرق الإكثار، ولا يحصر الآية في تطبيق معاصر.

## استكمال المقارنات في الباب السادس

الإيساع في الذاريات ٤٧: يميز العرض بين شرح مجمع البيان في قسم اللغة ووجوه القدرة وسعة الرزق في تفسير الآية [م٤٦]. يعرض الفصلان ٣٩ و٤١ القسمين دون دعوى اتفاق تاريخي على التفسير العلمي الحديث. وقورن التبيان عند الذاريات ٤٦-٥٥، حيث يعرض ثلاثة أوجه منها توسعة السماء منسوبة إلى ابن زيد؛ فُصل وجود هذا الوجه عن ادعاء تقرير جميع معلمات التمدد الحديث [م١٤٧].

ضبط المقارنة: يميز الفصل ٤١ النص من اجتهاد تفسيره، وكليهما من البيانات العلمية وتفسيرها. تراجع أمثلة السماوات والجبال والبرزخ في فصولها الأصلية قبل بناء المطابقة.

لا تستنبط أحكام الأسانيد من المطابقة العلمية؛ تراجع الأحكام المنقولة وحدود مقابلتها في سجل الروايات. ولا ينسب إلى روايات أهل البيت نموذج كوني حديث بمجرد التشابه اللفظي.

## استكمال المقارنة في الباب السابع

علم الساعة: يعرض مجمع البيان عند الأعراف ١٨٧ الحكمة التربوية في إخفاء الموعد ووجوه ثقل الساعة [م٤٧]؛ الفصل ٤٢. لم تحول الوجوه التفسيرية إلى تاريخ متوقع. وفي المتابعة أضيفت وجوه النازعات ٤٢-٤٦ مع نسبة الأقوال، وتمييز الخبر عن الساعة من معرفة وقتها وإقامتها [م٢١].

تغير الشمس والنجوم والبحار: يعرض مجمع البيان وجوهًا في الألفاظ [م٤٩]؛ الفصلان ٤٤ و٤٦. لا يجمع تعدد الوجوه في آلية فلكية أو كيميائية ملزمة.

الوردة والدهان والسجل: تقارن الوجوه التي نقلها مجمع البيان في الرحمن ٣٧ والأنبياء ١٠٤ [م٥٠-م٥١]؛ الفصل ٤٥. التشبيه يقرب المعنى ولا يثبت مطابقة صورة فلكية له.

تبديل الأرض وأرض المحشر — الفصل ٤٧: قوبل بحث الميزان [م١٤]، وعرض القولان في معنى التبديل من مجمع البيان [م٢٣٢]. ووسع شرح نور الأرض والكتاب والشهداء [م٢٢٢]، واتباع الداعي والهمس والهضم [م٢٣٣]، وقرب النداء وتشقق الأرض ويسر الحشر [م٢٣٤]. فصل التفسير عن متني الكافي وطريقيهما [م٥٢-م٥٣] وحكمي المجلسي [م٩٥-م٩٦]. وحُفظ شرط صحة الروايات واتصالها في توجيه الميزان اختلاف الأوصاف إلى التمثيل، دون عده تصحيحًا لأسانيدها [م١٤].

الموازين والنعيم وصدق الوعد — الفصل ٤٨: عرض شرح القسط وحبة الخردل من مجمع البيان [م٢٣٥]، ووجوه إخفاء قرة الأعين في سياق الدعاء والإنفاق [م٢٣٨]، والأواب والحفيظ والمنيب والمزيد [م٢٣٩]، وتمايز الزمر والأرض الموروثة وخاتمة الحمد مع التنزيه [م٢٤٠]. قوبل خبر الموازين ومرآة العقول [م٢٣٦-م٢٣٧] دون نقل توجيه الشارح إلى ألفاظ الإمام. واستُكمل شرح انتفاء أذى الحر والبرد [م٢٧٩] ووجها عظم الرضوان المنقولان عن الجبائي والحسن [م٢٨٠].

## استكمال المقارنة في الباب الأول

آل عمران ١٩٠-١٩٤: استُخدم مجمع البيان في شرح الألباب وصلتها بالتفكر والذكر [م٦٦]؛ الفصل ٠١. بُينت صياغة الطبرسي الكلامية للاستدلال، ووجها الذكر والصلاة بحسب الاستطاعة، مع الفصل بين التفسير والقياس الفلكي. لم تنقل أحكام الصحة إلى أخبار الفضائل الموجودة في الصفحة.

فصلت ١١: عُيّن موضع الميزان في الاستواء إلى السماء ووصف الدخان [م٦٤]؛ الفصل ٦. عُرض بوصفه تفسيرًا لصاحبه، لا إجماعًا على تعيين مادي مفصل.

الرتق والفتق: بقي عرض وجوه التبيان [م٢٠] منفصلًا عن خبر الروضة ٦٧ [م٦٢]؛ الفصل ٧. العثور على شاهد للمعنى لا يثبت وحده أنه الطريق الذي اعتمد عليه كل مفسر.

ترتيب فصلت والنازعات: قورنت معالجة الخلق والدحو في مجمع البيان [م٢١] بترجيح الميزان في ترتيب البيان [م٦٤]؛ الفصل ٨. لم يجمع الوجهان في نتيجة منسوبة إليهما معًا.

## إضافات تفسيرية في مراجعة الباب الخامس

أمم أمثالكم: ميز مجمع البيان وجوه المماثلة من تعميمها على جميع الصفات والتكاليف [م٨٦]؛ الفصل ٣٣.

الملكوت: فصل الشرح اللغوي والأقوال التفسيرية عن النقول الروائية الواردة في الصفحة نفسها [م٨٧]؛ الفصل ٣٥. وعُين أصل خبر أبي بصير وقورن حكم المجلسي وشرحه وشاهد العياشي، مع فصل المتن عن تعليق المحقق [م١٤١-م١٤٣]. وأضيفت شواهد العياشي في إراءة إبراهيم، سورة الأنعام ح ٣٣-٣٦، مع بيان عدم ظهور تمام الأسانيد [م٢٠٠]، ومبحث النظر في الملكوت عند الأعراف ١٨٥ [م١٩٩]. وقوبل ذلك ببيان الميزان لجهة انتساب وجود الأشياء إلى الله عند يس ٨٣، مع فصل هذا الاستنباط عن التصور المكاني [م٢٦٧].

تعيين الشخصيات: عرضت أقوال المار على القرية واسم فتى موسى من مجمع البيان [م٨٨-م٨٩] مع عدم نسبتها إلى لفظ القرآن؛ الفصل ٣٦.

الخنّس والجوار الكُنّس — الفصل ٤١: قوبل موضع التكوير ١٥-٢١ في مجمع البيان [م٢٠٦]. عرض أصل الستر والأقوال في النجوم وبقر الوحش والظباء، وربط المقطع بجواب القسم في الآية ١٩. ميز احتمال المقارنة بالثقوب السوداء من الدليل على تعيين المراد، دون الحكم على أسانيد الأقوال التي يوردها التفسير.

## إضافات تفسيرية في مراجعة الباب السابع

زلزلة الساعة: عرض مجمع البيان اختلاف توقيتها في شرح مطلع الحج، مع بيان أثر ذلك في فهم صورة الحمل والإرضاع [م٩٠]؛ الفصل ٤٢.

إخفاء الساعة في خطاب موسى – الفصل ٤٢: قوبلت وجوه تفسير طه ١٥ في التبيان [م٢٠٩] ومجمع البيان [م٢١٠]، مع إبقاء سياق العبادة والجزاء في طه ١٤-١٦. ميزت الأقوال المنقولة من النص القرآني، وبين أن المقابلة لا تتضمن تحقيق أسانيدها أو استيفاء القراءات.

الراجفة والرادفة – الفصل ٤٣: عرض تفسير مجمع البيان للفظين بالنفختين مع القول الآخر في اضطراب الأرض، وحفظ معنى الزجرة الواحدة ضمن سياق إنكار البعث [م٢١٣]. وميز في مقابلة تفسير القمي بين خبر النفختين وخبر المطر التالي له [م٢١٤-م٢١٥]؛ تعيين حدود المتن لا يغني عن تحقيق السند. واستُكملت وجوه نفي الأنساب والتساؤل عند النفخ مع حفظ اختلاف المواقف المنقول عن ابن عباس [م٢٧٤]، وقيد احتمال استثناء الأرواح في الميزان [م١٣].

نور المؤمنين: نقل وجوه الضياء والهداية مع فصلها عن القياس الفيزيائي [م٩١]؛ الفصل ٤٤. وفي المتابعة قوبلت وجوه جمع الشمس والقمر واتصالها بالحساب في مجمع البيان [م٢١٦]، وشرح طمس النجوم وسياق يوم الفصل في المرسلات [م٢١٧]. ميزت الأقوال التفسيرية من نص الآيات، وقوبلت وجوه شرح الظلمات عند المجلسي مع حفظ نسبتها إلى الشارح [م٢١٩]. وضُبطت نسب الأقوال في الانكدار وسؤال الموءودة [م٤٩]، ووجه استمرار أثر العمل المنقول عن ابن مسعود [م٢٢٨].

أوصاف السماء – الفصل ٤٥: قوبل شرح الإذن والكدح واللقاء [م٢٢٠]، ووجوه المهل [م٢٢١]، والقبضة واليمين في الزمر [م٢٢٢]، وسياق انفطار السماء في المزمل [م٢٢٤]، في مجمع البيان. وروجع موضع السجل والإعادة [م٥١] والكشط [م٤٩]. ميز التفسير عن الخبر الروائي [م٢٢٣]، وأثبتت ملاحظة حال راوٍ في طريقه [م٢٢٥]. وأضيفت وجوه مصاحبة الغمام أو الانشقاق عنه [م٢٧٥]، وشرح أبواب السماء في النبأ [م٢٧٦]، دون إدخال الرواية المجاورة في نطاق التحقيق المنجز.

أخبار الأرض وتحول معالمها – الفصل ٤٦: قوبلت وجوه الرج والبس والهباء في الواقعة [م٢٢٦]، والقاع الصفصف والعوج والأمت في طه [م٢٢٧]، وتفجير البحار في الانفطار [م٢٢٨]. وعرض بروز الأرض وحضور العمل ووجه جمع أوصاف الجبال في الكهف [م٢٢٩] مع حفظ نسبتها إلى المفسر. وروجع موضع حديث الأرض والعفو عن التائب في الزلزلة [م٩٢]، ووصل بحديث التوبة والستر [م٢٣٠-م٢٣١]. وأضيفت وجوه دك الأرض ومجيء الأمر مع التنزيه [م٢٧٧]، وقراءة مرور الجبال في النمل واتصالها بالجزاء [م٢٧٨].

الحشر والسماء في مريم: روعي اختلاف سياق الوفد عن سياق إنكار نسبة الولد، ولم تنقل تفاصيل الهيئة بوصفها مقطوعًا بها [م٩٣]؛ الفصلان ٤٥ و٤٧. وأضيف تفسير «وِردًا» بالعطاش مع نسبة القول، ووجه أبي مسلم في نصيب جهنم [م٩٣]؛ الفصل ٤٧.

# الملحق الرابع — معجم المصطلحات القرآنية والروائية المتعلقة بالكون

شروح موجزة بحسب استعمال المصطلحات في هذا الكتاب؛ لا تغني عن دراسة السياق ولا تدعي حصر المعاني اللغوية.

| المصطلح | الشرح في سياق الكتاب | موضع القراءة |
|---|---|---|
| الخلق | الإيجاد والتقدير بحسب السياق؛ لا ينحصر في نموذج علمي لمرحلة واحدة. | ٢–٨ |
| السماء والسماوات | لفظ يرتبط بالعلو وتختلف دلالته بحسب الموضع؛ والسماوات السبع خبر نصي لا يساوي تصنيفًا علميًا اعتباطيًا. | ٩–١٣ |
| الرتق والفتق | الاتصال أو الانضمام في مقابل الفتح أو الفصل؛ تعيين المصداق موضوع تفسير. | ٧ |
| الدخان | الوصف الوارد في فصلت ١١؛ لم يحدد النص هنا تركيبه الكيميائي. | ٦ |
| اليوم | زمن يفسره سياقه؛ لا يلزم تساوي مقاديره في جميع المواضع. | ٨، ٢٣ |
| العرش والكرسي | لفظان قرآنيان تدرس دلالتهما مع التنزيه؛ لا يُجعل الله جسمًا محمولًا. | ١٤ |
| المصابيح والزينة | أوصاف في مشهد السماء الدنيا، تدرس مع الحفظ وسياق كل آية. | ١٣ |
| الفلك والبروج | ألفاظ تتصل بالحركة والمنازل أو البناء الظاهر؛ لا تبرر التنجيم. | ١٩ |
| البرزخ | حاجز أو فاصل بحسب السياق؛ ليس كل موضع منه ذا تفسير مادي واحد. | ٢٦ |
| الرواسي والأوتاد | أوصاف للجبال تستلزم بحثًا لغويًا وتفسيريًا، لا حكمًا عامًا بمنع الزلازل. | ٢٥ |

| المصطلح | الشرح في سياق الكتاب | موضع القراءة |
|---|---|---|
| الميزان | يتصل بالتقدير والعدل في سياقه؛ لا يحصر في جهاز واحد. | ٣٢، ٤٨ |
| الزوج | قرين أو صنف أو أحد المتقابلين بحسب الاستعمال؛ لا ينقل إلى كل مجال بالمعنى نفسه. | ٣٣ |
| التسبيح والسجود | عبودية الموجودات ودلالتها على الله؛ لا نحيط بكيفية كل ما أخبر به النص. | ٣٤ |
| الأمر والملكوت | يُفهمان من السياق؛ يختلف الاصطلاح الفلسفي الخاص عن كل استعمال قرآني. | ٣٥ |
| الساعة | التحول الأخروي الذي أخبر به الوحي؛ لا يحسب موعده من دورة فلكية. | ٤٢ |
| الصور والصعق | ألفاظ في خبر النفخ والانتقال إلى البعث؛ الكيفيات والتفاصيل تحتاج إلى دليل مستقل. | ٤٣ |
| التكوير والانفطار والطي | أوصاف للتحول الأخروي، لا أسماء تقنية لنموذج فلكي بعينه. | ٤٤، ٤٥ |
| التبديل والمحشر | انتقال العالم وحضور الخلق للحساب؛ لا تُستنتج مقاييسه من خرائط الدنيا. | ٤٧ |

## مصطلحات إضافية من الباب الثالث

العرجون القديم: عود عذق النخل حين يعتق فيرق وينحني؛ ورد التشبيه به في هيئة القمر [يس: ٣٩؛ م٣٢]. موضعه الفصل ١٧.

خلفة: تعاقب الليل والنهار بحيث يخلف أحدهما الآخر؛ وعُرض في التفسير معنى استدراك العمل الفائت [الفرقان: ٦٢؛ م٣٧]. موضعه الفصل ٢١. أضيف شاهد تفسير القمي بطريقه المعروض، مع بقاء تحقيقه [م١٣١].

المستقر: لفظ تذكر في تفسيره وجوه تتعلق بالأجل والمنتهى وغاية المسير، لا يعين هذا المعجم له موضعًا فضائيًا واحدًا [يس: ٣٨؛ م٣٢]. موضعه الفصل ١٦.

**مصطلحات إضافية من الباب الخامس**

التقدير: ينظر في سياقه القرآني من جهة الخلق والتدبير، ولا يساوي تلقائيًا قيمة عددية مقيسة في نموذج علمي. الفصل ٣٢.

الأزواج: لفظ يتسع بحسب السياق للأصناف والقرائن والذكر والأنثى؛ لا يحصر في تطبيق علمي حديث واحد. الفصل ٣٣. ومن شواهده الأنعام ١٤٣–١٤٤؛ يشرح الطبرسي إطلاق الزوج على الفرد المقترن بآخر [م١٩٣].

التسبيح والسجود: يثبت النص عمومهما للموجودات في مواضع متعددة؛ وتعرض وجوه فهمهما مع نسبة التفسير إلى صاحبه، دون ادعاء فك لغة الأشياء تجريبيًا. الفصل ٣٤.

المعجزة والتخييل: يميز مشهد طه ٦٥–٧٠ بين ما صنعه السحرة وما أيد الله به موسى، وينتهي بإعلان الإيمان. تقرأ رواية اختلاف المعجزات مع حكم سندها، ولا تجعل وصفًا تقنيًا للحدث؛ الفصل ٣٦ [م٢٠١–م٢٠٢].

الأمر التكويني: اصطلاح يستعمل هنا للإيجاد النافذ المتعلق بالإرادة الإلهية؛ ويميز من الأمر التكليفي الذي يخاطب الإنسان بما يعمل. الفصل ٣٥.

الملكوت: يدرس عبر الأنعام ٧٥ والمؤمنون ٨٨ ويس ٨٣. يعرض مجمع البيان معناه بوصفه أبلغ من الملك [م٨٧]، ويفسره الميزان عند يس ٨٣ بجهة انتساب وجود الأشياء إلى الله [م٢٦٧]. يُنسب كل بيان إلى صاحبه، دون تحويله إلى إحداثيات مادية. الفصل ٣٥. ويستكمل بالأعراف ١٨٥، في صلة النظر في الخلق بالتفكر في الأجل [م١٩٩].

أداء الأمانة: رد ما اؤتمن عليه الإنسان إلى أهله، مع العدل والصدق في التعامل. يقرأ في النساء ٥٨ والأنفال ٢٧ وخبري الكافي مع حفظ درجة كل طريق [م٢٠٣–م٢٠٥]؛ الفصل ٣٧. لا يختزل معنى الأمانة في الأحزاب ٧٢ في تطبيق بيئي واحد.

الخُنَّس والجوار الكُنَّس — الفصل ٤١: ألفاظ قرآنية عرضت مع أصلها اللغوي ووجوه تفسيرها [م٢٠٦]؛ ليست في هذا الكتاب تسمية علمية مقررة للثقوب السوداء. يرجع شرح أفق الحدث وقرص التراكم إلى موضعهما العلمي [ع١٥].

**مصطلحات إضافية من الباب السابع**

علم الساعة: العلم بوقت قيامها؛ يميز من معرفة ما أخبر به النص عن بعض أحوالها. الفصل ٤٢.

أشراط الساعة: العلامات المذكورة في سياقها؛ لا تعني أن القارئ يملك تاريخ الحدث أو حق إسقاطها على كل واقعة معاصرة. الفصل ٤٢.

التوقيت في خبر القائم عليه السلام: الإخبار بوقت، كما يشرحه المجلسي في الموضع المدروس [م٢١٢]. يحفظ موضوعه ولفظه، ويميز من علم موعد القيامة. الفصل ٤٢، المبحث الثاني عشر.

النفخة والفزع والصعق: يدرس الفعل وأثره بحسب كل موضع؛ اختلاف الأوصاف لا يكفي وحده لإثبات عدد زائد من النفخات. الفصل ٤٣. الراجفة والرادفة: يعرض مجمع البيان تفسيرهما بالنفختين، وينقل قولًا آخر في اضطراب الأرض [م٢١٣]. الساهرة: من وجوه تفسيرها وجه الأرض أو عرصة القيامة؛ لا يعين بها هذا الكتاب موقعًا جغرافيًا معاصرًا.

الأجداث: القبور في سياق الخروج والحشر [يس: ٥١]. الفصل ٤٣.

طمس النجوم: محو آثارها وذهاب نورها في شرح مجمع البيان؛ يقرأ مع يوم الفصل في المرسلات [م٢١٧]. الظلمات في حديث النهي عن الظلم: يعرض المجلسي احتمال الحقيقة واحتمال الشدائد والأهوال، وهما من الشرح لا من تتمة المتن [م٢١٨–م٢١٩]. الفصل ٤٤.

الإذن في مطلع الانشقاق: الانقياد لأمر الله في شرح مجمع البيان؛ والكدح: السعي والدأب في العمل [م٢٢٠]. المهل: من وجوهه عكر الزيت أو القطران والمعدن المذاب [م٢٢١]. الكشط: القلع والإزالة في شرح موضع التكوير [م٤٩]. القبضة واليمين في الزمر: يشرحهما الطبرسي في جهة القدرة والملك، مع التنزيه عن الشبيه [م٢٢٢]. الفصل ٤٥.

الرج: التحريك باضطراب؛ والبس: من وجوهه التفتيت والتكسير؛ والهباء المنبث: الغبار الدقيق المتفرق [م٢٢٦]. القاع الصفصف: من وجوه تفسيره سطح أملس مستوٍ بعد زوال الجبال؛ ونفي العوج والأمت يشرح بنفي الانخفاض والارتفاع [م٢٢٧]. تفجير البحار: فتح مواضع الماء بعضها إلى بعض، مع تعدد الوجوه في تفسير الآية [م٢٢٨]. بروز الأرض: ظهور سطحها أو ظهور من كان في باطنها في الوجهين المنقولين [م٢٢٩]. الفصل ٤٦.

البروز والعرض: الظهور للحساب، لا يفهم منه أن علم الله كان محجوبًا قبل ذلك. الهمس: الصوت الخفي، ومن وجوهه صوت الأقدام أو إخفاء الكلام. الهضم: النقص، ونفيه في سياق طه يؤمن المؤمن من انتقاص حسناته [م٢٣٣]. الحشر: الجمع بالسوق من كل جهة، ويسره على الله لا يتوقف على تقارب قبور الناس [م٢٣٤]. الفصل ٤٧.

الخلق الجديد: يفهم بحسب سياقه القرآني والروائي، ولا يجعل كل استعمال له دليلًا على نظرية الأكوان المتعددة. القسط: العدل [م٢٣٥]. الأواب: من وجوهه كثير الرجوع إلى الطاعة، والحفيظ: المحافظ على أمر الله، والمنيب: المقبل عليه. المزيد: من وجوهه عطاء يتجاوز ما بلغت إليه أماني أهل الجنة [م٢٣٩]. الفصل ٤٨.

الزمهرير: شدة البرد، يشرح مجمع البيان نفيه في الإنسان ١٣ بانتفاء أذاه [م٢٧٩]. الرضوان: رضا الله، تعرض وجوه عظمته في التوبة ٧٢ مع بقاء سائر النعيم المذكور [م٢٨٠]. الفصل ٤٨.

## ألفاظ لازمة لقراءة الروايات

الطريق المرفوع في الشواهد المعروضة: صيغة نقل لم تُسمّ فيها جميع الوسائط إلى المنسوب إليه الخبر، مثل أول باب جوامع التوحيد. هذا توصيف للموضع، وليس تعميمًا لكل استعمال اصطلاحي للكلمة.

التعليق في الإسناد: اختصار أول السند اعتمادًا على ما تقدم، ومن أمثلته افتتاح خبر بضمير «عنه». لا يحكم على اكتمال الطريق من الصفحة المنفردة قبل رد الاختصار إلى مرجعه.

«لم يخرجه»: عدم إدراج الخبر في الكتاب المنتقى المشار إليه بحسب عرض المصدر، لا يساوي بذاته نقل حكم صريح بالوضع أو الضعف.

الحكم السندي والدلالة: الأول يبحث في نقل الخبر بحسب منهج ناقده، والثانية في المعنى الذي يدل عليه. لا يحسم أحدهما جميع مسائل الآخر.

اتصال الطريق وحدود المقارنة: وجود شاهد نصي يبدأ براو متقدم لا يثبت وحده تمام السند من المصنف إليه، طبق على شاهد العياشي وخبر الكافي، الفصل ٣٥.

# الملحق الخامس — معجم مبسط للمصطلحات الفلكية والفيزيائية والجيولوجية المستخدمة

هذه تعريفات تعليمية موجزة. استخدام كلمة علمية هنا لا يعني أنها تفسير حصري لكلمة قرآنية تشبهها.

| المصطلح | التعريف المختصر | الفصول |
|---|---|---|
| الكون المرصود | الجزء من الكون الذي كان للإشارات منه وقت كافٍ لتصل إلينا حتى الزمن الحالي؛ لا يساوي بالضرورة الكون كله، ولا يقتصر على ما التقطته أجهزتنا بالفعل. | ٩، ٣٨، ٣٩ |
| السنة الضوئية | وحدة مسافة: ما يقطعه الضوء في سنة في الفراغ؛ ليست وحدة لقياس عمر الجرم. | ٣٨–٤٠ |
| الطيف | توزع شدة الإشعاع بحسب الطول الموجي أو التردد؛ يستدل من نمطه على خصائص المصدر والمادة التي تفاعل معها الضوء [ع٥٠]. | ٣٨ |
| الانزياح نحو الأحمر | انتقال السمات الطيفية إلى أطوال موجية أكبر؛ يفسر بحسب سياقه وأسبابه. | ٣٩ |
| الإشعاع الكوني الخلفي | إشعاع قديم نرصده اليوم ويحمل آثار مرحلة أصبح فيها الكون الحار أكثر شفافية؛ ليس صورة مباشرة للحظة الأولى [ع١، ع٣١]. | ٣٩ |
| التضخم الكوني | تصور نظري لتمدد مبكر شديد السرعة؛ تفاصيله لا تقف في درجة رصد الظواهر المباشرة. | ٣٩ |
| المادة المظلمة | مكوّن يُستدل عليه بآثاره الجاذبية ولم تحسم طبيعته المجهرية؛ يختلف عن الطاقة المظلمة المرتبطة بتفسير تسارع التمدد [ع٣٢]. | ٣٩ |
| الطاقة المظلمة | اسم لمكوّن يرتبط بتفسير تسارع التمدد الكوني؛ يختلف عن المادة المظلمة المستدل عليها بآثار جاذبية [ع٣٣]. | ٣٩ |

| المصطلح | التعريف المختصر | الفصول |
|---|---|---|
| المجرة | نظام كبير من نجوم وغاز وغبار ومكونات أخرى مرتبط بالجاذبية. | ٤٠ |
| الاندماج النووي | اتحاد نوى خفيفة في عمليات تولد طاقة في ظروف النجوم المناسبة. | ١٦، ٤٠ |
| القزم الأبيض والنجم النيوتروني | نوعان مختلفان من البقايا النجمية الكثيفة؛ لا تنتهي كل النجوم بالطريقة نفسها. | ٤٠ |
| الثقب الأسود وأفق الحدث | الثقب الأسود منطقة لا تستطيع الإشارات الضوئية الإفلات من داخلها إلى الخارج وفق النسبية العامة الكلاسيكية؛ وأفق الحدث حد هذه المنطقة، ويختلف عن ظلها المرصود [ع١٥]. | ٤٠ |
| الطور القمري | شكل الجزء المضاء المرئي من القمر تبعًا للهندسة بينه وبين الشمس والأرض. | ١٧ |
| الكسوف والخسوف | الكسوف الشمسي حجب القمر قرص الشمس كله أو بعضه عن راصد على الأرض؛ والخسوف القمري مرور القمر كله أو بعضه في ظل الأرض أو شبه ظلها [ع٦، ع١٩]. | ٢٣ |
| الشهاب والنيزك | الشهاب ظاهرة الضوء في الهواء؛ والنيزك ما يصل من مادة الجسم إلى السطح. | ٢٠ |
| الدورة المائية | انتقال الماء بين خزاناته بحركات مثل التبخر والهطول والجريان والتسرب. | ٢٧ |
| المصب والتدرج الملحي | المصب موضع اتصال مجرى مائي بمسطح يستقبل مياهه. وفي المصبات البحرية يصف التدرج الملحي تغير الملوحة مع المسافة، رأسيًا أو أفقيًا؛ ولا يعني حدًّا يمنع الامتزاج [ع٨]. | ٢٦ |
| الصفائح والصدوع | الصفائح أجزاء متحركة من الغلاف الصخري؛ والصدوع كسور أو نطاقات كسور حدثت عبرها حركة نسبية بين كتل الصخور. | ٢٥، ٣١ |
| التعرية والترسيب | نقل المواد من مواضعها ثم تراكمها في مواضع أخرى بعوامل | ٣١ |

| المصطلح | التعريف المختصر | الفصول |
|---|---|---|
| | متعددة. | |

## مصطلحات إضافية للمواقيت وخرائط السماء

الشهر النجمي والشهر الاقتراني: الأول مدة إتمام القمر دورة بالنسبة إلى النجوم البعيدة، والثاني المدة بين تكرر الطور نفسه مرتين متتاليتين، مثل محاقين متتاليين. متوسطاهما نحو ٢٧٫٣ و٢٩٫٥ يومًا على الترتيب؛ وهما مدتان فلكيتان، ولا يحددان وحدهما قواعد بداية الشهر التقويمي [ع٣]. موضعهما الفصلان ١٧ و٢٣.

الاقتران وإمكان رؤية الهلال: الاقتران حدث يحسب من مواضع الأجرام، وإمكان الرؤية تقدير رصدي يتأثر بالهيئة الفلكية وظروف الرصد؛ وليس أحدهما اسمًا آخر للثاني [ع٣، ع٢٠]. موضعهما الفصل ١٧.

الكوكبة: منطقة محددة في خريطة السماء وفق التقسيم الفلكي الحديث؛ لا يلزم أن تكون نجومها تجمعًا فيزيائيًا واحدًا [ع١٨]. موضعها الفصلان ١٨–١٩.

ميل محور الأرض: الزاوية بين محور الدوران والعمودي على مستوى المدار، وتبلغ نحو ٢٣٫٤ درجة. يسهم الميل مع الدورة السنوية في تغير الإضاءة وتعاقب الفصول [ع٥، ع١٧]. موضعه الفصلان ٢١–٢٢.

## مصطلحات إضافية من الباب الرابع

التطبق الملحي: تباين الملوحة بين طبقات الماء رأسيًا، وقد يقل الامتزاج بينها، لكنه لا ينعدم بالضرورة. ويختلف ذلك عن تغير الملوحة أفقيًا على امتداد المصب؛ الفصل ٢٦ [ع٨].

المنطقة المشبعة: وسط تحت سطح الأرض تمتلئ مسامه وشقوقه بالماء.

المادة العضوية في التربة: مواد من أصل حي تدخل في التحلل والتفاعل مع بقية مكونات التربة.

الصدع: كسر أو نطاق كسور في الصخور حدثت على جانبيه حركة نسبية.

البقعة الساخنة: تسمية لموضع نشاط بركاني يفسر بعض السلاسل داخل الصفائح؛ لا تجعل كل براكين العالم من نوع واحد.

**مصطلحات إضافية من الباب السادس**

الطيف الكهرومغناطيسي: نطاقات الإشعاع التي تختلف في الطول الموجي والتردد والطاقة؛ الضوء المرئي جزء منها [ع٢٩].

العبور: مرور كوكب أمام نجمه بالنسبة إلى الراصد، وقد يستدل عليه بانخفاض في الضوء؛ يحتاج تفسير الإشارة إلى فحص [ع٣٠].

عدم اليقين وخطأ القياس: عدم اليقين وصف كمي لتشتت القيم التي يمكن إسنادها إلى الكمية المقيسة بحسب المعلومات المتاحة؛ أما الخطأ فهو فرق نتيجة القياس عن قيمة الكمية المقيسة، وقد تستعمل قيمة مرجعية اصطلاحية في المقارنة العملية. قد يكون الخطأ الفعلي صغيرًا مع بقاء عدم اليقين كبيرًا؛ لذلك لا يساوى عدم اليقين بمقدار الخطأ المعلوم أو بالجهل الكامل. وقد تنشأ مكوناته من آثار عشوائية أو منهجية، بينما يتعلق تصنيف طريقتي التقدير بالإحصاء أو بوسائل أخرى [ع٥١]؛ الفصل ٣٨.

النطاق الصالح للسكن: مجال مسافات قد يسمح بماء سائل على سطح كوكب ضمن شروط مناسبة؛ ليس إثباتًا للحياة [ع٣٤].

أفق الحدث: حد لا تصل إشارات من داخله إلى الراصد الخارجي وفق الوصف النسبي الكلاسيكي؛ يميز من المادة المضيئة المحيطة بالثقب الأسود [ع١٥].

**مصطلحات الباب الثالث — الأنوار والمسارات وحساب الزمن**

اختلاف المنظر النجمي: تغير الاتجاه الظاهر للنجم بسبب تغير موضع الرصد، ويستخدم مع قاعدة معلومة لتقدير البعد. الفصل ١٨ [ع٣٦].

المدى المدّي: الفرق بين منسوبي المد والجزر في الدورة المعينة؛ يتأثر بالقمر والشمس وظروف الساحل. الفصل ١٧ [ع٣٥].

الشفق: إضاءة الغلاف الجوي بالشمس قبل الشروق وبعد الغروب؛ وتُحدد فئاته المدنية والبحرية والفلكية بحسب انخفاض مركز الشمس الهندسي عن الأفق. يقابل حد نهاية كل فئة مساءً حد بدايتها صباحًا؛ الفصل ٢١ [ع٣٨].

الاعتدالان: عبور الشمس ظاهراً خط الاستواء السماوي؛ والانقلابان: بلوغها أقصى ميل سنوي شماله أو جنوبه. وتتعاكس تسميتا الانقلاب الصيفي والشتوي بين نصفي الكرة؛ الفصل ٢٢ [ع٣٩].

الثانية: وحدة الزمن الأساسية في النظام الدولي، معرفة بمرجع ذري محدد، وليست اسماً لجرم أو لمرحلة من أطوار القمر. الفصل ٢٣ [ع٤٠].

**مصطلحات الباب الرابع — الأرض والماء والظواهر الجوية**

التجوية والتعرية: تغيير الصخر أو تفككه في موضعه، ونقل المواد من مواضعها؛ الفصل ٢٥ [ع٤٢].

تبادل الماء بين النهر وباطن الأرض: تغذية المجرى أو فقده الماء بحسب فروق المناسيب الهيدروليكية؛ الفصل ٢٧ [ع٤٤].

نسيم البحر: دوران هوائي محلي يرتبط باختلاف تسخين اليابسة والمياه؛ الفصل ٢٨ [ع٤٥].

ملوحة التربة والصودية: الملوحة تتعلق بتركيز مجموع الأملاح، أما الصودية فترتبط بارتفاع نسبة الصوديوم مقارنة بالمكونات الملحية الأخرى، وما قد يصحبها من تدهور بنية التربة وضعف نفاذ الماء فيها. وقد تجتمع المشكلتان؛ الفصل ٣٠ [ع٤٦].

مقدار الزلزال وشدته: وصف حجم الحدث عند المصدر، ووصف الاهتزاز وآثاره في موقع محدد؛ الفصل ٣١ [ع٤٧].

الرفع التضاريسي وظل المطر: صعود الهواء وتبرده عند المرتفعات، وانخفاض الهطول خلف بعض الحواجز الجبلية مع هبوط الهواء ودفئه؛ الفصل ٢٥ [ع٥٥، ع٥٦].

استنزاف المياه الجوفية: تناقص المخزون أو استمرار انخفاض المنسوب في صلة بالاستخدام والتعويض؛ لا ينفيه تجدد الدورة المائية؛ الفصل ٢٧ [ع٥٧].

التلقيح في النباتات الزهرية: انتقال حبوب اللقاح من المتك إلى الميسم؛ تتنوع وسائطه ولا يساوى بنقل البذور؛ الفصل ٢٨ [ع٥٨].

الإنذار الزلزالي المبكر: تنبيه بعد بدء الزلزال قد يسبق وصول الاهتزاز إلى بعض المواقع؛ يميز من توقع موعد الزلزال قبل بدئه؛ الفصل ٣١ [ع٦٠].

**مصطلحات الباب الخامس — التنوع والبيئة ووسائل الوصف**

التنوع الحيوي: يشمل التنوع داخل الأنواع وبينها وتنوع النظم البيئية [ع٤٨]؛ ويميز قياسه بين عدد الأنواع وتكافؤ وفرتها [ع١٠١]. مثال العينتين في الفصل ٣٣ تعليمي، وليس مسحًا ميدانيًا.

النظام البيئي: وحدة تفاعل بين جماعات الكائنات وبيئتها غير الحية [ع٤٨]؛ الفصل ٣٣.

التمثيل الصوتي للبيانات: تحويل قيم أو خصائص مرصودة إلى أصوات وفق قاعدة معلنة؛ يميز من تسجيل الصوت المباشر [ع٤٩]؛ الفصل ٣٤.

البوزيترون: النظير المضاد للإلكترون، له كتلته وشحنة موجبة تقابل شحنة الإلكترون السالبة؛ مثال علمي لا يحصر دلالة الأزواج القرآنية؛ الفصل ٣٣ [ع٦١].

**مصطلحات الباب السادس — الرصد والنماذج الكونية**

طيفا الامتصاص والانبعاث: يظهر الامتصاص انخفاضًا في شدة الضوء عند أطوال موجية تمتصها المادة، وتظهر خطوط الانبعاث زيادة عند أطوال موجية تصدرها. تفيد أنماط الخطوط وقوتها في دراسة التركيب ودرجة الحرارة والكثافة، مع مراعاة ظروف المصدر ومسار الضوء [ع٥٠]؛ الفصل ٣٨.

الرصد متعدد الرسل: جمع معلومات عن مصدر فلكي بواسطة أنواع مختلفة من الإشارات، ومنها موجات الجاذبية والإشعاع الكهرومغناطيسي؛ مثال جي دبليو-١٧٠٨١٧ في الفصل ٣٨ [ع٦٧-ع٦٩].

طيف الجسم الأسود: نموذج للإشعاع الحراري، وليس اسمًا لجرم مظلم خلف المجرات [ع٥٢]؛ الفصل ٣٩.

الانزياح الكوني نحو الأحمر: زيادة الأطوال الموجية المتصلة بتمدد الفضاء خلال رحلة الضوء [ع٥٤]؛ الفصل ٣٩.

التخليق النووي: تكوين نوى ذرية جديدة؛ يميز من ارتباط الإلكترونات بالنوى لتكوين ذرات متعادلة ومن تكوّن الجزيئات [ع١، ع٧٠]؛ الفصل ٣٩.

الديوتيريوم: نظير للهيدروجين تتكون نواته من بروتون ونيوترون؛ يعرض الفصل ٣٩ مثالًا لقياس وفرته العددية وحدود استنتاج قيمتها البدئية [ع٧٠-ع٧١].

اندماج ثقبين أسودين: مثال لمصدر موجات جاذبية أمكن رصدها ومقارنة شكلها بالتوقع النظري [ع٥٣]؛ الفصل ٤٠.

العمق النسبي للعبور: مقدار النقص النسبي في ضوء النجم؛ يشرح المثال الهندسي علاقته بنسبة المساحتين تحت شروط مبسطة، دون مساواته بنسبة الكتلتين؛ الفصل ٣٨.

ظل الثقب الأسود: انخفاض مركزي متوقع في السطوع يتصل بانحناء الضوء واحتجاز الفوتونات، يدرس مع انبعاث الجوار وإعادة بناء الصورة؛ الفصل ٤٠ [ع٦٤–ع٦٥].

تفاعل المجرات: تغير بنيتها تحت التأثير الجذبي المتبادل مع تفاعل الغاز؛ لا يعني اصطدام كل نجم بنجم آخر. مثال مجرتي الهوائيات في الفصل ٤٠ [ع٧٢].

الأقراص الكوكبية الأولية: بيئات مادية حول نجوم شابة يدرس فيها تشكل الكواكب؛ تميز البنى المرصودة من تفسيرها بكواكب، مع مراعاة طريقة اختيار العينة؛ الفصل ٤٠ [ع٧٣].

إسناد الألوان: تمثيل نطاقات رصدية بألوان مرئية وفق مفتاح الصورة؛ لا يثبت اللون على الشاشة وحده ما تراه العين عند الجرم؛ الفصل ٤١ [ع٦٦].

إعادة إنتاج النتائج وتكرار اختبارها: يعتمد الكتاب اصطلاح تقرير الأكاديميات الوطنية سنة ٢٠١٩م؛ فالأولى تعني الحصول على نتائج متسقة باستعمال البيانات والخطوات والبرمجيات وشروط التحليل نفسها، والثانية تعني اتساق نتائج دراسات تجيب عن السؤال نفسه ببيانات جديدة، مع مراعاة عدم اليقين. قد تختلف تسمية هذين المفهومين بين التخصصات [ع١٠٣]؛ الفصل ٣٨.

اختلاط الضوء: مساهمة مصدر آخر في الضوء المقاس قد تغير عمق العبور الظاهر، فتحتاج فرضية الكوكب إلى فحص البدائل؛ الفصل ٣٨ [ع١٠٤].

زمن رحلة الضوء والمسافة الحالية: مقداران لا يتساويان تلقائيًا عند وصف كون متمدد؛ يجب بيان المقصود عند عرض المسافات. الفصل ٣٩ [ع١٠٥].

# الملحق السادس — خرائط وجداول ورسوم توضيحية للظواهر القابلة للتمثيل العلمي

يعرض هذا الملحق مخططات جدولية تعليمية ودليلًا للأمثلة التوضيحية في الفصول. تشرح المخططات العلاقات، ولا تمثل أحجامًا أو مسافات على مقياس. يعتمد هذا الإخراج الجداول التوضيحية الواردة هنا؛ ويمكن إضافة رسوم علمية تفصيلية في طبعة لاحقة، مع تجنب الرسم التخميني للسماوات السبع أو العرش أو الجنة.

| المخطط | العلاقة المبسطة | الحد الذي يجب تذكره |
|---|---|---|
| دورة الماء | تبخر ونتح؛ تكاثف؛ هطول؛ جريان وتسرب؛ عودة إلى الخزانات، مع انتقالات متعددة [ع٩]. | ليست طريقًا واحدًا يمر به كل جزيء بالترتيب نفسه. |
| أطوار القمر | شمس تضيء نصف القمر؛ حركة القمر حول الأرض؛ تغير الجزء المضاء الذي نراه [ع٣]. | الأطوار ليست ظل الأرض؛ الخسوف حالة مختلفة. |
| الفصول | ميل المحور مع دوران الأرض حول الشمس؛ تغير ارتفاع الشمس وطول النهار [ع٥]. | تعاقب الفصول متعاكس بين نصفي الكرة، والقرب ليس السبب الرئيس. |
| مقياس البنى الفلكية | كوكب في نظام كوكبي؛ نظام داخل مجرة؛ مجرات ضمن مجموعات وعناقيد [ع١٣]. | التدرج تنظيمي، لا رسم بأحجام متناسبة. |
| مساران في التطور النجمي | نجم شبيه بالشمس ينتهي إلى قزم أبيض؛ نجم أشد كتلة قد يترك نجمًا نيوترونيًا أو ثقبًا أسود [ع١٤]. | تلخيص تعليمي؛ الكتلة والتفاعلات تحدد المسار التفصيلي. |
| البحث في معلومة كونية | تحديد السؤال؛ قراءة الدليل؛ فحص الطريقة؛ مقارنة البدائل؛ إعلان درجة الثقة. | الملاحظة والرواية والتفسير ليست نوعًا واحدًا من الأدلة. |
| المقارنة مع النص | لفظ وسياق؛ أقوال تفسير؛ معلومة علمية؛ تحديد: صريح أم محتمل أم بلا دليل. | لا يكفي تشابه الاسم أو الصورة لإثبات المطابقة. |

## مقارنات تعليمية من الباب الثالث

الأطوار والخسوف: في الأطوار يتغير مقدار الجزء المضاء الذي يراه الراصد من القمر؛ وفي الخسوف يدخل القمر في ظل الأرض أو شبه ظلها. لذلك لا يفسر الهلال بأنه جزء خرج من ظل الأرض [ع٣، ع٦]. انظر الفصلين ١٧ و٢٣.

ترتيب الأجرام عند الظلال: في الكسوف تكون الشمس ثم القمر ثم الأرض على اصطفاف مناسب؛ وفي الخسوف تكون الشمس ثم الأرض ثم القمر. لا يكفي ترتيب الأسماء وحده، إذ يتحكم ميل مدار القمر في تحقق الاصطفاف [ع١٩]. هذا وصف للعلاقة، لا رسم للمسافات والأحجام.

الحركة والتقويم: دوران الأرض يرتبط بالتعاقب اليومي؛ ودورة أطوار القمر بالحساب الشهري؛ ودورة الأرض حول الشمس مع ميل المحور بتعاقب الفصول. لكل استعمال مرجع وتعريف ينبغي التصريح به عند مقارنة الأعداد [ع٣، ع٥، ع١٧].

## دليل العلاقات النصية في الباب السابع

الزمر ٦٨: تعاقب مصرح به بين النفخ الذي يعقبه الصعق والنفخ الآخر الذي يعقبه القيام. ليس في الآية مقدار زمني للفاصل.

التكوير ١–١٤: اجتماع مشاهد كونية وإنسانية ينتهي بعلم النفس بعملها؛ لا يقدم ترتيب ورود كل وصف وحده جدولًا زمنيًا مفصلًا.

إبراهيم ٤٨–٥١ والكهف ٤٧–٤٩: اتصال التبديل أو بروز الأرض بالحضور والجزاء. هذا بيان للعلاقة في النص، وليس خريطة لأرض المحشر.

هذه المقارنة تعليمية في طريقة القراءة؛ لم تضف رسومًا تخمينية للصور أو السماء الأخروية أو الجنة والنار.

## دليل قراءة الأمثلة العلمية في الباب السادس

الطيف: نمط مرصود في الإشعاع، ثم مقارنة بمعلومات عن المادة؛ لا تعني الإشارة وحدها رؤية سطح الجرم. الفصل ٣٨.

الخلفية الكونية: قياسات من اتجاهات متعددة تعرض على خريطة؛ ألوان الخريطة لا تمثل ألوان أجسام مرئية. الفصل ٣٩.

موجات الجاذبية: إشارة مرصودة تقارن بنموذج لاستخراج خصائص المصدر؛ ليست صورة ضوئية لداخل الثقب الأسود. الفصل ٤٠.

المطابقة التفسيرية: يفحص النص وشرحه والدليل العلمي وجملة الربط كل على حدة. الفصل ٤١.

دليل الأمثلة التطبيقية: يتناول الفصل ٣٨ نسبة مساحة القرص في عبور الكوكب، ودلالة دراسة كتلته ونصف قطره، وتتابع رصد جي دبليو-١٧٠٨١٧ وحدود الاستدلال بفرق الوصول واستجابة الكواشف المختلفة [ع٦٧-ع٦٩]. ويتناول الفصل ٣٩ نموذج بلانك ومجال تقدير ثابت هابل، وقياس وفرة الديوتيريوم والتمييز بين مراحل تكوّن النوى والذرات [ع٧٠-ع٧١]. ويعرض الفصل ٤٠ إعادة بناء صورة ظل الثقب الأسود، وتفاعل مجرتي الهوائيات وحلقات الأقراص في مشروع دي شارب [ع٧٢-ع٧٣]. ويشرح الفصل ٤١ مفاتيح ألوان صور ويب، وحدود تعيين الخنّس والجوار الكُنَّس بالثقوب السوداء [م٢٠٦، ع١٥]، والتمييز بين متن الحديث وحكمه وشرحه والتطبيق عليه [م٢٠٧-م٢٠٨].

ويستكمل الفصل ٣٨ الأمثلة بالضوء المختلط وحدود اختبار فرضية الكوكب [ع١٠٤]؛ والفصل ٣٩ بمثال افتراضي لحساب الانزياح وتمييز زمن رحلة الضوء من المسافة الحالية [ع١٠٥] ومقارنة حقبة الإشعاع الخلفي بأهداف ويب [ع١٠٦]. ويتناول الفصل ٤٠ الطيف المستمر وحرارة النجم [ع١٠٧] ومثال استبدال الشمس افتراضيًا بثقب له كتلتها نفسها [ع١٠٨]؛ يشرح المثال أثر الكتلة ولا يصف مصير الشمس.

# المصادر والمراجع

الأصل الأول: القرآن الكريم، مع الإحالة إلى السورة والآية في المتن. تُقرأ أرقام الصفحات التالية بحسب النسخ الإلكترونية المبينة؛ وقد تختلف في طبعات أخرى. الروابط مضمّنة في أسماء المراجع لتسهيل الرجوع إليها، وامتدت مراجعة المصادر والإضافات في هذه النسخة من ١١ إلى ١٣ أكتوبر ٢٠٢٦م.

الحرف «م» للمصادر التراثية والتفسيرية والرجالية، والحرف «ع» للمصادر العلمية. وجود المرجع في القائمة يثبت استعمال الموضع المعين، ولا يعني قراءة جميع أجزاء الكتاب أو تبني كل محتواه.

[م١] نهج البلاغة، الخطبة الأولى، فقرة ابتداء الخلق؛ عرض إلكتروني للخطبة.

[م٢] الكليني، الكافي، ج ١، كتاب العقل والجهل، حديث جنود العقل والجهل، ص ٢١؛ دار الكتب الإسلامية، تصحيح علي أكبر الغفاري.

[م٣] الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ٤٨٠، تفسير الأنبياء ٣٠.

[م٤] الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ٢٧٧، تفسير الرتق والفتق.

[م٥] الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، تفسير فصلت ٦–١٠؛ موضع أربعة أيام.

[م٦] الطباطبائي، الميزان، ج ١٧، ص ٣٦٤؛ الأيام الأربعة وتقدير الأقوات.

[م٧] الطباطبائي، الميزان، تفسير فصلت ٩–١٢ ضمن مجموعة الآيات في المصدر الإلكتروني؛ تسوية السماوات.

[م٨] الطباطبائي، الميزان، ج ١٩، ص ٣٢٦؛ تفسير الطلاق ١٢.

[م٩] الكليني، الكافي، كتاب التوحيد، باب العرش والكرسي؛ نسخة نصية إلكترونية.

[م١٠] الكليني، الكافي، ج ٤، ص ١٨٨؛ أخبار بدء البيت والطواف.

[م١١] الكليني، الكافي، ج ٣، كتاب الصلاة، باب صلاة الكسوف، ح ١؛ خبر وفاة إبراهيم ابن النبي. النص والطريق في موقع الثقلين، مع نقله حكم المجلسي «مجهول» في مرآة العقول، ج ١٥، ص ٤٣٨. لمقابلة حكم المجلسي بالنص الإلكتروني لكتابه: [م٩٩].

[م١٢] الكليني، الكافي، ج ٢، كتاب الإيمان والكفر، باب التفكر، ح ٤؛ النص والطريق في الثقلين. قوبل حكم المجلسي في [م٩٤]، وثبت إدراج الخبر في صورة صحيح الكافي [م٣٠٨] وفق بيان منهج المختار [م٣٠٥]. انظر حدود المراجعة في الفصل ٣٧.

[م١٣] الطباطبائي، الميزان، ج ١٧، ص ٢٩٣؛ تفسير الزمر ٦٨ والنفخ في الصور.

[م١٤] الطباطبائي، الميزان، ج ١٢، تفسير إبراهيم ٤٨ ضمن الآيات ٤٢-٥٢ والبحث الروائي؛ نظام التبديل والبروز، وشرط صحة الروايات واتصالها في توجيه اختلاف أوصافها إلى التمثيل للتقريب.

[م١٥] الصدوق، التوحيد، باب ذكر عظمة الله عز جلاله، ح ٢؛ في ترقيم الموقع: الكتاب الثاني، الباب الثامن والثلاثون.

[م١٦] النجاشي، فهرست أسماء مصنفي الشيعة المعروف برجال النجاشي، ص ٢٨٧، ترجمة عمرو بن شمر رقم ٧٦٥.

[م١٧] الكليني، الكافي، ج ١، كتاب العقل والجهل، الحديث ١٤؛ مكتبة الثقلين، نص الطريق والمتن والحكم المنقول عن المجلسي في مرآة العقول، ج ١، ص ٦٥. لمقابلة حكم المجلسي بالنص الإلكتروني لكتابه: [م٩٧].

[م١٨] الصدوق، التوحيد، باب التوحيد ونفي التشبيه، الحديث ٢٠؛ خبر جابر الجعفي في أولية الماء، بالنص والطريق.

[م١٩] الصدوق، التوحيد، باب «وكان عرشه على الماء»، الحديثان ١-٢؛ روايتا داود الرقي وأبي الصلت الهروي.

[م٢٠] الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، تفسير الأنبياء ٢٦-٣٠؛ نسخة نصية لوجوه الرتق والفتق.

[م٢١] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير النازعات ٢٧-٤٦؛ شرح الدحو ووجوه الترتيب، والتمييز بين خبر الساعة ووقت إقامتها، والانتفاع بالإنذار وقصر الدنيا عند رؤية الآخرة.

[م٢٢] النجاشي، فهرست أسماء مصنفي الشيعة المعروف برجال النجاشي، ص ٣٣٢، ترجمة محمد بن علي أبي سمينة رقم ٨٩٤.

[م٢٣] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الملك ١-٥؛ الطباق والتفاوت والمصابيح والحفظ.

[م٢٤] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير المؤمنون ١٢-١٩؛ موضع سبع طرائق.

[م٢٥] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الذاريات ١-١٤؛ معنى الحبك وخبر الحسين بن خالد عن الإمام الرضا. قوبل موضع الخبر في تفسير القمي [م٦٧]؛ لم يستكمل التحقيق الرجالي.

[م٢٦] الكليني، الكافي، ج ١، كتاب التوحيد، باب العرش والكرسي، ح ٢؛ موقع الثقلين، مع نقله تصحيح المجلسي في مرآة العقول، ج ٢، ص ٧٥. لمقابلة حكم المجلسي بالنص الإلكتروني لكتابه: [م٩٨].

[م٢٧] الكليني، الكافي، ج ١، كتاب التوحيد، باب العرش والكرسي، ح ١؛ خبر الجاثليق بطريق البرقي المرفوع، النص والطريق في موقع الثقلين.

[م٢٨] الكليني، الكافي، ج ٤، ص ١٨٧؛ باب بدء البيت والطواف، بداية الحديث الأول؛ تتمته والحديث الثاني في ص ١٨٨ [م١٠]. قوبل حكم المجلسي بنص كتابه الإلكتروني في [م١٢٠].

[م٢٩] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الطور ١-١٦؛ الأقوال والأخبار في البيت المعمور.

[م٣٠] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير النجم ١١-٢٠؛ السدرة وجنة المأوى ومعاني الرؤية.

[م٣١] الكليني، الكافي، ج ١، كتاب التوحيد، باب العرش والكرسي، ح ٦؛ موقع الثقلين، مع نقله حكم المجلسي بالمجهول في مرآة العقول، ج ٢، ص ٨٠. قوبل حكم المجلسي بنص كتابه الإلكتروني في [م١١٥].

[م٣٢] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير يس ٣٦-٤٠؛ معنى الأزواج والأصناف، وجريان الشمس والمستقر ومنازل القمر والعرجون.

[م٣٣] نهج البلاغة، الخطبة ٧٩ في ترقيم النسخة الإلكترونية؛ الجواب عن تحذير المنجم. قوبل بشاهد الأمالي [م١٣٥] دون ادعاء اتحاد اللفظين أو استكمال طرقهما.

[م٣٤] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير البروج ١ ضمن مجموعة الآيات ١-٢٢؛ وجوه معنى البروج.

[م٣٥] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الجن ١-١٠؛ الحراسة والشهب والأقوال في تغير الاستماع عند البعثة.

[م٣٦] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الرحمن ١٤-٣٠؛ موضع المشرقين والمغربين ووجوه التثنية.

[م٣٧] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الفرقان ٦١-٧٠؛ البروج والخلفة ونقل استدراك الصلاة. قوبل الأخير بشاهد تفسير القمي [م١٣١]؛ لم يثبت اتحاد طريقهما.

[م٣٨] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير النحل ١٤-١٨؛ الرواسي والميد والسبل والانتفاع بالبحر.

[م٣٩] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الفرقان ٥١-٦٠؛ موضع البحرين والبرزخ وحدود المقارنة العلمية.

[م٤٠] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الحجر ١٩-٢٥؛ الرياح اللواقح وعلاقتها بالسحاب والماء.

[م٤١] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير النور ٤١-٤٦؛ الصلاة والتسبيح وفاعل «علم»، والإزجاء والركام والودق ووجوه الجبال والبرد.

[م٤٢] الكليني، الكافي، ج ٥، كتاب المعيشة، باب فضل الزراعة، ح ٣؛ الثقلين. قوبل حكم المجلسي في [م١٣٦] وصحح الجزء إلى ١٩. وثبت إدراج الخبر في صورة صحيح الكافي [م٣٠٩] وفق بيان منهج المختار [م٣٠٥].

[م٤٣] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الرحمن ١-١٣؛ وجوه الميزان والنجم والسجود.

[م٤٤] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الإسراء ٤١-٤٤؛ دلالة التسبيح والأقوال في عمومه. النسخة الإلكترونية في موقع التفاسير العظيمة.

[م٤٥] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الإسراء ٣٦-٤٠؛ التثبت فيما يسمع الإنسان ويرى ويقول، وترك التكبر.

[م٤٦] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الذاريات ٤٧-٦٠؛ معنى الأيد ووجوه الإيساع والقدرة وسعة الرزق.

[م٤٧] الطبرسي، مجمع البيان، ج ٤، ص ٤٠٤، تفسير الأعراف ١٨٧؛ علم الساعة ووجوه ثقلها.

[م٤٨] الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث، الصلاة على حملة العرش وكل ملك مقرب؛ موضع إسرافيل صاحب الصور. النص في مكتبة شبكة الكفيل.

[م٤٩] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير التكوير ١-١٤؛ ألفاظ التكوير والانكدار والتسجير واتصال المشاهد بالعمل.

[م٥٠] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الرحمن ٣١-٤٥؛ موضع الوردة والدهان في الآية ٣٧. موقع التفاسير العظيمة.

[م٥١] الطبرسي، مجمع البيان، ج ٧، ص ١١٩؛ تفسير الأنبياء ١٠٤ ووجوه السجل والإعادة.

[م٥٢] الكليني، الكافي، ج ٦، كتاب الأطعمة، باب أن ابن آدم أجوف لا بد له من الطعام، ح ١؛ خبر الأبرش الكلبي. قوبل الطريق والمتن وأثبتا في الفصل ٤٧؛ حكم المجلسي من أصله في [م٩٥].

[م٥٣] الكليني، الكافي، ج ٦، كتاب الأطعمة، الباب نفسه، ح ٤؛ سؤال زرارة واعتراض قائل غير مسمى، والاستشهاد بالكهف ٢٩. قوبل الطريق والمتن وأثبتا في الفصل ٤٧؛ حكم المجلسي من أصله في [م٩٦].

[م٥٤] الصدوق، الخصال، خبر محمد بن مسلم في العوالم وتجدد الخلق؛ في الثقلين: الكتاب ٨، الباب ٣٢، ح ١، مع ترقيم ٧-٤٦ في المتن. قوبل بص ٣٥٨-٣٥٩، ح ٤٥، وصحح اسم ابن أبي الخطاب في العرض [م١٥٠].

[م٥٥] الكليني، الكافي، ج ١، كتاب فضل العلم، باب النهي عن القول بغير علم، ح ٦؛ خبر محمد بن مسلم في قول لا أدري. قوبل حكم المجلسي وشرحه بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ١، ص ١٣٨ [م١٤٦].

[م٥٦] الكليني، الكافي، ج ١، كتاب التوحيد، باب الإرادة أنها من صفات الفعل وسائر صفات الفعل، ح ٣؛ خبر صفوان بن يحيى عن أبي الحسن. النص في الثقلين؛ قوبل حكم المجلسي بمرآة العقول [م١٥٣]، وثبت الخبر في صورة صحيح الكافي [م٣٠٧] وفق بيان منهج المختار [م٣٠٥].

[م٥٧] الكليني، الكافي، ج ١، كتاب التوحيد، باب جوامع التوحيد، ح ١؛ خطبة الخلق «لا من شيء»، بطريق محمد بن أبي عبد الله ومحمد بن يحيى مع الرفع. قوبل وصف المجلسي للخبر بأنه مرفوع وشرحه للعبارة في [م١٥٥].

[م٥٨] الكليني، الكافي، باب جوامع التوحيد، تعليق المصنف بعد الحديث الأول؛ استُخدمت النسخة النصية في ويكي مصدر لتمييز الشرح من نهاية الخطبة. لم تقابل هذه الإضافة بمخطوطات.

[م٥٩] الكليني، الكافي، ج ١، كتاب التوحيد، باب الكون والمكان، ح ٢؛ خبر أحمد بن محمد بن أبي نصر عن الإمام الرضا. قوبل تصحيح المجلسي بنص مرآة العقول، ج ١، ص ٣٠٨، وسجل تنبيهه على اختلاف «متى» و«أين» [م١٥٤].

[م٦٠] الكليني، الكافي، ج ١، كتاب العقل والجهل، ح ١؛ خبر «لما خلق الله العقل». النص في الثقلين؛ قوبل تصحيح المجلسي في [م١٥٦]، وثبت الخبر في صورة صحيح الكافي [م٣٠٦] وفق بيان منهج المختار [م٣٠٥]. يختلف الخبر عن حديث جنود العقل، ح ١٤ [م١٧].

[م٦١] الكليني، الكافي، ج ١، كتاب الحجة، باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ووفاته، ح ٣؛ خبر مرازم في النور. الثقلين: الباب ١١١، بعنوان «بلد النبي» في الواجهة. قوبل حكم المجلسي وطريق الخبر بالنص الإلكتروني لمرآة العقول [م١٠٩].

[م٦٢] الكليني، الكافي، ج ٨، الروضة، ح ٦٧؛ خبر محمد بن عطية في سؤال رجل الشام. الثقلين: الباب ٦٧، الحديث ١. قوبل حكم المجلسي في [م١٠٤]، ومقطع الرتق والفتق في [م١١٢].

[م٦٣] الكليني، الكافي، ج ٨، الروضة، ح ٦٨؛ خبر محمد بن مسلم في الماء والنار والدخان. الثقلين: الباب ٦٨، الحديث ١. قوبل حكم المجلسي وشرح اختلاف الزبد والرماد في [م١٠٥].

[م٦٤] الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص ٣٦٥؛ تفسير الاستواء إلى السماء والدخان، ومناقشة الترتيب بين فصلت والنازعات. في النسخة الإلكترونية إحالة مطبعية إلى يس ٨٣ في موضع نص الآية ٨٢؛ اعتمد المتن القرآني برقم ٨٢.

[م٦٥] الكليني، الكافي، ج ٨، الروضة، ح ١١٧؛ خبر عبد الله بن سنان في أيام الخلق. نص الثقلين: الباب ١١٧، الحديث ١. حكم المجلسي في [م١٠١]، ومعنى اليوم في [م١٠٢]، ووصل التعليق بسياقه في [م١١١]، ومناقشة الأقوات في [م١١٣].

[م٦٦] الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، تفسير آل عمران ١٩٠–١٩٤؛ شرح الألباب والتفكر وصلتهما بالذكر والدعاء. لم تستخدم الأخبار المعروضة في فقرة الفضائل لإصدار حكم حديثي مستقل.

[م٦٧] التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمي، تفسير الذاريات ٧؛ خبر الحسين بن خالد، النص الإلكتروني في موقع التفاسير. مقابلة موضعية، مع بقاء دراسة نسبة المادة والطريق والنسخ.

[م٦٨] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الرعد ١-٢؛ وجها «بغير عمد ترونها» واختيار المفسر، مع التمييز بين القول التفسيري والخبر.

[م٦٩] الكليني، الكافي، ج ١، كتاب التوحيد، باب العرش والكرسي، ح ٣؛ النص في الثقلين. ولمقابلة حكم المجلسي «كالصحيح» من موضعه في مرآة العقول، ج ٢، ص ٧٨، انظر [م٢٤٢].

[م٧٠] الكليني، الكافي، الباب نفسه، ح ٤؛ خبر زرارة من طريق الحجال وثعلبة؛ الثقلين، مع نقل تصحيح المجلسي، مرآة العقول، ج ٢، ص ٧٩. قوبل حكم المجلسي بنص كتابه الإلكتروني في [م١١٤].

[م٧١] الكليني، الكافي، الباب نفسه، ح ٥؛ خبر زرارة من طريق عبد الله بن بكير؛ صفحة الباب في الثقلين، مع نقل حكم المجلسي موثق كالصحيح، مرآة العقول، ج ٢، ص ٧٩. قوبل حكم المجلسي بنص كتابه الإلكتروني في [م١١٤].

[م٧٢] الكليني، الكافي، الباب نفسه، ح ٧؛ خبر داود الرقي في العرش على الماء؛ الثقلين، مع نقل حكم المجلسي ضعيف على المشهور، مرآة العقول، ج ٢، ص ٨١. قوبل حكم المجلسي بنص كتابه الإلكتروني في [م١١٦].

[م٧٣] الصدوق، التوحيد، باب العرش وصفته، خبر حنان بن سدير؛ النص والطريق في الثقلين، الباب ٥٠. لم يستكمل التحقيق الرجالي في هذه المسودة.

[م٧٤] الكليني، الكافي، ج ٤، كتاب الحج، باب بدء البيت والطواف، ح ١؛ الثقلين. قوبل حكم المجلسي وصحح موضعه إلى مرآة العقول، ج ١٧، ص ٧ [م١٢٠].

[م٧٥] الكليني، الكافي، الباب نفسه، ح ٢؛ الثقلين. قوبل تضعيف المجلسي وصحح موضعه إلى مرآة العقول، ج ١٧، ص ٩ [م١٢١].

[م٧٦] الصدوق، التوحيد، باب تفسير «كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون»؛ الخبر المنسوب إلى الإمام الرضا، الثقلين، الباب ١٨، ح ١. لم يستكمل تحقيق طريقه.

[م٧٧] الصدوق، التوحيد، باب ذكر عظمة الله؛ عرض الثقلين. قوبل خبر زينب العطارة، ح ١، بصفحات ٢٧٥-٢٧٧ [م١٢٣-م١٢٥]، وخبر أبي ذر، ح ٧ في الكتاب والسادس في الواجهة، بصفحات ٢٨٠-٢٨١ [م١٢٦، م١٢٧]. بقي التحقيق الرجالي للطريقين.

[م٧٨] الكليني، الكافي، ج ١، كتاب التوحيد، باب في إبطال الرؤية، ح ٢؛ حوار أبي قرة والإمام الرضا. الثقلين، مع نقل تصحيح المجلسي، مرآة العقول، ج ١، ص ٣٢٨. قوبل حكم المجلسي بنص كتابه الإلكتروني في [م١٢٢].

[م٧٩] الكليني، الكافي، ج ٨، الروضة، خبر ابن سيابة؛ الثقلين، الباب ٢٣٣، ح ١. قوبل حكم المجلسي بالمجهول وصححت إحالته إلى مرآة العقول، ج ٢٦، ص ٩٥ [م١٢٨]، مع تتمة ص ٩٦ [م١٢٩]. العرض المقروء يتوقف عند العدد المتردد؛ ونسبة الشك وخاتمة الخبر مثبتتان في [م١٢٩].

[م٨٠] الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٣ عند النظر إلى الهلال؛ مكتبة الكفيل. أضيف بحث جزئي في طريق المقدمة وشرح جهة الخطاب [م١٣٢، م١٣٣]، دون استكمال تحقيق الطرق والنسخ.

[م٨١] الكليني، الكافي، ج ٣، ص ٢٧١، باب فرض الصلاة، ح ١؛ خبر زرارة. مكتبة أهل البيت؛ صححت إحالات الآيات، وقوبل تصحيح المجلسي في [م١٣٠].

[م٨٢] الصحيفة السجادية، الدعاء ٣٦ عند رؤية السحاب والبرق وسماع الرعد؛ نص مكتبة الكفيل. قرئ مع حدود البحث الجزئي في طريق المقدمة [م١٣٢]؛ لم يستكمل تحقيق طرق الدعاء ونسخه.

[م٨٣] الكليني، الكافي، ج ٨، الروضة، خبر السحاب والرعد ٢٦٨؛ الثقلين. الطريق مرفوع بعد ابن العزرمي؛ قوبل وصف المجلسي وشرح المتن في [م١٣٨].

[م٨٤] الكليني، الكافي، ج ٥، كتاب المعيشة، باب فضل الزراعة، ح ٦؛ الثقلين. قوبل حكم المجلسي بمرآة العقول في [م١٣٧]، وفصل ذيل «وروي» عن الطريق الأول.

[م٨٥] الكليني، الكافي، ج ١، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين، ح ١٣؛ الثقلين، مع حكم المجلسي المنقول عن مرآة العقول، ج ٢، ص ١٩٥. لمقابلة حكم المجلسي بالنص الإلكتروني لكتابه: [م١٠٠].

[م٨٦] الطبرسي، مجمع البيان، الأنعام ٣٨-٣٩؛ وجوه المماثلة بين الأمم وعدم تعميمها على جميع الصفات والتكاليف.

[م٨٧] الطبرسي، مجمع البيان، الأنعام ٧٤-٧٥؛ لغة الملكوت والأقوال في الإراءة والنقول الروائية. عُين خبر أبي بصير وقورن في [م١٤١-م١٤٣، م٢٠٠]، وسجلت فروق ألفاظه. وقورن النقل المنسوب إلى الباقر بشواهد [م٢٠٠، م٢٩٠-م٢٩١]، دون الجزم بمصدر الطبرسي المباشر أو تصحيح جميع الطرق.

[م٨٨] الطبرسي، مجمع البيان، البقرة ٢٥٩؛ نسبة تعيين المار بعزير إلى قتادة وعكرمة والسدي والنقل عن أبي عبد الله، وبأرميا إلى وهب والنقل عن أبي جعفر، وبالخضر إلى ابن إسحاق. قوبل العرض بأخبار محددة في العياشي وتقويم الميزان [م٣٠١-م٣٠٢]؛ لا يعرض هذا الموضع من مجمع البيان أسانيد مفصلة لجميع الأقوال.

[م٨٩] الطبرسي، مجمع البيان، الكهف ٦٠-٦٤؛ تسمية فتى موسى والأقوال في مجمع البحرين، مع فصلها عن ألفاظ الآيات. قوبل شاهد التسمية في العياشي، وفصل السرد عن طريق المكاتبة في تفسير القمي [م٣٠٣-م٣٠٤].

[م٩٠] الطبرسي، مجمع البيان، الحج ١-٥؛ اختلاف توقيت الزلزلة وصورة المرضعة والحامل والحجة على البعث.

[م٩١] الطبرسي، مجمع البيان، الحديد ١١-١٥؛ وجوه النور وحوار المؤمنين والمنافقين، دون اعتماد جميع التفاصيل الروائية الواردة.

[م٩٢] الطبرسي، مجمع البيان، الزلزلة ١-٨؛ أخبار الأرض ووجوه الشهادة ومناقشة الجزاء والتوبة والعفو.

[م٩٣] الطبرسي، مجمع البيان، مريم ٨٣-٩٢؛ الوفد والسوق، وسياق تفطر السماوات عند إنكار نسبة الولد إلى الرحمن.

[م٩٤] المجلسي، مرآة العقول، ج ٧، ص ٣٤١؛ باب التفكر، حكم الحديث الرابع. نص إلكتروني؛ لم تقابل صورة الطبعة.

[م٩٥] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢٢، ص ٩٦؛ باب أن ابن آدم أجوف لا بد له من الطعام، حكم الحديث الأول. نص إلكتروني في مكتبة رافد.

[م٩٦] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢٢، ص ٩٨؛ الباب نفسه، حكم الحديث الرابع وطريق زرارة. نص إلكتروني في مكتبة رافد.

[م٩٧] المجلسي، مرآة العقول، ج ١، ص ٦٥؛ حكم الحديث الرابع عشر من كتاب العقل والجهل وطريقه. نص إلكتروني.

[م٩٨] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢، ص ٧٥؛ باب العرش والكرسي، حكم الحديث الثاني وافتتاح طريق صفوان بن يحيى. نص إلكتروني في مكتبة رافد.

[م٩٩] المجلسي، مرآة العقول، ج ١٥، ص ٤٣٨؛ باب صلاة الكسوف، حكم الحديث الأول وطريقه. نص إلكتروني في مكتبة رافد.

[م١٠٠] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢، ص ١٩٥؛ باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين، الحديث الثالث عشر وحكم إرساله. نص إلكتروني.

[م١٠١] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢٥، ص ٣٤٧؛ حديثا الروضة ١١٦ و١١٧، وموضع تصحيح خبر عبد الله بن سنان في أيام الخلق. نص إلكتروني في مكتبة رافد.

[م١٠٢] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢٥، ص ٣٤٩؛ تتمة شرح خبر أيام الخلق: معنى اليوم قبل وجود الشمس والقمر، والفرق بين الأوقات ومقادير الأيام. نص إلكتروني في مكتبة رافد.

[م١٠٣] القرآن الكريم، النص الإملائي المضبوط لمشروع تنزيل، الإصدار ١٫١؛ مصدر نصوص الآيات الكاملة المضافة إلى الفصول. قوبلت بيانات نسختي النص وملف الآيات المنظم من المصدر نفسه، مع حفظ التشكيل وأرقام السور والآيات.

بيانات مصدر النص القرآني: حقوق إعداد النص الإلكتروني © ٢٠٠٧–٢٠٢٦ مشروع تنزيل. الترخيص: المشاع الإبداعي، نسب المصنَّف ٣٫٠. أُعد النص ودُقّق وتتابعه مجموعة من المختصين بالمشروع. يسمح بنقله وتوزيعه حرفيًا، ولا يسمح بتغيير نصه. يجب ذكر المصدر وإتاحة رابطه للاطلاع على التحديثات، وإبقاء بيانات الحقوق والترخيص في النسخ التي تتضمن قدرًا جوهريًا منه. هذه ترجمة عربية لبيانات الترخيص المنشورة مع النص.

[م١٠٤] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢٥، ص ٢٢١–٢٢٢؛ سياق سند خبر محمد بن عطية وحكمه. نص إلكتروني في مكتبة رافد.

[م١٠٥] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢٥، ص ٢٣٢؛ حكم حديث الماء ٦٨ ومحاولات شرح الزبد والرماد. نص إلكتروني.

[م١٠٦] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢٥، ص ٢٢٥؛ نقل خبر أولية القلم مع تسمية هشام بن سالم، ووجه الأولية الإضافية. قوبل موضع الخبر في تفسير القمي استقلالًا في المتابعة [م١٥٧].

[م١٠٧] التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمي، القلم ١–٢؛ خبر القلم والكتابة واختلاف اسم القصير. النص الإلكتروني في موقع التفاسير؛ وقوبل بموضع آخر في [م١٥٨]، وأضيف بحث الخوئي في الاسم [م١٥٩].

[م١٠٨] التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمي، هود ٧؛ عرض البدء بالهواء. موقع التفاسير؛ لا يظهر سند مسمى في افتتاح المقطع المقروء.

[م١٠٩] المجلسي، مرآة العقول، ج ٥، ص ١٨٦؛ طريق خبر مرازم وحكم الحديث الثالث من باب مولد النبي. نص إلكتروني في مكتبة رافد.

[م١١٠] المجلسي، مرآة العقول، ج ٥، ص ١٨٧؛ شرح خبر مرازم ووجوه فهم القبلية والروح. نص إلكتروني.

[م١١١] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢٥، ص ٣٤٥–٣٤٧؛ سياق الأحاديث ١١٣–١١٧ الذي استُخدم في وصل السند المختصر. نص إلكتروني؛ إحالة تتمته [م١٠١].

[م١١٢] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢٥، ص ٢٣١ وتتمته ص ٢٣٢؛ حوار الرتق والفتق، وفصل المتن من الشرح. نص إلكتروني.

[م١١٣] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢٥، ص ٣٥٠–٣٥١؛ مناقشة توزيع الأقوات ووجوه الجمع. نص إلكتروني في مكتبة رافد.

[م١١٤] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢، ص ٧٩؛ حكمان للرابع والخامس من باب العرش والكرسي، واحتمالات تركيب لفظ العرش. نص إلكتروني في رافد.

[م١١٥] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢، ص ٨٠؛ حكم الحديث السادس وشرح الحملة والنقل عن الاعتقادات. نص إلكتروني في رافد.

[م١١٦] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢، ص ٨١؛ حكم خبر داود الرقي، وتأويل الداماد وتعقيب المجلسي. نص إلكتروني في رافد.

[م١١٧] الصدوق، الاعتقادات في دين الإمامية، تحقيق عصام عبد السيد، ص ٤٤؛ باب الاعتقاد في الكرسي. مكتبة أهل البيت؛ رقم الصفحة المعروض يخالف رقم صفحة الرابط.

[م١١٨] الصدوق، الاعتقادات في دين الإمامية، ص ٤٥؛ باب الاعتقاد في العرش. النص الإلكتروني يتضمن اختلافاً لفظياً مع نقل المجلسي سجل في الفصل ١٤.

[م١١٩] الصدوق، الاعتقادات في دين الإمامية، ص ٤٦؛ تسمية حملة العرش بمعنى العلم وكلامه على أسانيد الباب.

[م١٢٠] المجلسي، مرآة العقول، ج ١٧، ص ٧؛ بدء البيت والطواف، حكم الحديث الأول. نص إلكتروني في رافد؛ صححت به إحالة الجزء.

[م١٢١] المجلسي، مرآة العقول، ج ١٧، ص ٩-١٠؛ حكم حديث بدء البيت الثاني وشرح الرد والطواف ومناقشة استنتاج العدد. نص إلكتروني قوبل بصفحاته في رافد؛ لم تقابل صورة الطبعة.

[م١٢٢] المجلسي، مرآة العقول، ج ١، ص ٣٢٨؛ باب في إبطال الرؤية، حكم الحديث الثاني. النص الإلكتروني في مكتبة مدرسة الفقاهة.

[م١٢٣] الصدوق، التوحيد، تصحيح وتعليق هاشم الحسيني الطهراني، ص ٢٧٥؛ أول سند خبر زينب العطارة، باب ذكر عظمة الله، ح ١، وهامش اختلاف الاسم.

[م١٢٤] الصدوق، التوحيد، ص ٢٧٦؛ افتتاح خبر زينب العطارة وترتيب الأرضين وعبارة انقطاع الخبر؛ وفي الهامش تفسيرا المحقق للعبارة.

[م١٢٥] الصدوق، التوحيد، ص ٢٧٧؛ تتمة خبر العطارة وحجب النور والكرسي والعرش. لا يشمل اعتماد هذا الموضع تحقيق الخبر التالي له.

[م١٢٦] الصدوق، التوحيد، ص ٢٨٠؛ باب ذكر عظمة الله، ح ٧؛ سند خبر أبي ذر وأول متنه في الشمس.

[م١٢٧] الصدوق، التوحيد، ص ٢٨١؛ تتمة خبر أبي ذر في الشمس والقمر وخاتمته. النص الإلكتروني في مكتبة أهل البيت.

[م١٢٨] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢٦، ص ٩٥؛ حكم حديث ابن سيابة ٢٣٣ وشرح مقاديره. النص الإلكتروني المقابل في رافد؛ لم تقابل صورة الطبعة.

[م١٢٩] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢٦، ص ٩٦؛ تتمة خبر ابن سيابة وشك العدد واختلاف السنبلة والسكينة. النص الإلكتروني في رافد.

[م١٣٠] المجلسي، مرآة العقول، ج ١٥، ص ١٨؛ باب فرض الصلاة، حكم الحديث الأول بالصحة. النص الإلكتروني في رافد.

[م١٣١] تفسير القمي، موضع الفرقان ٦٢؛ طريق شاهد قضاء صلاة الليل بالنهار. النص الإلكتروني في موقع التفسير؛ بقي التحقيق الرجالي وبحث نسبة مادة الكتاب.

[م١٣٢] الصحيفة السجادية، مقدمة سند الصحيفة وخبر متوكل بن هارون؛ النص الإلكتروني في شبكة كربلاء المقدسة. قراءة للطريق والخبر المعروضين، لا مقابلة للمخطوطات.

[م١٣٣] الشيخ البهائي، محمد بن الحسين العاملي، الحديقة الهلالية في شرح دعاء الهلال، تحقيق علي الموسوي الخراساني، ص ١٣٦-١٣٧؛ تمييز خطاب الهلال من خطاب جرم القمر، واحتمال توحيد جهة الخطاب مع تحفظ الشارح. النص في مكتبة الكفيل.

[م١٣٤] الشيخ البهائي، الحديقة الهلالية، فقرة فائدة المنازل، الصفحة الرقمية ٨٤ في مكتبة صحراء النجف؛ أسماء المنازل وتقسيم الدائرة. رقم الواجهة هنا محدد للوصول إلى النص.

[م١٣٥] الصدوق، الأمالي، المجلس الرابع والستون، الحديث السادس عشر؛ خبر المنجم والمسير إلى النهروان. نص الكتاب في الثقلين؛ لم يستكمل التحقيق الرجالي.

[م١٣٦] المجلسي، مرآة العقول، ج ١٩، ص ٣٣١؛ باب فضل الزراعة، حكم الحديث الثالث بالمجهول. النص الإلكتروني في رافد؛ مقابلة نصية دون صورة الطبعة.

[م١٣٧] المجلسي، مرآة العقول، ج ١٩، ص ٣٣٢؛ حكم الحديث السادس في فضل الزراعة وحد إرسال آخره. النص الإلكتروني في رافد؛ لم تقابل صورة الطبعة.

[م١٣٨] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢٦، ص ١٤١-١٤٢؛ خبر الروضة ٢٦٨، وصفه بالمرفوع وتتمة متنه وشرح السحاب والمخاريق. قوبل ترقيم الصفحات بالنص الإلكتروني في رافد، وصححت الإحالة السابقة التي نقصت صفحة.

[م١٣٩] الصدوق، التوحيد، ص ٣٦١، باب نفي الجبر والتفويض، ح ٧؛ طريق سليمان بن جعفر الجعفري عن الإمام الرضا. نص الثقلين.

[م١٤٠] هادي النجفي، موسوعة أحاديث أهل البيت، ج ٢، ص ٣٤٧، الخبر ٢١١١؛ حكمه بصحة إسناد خبر التوحيد. قوبل النص الإلكتروني، دون دراسة مستقلة لمبانيه الرجالية.

[م١٤١] الكليني، الكافي، ج ٨، الروضة، الخبر ٤٧٣؛ أبو بصير عن الإمام الصادق في إراءة الملكوت وإحياء الطير. نص الثقلين؛ انظر تصحيح رقم جزء مرآة العقول في [م١٤٢].

[م١٤٢] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢٦، ص ٣٨٨-٣٨٩؛ تصحيح الخبر ٤٧٣ وشرح احتمالي الإراءة. قوبل النص الإلكتروني في رافد؛ لم تقابل صورة الطبعة.

[م١٤٣] العياشي، تفسير العياشي، ج ١، ص ١٤٢، الخبران ٤٦٩-٤٧٠، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي؛ شاهد أبي بصير وتعليقات اختلاف النص، مع تمييز زيادة أسماء الطير في الخبر التالي.

[م١٤٤] الكليني، الكافي، ج ١، كتاب فضل العلم، باب النهي عن القول بغير علم، ح ٣؛ أبو عبيدة الحذاء عن الإمام الباقر في الإفتاء بغير علم. نص الثقلين.

[م١٤٥] المجلسي، مرآة العقول، ج ١، ص ١٣٧؛ تصحيح الحديث الثالث من باب النهي عن القول بغير علم. النص الإلكتروني في رافد؛ مقابلة الحكم وليست تحقيقًا مستقلًا للسند.

[م١٤٦] المجلسي، مرآة العقول، ج ١، ص ١٣٨؛ تصحيح الحديث السادس وشرح قول لا أدري واحتمالات إيهام السائل. النص الإلكتروني في رافد.

[م١٤٧] الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، تفسير الذاريات ٤٦-٥٥؛ الأيد وثلاثة أوجه للإيساع، ومنها توسعة السماء منسوبة إلى ابن زيد. النص الإلكتروني في موقع التفاسير.

[م١٤٨] الكليني، الكافي، ج ٢، كتاب الإيمان والكفر، باب محاسبة العمل، ح ٢؛ إبراهيم بن عمر اليماني عن أبي الحسن الماضي في محاسبة النفس. نص الثقلين.

[م١٤٩] المجلسي، مرآة العقول، ج ١١، ص ٣٥٨؛ حكم الحديث الثاني من باب محاسبة العمل بالحسن. النص الإلكتروني في رافد؛ لا تدعي المقابلة دراسة مستقلة لجميع الرجال.

[م١٥٠] الصدوق، الخصال، ص ٣٥٨-٣٥٩، ح ٤٥ من أبواب السبعة؛ النص المقابل لخبر العوالم، واسم محمد بن الحسين بن أبي الخطاب. ترقيم الصفحة والخبر يختلف عن النقل في [م٥٤].

[م١٥١] السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١٧، ص ٢٦٦-٢٦٧، الترجمة ١١١٥٣؛ محمد بن عبد الله بن هلال، شيوخه وتلاميذه ومواضع روايته.

[م١٥٢] المحقق السبزواري، ذخيرة المعاد، ص ٦٢٣؛ وصف محمد بن عبد الله بن هلال بالمجهول في مناقشة سند فقهي. استعمل الموضع لنسبة الحكم على الراوي، لا بوصفه تحقيقًا لخبر الخصال.

[م١٥٣] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢، ص ١٦-١٧؛ تصحيح الحديث الثالث من باب الإرادة، ونقله شرحًا عن بعض المحققين ثم تعليقه ونقله عن المفيد. النص الإلكتروني في مكتبة مدرسة الفقاهة.

[م١٥٤] المجلسي، مرآة العقول، ج ١، ص ٣٠٨؛ تصحيح الحديث الثاني من باب الكون والمكان، ومناقشة لفظي «متى» و«أين» ومعنى الاعتماد. النص الإلكتروني في رافد.

[م١٥٥] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢، ص ٨٤-٨٥؛ وصف أول أخبار جوامع التوحيد بأنه مرفوع، وشرح نفي احتياج الخلق إلى مادة ليس الله موجِدها. النص الإلكتروني في رافد.

[م١٥٦] المجلسي، مرآة العقول، ج ١، ص ٢٥-٢٦؛ تصحيح أول أحاديث العقل والجهل، وشرح معاني العقل وصلته بالتمييز والعمل. النص الإلكتروني في رافد.

[م١٥٧] التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمي، ج ٢، ص ١٩٨، عند سبأ ٣؛ أصل خبر أولية القلم، بطريق الأب وابن أبي عمير وهشام دون تسمية أبيه في الموضع. النص الإلكتروني في مكتبة أهل البيت.

[م١٥٨] تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٧٩-٣٨٠، عند مطلع سورة القلم؛ خبر القصير في الكتابة، واختلاف عبد الرحمن وعبد الرحيم. النص الإلكتروني في مكتبة أهل البيت، بتصحيح وتعليق طيب الموسوي الجزائري.

[م١٥٩] السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١١، ترجمة عبد الرحيم القصير رقم ٦٥٠٠؛ اختلاف الاسم وتمييز الطرق. النص المعروض في موقع رجال الحديث، المحيل إلى ص ١٣ من الجزء.

[م١٦٠] الصدوق، معاني الأخبار، باب معنى الحروف المقطعة في أوائل سور القرآن، ح ١، ص ٢٢-٢٣؛ خبر سفيان الثوري في اللوح والقلم والنور. النص الإلكتروني في مكتبة أهل البيت، بتصحيح علي أكبر الغفاري.

[م١٦١] الشيخ حسين الخشن، «الروايات التأويلية ـ ١»، موقعه الرسمي، الحاشية ١١؛ مناقشة طريق خبر سفيان في معاني الأخبار. نُسب حكم التضعيف إليه دون ادعاء استقصاء الأقوال الرجالية.

[م١٦٢] محمد الجواهري، المفيد من معجم رجال الحديث، ص ٩٥، ترجمة تميم بن عبد الله بن تميم القرشي؛ وصفه بالمجهول. النص الإلكتروني في مكتبة أهل البيت، صفحة العرض ١٠٤.

[م١٦٣] الصدوق، التوحيد، باب معنى قول الله عز وجل: وسع كرسيه السماوات والأرض، الباب ٥٢، ح ٣-٥، ص ٣٢٧-٣٢٨؛ تحقيق هاشم الحسيني الطهراني. ملف مكتبة المحسن، صفحة الملف ٢٤٨، وفيها نص الأخبار الثلاثة؛ مقابلة الطرق والمتون دون تصحيح مستقل.

[م١٦٤] الكليني، الكافي، ج ٨، الروضة، ح ١٤٣، خبر زينب العطارة؛ النص الإلكتروني في الثقلين، الباب ١٤٣، الحديث ١. استُعمل لمقابلة الطريق والمتن؛ وأخذ حكم المجلسي من كتابه في [م١٦٥].

[م١٦٥] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢٦، ص ٥؛ حكم خبر زينب العطارة: مجهول، ويمكن عده في الحسان، وبداية شرح الأرضين. النص الإلكتروني في مكتبة أهل البيت؛ مقابلة نصية دون صور النسخ.

[م١٦٦] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢٦، ص ٦؛ تتمة عرض وجوه الأرضين ونقل خبر الحسين بن خالد من تفسير القمي. النص الإلكتروني في مكتبة أهل البيت.

[م١٦٧] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢٦، ص ٧؛ تفسير عبارة انقطاع الخبر عند الثرى. فُصل كلام الشارح عن متن خبر العطارة وعن تعليق محقق التوحيد.

[م١٦٨] السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ٢٠، ص ٦٦، الترجمتان ١٢٨٤٧ و١٢٨٤٨؛ تعيين موسى بن عمران والنخعي وذكر مشايخه والرواة عنه. النص الإلكتروني في مكتبة أهل البيت.

[م١٦٩] السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ٢٠، ص ٦٧؛ تتمة ترجمة موسى بن عمران النخعي ومقابلة صيغ اسم عمّه في أسانيد الفقيه والتهذيب والاستبصار. لا تتضمن الإحالة تصحيح خبر أبي ذر.

[م١٧٠] السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ٥، ص ٢٧٣، الترجمتان ٢٧٢٩ و٢٧٣٠؛ الحسن بن أسباط وموضع روايته في الروضة ح ٢٣٣. النص الإلكتروني في مكتبة أهل البيت.

[م١٧١] محمد الجواهري، المفيد من معجم رجال الحديث، ص ١٤٤، ترجمتا الحسن بن أسباط والكندي؛ وصفه بالمجهول. النص الإلكتروني في مكتبة صحراء النجف.

[م١٧٢] الشيخ البهائي، الحديقة الهلالية، تحقيق علي الموسوي الخراساني، ص ١٤٤-١٤٧؛ نقله اعتراض ابن طاووس في قصة المنجّم، وتعليق المحقق في ص ١٤٥-١٤٦ على تعيين عمر بن سعد. النص الإلكتروني في مكتبة الكفيل؛ قوبل أصل الاعتراض في فرج المهموم [م٢٨٣]، دون حسم هوية الراوي.

[م١٧٣] الكليني، الكافي، ج ٣، كتاب الصلاة، باب صلاة الكسوف، ح ٢؛ خبر زرارة ومحمد بن مسلم. النص الإلكتروني في الثقلين. قوبل حكم المجلسي «حسن كالصحيح» مباشرة في مرآة العقول، ج ١٥، ص ٤٣٩ [م٢٤١].

[م١٧٤] الكليني، الكافي، ج ٣، كتاب الجنائز، باب غسل الأطفال والصبيان والصلاة عليهم، ح ٧؛ النص المطول في وفاة إبراهيم، وفي طريقه المعروض عمرو بن سعيد. النص في الثقلين؛ وقوبل حكم المجلسي «مجهول» من موضعه في مرآة العقول، ج ١٤، ص ١٣٨ [م٢٤٤].

[م١٧٥] الكافي، الطبعة المعروضة في مكتبة رافد، ج ٦، ص ٥٨٦، ح ٥٦٣٤، باب صلاة الكسوف، الهامشان ٤ و٥ في اختلاف عمرو بن عثمان وعمرو بن سعيد، وعلي بن عبد الله وعلي بن أبي عبد الله. ترقيم هذه الطبعة مختلف عن طبعة الأجزاء الثمانية، والتعليق للمحققين.

[م١٧٦] الكليني، الكافي، ج ٨، الروضة، الخبر ٦٤؛ خبر معروف بن خربوذ عن الإمام الباقر في رياح الرحمة والعذاب. النص في الثقلين؛ قوبل تصحيح المجلسي من موضعه في مرآة العقول، ج ٢٥، ص ٢١٩ [م١٧٨].

[م١٧٧] الكليني، الكافي، ج ٨، الروضة، الخبر ٦٣؛ حديث أبي بصير في الرياح. استعمل هنا لمراجعة صدر السند المحال إليه بلفظ «عنه» في الخبر التالي، مع الفصل بين الطريقين.

[م١٧٨] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢٥، ص ٢١٩-٢٢٠؛ متن الخبر ٦٤، وحكمه في ص ٢١٩: «الحديث الرابع والستون: صحيح». قوبل النص الإلكتروني في مكتبة مدرسة الفقاهة؛ والجزء ٢٥ هو موضع الخبر، خلاف رقم الجزء ١٥ المعروض في الثقلين.

[م١٧٩] الصدوق، من لا يحضره الفقيه، باب صلاة الكسوف والزلازل والرياح والظلم وعلتها؛ مكاتبة علي بن مهزيار بشأن الأهواز، الحديث ١٠ في ترتيب الباب بموقع الثقلين. الترقيم هنا لترتيب الموقع لا رقم الحديث العام في الطبعات.

[م١٨٠] الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٣، باب صلاة الكسوف؛ مكاتبة علي بن مهزيار، الحديث ١٨ في ترتيب الباب بالثقلين. يعرض الموقع لفظ «يدفع عنكم» وينقل تصحيح الغفاري؛ قوبلت صورة ص ٣٢٥، فثبت فيها «يرفع عنكم» والرمز «صح» بجانب الحديث [م٢٨٤]. بقي التحقيق المستقل للطريق خارج هذه المقابلة.

[م١٨١] الصدوق، من لا يحضره الفقيه، باب صلاة الكسوف والزلازل والرياح والظلم وعلتها؛ سؤال سليمان الديلمي عن الزلزلة والعمل عندها، الحديث ٩ في ترتيب الباب بالثقلين؛ لم يستكمل تحقيق الطريق في هذه المتابعة.

[م١٨٢] الكليني، الكافي، ج ٨، ص ٢٣٩، الروضة، الخبر ٣٢٦؛ صدر خبر أول المطر وسنده. طبعة دار الكتب الإسلامية بتصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري؛ الهامش ٦ يفسر «فيما أظن» بكلام الراوي.

[م١٨٣] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢٦، ص ١٩٥-١٩٨؛ الخبر ٣٢٦: حكمه بالضعف، وتفسير قيد الراوي، وبقية شرح المطر والبرد. قوبل بنص الكتاب الإلكتروني المنشور في موقع أخباريّة؛ الجزء ٢٦ لا ١٦ الظاهر في إحالة الثقلين.

[م١٨٤] محمد صالح المازندراني، شرح أصول الكافي، ج ١٢، ص ٣٢٦؛ أصل خبر المطر وشرح معاني العرش المحتملة. ميزت فقرة الشرح عن متن الرواية؛ لا تمثل الاحتمالات حكمًا مستقلًا بصحة السند.

[م١٨٥] العياشي، تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٠٧، الخبران ٢٢ و٢٣؛ سؤال أبي بصير عن الرعد والبرق. طبعة المكتبة العلمية الإسلامية بتحقيق وتعليق هاشم الرسولي المحلاتي؛ لم يستكمل تحقيق الطريق.

[م١٨٦] تفسير القمي، سورة الرعد، عند الآيتين ١٣ و١٧؛ عبارة تفسير الرعد ومثل السيل والزبد. النص الإلكتروني في هدى القرآن؛ عرض تفسيري مع بقاء البحث في نسبة المادة وطرقها.

[م١٨٧] القمي المشهدي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، ج ١، ص ٢٢٠، تحقيق حسين درگاهي؛ هامش ٤ على نسبة عبارة الرعد إلى علي عليه السلام في النقل عن الفقيه. وقوبل أصل النقل لاحقًا في النص الإلكتروني لمن لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٥٢٥–٥٢٦، ح ١٤٩٦–١٤٩٧، في رافد: يسبق العبارة سؤال أبي بصير أبا عبد الله، وترد هي بضمير «وقال عليه السلام» دون اسم علي. الإحالة في هامش كنز الدقائق إلى ج ١ ص ٣٣٤ ح ٩–١٠ بحسب ترقيمه؛ لم تستكمل مقابلة صور الطبعات أو دراسة الطريق.

[م١٨٨] الكليني، الكافي، ج ٥، كتاب المعيشة، باب الضرار، ح ٥؛ مكاتبة القنوات وتحويل مجرى الماء وتعطل الرحى. النص في الثقلين؛ قوبل تصحيح المجلسي في مرآة العقول [م٢٤٣]، وثبت إدراج المكاتبة في صورة صحيح الكافي [م٣١٠] وفق بيان منهج المختار [م٣٠٥].

[م١٨٩] الكليني، الكافي، ج ٥، كتاب المعيشة، باب الضرار، ح ٦؛ خبر عقبة بن خالد في فضل الماء. الثقلين؛ يعرض لفظ «نفع الشيء». قوبل حكم المجلسي «مجهول» في مرآة العقول [م٢٤٣]، وثبت الخبر في صورة صحيح الكافي بقراءة «نقع البئر» [م٣١٠]؛ ونسبة تصحيحه إلى البهبودي مبنية على منهجه [م٣٠٥].

[م١٩٠] قاعدة لا ضرر ولا ضرار، محاضرات السيد علي الحسيني السيستاني، ص ٥٣، نشر مكتب السيد السيستاني؛ بحث سند خبر عقبة بن خالد واختلاف «نقع الشيء» و«نقع البئر». قوبل النص الإلكتروني، وتُنسب أحكامه إلى البحث ومبناه.

[م١٩١] الكليني، الكافي، ج ١ ص ١٥٩، كتاب التوحيد، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين، ح ٩ وح ١١؛ النص الإلكتروني في مكتبة أهل البيت. أصل شاهدي الرحمة والعدل، مع إبقاء ألفاظ الطريقين كما عرضها المصدر.

[م١٩٢] المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج ٢ ص ١٩٢ و١٩٤؛ النص الإلكتروني المنشور في Akhbariyyah. حكم الحديثين التاسع والحادي عشر: «مرسل كالصحيح»، وشرح صلة الإرادة والتفويض بالأمر والنهي. المقابلة مع النص الإلكتروني دون صور الطبعة.

[م١٩٣] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الأنعام ١٤٢–١٤٤، مبحث اللغة والمعنى؛ النص الإلكتروني في موقع التفاسير. بيان استعمال الزوج، وتفسير الثمانية، ووجوه تفسير الاثنين، وسياق الاحتجاج على التحريم بغير علم. قورن الوجه الروائي بشاهد الكافي ونظيره في العياشي [م٢٨٥–م٢٨٨]؛ لم يُجزم بمصدر نقل الطبرسي.

[م١٩٤] الصدوق، التوحيد، تصحيح وتعليق السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي؛ الخبر ٢، ابتداء الطريق في ص ٣٤، وموضع تقابل الأشياء والاستشهاد بالذاريات ٤٩ في ص ٣٧-٣٨. النص الإلكتروني في مكتبة أهل البيت؛ وللمقابلة المصوّرة وضبط اسم عمرو الكاتب في طبعة مكتبة الصدوق: [م٢٨٩].

[م١٩٥] السيد هاشم الحسيني الطهراني، تعليق التوحيد، ص ٣٨، الهامش ١؛ احتمال المضادة واحتمال المقارنة في الاستشهاد بالذاريات ٤٩. تعليق المحقق مستقل عن متن الرواية. قوبلت الحاشية أيضًا بصورة طبعة مكتبة الصدوق [م٢٨٩].

[م١٩٦] الكليني، الكافي، ج ٦، كتاب الزي والتجمل والمروءة، باب النوادر، ح ٤؛ النص العربي في الثقلين. خبر داود الرقي عن أبي عبد الله في تنقّض الجدر وتسبيحها؛ اعتمد النص العربي وإحالة الآية إلى الإسراء ٤٤.

[م١٩٧] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢٢ ص ٤٤٥ و٤٥٤-٤٥٥؛ النص الإلكتروني في Akhbariyyah. حكم خبر تنقّض الجدر وشرحه، وأحكام الأحاديث ١ و٢ و٤ من باب نوادر في الدواب. حفظت ألفاظ الأحكام وميز الشرح عن المتن، دون مقابلة صور الطبعة.

[م١٩٨] الكليني، الكافي، ج ٦، كتاب الدواجن، باب نوادر في الدواب، ح ١ و٢ و٤؛ النص العربي في الثقلين. حقوق الدابة، وخبر أبي ذر في سقيها، والنهي عن ضرب الوجه مع ذكر التسبيح؛ حفظ الفصل بين الحديث الرابع والنقل الآخر في آخره.

[م١٩٩] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الأعراف ١٨٢-١٨٦، ولا سيما الآية ١٨٥؛ النص الإلكتروني في هدى القرآن. معنى النظر في الملكوت والاعتبار بالخلق والتنبيه إلى اقتراب الأجل.

[م٢٠٠] العياشي، تفسير العياشي، سورة الأنعام، الأخبار ٣٣-٣٧ وفق ترتيب السورة في النص الإلكتروني المنشور في هدى القرآن؛ شواهد الإراءة عن زرارة وعبد الرحيم القصير، ثم خبر أبي بصير عن الصادق في النهي عن الدعاء على العباد. حفظ اختلاف النسب، وفصل خبر الأنعام ٣٧ عن شاهد البقرة ٤٦٩ [م١٤٣]. لا تعرض هذه المواضع تمام طريق المصنف إلى الرواة المذكورين؛ لم تصحح الأسانيد أو تقابل صور الطبعة.

[م٢٠١] الكليني، الكافي، ج ١، كتاب العقل والجهل، ح ٢٠؛ سؤال ابن السكّيت لأبي الحسن عن اختلاف المعجزات. النص العربي والطريق في الثقلين، مع حفظ قيد الظن المتعلق بذكر الشعر.

[م٢٠٢] المجلسي، مرآة العقول، ج ١، ص ٧٨-٧٩، شرح الحديث العشرين من كتاب العقل والجهل؛ حكم «ضعيف» في ص ٧٨، وشرح مناسبة الآيات وتعيين عبارة الظن من كلام الراوي. مقابلة النص الإلكتروني، دون مقابلة صور الطبعة.

[م٢٠٣] الكليني، الكافي، ج ٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الصدق وأداء الأمانة، ح ١؛ خبر الحسين بن أبي العلاء عن الصادق عليه السلام. النص والطريق في الثقلين.

[م٢٠٤] الكليني، الكافي، ج ٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الصدق وأداء الأمانة، ح ٢؛ النص العربي في الثقلين، مع حفظ ابتداء السند بـ«عنه» وقيد «وغيره» بعد إسحاق بن عمار.

[م٢٠٥] المجلسي، مرآة العقول، ج ٨، ص ١٨٠-١٨١، شرح باب الصدق وأداء الأمانة، ح ١-٢؛ الأول «حسن» والثاني «موثق». قوبل النص الإلكتروني للحكمين والشرح، دون مقابلة صور الطبعة أو تحقيق رجالي مستقل.

[م٢٠٦] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير سورة التكوير، المقطع ١٥-٢٩، ولا سيما اللغة والإعراب والمعنى عند الآيات ١٥-٢١؛ أصل الخُنَّس والكُنَّس والأقوال في مدلولهما وجواب القسم. مقابلة للنص الإلكتروني دون تحقيق أسانيد الأقوال المنقولة.

[م٢٠٧] الكليني، الكافي، ج ١، كتاب فضل العلم، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب، ح ٣؛ «كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة». أثبت المتن وطريق أيوب بن الحر عن أبي عبد الله عليه السلام من النص الإلكتروني؛ حكم المجلسي وشرحه في [م٢٠٨].

[م٢٠٨] المجلسي، مرآة العقول، ج ١، ص ٢٢٩، شرح باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب، ح ٣؛ حكمه «صحيح» وشرحه الرد إلى الكتاب والسنة مباشرة أو بواسطة. قوبل النص الإلكتروني، دون مقابلة صور الطبعة أو تحقيق رجالي مستقل.

[م٢٠٩] الطوسي، التبيان، تفسير سورة طه، المقطع ١١-١٥، ولا سيما «أكاد أخفيها» والجزاء بحسب العمل. قوبل النص الإلكتروني مع حفظ تعدد الوجوه ونسبتها، دون تحقيق أسانيد الأقوال.

[م٢١٠] الطبرسي، مجمع البيان، ج ٧، ص ١٣-١٤، عند طه ١٤-١٦؛ وجوه الإخفاء والسياق التربوي والجزاء. قوبل النص الإلكتروني للصفحتين وبموضع المقطع ٩-١٦ في موقع القرآن الكريم؛ عبارات التفسير محفوظة خارج نص الآيات.

[م٢١١] الكليني، الكافي، ج ١، كتاب الحجة، باب كراهية التوقيت، ح ٣؛ سؤال أبي بصير عن القائم عليه السلام، وجواب «كذب الوقاتون، إنا أهل بيت لا نوقت». أثبت النص والطريق من النسخة الإلكترونية؛ حكم المجلسي في [م٢١٢].

[م٢١٢] المجلسي، مرآة العقول، ج ٤، ص ١٧٤، شرح باب كراهية التوقيت، ح ٣؛ حكمه «صحيح» وشرحه «لا نوقت». قوبل النص الإلكتروني في رافد ومدرسة الفقاهة، دون مقابلة صور الطبعة أو تحقيق رجالي مستقل.

[م٢١٣] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير سورة النازعات، المقطع ١-١٤، ولا سيما الآيات ٦-١٤؛ الراجفة والرادفة والزجرة والساهرة. قوبل النص الإلكتروني مع حفظ تعدد الأقوال وحدود نسبتها.

[م٢١٤] التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمي، ج ٢، ص ٢٥٢-أول ٢٥٣، عند الزمر ٦٨؛ خبر ثوير بن أبي فاختة عن علي بن الحسين عليهما السلام في النفختين. قوبل المطلع والطريق ونهاية الخبر في النص الإلكتروني؛ لم يستكمل تحقيق السند والطرق والدلالات.

[م٢١٥] تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٥٣؛ الخبر التالي لخبر النفختين، بطريق الأب وابن أبي عمير وجميل بن دراج عن أبي عبد الله عليه السلام؛ مطلع المطر أربعين صباحًا واجتماع الأوصال. فصل الطريق والمتن عن الخبر السابق؛ لا يتضمن إثبات الموضع حكمًا سنديًا مستقلًا.

[م٢١٦] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير سورة القيامة ١-١٥؛ وجها جمع الشمس والقمر، وسياق المرجع والحساب، ووجوه ما قدم الإنسان وأخر وبصيرته بنفسه. نقل الأقوال التفسيرية لا يتضمن الحكم على أسانيدها.

[م٢١٧] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير سورة المرسلات ١-١٥؛ الوعد بالبعث، وطمس النجوم، وتفريج السماء ونسف الجبال، وتوقيت الرسل ويوم الفصل.

[م٢١٨] الكليني، الكافي، ج ٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الظلم، ح ١١؛ حديث النهي عن الظلم وكونه ظلمات يوم القيامة، بالطريق المبدوء بمحمد بن يحيى إلى هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام. أثبت النص والطريق كما في الموضع المحال إليه.

[م٢١٩] المجلسي، مرآة العقول، ج ١٠، ص ٣٠١؛ تصحيح الحديث الحادي عشر من باب الظلم، وشرح الظلمات المتصل بالخبر السابق ذي اللفظ نفسه. قوبل الموضع مباشرة بالنص الإلكتروني؛ الحكم منسوب إلى المجلسي، والشرح مميز من المتن.

[م٢٢٠] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير سورة الانشقاق؛ شرح الآيات ١-٦، والإذن والكدح ووجهي اللقاء. النص الإلكتروني يعرض السورة كاملة.

[م٢٢١] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير المعارج ١-١٠؛ موضع تشبيه السماء بالمهل في الآية ٨، ووجوه عكر الزيت والقطران والمعدن المذاب.

[م٢٢٢] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الزمر ٦٧-٧٠؛ شرح القبضة واليمين والطي، ووجهي إشراق الأرض بنور ربها، والكتاب والشهداء والوفاء ونفي الظلم.

[م٢٢٣] الصدوق، التوحيد، الباب ١٧، الحديث ٢، ص ١٦١-١٦٢؛ خبر سليمان بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام في القبضة واليمين. نقل موضع الشاهد مع تعيين الطريق وحد الاقتباس؛ لا تتضمن الإحالة تصحيح السند، وتراجع الملاحظة الرجالية [م٢٢٥].

[م٢٢٤] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير المزمل ١١-١٩؛ موضع الآيات ١٧-١٩، وشدة اليوم وانفطار السماء وتمام الوعد والتذكرة.

[م٢٢٥] محمد الجواهري، المفيد من معجم رجال الحديث، ص ٩١، ترجمة بكر بن عبد الله بن حبيب المزني، رقم ١٨٥٤ بحسب الترقيم الأول في الصفحة؛ وصفه بالمجهول. صفحة العرض الإلكترونية ١٠٠؛ الملاحظة خاصة بالراوي ولا تستبدل استقصاء طرق الخبر.

[م٢٢٦] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الواقعة ١-١٦؛ موضع الآيات ٤-٦، والرج والبس والهباء المنبث، وتمييز الشرح اللغوي من تعيين كيفية التحول.

[م٢٢٧] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير طه ٩٧-١٠٧؛ موضع الآيات ١٠٥-١٠٧، ونسف الجبال والقاع الصفصف ونفي العوج والأمت.

[م٢٢٨] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الانفطار؛ التفجير في اللغة ووجها فتح البحار بعضها في بعض وذهاب مائها، واتصالها ببعثرة القبور وعلم النفس بعملها؛ والوجه المنقول عن ابن مسعود في الأعمال والسنن التي تستمر بعد صاحبها.

[م٢٢٩] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الكهف ٤٥-٤٩؛ وجها بروز الأرض، والعرض ووضع الكتاب وحضور العمل أو جزائه، والوجه المنقول في ترتيب أوصاف الجبال.

[م٢٣٠] الكليني، الكافي، ج ٢، كتاب الإيمان والكفر، باب التوبة، ح ١؛ خبر معاوية بن وهب عن أبي عبد الله عليه السلام في التوبة النصوح والستر على الملكين والجوارح وبقاع الأرض. أثبت الطريق والمتن من الموضع المحدد.

[م٢٣١] المجلسي، مرآة العقول، ج ١١، ص ٢٩٥؛ أول باب التوبة، تصحيح الحديث الأول. قوبل الحكم مباشرة بالنص الإلكتروني، ولا يعمم على سائر طرق الخبر أو أخبار الباب.

[م٢٣٢] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير إبراهيم ٤٦-٥٢؛ القولان في تبديل الأرض والسماوات، والبروز والأصفاد والسرابيل واتصال الجزاء بالبلاغ والإنذار.

[م٢٣٣] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير طه ١٠٨-١١٥؛ موضع الآيات ١٠٨-١١٢: اتباع الداعي وخشوع الأصوات والهمس وإذن الشفاعة والخضوع ونفي الظلم والهضم.

[م٢٣٤] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير ق ٤١-٤٥؛ قرب النداء وشمول سماعه، والخروج وتشقق الأرض ومعنى الحشر ويسره مع تباعد الديار والقبور.

[م٢٣٥] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الأنبياء ٤٦-٥٠؛ موضع الآية ٤٧، والقسط وانتفاء الظلم وإحضار مثقال حبة الخردل للمجازاة.

[م٢٣٦] الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح ٣٦ في النص الإلكتروني بمكتبة مصباح، ج ١ ص ٤٨٦-٤٨٧؛ خبر الموازين بطريق إبراهيم الهمداني المرفوع. وقوبل متنه وطريقه في الثقلين برقم ٣٥ ورسم الهمذاني. تختلف بطاقة الحكم هناك عن موضع حكم المجلسي الذي أعيدت مقابلته في أصل الشرح [م٢٣٧]؛ فاعتمد تعيين الخبر بسنده ومتنه، ولم يعتمد تطابق الرقم وحده.

[م٢٣٧] المجلسي، مرآة العقول، ج ٥ ص ٣٦-٣٧؛ وصف خبر الموازين السادس والثلاثين بالمرفوع وشرحه اللاحق. أعيدت مقابلة ص ٣٦ في مكتبة أهل البيت الرقمية، فتميز حكمه من وصف الخبر الخامس والثلاثين بالمجهول. هذه مقابلة لموضع الحكم المنقول، دون ادعاء استكمال دراسة الطرق الأخرى.

[م٢٣٨] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير السجدة ١٦-٢٠؛ موضع الدعاء خوفًا وطمعًا والإنفاق، ووجوه إخفاء قرة الأعين. استخدم الشرح التفسيري، ولم تعمم أحكام الصحة على الأخبار الواردة في الصفحة.

[م٢٣٩] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير ق ٣١-٤٠؛ تقريب الجنة، والأواب والحفيظ والقلب المنيب، والسلام والخلود ووجها المزيد في الآية ٣٥.

[م٢٤٠] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الزمر ٧١-٧٥؛ الزمر والسوق والطيب والأرض الموروثة، والتسبيح والحمد مع تنزيه الله عن صفات الأجسام. النص الإلكتروني في مكتبة صحراء النجف.

[م٢٤١] المجلسي، مرآة العقول، ج ١٥، ص ٤٣٩؛ باب صلاة الكسوف، الحديث الثاني. قوبل الحكم «حسن كالصحيح» وصدر الطريق بالنص الإلكتروني في مكتبة مدرسة الفقاهة.

[م٢٤٢] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢، ص ٧٨؛ باب العرش والكرسي، الحديث الثالث. قوبل حكمه «كالصحيح» والنص المتصل به في مكتبة مدرسة الفقاهة، مع تنبيهه إلى اختلاف صياغة الخبر في التوحيد.

[م٢٤٣] المجلسي، مرآة العقول، ج ١٩، ص ٣٩٧-٣٩٨؛ باب الضرار، الحديثان الخامس والسادس. قوبل الحكمان في ص ٣٩٧: «صحيح» للخامس و«مجهول» للسادس، مع متن الخامس وبداية السادس وتتمته في ص ٣٩٨، بالنص الإلكتروني في مكتبة مدرسة الفقاهة.

[م٢٤٤] المجلسي، مرآة العقول، ج ١٤، ص ١٣٨؛ باب غسل الأطفال والصبيان والصلاة عليهم، الحديث السابع. قوبل صدر خبر وفاة إبراهيم وحكمه «مجهول» في النص الإلكتروني بمكتبة مدرسة الفقاهة؛ موضع الجزء ١٤، خلاف رقم الجزء ٤ المعروض في الثقلين.

[م٢٤٥] الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٣، باب صلاة الكسوف، ص ١٥٤-١٥٥، ح ٣٢٩؛ النص الإلكتروني بصيغة PDF في مكتبة المحسن. يبدأ الطريق بمحمد بن يعقوب، وفيه عمرو بن عثمان عن علي بن أبي عبد الله؛ قوبل بموضعَي الكافي.

[م٢٤٦] الموسوعة الرجالية: ترتيب رجال أسانيد الكتب الأربعة، الميرزا جواد التبريزي، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، ج ٧، ص ٢٧٦، مدخل علي بن عبد الله رقم ٣٠٥٨، الهامشان ٢ و٣؛ ترجيح صيغتي عمرو بن عثمان وعلي بن عبد الله في طريق خبر الكسوف. النص الإلكتروني في مكتبة أهل البيت.

[م٢٤٧] المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، ج ٢، ص ٣١٢-٣١٤، الحديث ٣١ وخبر وفاة إبراهيم، مع الأحاديث ٢٨-٣٠ لتتبع اختصار الإسناد. النص الإلكتروني في مكتبة أهل البيت، والرابط إلى ص ٣١٣.

[م٢٤٨] من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٥٤٠، الحديث ١٥٠٧؛ القول النبوي في كسوف الشمس والقمر، مرسل في هذا الموضع، مع تمييز كلام المصنف السابق عليه وهامش الطبعة. النص الإلكتروني في مكتبة رافد.

[م٢٤٩] رجال النجاشي، ص ٣٣٢، الترجمة ٨٩٤ في الطبعة المقابلة: محمد بن علي المعروف بأبي سمينة؛ نص الجرح المنسوب إلى النجاشي. النص الإلكتروني في مكتبة رافد.

[م٢٥٠] بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧٨، ص ٣٨٠، الحديث ٣٦؛ نقل خبر وفاة إبراهيم عن المحاسن، مع التصريح بأبي سمينة ومحمد بن أسلم والحسين بن خالد. استُعمل لمقابلة النقل وبسط الإسناد، لا لإثبات طريق مستقل.

[م٢٥١] رجال النجاشي، ص ٣٦٨، الترجمة ٩٩٩ في الطبعة المقابلة: محمد بن أسلم الطبري الجبلي؛ عبارة «يقال إنه كان غاليًا، فاسد الحديث» مع حفظ صيغة النقل. النص الإلكتروني في مكتبة رافد.

[م٢٥٢] خاتمة المستدرك، المحدث النوري، ج ٥، ص ١٥٨-١٦٠، المدخل ٢٦٩: طريق الصدوق إلى محمد بن أسلم الجبلي، ومناقشة القول المنقول في حاله. الرابط إلى ص ١٥٩ في مكتبة أهل البيت.

[م٢٥٣] البيع، السيد كاظم الحسيني الحائري، ص ٥٦٠، الهامش الأول في بحث الأسعار؛ موقفه من الاستدلال بوقوع محمد بن أسلم في أسانيد كامل الزيارات. النص في الموقع الرسمي للمكتب، ضمن مجموعة الصفحات التي تبدأ بص ٥٤٥.

[م٢٥٤] المفيد من معجم رجال الحديث، محمد الجواهري، ص ١٦٧، مداخل الحسين بن خالد، والحسين بن خالد أبي العلاء، والحسين بن خالد الصيرفي؛ التمييز وترجيح حمل الاسم المطلق. النص في مكتبة أهل البيت؛ وهو مصدر المقابلة هنا، لا قراءة مباشرة لأصل المعجم.

[م٢٥٥] معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي، ترجمة الحسين بن خالد رقم ٣٣٨٨ وتتمتها قبل الترجمتين ٣٣٨٩-٣٣٩٠؛ مقابلة النص الأصلي لترجيح الخفّاف واستثناء موردي سيف. الرابط إلى التتمة في مكتبة صحراء النجف؛ اعتمد رقم الترجمة لتجنب اضطراب تسمية الجزء في واجهة الموقع.

[م٢٥٦] تنقيح المقال في علم الرجال، عبد الله المامقاني، تحقيق محمد رضا المامقاني، ج ٢٢، ص ٤٣؛ مع الفصل بين متن الترجمة وهامش الطبعة الذي يرجح حمل الاسم المطلق على الصيرفي. النص في مكتبة أهل البيت.

[م٢٥٧] رجال النجاشي، ص ٥٢-٥٣، الترجمة ١١٧: الحسين بن أبي العلاء الخفّاف؛ عبارة الأوجهية وذكر إخوته وكتبه. الرابط إلى بداية الترجمة في مكتبة رافد.

[م٢٥٨] الأبواب، المعروف برجال الطوسي، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، ص ٣٥٥، المدخل ٥٢٦٢، رقم ٢٣: الحسين بن خالد الصيرفي؛ تمييز مدخله من توثيق أصحاب التراجم المجاورة. النص في مكتبة أهل البيت.

[م٢٥٩] الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، سورة النازعات، تفسير «دحاها» وما يليها من الماء والمرعى والمتاع؛ النص الإلكتروني في موقع التفاسير العظيمة ضمن المقطع المعروض عند الآية ٣٤. استُعمل لنقل شرح المفردة وسياق النعم، لا لإسناد نموذج هندسي حديث إلى المفسر.

[م٢٦٠] الطبرسي، مجمع البيان، الرحمن ١٤-٣٠؛ وجوه البحرين والبرزخ، والنقل التأويلي في علي وفاطمة وأهل بيتهما عليهم السلام، دون تحقيق أسانيده هنا.

[م٢٦١] الطبرسي، مجمع البيان، الزمر ٢١-٢٥؛ إدخال الماء في الأرض ووجوه الينابيع وتحول الزرع، وصلة المشهد بالتذكير بالخلق والبعث.

[م٢٦٢] الطبرسي، مجمع البيان، الحج ١-٥؛ شرح الأرض الهامدة واهتزازها وربوها والزوج البهيج في ختام تفسير الآية الخامسة.

[م٢٦٣] الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، سورة الفرقان، الآيات ١-١٠، تفسير الآية ٢: التقدير والحكمة وصفات المخلوق.

[م٢٦٤] الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، سورة يس، الآيات ٣٦-٤٠، تفسير الآية ٣٦: معنى الأزواج وما لم يشاهده المخاطبون أو يبلغهم خبره.

[م٢٦٥] الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، سورة الإسراء، الآيات ٤٠-٥٥، تفسير الآية ٤٤: حقيقة التسبيح والعلم المناسب للموجود وحدود حمل القول على أصوات البشر.

[م٢٦٦] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الأعراف ٥٤؛ اختلاف فائدة الخلق والأمر في سياق الإيجاد والتدبير.

[م٢٦٧] الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، سورة يس، الآيات ٦٦-٨٣، تفسير الآيتين ٨٢-٨٣؛ الأمر والإيجاد وبيان الملكوت.

[م٢٦٨] الطبرسي، مجمع البيان، سورة الحديد، الآيات ٧-١٠، تفسير الآية ٧؛ الاستخلاف في المال وانتقاله بين الأجيال والحث على الإنفاق.

[م٢٦٩] الطبرسي، مجمع البيان، سورة الإسراء، الآيات ٥٨-٦٠، تفسير الآية ٥٩؛ الآيات المقترحة والحكمة في عدم إجابتها ووجوه إقامة الحجة.

[م٢٧٠] الطبرسي، مجمع البيان، سورة طه، الآيات ٥٧-٦٦، تفسير الآية ٦٦؛ التخييل والشرح الوارد بشأن الحبال والعصي، دون اعتماد آليته حقيقة تاريخية محققة.

[م٢٧١] الطبرسي، مجمع البيان، سورة طه، الآيات ٦٧-٧٦، تفسير الآية ٦٧؛ وجوه خيفة موسى ونسبة قول التباس الأمر على الناس إلى الجبائي.

[م٢٧٢] الطبرسي، مجمع البيان، سورة الجاثية، الآيات ١١-١٥، تفسير الآية ١٣؛ التسخير للانتفاع وبيان التفضل والرحمة.

[م٢٧٣] الطبرسي، مجمع البيان، سورة الأحزاب، الآيات ٧٠-٧٣، تفسير الآية ٧٢؛ أقوال الأمانة ووجوه العرض وحدود وصف الإنسان بالظلم والجهل. النص الإلكتروني في مكتبة صحراء النجف.

[م٢٧٤] الطبرسي، مجمع البيان، سورة المؤمنون، الآيات ١٠١-١١٠، ولا سيما تفسير الآية ١٠١؛ وجوه نفي الأنساب والتساؤل والجمع باختلاف أحوال القيامة، مع نسبة الأقوال إلى أصحابها دون تحقيق أسانيدها.

[م٢٧٥] الطبرسي، مجمع البيان، سورة الفرقان، الآيات ٢١-٣٠، تفسير الآية ٢٥؛ وجها المصاحبة والانشقاق عن الغمام، المنقولان عن أبي علي الفارسي والفراء.

[م٢٧٦] الطبرسي، مجمع البيان، سورة النبأ، الآيات ١٧-٣٠، تفسير الآية ١٩؛ فتح السماء وصيرورتها ذات أبواب أو طرق. الاستشهاد بالشرح لا يتضمن اعتماد الرواية المطولة المجاورة في أصناف المحشورين.

[م٢٧٧] الطبرسي، مجمع البيان، سورة الفجر، تفسير الآيات ٢١-٢٤ ضمن السورة؛ وجوه دك الأرض، والمجيء بمعنى الأمر والقضاء، والتصريح بالتنزيه عن الحركة الجسمانية.

[م٢٧٨] الطبرسي، مجمع البيان، سورة النمل، الآيات ٨٦-٩٣، ولا سيما تفسير الآية ٨٨؛ مرور الجبال وتوهم وقوفها والإتقان واتصال المقطع بالجزاء.

[م٢٧٩] الطبرسي، مجمع البيان، سورة الإنسان، الآيات ١١-٢٢، تفسير الآية ١٣؛ انتفاء أذى حر الشمس وبرد الزمهرير في وصف نعيم الجنة.

[م٢٨٠] الطبرسي، مجمع البيان، سورة التوبة، الآيات ٧١-٧٣، تفسير الآية ٧٢؛ وجها عظم الرضوان المنقولان عن الجبائي والحسن وصلته بالثواب والسرور.

[م٢٨١] الصدوق، التوحيد، باب القدرة، ح ٣، ص ١٢٥؛ لفظ سؤال الجماعة «أين كان» وتعقيب المصنف بعد الخبر. النص الإلكتروني في مكتبة رافد.

[م٢٨٢] الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج ١، باب ١١، ح ٦، ص ١١٧؛ سؤال الجماعة وتعقيب الصدوق. النص الإلكتروني في مكتبة قائميّة.

[م٢٨٣] السيد ابن طاووس، فرج المهموم، ص ٥٧-٥٨؛ نقله طريق خبر المنجّم من عيون الجواهر واعتراضه على السند وظاهر المتن. النص الإلكتروني، منشورات الرضي، مكتبة أهل البيت الرقمية.

[م٢٨٤] الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٣، الزيادات في صلاة الكسوف، ص ٣٢٥، ح ٨٩١، ورقه ١٨ في الباب، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ. قوبلت صورة الصفحة: لفظ «يرفع عنكم» والرمز «صح». النسخة المصوّرة في مكتبة الجوادين.

[م٢٨٥] الكليني، الكافي، ج ٨، الروضة، ص ٢٨٣-٢٨٤، ح ٤٢٧؛ تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران. قوبل صدر السند وتتمته والمتن في النص الإلكتروني بمكتبة أهل البيت؛ شاهد تقسيم الأزواج في سياق حمل نوح لها في السفينة.

[م٢٨٦] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢٦، ص ٣٠٢؛ الخبر ٤٢٧، وحكمه «ضعيف على المشهور»، وبيان لفظ الداجنة. قوبل النص الإلكتروني في رافد، دون مقابلة صورة الطبعة أو تحقيق رجالي مستقل.

[م٢٨٧] العياشي، تفسير العياشي، ج ٢، ص ١٤٧، ح ٢٦؛ تحقيق وتعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران. بداية النظير المروي عن إسماعيل بن جابر الجعفي عن أبي عبد الله؛ النص الإلكتروني بمكتبة أهل البيت لا يعرض هنا طريق المصنف إلى إسماعيل.

[م٢٨٨] العياشي، تفسير العياشي، ج ٢، ص ١٤٨؛ تتمة الخبر ٢٦، وفيها تفصيل أصناف الأزواج. قوبلت التتمة مع بدايتها في الصفحة السابقة [م٢٨٧]، وفصلت عنها حواشي المحقق والأخبار التالية.

[م٢٨٩] الصدوق، التوحيد، تصحيح وتعليق السيد هاشم الحسيني الطهراني، مكتبة الصدوق، طهران، ١٣٨٧هـ؛ صور ص ٣٤ و٣٧-٣٨. النسخة المصوّرة من مكتبات جامعة كولومبيا في مشروع المجموعات العربية على الإنترنت؛

ضبط «محمد بن عمرو الكاتب»، ومقابلة نص الشاهد وحاشية المحقق. تقابل الصفحات المطبوعة الصفحات ٣٨ و٤١-٤٢ من الملف.

[م٢٩٠] الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، تفسير الأنعام ٧٥؛ النقل المنسوب إلى أبي جعفر في كشف السماوات والأرض والملائكة وحملة العرش، ثم جواب المفسر عن إمكان الرؤية. قوبل النص الإلكتروني في موقع التفسير، وفصل النقل عن التعقيب؛ لا يعرض الموضع سندًا متصلًا من المصنف.

[م٢٩١] الصفار، بصائر الدرجات، الجزء الثاني، الباب ٢٠ في عرض الملكوت، ص ١٢٦-١٢٨ بحسب ترقيم المصدر المثبت في الملف؛ ولا سيما الخبر ٦ والصيغ ٧-١٠. قوبلت نسخة إلكترونية معاد صفّها متاحة في تراث الأنبياء، وتوافقها الصفحات ١٦١-١٦٣ من الملف. أثبت طريق عبد الرحيم القصير وفصلت الصيغ المتجاورة؛ ليست هذه مقابلة لصورة الطبعة الأصلية أو حكمًا بصحة الأسانيد.

[م٢٩٢] الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الإسراء ١-٣؛ تقسيم أخبار المعراج إلى أربعة أقسام، وبيان اليقظة والتنزيه. اعتمد النص الإلكتروني في شبكة القرآن الكريم؛ نقل التقسيم بوصفه منهجًا للمفسر، لا أحكامًا سندية تفصيلية على جميع أخبار الرحلة.

[م٢٩٣] الكليني، الكافي، ج ٨، الروضة، الحديث ٣٧٦، خبر الإسراء ووصف بيت المقدس والعير؛ طريق أبان بن عثمان عن حديد عن الإمام الصادق، ولفظ «أورق أو أحمر». النص الإلكتروني في الثقلين، حيث يعرض الخبر ضمن الباب ٣٧٦.

[م٢٩٤] المجلسي، مرآة العقول، ج ٢٦، ص ٢٥٢، شرح الحديث ٣٧٦ من الروضة: «موثق، ولعل في السند سقطًا». قوبل الحكم في نص الكتاب بمكتبة رافد؛ أثبت الجزء السادس والعشرون بدل رقم الجزء الوارد في الإحالة المختصرة بموقع الثقلين، وحفظ قيد الاحتمال دون تعيين سقط غير محقق.

[م٢٩٥] الصدوق، الأمالي، المجلس ٦٩، الحديث ١؛ خبر الإسراء ووصف بيت المقدس والعير، من طريق ابن أبي عمير عن أبان بن عثمان عن الإمام الصادق. النص الإلكتروني في الثقلين؛ قوبل بطريق الكافي وألفاظه، دون الحكم باستقلال الطريقين التام أو صحتهما لمجرد تشابه المتن.

[م٢٩٦] الكليني، الكافي، ج ١، كتاب الحجة، باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ووفاته، الحديث ١٢؛ خبر انتهاء جبرئيل بالنبي إلى مكان ثم مفارقته له، بطريق حماد بن عثمان عن أبي بصير. النص الإلكتروني في الثقلين؛ حكم المجلسي موثق في [م٢٩٨].

[م٢٩٧] الكليني، الكافي، ج ١، كتاب الحجة، باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ووفاته، الحديث ١٣؛ سؤال أبي بصير بحضور علي بن أبي حمزة، وعدد المعراج «مرتين»، وألفاظ الصلاة والحجاب والولاية. حفظت صيغة الحضور والتردد في وصف الزبرجد؛ حكم المجلسي موثق في [م٢٩٨].

[م٢٩٨] المجلسي، مرآة العقول، ج ٥، ص ١٩٩-٢٠١؛ حكم الحديث ١٢ «حسن»، وحكم الحديث ١٣ «ضعيف»، ثم شرح ألفاظه ووجوه الجمع بين عدد المرتين والمائة والعشرين. قوبلت الصفحات في النص الإلكتروني بمكتبة رافد؛ احتمالات الشرح منفصلة عن متن الرواية وعن الحكم السندي.

[م٢٩٩] الصدوق، الخصال، ص ٦٠١، تتمة خبر المعراج مائة وعشرين مرة، السابق للخبر ٤ في هذه الصفحة. استُخدمت الصفحة الإلكترونية في المقابلة الأولى لتتمة الطريق؛ ثم استُكملت مقابلة بداية الخبر وتتمته بصورة الطبعة، ص ٦٠٠-٦٠١، الخبر ٣، في [م٣١٢].

[م٣٠٠] الصفار، بصائر الدرجات، ص ٩٩، الخبر ١٠، المعراج مائة وعشرين مرة؛ تقابلها الصفحة ١٢٢ من الملف الإلكتروني المعاد صفه في تراث الأنبياء. قوبل الطريق في هذه النسخة وسجل رسم «منبع» كما ظهر فيها؛ وقوبل لاحقًا بصورة طبعة الأعلمي التي تقرأ «منيع»، ص ١١١، في [م٣١١].

[م٣٠١] العياشي، تفسير العياشي، ج ١، ص ١٤٠-١٤١، الخبر ٤٦٦ وتتمته، والخبر ٤٦٨؛ تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران. قوبل خبر أرميا عن أبي بصير عن أبي عبد الله، وخبر عزير الذي ينتهي فيه النقل إلى عبارة «ذكر جماعة من أهل العلم». النص الإلكتروني بمكتبة أهل البيت؛ لم يستكمل تحقيق اتصال الطريقين أو الترجيح بينهما.

[م٣٠٢] الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، تفسير البقرة ٢٥٨-٢٦٠، البحث الروائي؛ مناقشة روايات تعيين المار على القرية بأرميا أو عزير، ووصفها بالآحاد والتنبيه إلى بعض الضعف في أسانيدها وغياب شاهد التعيين من ظاهر الآيات. الرأي منسوب إلى صاحبه، ولا يستبدل بفحص مستقل لكل سند.

[م٣٠٣] العياشي، تفسير العياشي، ج ٢، ص ٣٣٠، الخبر ٤٢ من سورة الكهف؛ عن أبي حمزة عن أبي جعفر في تسمية وصي موسى وفتاه يوشع بن نون. قوبل نص الكتاب المعاد نشره في موقع أخبارية؛ لا يعرض هذا الموضع طريق المصنف إلى أبي حمزة. إثبات الشاهد منفصل عن تصحيح السند.

[م٣٠٤] التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمي، ج ٢، ص ٣٧-٣٨، تصحيح وتعليق طيب الموسوي الجزائري؛ تسمية يوشع في السرد عند الكهف ٦٠، ثم ابتداء خبر المكاتبة في ص ٣٨ بعبارة «فحدثني محمد بن علي بن بلال عن يونس». قوبلت الصفحتان في مكتبة أهل البيت؛ فصل السرد السابق عن طريق الخبر اللاحق، مع بقاء بحث نسبة المادة والتحقيق الرجالي.

[م٣٠٥] محمد الباقر البهبودي، صحيح الكافي، من سلسلة صحاح الأحاديث عند الشيعة الإمامية، الدار الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج ١، خاتمة المقدمة، الصفحة الموسومة «يج». قوبلت صورة الصفحة وبيانات الطبعة؛ يبين صاحب المختار اشتراط الصحة من جهة السند والمتن معًا. تعتمد هذه المقدمة في تفسير دلالة إدراجه للأخبار الستة المقابلة.

[م٣٠٦] البهبودي، صحيح الكافي، الطبعة الأولى، ج ١، ص ١، كتاب العقل والجهل، الرقم المتسلسل ١، الموافق للحديث ١ في الكافي. صورة الصفحة في النسخة المنشورة بأرشيف الإنترنت؛ قوبل افتتاح خبر خلق العقل وطريقه، مع بيان منهج الاختيار في [م٣٠٥].

[م٣٠٧] البهبودي، صحيح الكافي، الطبعة الأولى، ج ١، ص ١٦، كتاب التوحيد، الرقم المتسلسل ٤٨، الموافق للحديث ٣ في باب الإرادة من الكافي. صورة الصفحة؛ قوبل خبر صفوان بن يحيى عن أبي الحسن في الإرادة والإحداث، مع بيان منهج الاختيار في [م٣٠٥].

[م٣٠٨] البهبودي، صحيح الكافي، الطبعة الأولى، ج ١، ص ٧٢، باب التفكر، الرقم المتسلسل ١٩١، الموافق للحديث ٤ في الكافي. صورة الصفحة؛ قوبل خبر معمر بن خلاد عن أبي الحسن الرضا، مع بيان منهج الاختيار في [م٣٠٥].

[م٣٠٩] البهبودي، صحيح الكافي، الطبعة الأولى، ج ٢، ص ٣٦٧، باب فضل الزراعة، الرقم المتسلسل ٢٧٨٤، الموافق للحديث ٣ في الكافي. صورة الصفحة؛ ثبت إدراج خبر سيابة في الزرع والغرس، مع بيان منهج الاختيار في [م٣٠٥]؛ لا يستلزم ذلك اتفاق أصحاب الأحكام عليه.

[م٣١٠] البهبودي، صحيح الكافي، الطبعة الأولى، ج ٢، ص ٣٨٨، الرقمان المتسلسلان ٢٨٦٠ و٢٨٦١، الموافقان للحديثين ٥ و٦ من باب الضرار في الكافي. صورة الصفحة؛ قوبلت مكاتبة القنوات والرحى وخبر فضل الماء، وثبتت قراءة «نقع البئر» في الثاني. يراعى بيان منهج المختار في [م٣٠٥]، ولا تعمم هذه القراءة على نسخ الكافي الأخرى.

[م٣١١] الصفار، بصائر الدرجات، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص ١١١، الخبر ١٠. قوبلت صورة الصفحة، وفي الطريق «منيع» دون «بن الحجاج»، خلاف رسم «منبع» في النسخة الإلكترونية المعاد صفها [م٣٠٠]. المقابلة لضبط نص هذه الطبعة، وليست حكمًا باتحاد الرواة أو بصحة السند.

[م٣١٢] الصدوق، الخصال، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، منشورات مكتبة الصدوق، ج ٢، ص ٦٠٠-٦٠١، الخبر ٣، المعراج مائة وعشرين مرة. قوبلت بداية الطريق وتتمته في صورتي الصفحتين ٦١٦-٦١٧ من الملف. وصف منيع بالإهمال وتعيين يونس على جهة الترجيح واردان في حاشية الغفاري؛ فلا ينسبان إلى متن الصدوق.

[ع١] وكالة ناسا، تاريخ الكون: المراحل المبكرة والإشعاع الخلفي وتطور البنية.

[ع٢] وكالة ناسا، حقائق الشمس.

[ع٣] وكالة ناسا، أطوار القمر.

تتمة [ع٣]: وكالة ناسا، برنامج ستارتشايلد، المدة المدارية للقمر، التمييز بين الشهر النجمي والشهر الاقتراني ومتوسطي مدتيهما.

[ع٤] وكالة ناسا، الشهب والنيازك.

[ع٥] وكالة ناسا، ما الذي يسبب الفصول؟

[ع٦] وكالة ناسا، الكسوف الشمسي والخسوف القمري.

[ع٧] هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، فهم حركة الصفائح، وما يتصل ببناء الجبال والزلازل.

[ع٨] الإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي، تصنيف المصبات بحسب دوران المياه والامتزاج.

[ع٩] هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، الدورة الهيدرولوجية.

[ع١٠] الإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي، أصل الرياح.

[ع١١] الإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي، صوت الرعد.

[ع١٢] هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، كيف تتحرك الأرض؟

[ع١٣] وكالة ناسا، المجرات.

[ع١٤] وكالة ناسا، النجوم: الميلاد والحياة والنهاية.

[ع١٥] وكالة ناسا، بنية الثقوب السوداء.

[ع١٦] وكالة ناسا، مكونات الكون: المادة المرئية والمادة المظلمة والطاقة المظلمة.

[ع١٧] وكالة ناسا، حقائق الأرض؛ الدوران والمدار وميل المحور وتعاقب الفصول.

[ع١٨] الاتحاد الفلكي الدولي، الكوكبات؛ تعريف مناطق السماء الثماني والثمانين. نسخة موقع الاتحاد المحفوظة لدى المرصد الأوروبي الجنوبي.

[ع١٩] وكالة ناسا، الكسوف والخسوف والقمر، هندسة الظلال وميل المدار وأنواع الخسوف والكسوف.

[ع٢٠] برادلي شيفر، «رؤية الهلال»، ١٩٨٨م، المجلة الفصلية للجمعية الفلكية الملكية، المجلد ٢٩، سجل ناسا للتقارير التقنية رقم ١٩٨٩٠٠٣٨٩٥٧. استُخدم الملخص المتاح عن ظروف الرؤية، ولم يراجع النص الكامل للمقال.

[ع٢١] هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، ما المياه الجوفية؟ وجود الماء في المسام والشقوق.

[ع٢٢] الإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي، أخطار العواصف الرعدية: البرد، التكوّن والنمو والتيارات الصاعدة.

[ع٢٣] منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، أهمية المادة العضوية في التربة، المقدمة، الخصوبة وبنية التربة وحفظ الماء.

[ع٢٤] هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، الزلازل: أين تحدث؟ حدود الصفائح والزلازل داخلها.

[ع٢٥] هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، مراقبة البراكين: البقع الساخنة، أمثلة السلاسل البركانية داخل الصفائح.

[ع٢٦] الإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي، التثقيف حول الطقس، تكاثف بخار الماء وقطيرات السحاب والجليد.

[ع٢٧] هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، دورة الماء، المخازن وانتقالات الماء بين الأوساط والحالات.

[ع٢٨] هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، ما الزلزال وما أسبابه؟ الحركة على الصدوع وإطلاق الطاقة.

[ع٢٩] وكالة ناسا، استشعار الكون، الضوء والجسيمات وموجات الجاذبية وتعدد وسائل الرصد.

[ع٣٠] وكالة ناسا، طرق اكتشاف الكواكب الخارجية ووصفها، العبور والسرعة الشعاعية والتحليل الطيفي والتصوير.

[ع٣١] وكالة ناسا، نظرة عامة على بعثة ويلكنسون لقياس تباين الإشعاع الكوني، القياسات ونتائج تقدير العمر والمحتوى.

[ع٣٢] وكالة ناسا، المادة المظلمة، آثارها الجاذبية وموقعها في ميزانية محتوى الكون.

[ع٣٣] وكالة ناسا، الطاقة المظلمة، تسارع التمدد والأسئلة المفتوحة عن تفسيره.

[ع٣٤] وكالة ناسا، النطاق الصالح للسكن، إمكان الماء السائل وحدود الاستدلال على الحياة.

[ع٣٥] وكالة ناسا، المد والجزر، دور القمر والشمس وتغير المدى المدّي والعوامل المحلية المؤثرة في التوقيت والارتفاع.

[ع٣٦] وكالة الفضاء الأوروبية، اختلاف المنظر، قياس بُعد النجوم بالزاوية وقاعدة القياس.

[ع٣٧] وكالة ناسا، حقائق الشهب والنيازك، منشأ الزخات وتسمياتها ودرس العينات. لم تعتمد الأعداد المتغيرة أو جدول المواسم في الصفحة لتوقع حدث لاحق.

[ع٣٨] هيئة الطقس الوطنية الأمريكية، تعريفات الشفق، الحدود المدنية والبحرية والفلكية بحسب انخفاض مركز الشمس عن الأفق.

[ع٣٩] هيئة الطقس الوطنية الأمريكية، الفصول والاعتدالان والانقلابان، أثر الانكسار وتقارب طول الليل والنهار وتأخر الذروة الحرارية.

[ع٤٠] المكتب الدولي للأوزان والمقاييس، الوحدة الأساسية للزمن: الثانية، تعريفها بتردد الانتقال فائق الدقة لذرة السيزيوم ١٣٣.

[ع٤١] هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، هل تطفو الصفائح على الصهارة؟ التمييز بين الوشاح الصلب وتشوهه البطيء والانصهار الموضعي.

[ع٤٢] مصلحة المتنزهات الوطنية الأمريكية، جيولوجيا الجبال، نشأة التضاريس والتجوية والتعرية ونحت الأودية.

[ع٤٣] الإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي، إلى أي عمق ينفذ الضوء في المحيط؟ النطاقات التقريبية للإضاءة الشمسية.

[ع٤٤] هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، الأنهار تحتوي مياه جوفية، تبادل المياه بين المجاري والتكوينات الجوفية.

[ع٤٥] الإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي، نسيم البحر، الدوران الساحلي واختلاف تسخين البر والماء.

[ع٤٦] منظمة الأغذية والزراعة، الفصل السابع: الترب المتأثرة بالأملاح، الملوحة والصودية وآثارهما وشروط المعالجة.

[ع٤٧] هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، الفرق بين مقدار الزلزال وشدته ومقياس ميركالي المعدل، تمييز حجم الحدث من آثاره المحلية.

[ع٤٨] أمانة اتفاقية التنوع البيولوجي، المادة الثانية: استعمال المصطلحات، تعريف التنوع البيولوجي والنظام البيئي.

[ع٤٩] وكالة ناسا، تحويل بيانات ناسا إلى أصوات، بيان التمثيل الصوتي للبيانات الفلكية وإتاحتها للمستمعين.

[ع٥٠] وكالة ناسا، مدخل إلى التحليل الطيفي: أنواع الأطياف والتحليل الطيفي، الامتصاص والانبعاث والعبور.

[ع٥١] المعهد الوطني الأمريكي للمعايير والتقنية، المذكرة التقنية ١٢٩٧، القسم الثاني: تصنيف مكونات عدم اليقين والفرق بين الخطأ وعدم اليقين، ويراجع ملحق المصطلحات، د ١، ولا سيما تعريف الخطأ وتعليقه في د ١٫١٫٤، ومعجم التعريفات الأساسية لعدم اليقين في الموقع الرسمي.

[ع٥٢] وكالة الفضاء الأوروبية، بلانك والإشعاع الكوني الخلفي، الطيف الحراري وتفاوتات الحرارة وفصل الإشارات الأمامية.

[ع٥٣] تعاونا لايغو وفيرغو، رصد موجات الجاذبية من اندماج ثقبين أسودين؛ البحث الأصلي المنشور سنة ٢٠١٦، عن إشارة سبتمبر ٢٠١٥. فيزيكال ريفيو ليترز، المجلد ١١٦، المقالة ٠٦١١٠٢.

[ع٥٤] وكالة الفضاء الأوروبية، ما الانزياح نحو الأحمر؟ مقارنة الأطياف والتمييز بين الحركة وتمدد الفضاء.

[ع٥٥] هيئة الطقس الوطنية الأمريكية، معجم الطقس: الرفع التضاريسي؛ صعود الهواء وتبرده والتكاثف والهطول في المرتفعات.

[ع٥٦] هيئة الطقس الوطنية الأمريكية، معجم الطقس: ظل المطر؛ انخفاض الهطول خلف الحاجز الجبلي في صلة بهبوط الهواء ودفئه.

[ع٥٧] هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، انخفاض المياه الجوفية واستنزافها؛ الضخ والمخزون وآثار تغير المناسيب. لم تعتمد أرقام الأمثلة الإقليمية القديمة لتقدير الحال الراهنة.

[ع٥٨] مصلحة الغابات الأمريكية، ما التلقيح ومن يؤديه؟ تعريف العملية ووسائط نقل حبوب اللقاح، نشرة تثقيفية.

[ع٥٩] الإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي، كيف يؤثر تغير المناخ في الشعاب المرجانية؟ الحرارة وكيمياء الماء وآثار الجريان من اليابسة.

[ع٦٠] هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، الفرق بين الإنذار المبكر والتوقعات والاحتمالات والتنبؤ بالزلازل؛ زمن التنبيه وحدود الادعاء.

[ع٦١] المنظمة الأوروبية للأبحاث النووية، سيرن، المادة المضادة؛ مثال الإلكترون والبوزيترون وتساوي الكتلة وتقابل الشحنة الكهربائية.

[ع٦٢] بلوم وزملاؤه، القياس الدقيق لكتلة الكوكب تي أو آي-١٢٣٥ ب ونصف قطره، مجلة الفلك والفيزياء الفلكية، مجلد ٦٣٩، سنة ٢٠٢٠م؛ ملخص الدراسة وسجلها لدى ناسا.

[ع٦٣] تعاون بلانك، نتائج ٢٠١٨م، البحث السادس: معلمات الكون؛ المنشور في مجلة الفلك والفيزياء الفلكية، مجلد ٦٤١، سنة ٢٠٢٠م. مثال ثابت هابل المقيد بالنموذج ومجال التقدير.

[ع٦٤] تعاون تلسكوب أفق الحدث، النتائج الأولى لمسييه ٨٧، البحث الأول: ظل الثقب الأسود فائق الكتلة، سنة ٢٠١٩م؛ الحلقة والانخفاض المركزي وتفسير الرصد.

[ع٦٥] تعاون تلسكوب أفق الحدث، النتائج الأولى لمسييه ٨٧، البحث الرابع: تصوير الثقب الأسود المركزي، سنة ٢٠١٩م؛ المجموعات المستقلة واختبارات إعادة بناء الصورة.

[ع٦٦] وكالة ناسا، كيف تصنع صور ويب الملونة؟ المرشحات والمحاذاة ومعالجة آثار الجهاز وإسناد الإشعاع تحت الأحمر إلى ألوان مرئية.

[ع٦٧] تعاون لايغو العلمي وتعاون فيرغو وفرق الرصد المشاركة، الرصد متعدد الرسل لاندماج نجمين نيوترونيين، رسائل مجلة الفيزياء الفلكية، مجلد ٨٤٨، المقالة ١٢، سنة ٢٠١٧م؛ ملخص النسخة الثانية في أرشيف الأبحاث. تسلسل الرصد من موجات الجاذبية وغاما إلى المتابعة الضوئية والسينية والراديوية.

[ع٦٨] تعاون لايغو العلمي، الملخص العلمي لرصد موجات الجاذبية من اقتراب نجمين نيوترونيين: جي دبليو-١٧٠٨١٧؛ شرح استجابة فيرغو بحسب الاتجاه، ومعالجة دفعة الضوضاء في بيانات ليفنغستون. عرض يتعلق بتحليل حدث سنة ٢٠١٧م.

[ع٦٩] تعاون لايغو العلمي، الملخص العلمي لموجات الجاذبية وأشعة غاما من اندماج نجمي: جي دبليو-١٧٠٨١٧ وجي آر بي-١٧٠٨١٧ أ؛ اقتران الإشارتين وقراءة فرق الوصول في ضوء المسافة وتوقيت الانبعاث. لم تعتمد توقعات الرصد المستقبلية القديمة الواردة في الصفحة.

[ع٧٠] وزارة الطاقة الأمريكية، مكتب العلوم، شرح التخليق النووي؛ تعريف تكوّن النوى والتمييز بين الإنتاج المبكر وعمليات النجوم اللاحقة. استعملت الفقرات التعريفية دون أخبار المشروعات المستقبلية القديمة في الصفحة.

[ع٧١] رايان كوك وماكس بيتيني وتشارلز ستايدل، تحديد الوفرة البدئية للديوتيريوم بدقة واحد في المئة، مجلة الفيزياء الفلكية، مجلد ٨٥٥، المقالة ١٠٢، سنة ٢٠١٨م؛ النسخة الثالثة في أرشيف الأبحاث، المقدمة والملخص وقسم النتائج. مثال مؤرخ لقياس الوفرة وشروط تفسيرها.

[ع٧٢] ناسا، صورة الفلك اليومية، مجرتا الهوائيات في التصادم، ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٦م؛ شرح اختلاف استجابة النجوم والغاز، وضغط السحب وتكوّن النجوم. استعملت الدلالة الفيزيائية للمثال دون ادعاء أن الصورة هي الأحدث.

[ع٧٣] شون أندروز وزملاؤه، مشروع البنى الدقيقة للأقراص بدقة زاوية عالية «دي شارب»، البحث الأول: الدافع والعينة والمعايرة والعرض العام، سنة ٢٠١٨م؛ الملخص، وتصميم العينة في القسم الثاني، وعرض النتائج في القسم السادس. رصد عشرين قرصًا وحدود تعميم العينة وتفسير البنى بكواكب.

[ع٧٤] وكالة ناسا، أنواع الكسوف الشمسي؛ الكلي والحلقي والجزئي والهجين، واختلاف المشهد باختلاف موضع الراصد. صفحة علمية رسمية قوبلت في مراجعة سنة ٢٠٢٦م.

[ع٧٥] وكالة ناسا، لماذا يحدث الكسوف؟ هندسة الاصطفاف وميل مدار القمر والظل وشبه الظل ومسار الكلية والحجم الظاهري. صفحة علمية رسمية قوبلت في مراجعة سنة ٢٠٢٦م.

[ع٧٦] وكالة ناسا، سلامة مشاهدة الكسوف؛ وسائل حماية العين، والمرشحات المخصصة للأدوات البصرية، والإسقاط غير المباشر، وحدود استثناء الكلية. إرشادات رسمية قوبلت في مراجعة سنة ٢٠٢٦م؛ تُراجع أحدث تعليماتها قبل أي نشاط رصد.

[ع٧٧] الإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي، هيئة المسح الجيوديسي الوطنية، ما الجيويد؟ تعريف السطح المرجعي لمتوسط مستوى البحر، وأثر الدوران وتفاوت الجاذبية، والتنبيه إلى تضخيم التفاوتات في النموذج التعليمي.

[ع٧٨] المرصد البحري الأمريكي، الزمن النجمي؛ تعريفه والفرق بين اليوم النجمي والزمن الشمسي، والمدة التقريبية ٢٣ ساعة و٥٦ دقيقة و٤ ثوانٍ.

[ع٧٩] المرصد البحري الأمريكي، معادلة الزمن؛ الفرق بين الزمن الشمسي الظاهري والمتوسط، وأثر الحركة المدارية، وقياس دوران الأرض برصد الكوازارات. استُعمل للشرح الفيزيائي، لا لتقرير قواعد التوقيت المستقبلية.

[ع٨٠] هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، ما الزلزال وما أسباب حدوثه؟ شرح الانزلاق على الصدع والاحتكاك وتراكم الإجهادات وانتشار الموجات؛ استعمل هنا لشرح الزلزال التكتوني.

[ع٨١] هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، بيثان تيرنر وزملاؤها، زلزالية الأرض ١٩٠٠–٢٠١٠: الهيمالايا ومحيطها، ٢٠١٣؛ ملخص التقرير المفتوح ٢٠١٠–١٠٨٣–J، تقارب الهند وأوراسيا والصدوع والزلازل. مرجع تفسيري إقليمي، لا تنبؤ بموعد هزة.

[ع٨٢] هيئة المسح الجيولوجي البريطانية، التضاريس؛ أثر نوع الصخر وبنيته ومقاومته ونفاذيته في تشكل المرتفعات والمنخفضات.

[ع٨٣] هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، معجم المصطلحات، مدخل الاتزان القشري «الأيزوستاسي»؛ تعريف التوازن أو طفو القشرة فوق الوشاح. استعمل لتعريف المصطلح، لا لإثبات منع الزلازل.

[ع٨٤] الإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي، مراقبة المصبات؛ قياس الملوحة وخطوط تساويها، والعكارة والحرارة والعمق والأكسجين المذاب.

[ع٨٥] هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، الخزانات والمياه الجوفية؛ المسامية والنفاذية والتغذية والخزان المحصور والضغط الارتوازي.

[ع٨٦] هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، ما الذي يجعل بئر المياه الجوفية تجف؟ انخفاض المنسوب دون مدخل المضخة وعوامل تغيره وإمكان تعافيه.

[ع٨٧] ليونارد كونيكو وستانلي ليك، الاستنزاف والتقاط التدفقات: إعادة النظر في مصدر المياه المستخرجة من الآبار، مجلة المياه الجوفية، ٢٠١٤؛ ملخص دراسة عن نقص المخزون وتغير التغذية والتصريف بفعل الضخ.

[ع٨٨] خدمة الأرصاد الجوية الوطنية الأمريكية، معجم المصطلحات، مداخل اتجاه الرياح وسرعتها وهباتها وقص الرياح؛ استعملت التعريفات دون تعميم عتبات التحذير المحلية.

[ع٨٩] مصلحة الغابات الأمريكية، ملف نبات الجوجوبا؛ وصف التلقيح بالرياح وجمع النحل للقاح، وتمييز ذلك من انتشار البذور.

[ع٩٠] الإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي، الهطول؛ نمو القطيرات بالتصادم والالتحام ونمو بلورات الجليد، وقياس المطر وصلته برصد المجاري.

[ع٩١] خدمة الأرصاد الجوية الوطنية الأمريكية، فهم علم البرق؛ فصل الشحنات والتفريغ داخل السحابة وبين السحابة والأرض، والصلة بين البرق والرعد.

[ع٩٢] هيئة صيانة الموارد الطبيعية الأمريكية، المذكرة الفنية للتربة ١٦ أ: المنطقة المنضغطة في التربة؛ المسامات والجذور والتهوية والصرف.

[ع٩٣] إرشاد جامعة مينيسوتا، تقليل شدة الحراثة؛ بنية التربة والبقايا النباتية والرطوبة والحرارة والتهوية، مع نتائج دراسات حقلية محددة.

[ع٩٤] إرشاد جامعة مينيسوتا، تأخر زراعة فول الصويا؛ أثر التربة الرطبة والقشرة السطحية ونقص الأكسجين والبرودة في الإنبات وبزوغ البادرات. لم تعمم مواعيده وكمياته المحلية.

[ع٩٥] هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، مقدار الزلزال والطاقة المنطلقة وشدة الاهتزاز؛ الطبيعة اللوغاريتمية للمقادير والعزم الزلزالي واختلاف الأثر المحلي.

[ع٩٦] هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، الرماد البركاني ضمن مواد الآثار والتخفيف؛ تعريفه بفئات الصخور والمعادن والزجاج وتمييزه من نواتج الاحتراق.

[ع٩٧] هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية، إفادة وليام ليث عن أخطار الزلازل والإنذار المبكر؛ شرح أثر المسافة وتأخر المعالجة والاتصال في المهلة. استعمل المبدأ التقني، لا حالة تشغيل النظام التاريخية.

[ع٩٨] المعهد الوطني الأمريكي للمعايير والتقنية، «عدم اليقين في القياس»: معنى القياس والمعايرة وتشتت القيم المنسوبة إلى الكمية المقيسة.

[ع٩٩] المعهد الوطني الأمريكي للمعايير والتقنية، المذكرة الفنية ١٢٩٧، الملحق د١: المصطلحات؛ التكرارية وخطأ القياس وعدم اليقين.

[ع١٠٠] إرشاد جامعة فلوريدا، «أساسيات إكثار النباتات»، فقرة الإكثار بالعقل: الإكثار الخضري دون أزهار أو تلقيح أو بذور.

[ع١٠١] المركز الوطني للتحليل والتركيب البيئي، جامعة كاليفورنيا في سانتا باربرا، «حساب غنى الموائل وتكافؤها»، فقرة التنوع والغنى وتكافؤ الوفرة.

[ع١٠٢] وكالة ناسا، «تمثيلات صوتية جديدة للثقوب السوداء مع إعادة معالجة»، ٤ مايو ٢٠٢٢؛ موجات الضغط في غاز عنقود برشاوس وإعادة تركيبها في مجال السمع البشري.

[ع١٠٣] الأكاديميات الوطنية للعلوم والهندسة والطب، «إعادة الإنتاج والتكرار في العلم»، ٢٠١٩م، الملخص: التعريفات وإتاحة البيانات والخطوات وبيئة الحساب؛ المعرّف الرقمي ١٠٫١٧٢٢٦/٢٥٣٠٣.

[ع١٠٤] غييرمو توريس وزملاؤه، نمذجة منحنيات عبور كيبلر واستبعاد الإشارات الملتبسة في كيبلر-٩، المجلة الفيزيائية الفلكية، المجلد ٧٢٧، المقالة ٢٤، ٢٠١١م؛ ملخص الدراسة في مستودع ناسا للتقارير الفنية.

[ع١٠٥] مختبر الدفع النفاث، ناسا، رياضيات الكون المتمدد؛ تعريف الانزياح نحو الأحمر وقسم المناقشة عن المسافة والمنظومات المرتبطة بالجاذبية، تحديث ٨ نوفمبر ٢٠٢٤م.

[ع١٠٦] ناسا، تلسكوب جيمس ويب والانفجار العظيم: حوار مع جون ماثر، ١١ أكتوبر ٢٠١٧م؛ التمييز بين رصد الخلفية الكونية ودراسة الأجرام الأولى.

[ع١٠٧] ناسا، الأطياف المستمرة للنجوم ومنحنيات الجسم الأسود، مادة توضيحية منشورة في ٢ يوليو ٢٠٢١م؛ علاقة شكل الطيف بدرجة الحرارة وحدود التقريب.

[ع١٠٨] ناسا، عشرة أسئلة عن الثقوب السوداء، السؤال السادس: ماذا لو تحولت الشمس إلى ثقب أسود؟ مثال افتراضي يحفظ الكتلة لشرح المدارات، مع بيان أن الشمس لن تسلك هذا المصير.

[ع١٠٩] تعاون لايغو وفيرغو وفريقا فيرمي وإنتغرال، موجات الجاذبية وأشعة غاما من اندماج نجمين نيوترونيين؛ رسائل مجلة الفيزياء الفلكية، المجلد ٨٤٨، المقالة ١٣، ٢٠١٧م. الملخص والقسم ٤٫١، ص ٦؛ فرق الوصول وفروض مقارنة السرعتين. نسخة البحث المنشور في مستودع ناسا.

# مظان الاستكمال والتحقيق

### حالة النسخة بعد المراجعة البنيوية

اكتملت متابعة النسخة التحريرية العربية إلى نهاية الفصل الثامن والأربعين والخاتمة والملاحق الستة، وأُعدت بروفة الإخراج الطباعي في ١٣ أكتوبر ٢٠٢٦م. فُحص تسلسل الفصول في الأبواب السبعة، وتطابقت عناوين الفصول مع فهرس المحتويات، وحُفظت الروابط الداخلية الخمسة والسبعون والجداول الستة. وشملت المتابعة وصف النسخة في الصفحات الافتتاحية، واتصال المقدمة بالخاتمة، واتساق سجل الروايات والمراجع مع المقابلات الأخيرة. ووُحدت مراتب العناوين وحجم خط المتن وتباعده، وضُبطت بدايات الفصول واستمرار رؤوس الجداول، وأزيلت فواصل الصفحات غير المقصودة في المراجع والفهارس.

تضم قائمة المصادر ٣١٢ رمزًا تراثيًا وتفسيريًا ورجاليًا، و١٠٩ رموزٍ علميةٍ، بإجمالي ٤٢١ مدخلًا. لم يظهر في فحص رموز الإحالات المفردة والمجمعة ومدياتها رمز بلا تعريف، ولكل مدخل في القائمة رابط مصدر. هذا فحص لاتساق الإحالات داخل الكتاب؛ ولا يعني إعادة فتح جميع الروابط أو تحكيم جميع مضامين المصادر في الجولة الأخيرة.

حصيلة المقابلات الختامية: ثبت لفظ «أين كان» في النصين الإلكترونيين للتوحيد والعيون، مع فصل تعقيب الصدوق [م٢٨١–م٢٨٢]؛ وقوبل اعتراض ابن طاووس في أصل فرج المهموم [م٢٨٣]؛ وفُحصت صورة التهذيب في مكاتبة علي بن مهزيار، فوثق رمز الحكم والفرق بين لفظ الطبعة وعرض الموقع [م٢٨٤]. حُدثت مواضع هذه النتائج في المتن والملحق الثاني وقائمة المصادر.

حدود التحقيق: قوبلت الأخبار الستة التي كان تصحيح البهبودي لها منقولًا بواسطة الثقلين بصور الطبعة الأولى من صحيح الكافي: خلق العقل، ج ١ ص ١؛ والإرادة، ج ١ ص ١٦؛ والتفكر، ج ١ ص ٧٢؛ وفضل الزراعة، ج ٢ ص ٣٦٧؛ وخبرا القنوات والرحى وفضل الماء، ج ٢ ص ٣٨٨ [م٣٠٦–م٣١٠]. ثبت إدراجها في مختاره، وربطت نسبة التصحيح إليه ببيان منهجه في خاتمة المقدمة [م٣٠٥]. واستُكملت مقابلة خبر المعراج في الخصال، وضبط رسم «منيع» في طبعة الأعلمي من بصائر الدرجات [م٣١١–م٣١٢]. أُغلقت هذه المقابلات النصية المحددة، ولم تُنجز دراسة رجالية مستقلة لكل الأسانيد، أو مقابلة شاملة للمخطوطات والطبعات،

أو مراجعة تخصصية مستقلة لكل المواد العلمية. وتبقى فروق الروايات ومباني الترجيح المنصوص عليها في مواضعها محفوظة بحدود أدلتها؛ ولا تتحول أحكام أصحاب المصادر إلى أحكام أصدرها أنا.

حالة الإخراج والمرحلة التالية: اكتمل إعداد بروفة طباعية بمقاس الورق أ٤، مع حفظ النص والروابط والفهارس. اخترتُ تأجيل ترقيم الصفحات وإعداد فهرس الصفحات؛ لذلك تحيل فهارس الأعلام والموضوعات إلى أرقام الفصول، ويعمل فهرس المحتويات بروابط العناوين. تعتمد هذه البروفة للمراجعة النهائية، وتليها مراجعة مستقلة للمادة التخصصية والتدقيق اللغوي قبل اعتماد النشر، ثم تهيئة نسخة المطبعة وفق مواصفات الناشر المعتمدة.

متابعة تحريرية في ١٣ أكتوبر ٢٠٢٦م: روجعت الصفحات الافتتاحية والخاتمة، وبدايات الفصول الثمانية والأربعين وخواتيمها، مع فحص موجّه للإملاء والصياغة والترقيم عبر المتن والملاحق. صُحّحت مواضع لغوية وإحالية، وصيغت عناوين وفقرات في دليلي الآيات والمصطلحات لتخاطب القارئ مباشرة بدل سرد خطوات الإضافة والنقل. حُفظت ألفاظ الآيات والنقول وأحكام المصادر؛ ولا تُعد هذه الجولة تحكيمًا تخصصيًا أو تدقيقًا لغويًا بشريًا مستقلًا لكل جملة.

متابعة توثيقية في ١٣ أكتوبر ٢٠٢٦م: وُحّدت خلاصة الفصل ١٤ وسجل روايات حملة العرش مع المقابلات المثبتة لحكمي الحديثين الثالث والسادس. وعُيّن في الفصل ٣٣ شاهد الكافي للوجه الروائي في الأزواج ونظيره في العياشي، وقوبل حكم المجلسي على الأول [م٢٨٥–م٢٨٨]؛ ولم يُجزم بمصدر نقل مجمع البيان أو بصحة الطريقين. حُددت المواضع الستة لأحكام البهبودي الباقية بواسطة، وحُدث المتن وسجل الروايات وإحالات الفصل وقائمة المصادر. لا تُعد هذه المقابلات استقصاءً لجميع طرق الموضوعات.

متابعة مقابلة النصوص والشواهد العلمية في ١٣ أكتوبر ٢٠٢٦م: قوبلت صور التوحيد ص ٣٤ و٣٧–٣٨، وضُبط اسم عمرو الكاتب في سند خبر تقابل المخلوقات، وفُصل ضبط القراءة عن الحكم الرجالي [م٢٨٩]. وروجع تسلسل رصد الاندماج النجمي في الفصل ٣٨ بمصادره الأصلية [ع٦٧–ع٦٩]، وأضيف بيان فروض مقارنة سرعة الجاذبية والضوء من البحث المنشور [ع١٠٩]. حُدث المتن وسجل الروايات وقائمة المصادر؛ لم تُجر إعادة تحليل للبيانات العلمية أو دراسة مستقلة لجميع أسانيد الكتاب.

متابعة نقول إراءة الملكوت في ١٣ أكتوبر ٢٠٢٦م: قورن نقل مجمع البيان بالتبيان، وعُين طريق خبر الباقر في بصائر الدرجات، وفصلت الصيغ المتجاورة واختلاف نسبتها [م٢٩٠–م٢٩١]. ووسع شاهد العياشي ليشمل

خبر الأنعام ٣٧، مع تمييزه من شاهد البقرة وتثبيت فروق الألفاظ. حُدث الفصل ٣٥ وسجل الروايات والمراجع؛ بقي تعيين مصدر الطبرسي المباشر والتحقيق الرجالي المستقل خارج ما أثبتته هذه المقابلة.

متابعة أخبار الإسراء والمعراج في ١٣ أكتوبر ٢٠٢٦م: قوبلت نصوص محددة من الكافي وأمالي الصدوق والخصال وبصائر الدرجات، وأحكام المجلسي في مواضعها من مرآة العقول [م٢٩٢–م٣٠٠]. فصلت الطرق المتشابهة، وحفظ قيد احتمال السقط وتردد وصف الجمل والحجاب، ونسبت احتمالات الجمع بين أعداد المعراج إلى الشارح. حُدث الفصل ٣٦ وسجل الروايات والمراجع. بقي ضبط اختلاف اسم راو في خبر المائة والعشرين ومقابلة بداية طريق الخصال والتحقيق الرجالي الشامل خارج المنجز، ولم تنقل أي من هذه الحدود إلى دعوى حسم أو تحكيم مستقل.

متابعة تعيين شخصيات القصص في ١٣ أكتوبر ٢٠٢٦م: ضُبطت نسب أقوال المار على القرية في مجمع البيان، وقوبل خبرا أرميا وعزير في العياشي، ونقل تقويم الميزان بصفته رأيًا لصاحبه [م٣٠١–م٣٠٢]. وعُين شاهد يوشع بن نون في العياشي، وفصل السرد في تفسير القمي عن خبر المكاتبة التالي له [م٣٠٣–م٣٠٤]. حُدث المتن وسجل الروايات والمراجع؛ أُنجزت مقابلة هذه الشواهد، ولم يدّع حسم مختلف فيه أو تصحيح أسانيد لم يكتمل تحقيقها.

متابعة أحكام البهبودي في ١٣ أكتوبر ٢٠٢٦م: قوبلت صور الطبعة الأولى من صحيح الكافي، وبياناتها وخاتمة مقدمتها، وثبتت الأخبار الستة في مواضعها وأرقامها المتسلسلة [م٣٠٥–م٣١٠]. فُصل الاستدلال بإدراج الخبر ضمن المختار عن دعوى وجود عبارة حكم مستقلة بجواره، وأضيفت قراءة «نقع البئر» إلى مقابلة خبر فضل الماء. حُدث المتن والملحق الثاني والمراجع وبيان حدود التحقيق؛ أغلقت إحالة هذه المواضع بواسطة، وبقيت دراسة مباني الأحكام والترجيح بينها والتحقيق الرجالي المستقل خارج هذه الجولة.

متابعة المقابلة المصدرية والإخراج — ١٣ أكتوبر ٢٠٢٦م: استُكملت مقابلة خبر الخصال، ص ٦٠٠–٦٠١، الخبر ٣، بصور الطبعة، وفُصل تعليق الغفاري عن متن الصدوق. وقوبل خبر بصائر الدرجات بصورة طبعة الأعلمي، ص ١١١، الخبر ١٠؛ فأثبت رسم «منيع» فيها مع حفظ «منبع» بوصفه قراءة النسخة الإلكترونية المعاد صفها، دون الجزم باتحاد الراويين. أضيف المرجعان [م٣١١–م٣١٢]، وصارت قائمة المصادر ٤٢١ مدخلًا. انتقلت النسخة إلى ضبط الإخراج الطباعي مع إبقائي ترقيم الصفحات مؤجلًا، وحفظ حدود التحقيق المبينة أعلاه.

تنبيه إلى قراءة السجل: الفقرات التالية تحفظ تاريخ المراجعات ونتائجها في وقتها؛ وقد تصف موضعًا بأنه معلق قبل إنجازه في متابعة لاحقة. يعتمد بيان الحالة الحالي والمواضع المحدثة في المتن والملاحق لتحديد النتيجة الأخيرة.

نتيجة المراجعة النصية في ١٢ أكتوبر ٢٠٢٦م: فُحص ١٢٥٢ موضعًا محاطًا بالقوسين القرآنيين، وأزيل تكرار اثني عشر اقتباسًا مختصرًا بإبقاء الآيات كاملة في مواضعها وصياغة شرحها دون إعادة الجزء المقتبس. نُقحت كذلك تكرارات قريبة بين الآيات وفقرات شرحها، ووُضحت الإحالة إلى السياق في موضعين، وأضيف رقم الذاريات ٧ إلى استشهاد كامل كان بلا رقم ملاصق. بقي بعد التحرير ١٢٢٦ موضعًا؛ طابقت كلماتها نص تنزيل المعتمد [م١٠٣] بعد توحيد فروق الرسم وإهمال الضبط وعلامات الوقف، ومنها مقطع التكوير ١٥–٢١ الذي قوبل آيةً آية. لم يُفقد نص آية كاملة من موضع الفصل الذي ورد فيه، ولا يشمل هذا الفحص تحقيق القراءات أو سائر الاقتباسات المكتوبة بعلامات أخرى.

وفي المتابعة الحديثية قوبل وصف المجلسي لحديث زرارة ومحمد بن مسلم في صلاة الكسوف بأنه «حسن كالصحيح» مباشرة بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ١٥، ص ٤٣٩ [م٢٤١]، وحدّث المتن والمرجع وسجل الروايات. هذه مقابلة لموضع حكم معين، مع بقاء استقصاء الطرق والأسماء وصور الطبعات خارج ما أُنجز.

وفي متابعة الأحكام المنقولة بواسطة الثقلين قوبلت أربعة أحكام في النص الإلكتروني لمرآة العقول: «كالصحيح» لحديث سعة الكرسي الثالث (ج ٢، ص ٧٨) [م٢٤٢]؛ و«صحيح» لمكاتبة القنوات والرحى، و«مجهول» لخبر فضل الماء (ج ١٩، ص ٣٩٧) [م٢٤٣]؛ و«صحيح» لخبر رياح الرحمة والعذاب ٦٤ (ج ٢٥، ص ٢١٩) [م١٧٨]. وصحح رقما الجزأين في إحالتَي القنوات والرياح، وحدثت مواضع المتن وسجل الروايات والمراجع. بقيت أصول أحكام البهبودي المذكورة في بحث الماء، وتحقيق الرجال وجمع الطرق ومقابلة صور الطبعات، من الأعمال المفتوحة.

وفي متابعة روايات الماء والكسوف ضُبطت إحالة الثقلين للحكمين المنسوبين إلى البهبودي على خبري القنوات وفضل الماء: صحيح الكافي، ج ٢، ص ٣٨٨ [م١٨٨–م١٨٩]؛ لم تتوافر صفحة الأصل بصورة مقروءة، فبقي النقل غير مباشر. وفي الفصل ٢٣ قوبل حكم المجلسي على خبر وفاة إبراهيم المطول في الجنائز، وصحح الجزء إلى ١٤ [م٢٤٤]. وقوبل اختلاف الاسمين في التهذيب، وأثبت ترجيح هامش الموسوعة الرجالية منسوبًا إليه [م٢٤٥–

م٢٤٦]، مع التمييز بين ضبط الاسم وتوثيق الراوي وتصحيح السند. بقي جمع الطرق الأخرى وصور النسخ ودراسة الرجال من الأعمال المفتوحة.

متابعة مقارنة طرق خبر الكسوف: أضيفت مقابلة المحاسن والفقيه في الفصل ٢٣، وأثبت اختلاف الراوي عن الإمام واختصار الإسناد وفروق الألفاظ. وفُصل القول النبوي المرسل في الفقيه عن تفاصيل وفاة إبراهيم وعن كلام الصدوق السابق عليه، كما قوبلت عبارتا النجاشي في أبي سمينة ومحمد بن أسلم مع حفظ اختلاف صيغتيهما [م٢٤٧-م٢٥١]. حُدث سجل الحديث وفهرس الأعلام، وبقي البحث التفصيلي في تعيين الرواة وأقوال الرجاليين مفتوحًا.

متابعة رجال طريق المحاسن: قوبلت مناقشة النوري لمحمد بن أسلم بموقف الحائري، وفُصل تصحيح طريق الصدوق إليه عن الحكم على شخصه أو خبر الكسوف. وأضيف التمييز بين الحسين بن خالد الخفّاف والصيرفي من المفيد من معجم رجال الحديث، مع إبقاء الاسم غير المقيد في نص السند [م٢٥٢-م٢٥٤]. بقيت مقابلة أصل المعجم والمصادر الأقدم والبحث عن قرينة خاصة للتعيين؛ ولم تتغير النصوص القرآنية أو حالة تأجيل ترقيم الصفحات.

متابعة مقابلة أصول تراجم الحسين بن خالد: قوبل نص الخوئي في معجم رجال الحديث، ورأي هامش تنقيح المقال المخالف في تعيين الاسم المطلق، وترجمتا النجاشي والطوسي [م٢٥٥-م٢٥٨]. حُفظ الفرق بين نص الترجمة واستنباط التوثيق، وبين كلام المؤلف والهامش. لم تسفر المقابلة عن قرينة خاصة قاطعة تضيف لقبًا إلى سند خبر المحاسن، فأبقي الاسم كما ورد، مع تسجيل انتهاء هذه الجولة وحدود نتيجتها.

متابعة الشرح العلمي في الفصل ٢٣: قوبلت صفحات ناسا الرسمية، وضُبط وصف الخسوف الكلي والجزئي وشبه الظل وتشتت الضوء المفسر لاحمرار القمر. واستكملت أنواع الكسوف الأربعة، وفُصل الحجم الظاهري عن الحقيقي والحلقة المضيئة عن الإكليل، مع بيان أثر موقع الراصد وإضافة إرشادات سلامة الرصد [ع١٩، ع٧٤-ع٧٦]. لم تُضف تنبؤات بأحداث مستقبلية أو استنتاجات عن مصائر الأشخاص، وبقيت الدلالة التعبدية متميزة من التعليل الفلكي.

متابعة الفصل ٢٤: أضيف ضبط لشكل الأرض التقريبي والجيويد وحدود الرسوم التعليمية، والتمييز بين الدوران والحركة المدارية وبين اليوم النجمي والزمن الشمسي [ع٧٧-ع٧٩]. وقوبل شرح الطبرسي للدحو بالبسط ضمن

سياق الماء والمرعى، مع الفصل بين التفسير وقياسات شكل الأرض [م٢٥٩]. حُدثت إحالات الفصل والفهرس الموضوعي، مع حفظ النصوص القرآنية كاملة دون تعديل.

متابعة الفصل ٢٥: دقق شرح الميد والرواسي وتقدير التركيب عند الطبرسي [م٣٨]، وأضيف شرح آلية الزلزال التكتوني ومثال الهيمالايا [ع٨٠-ع٨١]. وفصل تعريف الاتزان القشري عن دعوى منع الزلازل [ع٨٣]، واستكمل أثر نفاذية الصخور وبنيتها في التضاريس [ع٨٢]. حُدثت إحالات الفصل والفهرس الموضوعي، وحفظت النصوص القرآنية دون تعديل؛ ولا تعد هذه المقارنة تعييناً مستقلاً للمراد التفسيري.

متابعة الفصل ٢٦: قوبل تفسير الفرقان في مجمع البيان [م٣٩]، وأضيفت وجوه البحرين في سورة الرحمن مع تمييز النقل التأويلي من الشرح الطبيعي والتنبيه إلى أن أسانيده لم تحقق هنا [م٢٦٠]. وفُصل الامتزاج الجزئي عن التجانس الرأسي، وشرح قياس الملوحة والعكارة وحدود الاستدلال بالصورة [ع٨، ع٨٤]. حُدثت الإحالات والفهرس، وحفظت الاقتباسات القرآنية دون تعديل.

متابعة الفصل ٢٧: أضيف شرح الطبرسي لسلوك الماء والينابيع في الزمر [م٢٦١]، ووسع التفريق بين المسامية والنفاذية والضغط الارتوازي [ع٨٥]. وضح معنى توقف البئر عن الإمداد وحدود تعافيها [ع٨٦]، وفصل توازن المخزون عن سلامة آثار الضخ في تصريف المياه إلى الأنهار [ع٨٧]. حُدثت الإحالات والفهرس دون تغيير النصوص القرآنية أو أحكام العلماء المنقولة على روايات الفصل.

متابعة الفصل ٢٨: قوبل شرح اللواقح في مجمع البيان مع إبقاء لغة المفسر متميزة من مصطلحات الأرصاد الحديثة [م٤٠]. ووسع بيان تدرج الضغط وكوريوليس والاحتكاك [ع١٠]، وأضيف ضبط الاتجاه والهبات وقص الرياح [ع٨٨] ومثال الجوجوبا للتلقيح وانتشار البذور [ع٨٩]. حُدثت الإحالات والفهرس مع حفظ النصوص القرآنية وأحكام الروايات المنقولة دون تغيير.

متابعة الفصل ٢٩: ضبطت نسبة وجوه الجبال والبرد التي جمعها الطبرسي [م٤١]، ووسع شرح نمو الهطول وقياسه [ع٩٠] والماء فائق التبريد وطبقات البرد [ع٢٢]. وأضيف التمييز بين البرق داخل السحابة والمتصل بالأرض [ع٩١]. حُدثت الإحالات والفهرس مع حفظ الآيات وأحكام العلماء المنقولة على الروايات؛ ولا تعني هذه المراجعة استكمال تحقيق طرق الأخبار.

متابعة الفصل ٣٠: أضيف شرح الطبرسي للأرض الهامدة واهتزازها وربوها مع تمييزه من الآليات المجهرية الحديثة [م٢٦٢]. ووسع بيان انضغاط التربة وبنيتها والتهوية وأثر البقايا النباتية [ع٩٢-ع٩٣]، وأضيف مثال

فول الصويا لحدود زيادة الماء [ع٩٤]. حُدثت الإحالات والفهرس، وحفظت الآيات وأحكام العلماء المنقولة في أخبار الزراعة دون تغيير.

متابعة الفصل ٣١: قيد الوصف الافتتاحي بالزلزال التكتوني، وأضيف شرح المقادير اللوغاريتمية والعزم والطاقة وحدود ربطها بالخسائر [ع٩٥]. وعُرّف الرماد البركاني تمييزًا له من رماد الاحتراق [ع٩٦]، ووُضحت حدود مهلة الإنذار قرب المصدر [ع٩٧]. حُدثت الإحالات والفهرس دون تغيير الآيات أو دعوى استكمال التحقيق السندي للمكاتبات والأخبار.

متابعة الفصل ٣٢: دُققت نسبة أقوال الميزان في مجمع البيان [م٤٣]، وأضيف تفسير التقدير عند الفرقان ٢ [م٢٦٣]. وفُصل الوصف بالقانون الطبيعي عن الأمر الأخلاقي بالعدل، ووُضح عدم اليقين والتكرارية وحدود القياس [ع٩٨، ع٩٩]. حُدثت الإحالات والفهرس مع إبقاء النصوص القرآنية وأحكام العلماء المنقولة على الأسانيد دون تغيير.

متابعة الفصل ٣٣: قوبل معنى الأزواج في مجمع البيان بالتبيان [م٣٢، م٢٦٤]، وفُصل الاصطلاح التفسيري عن رتبة النوع العلمية. أضيف مثال الإكثار الخضري بالعقل [ع١٠٠]، وشرح غنى الأنواع وتكافؤ الوفرة بمثال عددي معلن أنه تعليمي [ع١٠١]. حُدثت الإحالات والفهارس دون تغيير الآيات أو أحكام التحقيق الروائي القائمة.

متابعة الفصل ٣٤: دُققت نسبة أقوال التسبيح والنجم في مجمع البيان [م٤٤، م٤٣]، وقوبل تفسير الدلالة بترجيح الميزان للتسبيح الحقيقي [م٢٦٥]. أضيف وجها فاعل «علم» في النور ٤١ [م٤١]، ومثال موجات الضغط في عنقود برشاوس لتمييز الرصد عن المعالجة الصوتية [ع١٠٢]. حُدثت الإحالات والفهرس، مع إبقاء الآيات وأحكام الروايات المنقولة دون تغيير.

متابعة الفصل ٣٥: أضيف بيان مجمع البيان لاختلاف فائدة الخلق والأمر [م٢٦٦]، وشرح الميزان للأمر والإيجاد والملكوت عند ختام يس [م٢٦٧]، مع تمييز جهة الانتساب عن الاتجاه المكاني. ووُثق تفسير الاستخلاف في المال وانتقاله بين الأجيال [م٢٦٨]. حُدثت الإحالات والمصطلحات مع حفظ الآيات وحدود التحقيق الروائي المبينة سابقًا.

متابعة الفصل ٣٦: وُثقت وجوه تفسير الآيات المقترحة عند الإسراء ٥٩ [م٢٦٩]، وأضيفت وجوه خيفة موسى مع نسبتها [م٢٧١]. وفُصل وصف التخييل القرآني عن شرح الزئبق في مجمع البيان [م٢٧٠]، دون

دعوى تحقق تاريخي أو تجريبي من الآلية. حُدثت إحالات الفصل، وأبقيت الآيات وحدود التحقيق في خبر ابن السكّيت وسائر النقول على حالها.

متابعة الفصل ٣٧: وُثقت صلة الذكر بالتفكر في مجمع البيان [م٦٦]، ومعنى التسخير والانتفاع والتفضل [م٢٧٢]. وأضيفت أقوال الأمانة ووجوه العرض وموقف الطبرسي من وصف الإنسان بالظلم والجهل [م٢٧٣]، مع تمييز التطبيقات البيئية من التفسير. حُدثت إحالات الفصل دون تغيير الآيات أو أحكام العلماء المنقولة على الروايات.

متابعة الفصل ٣٨: أضيف تمييز إعادة إنتاج الحساب بالبيانات نفسها من اختبار النتيجة ببيانات جديدة وفق تعريف تقرير الأكاديميات الوطنية [ع١٠٣]. ووُضح احتمال التباس الكسوف بالعبور، مع شاهد من دراسة كيبلر-٩ ومثال حسابي معلن الافتراض لأثر الضوء المختلط [ع١٠٤]. حُدثت الإحالات مع حفظ الآيات وعدم ادعاء إعادة تحليل البيانات الأصلية.

متابعة الفصل ٣٩: وُضح اختلاف التمدد الكوني عن حركة المنظومات المرتبطة بالجاذبية، والتمييز بين زمن رحلة الضوء والمسافة الحالية، وأضيف مثال افتراضي لحساب الانزياح [ع١٠٥]. ووُضح اختلاف الحقبة التي يرصدها الإشعاع الخلفي عن حقبة الأجرام المستهدفة بويب، مع تأريخ الحوار المستشهد به [ع١٠٦]. حُفظت الآيات والمقارنة التفسيرية، وحُدثت الإحالات.

متابعة الفصل ٤٠: أضيف شرح علاقة الطيف المستمر بحرارة النجم [ع١٠٧]، ووُضح الفرق بين ظل الثقب وأفق الحدث، وبين النفاثات المحيطة وخروج مادة من داخل الأفق [ع١٥]. وأضيف مثال ناسا الافتراضي لاستبدال الشمس بثقب له كتلتها نفسها، مع التصريح بأنه لا يمثل مصير الشمس [ع١٠٨]. حُدثت الإحالات مع حفظ البنية والآيات.

متابعة الفصل ٤١: قوبلت نصوص الإيساع في مجمع البيان والتبيان، واستبدل التكرار بتطبيق على أمانة الترجمة [م٤٦، م١٤٧]. وضُبطت نسب الأقوال في الخُنَّس والجوار الكُنَّس دون تصحيح مستقل لأسانيدها [م٢٠٦]. وأضيف تمييز قصور دليل التعيين من إثبات الاستحالة، وسؤال الشاهد المؤرخ لدعوى السبق، وطريقة لتسجيل المراجعات، وهذه إضافات منهجية أقدّمها، مع حفظ الآيات والأحكام المنقولة السابقة.

متابعة الفصل ٤٢: أضيفت مقابلة تفسيرية للنازعات ٤٢-٤٦ في مجمع البيان، مع نسبة وجهي الحسن وقتادة إلى صاحبيهما، وتمييز الخبر بالساعة من إقامة الحدث ومعرفة وقته [م٢١]. ووُضحت مراحل فحص العلامة قبل

تنزيلها على واقعة معاصرة، وأن السبق لا يحدد وحده مدة فاصلة. أُعيدت مقابلة متن خبر التوقيت في الكافي [م٢١١]؛ ولم يتغير الحكم المنسوب إلى المجلسي أو يُدع تحقيق رجالي مستقل.

متابعة الفصل ٤٣: استُكمل عرض الميزان بإثبات احتمال استثناء الأرواح وحدوده، ووجه جمع أوصاف القيام والإسراع والإتيان أفواجًا [م١٣]. وأضيفت وجوه مجمع البيان في نفي الأنساب والتساؤل، مع تمييز انقطاع الأثر من زوال المعرفة، وحفظ اختلاف الأقوال وأصحابها [م٢٧٤]. حُدثت الإحالات دون تغيير الآيات أو إصدار حكم جديد على أسانيد أخبار النفختين.

متابعة الفصل ٤٤: ضُبطت نسب الأقوال في الانكدار وترجيح الطبرسي، واستُكمل شرح سؤال الموؤودة بوجهي الفراء وأبي مسلم، وربط مشاهد التكوير بجواب الشروط ونشر صحف الأعمال [م٤٩]. وأضيف الوجه المنقول عن ابن مسعود في استمرار أثر العمل، مع فصل الأمثلة التي أوردتُها عن التفسير [م٢٢٨]. حُفظت الآيات وحدود المقارنة الفلكية، ولم تضف أحكام على أسانيد الروايات.

متابعة الفصل ٤٥: أضيفت مقابلة وجهي «بالغمام» المنقولين عن أبي علي الفارسي والفراء في مجمع البيان [م٢٧٥]، واستُكمل تفسير أبواب السماء في النبأ [م٢٧٦]. ضُبط نطاق الاستشهاد بحيث لا يشمل تصحيح الرواية المجاورة عن المحشورين، وحُفظ الفرق بين الشرح اللغوي والتعيين الفيزيائي. حُدثت الإحالات دون تغيير الآيات أو الأحكام الرجالية السابقة.

متابعة الفصل ٤٦: أضيف شرح مجمع البيان لدك الأرض ووجوه المجيء في الفجر، مع نسبة الأقوال وحفظ التنزيه [م٢٧٧]. ووُثقت قراءة الطبرسي لمرور الجبال في النمل وحجته في توهم وقوفها واتصال المقطع بالجزاء [م٢٧٨]، دون ادعاء إجماع أو مطابقة جيولوجية. حُدثت الإحالات وحُفظت الآيات والأحكام المنقولة على روايات التوبة.

متابعة الفصل ٤٧: ضُبط عرض الميزان في تبديل النظام وقيد الاستشهاد بالنمل ٨٨، وفُصل توجيهه المشروط بصحة الروايات واتصالها عن تصحيح الأسانيد [م١٤]. وأضيفت وجوه «وِردًا» من مجمع البيان مع نسبة الأقوال [م٩٣]. بقيت نصوص الآيات والروايات وأحكام الطريقين كما هي، وحُدث وصف المرجع دون إضافة رقم جديد.

متابعة الفصل ٤٨: وُثق شرح انتفاء أذى الحر والبرد في الإنسان، ووجها عظم الرضوان في التوبة [م٢٧٩–م٢٨٠]. ضُبطت عبارة أوصاف النعيم والعذاب، وميزت الخلاصة بين حدود البحث ومقدار البيان في

النصوص واختلاف التفسير. حُفظت الآيات والروايات وأحكام طرقها، وحُدثت إحالات الفصل. تلي هذه الجولة مراجعة اتساق الملاحق والفهارس وسجل التحقيق مع آخر تعديلات الفصول.

مراجعة اتساق الملاحق والفهارس في ١٢ أكتوبر ٢٠٢٦م: طوبقت عناوين الفصول الثمانية والأربعين مع فهرس المحتويات، وفُحصت تعريفات المراجع ومديات الإحالات. حُدث العدد إلى ٣٨٨ مدخلًا، ونقلت خلاصات إضافات الفصول ٣٨–٤٨ إلى ملحق التفسير ومعجم المصطلحات ودليل الأمثلة وفهرس الموضوعات، واستُكملت إحالة الإمام الكاظم إلى الفصل ٤٨. لم تضف هذه الجولة أحكامًا حديثية أو نصوصًا قرآنية؛ وتبقى مقابلة أصول النقول والاقتباسات خارج الأقواس والإخراج ضمن الأعمال المسجلة.

مراجعة الاقتباسات خارج الأقواس القرآنية — الدفعة الأولى: أزيل تكرار أربعة مواضع في شرح آل عمران ١٩٠–١٩١ والزمَر ٦٢ والأنبياء ٣٠، وأبقيت الآيات الكاملة في فصولها دون تغيير. وقوبلت ستة اقتباسات حديثية قصيرة في المنهج والفصول ٢–٥ بنصوص الكافي الإلكترونية: أدب الجواب [م٥٥]، والإرادة [م٥٦]، والخلق لا من شيء [م٥٧]، وجنود العقل [م١٧]، وخلق العقل [م٦٠]، ومطلع خبر الماء [م٦٣]؛ وجدت ألفاظها موافقة مع إهمال فروق الضبط. لم تشمل هذه المقابلة إعادة تحقيق الأسانيد أو جميع النقول التفسيرية في هذه الفصول؛ وتستمر المراجعة في مواضع الاقتباس التالية.

مراجعة الاقتباسات — الدفعة الثانية، مواضع مختارة من الفصل ١٤: قوبل لفظا نفي كون العرش هو الله وشمول الكرسي بنصي الكافي [م٢٦، م٦٩]، ولفظ «منا» في خبر الحملة بالنص المثبت في مرآة العقول [م١١٥]. وقوبلت أحكام الأحاديث الرابع إلى السابع في صفحات ٧٩–٨١ من الجزء الثاني [م١١٤–م١١٦]، مع الفصل بين المتن والشرح والنقل عن الاعتقادات. اختُصر تكرار تقرير المقابلة، ووُضحت علامة انتقال الكلام من نقل الداماد إلى تعقيب المجلسي. لم تغير الأحكام السابقة أو الآيات، ولم تدّع هذه الدفعة استيفاء جميع النقول في الفصول ٨–١٥.

مراجعة الاقتباسات — الدفعة الثالثة، خبر زينب العطارة في الفصل ١٥: أُعيدت مقابلة صفحات التوحيد ٢٧٥–٢٧٧ وهامش المحقق [م١٢٣–م١٢٥]، وطريق الكافي وترتيب الهواء والحجب [م١٦٤]، وحكم المجلسي في ج ٢٦ ص ٥ [م١٦٥]. وُضح اختلاف وظيفة عبارة انقطاع الخبر عن الحكم على اتصال السند، وسُجل اضطراب نقل الحكم ورقم الجزء في الثقلين مع اعتماد نص مرآة العقول. لم تتيسر إعادة فتح ص ٧ [م١٦٧] في هذه

الجولة، فبقي شرحها المنقول في المقابلة السابقة دون ادعاء فحص جديد لها. حُفظت الآيات وحدود التحقيق السندي.

مراجعة الاقتباسات — الدفعة الرابعة، الفصلان ١٦ و١٧: قوبل خبر أبي ذر في التوحيد، ص ٢٨٠–٢٨١ [م١٢٦–م١٢٧]، وحدد آخره قبل الحديث الثامن. وقوبل دعاء الهلال [م٨٠] وشرح جهة خطابه في الحديقة الهلالية، ص ١٣٦–١٣٧ [م١٣٣]؛ ضُبط الفرق بين وجهي الشارح وحُفظ تحفظه على توحيد الخطاب. صُحح رسم اسم الانشقاق في أربع إحالات، واستُكملت إحالات الفصل ١٧ إلى خبر أبي ذر. بقيت الآيات كما هي، ولم تصدر أحكام جديدة على طريق الخبر أو سند الصحيفة.

مراجعة الاقتباسات — الدفعة الخامسة، الفصلان ١٨ و١٩: قوبل عرض خبر ابن سيابة في الثقلين [م٧٩] بتتمته في مرآة العقول، ج ٢٦ ص ٩٦ [م١٢٩]؛ حُدد مصدر نسبة الشك إلى عبد الرحمن، وفُصل ترجيح قراءة السكينة عن المتن. وطوبقت قائمة المنازل الثمانية والعشرين بالنص الإلكتروني للحديقة الهلالية [م١٣٤]، وسُجل اختلاف عبارة نصيب البرج عن حاصل القسمة دون تصحيح المصدر صامتًا. استُكملت إحالات ترجمة الحسن بن أسباط، وحُفظت الآيات والأحكام الحديثية السابقة.

مراجعة الاقتباسات — الدفعة السادسة، مواضع من الفصول ٢٠–٢٣: قوبل نقل الزهري والبلخي في مجمع البيان [م٣٥]، وفُصل اشتداد الرمي عن بدء منع الجن به. وطوبق شاهد قضاء صلاة الليل في تفسير القمي [م١٣١] ووجها المشرقين والمغربين [م٣٦] دون تغيير نسبتهما أو إصدار حكم سندي. وفي الفقيه، ج ١، ص ٥٤٠ [م٢٤٨]، قوبلت ألفاظ الحديث ١٥٠٧، وحددت حدود تعقيب الصدوق وهامشي الوافي والإحالة إلى الكافي. هذه مقابلة لمواضع مختارة، وليست إعادة تحقيق لجميع أسانيد الفصل ٢٣. حُفظت الآيات والأحكام السابقة.

مراجعة الاقتباسات — الدفعة السابعة، مواضع من الفصول ٢٤–٢٧: قوبلت شروح الدحو والرواسي والبرزخ والينابيع في مجمع البيان [م٢٥٩، م٣٨–م٣٩، م٢٦١]، مع بقاء التمييز بين التفسير والعرض العلمي. روجع سياق مثل السيل والزبد في تفسير القمي [م١٨٦]، ووُضح انتقاله من مادة تأتي بعد مدخل رواية أبي الجارود إلى شرح مصرح باسم علي بن إبراهيم، دون حسم اتصال المادة أو سندها. قوبل متنا القنوات وفضل الماء [م١٨٨–م١٨٩] وبحث اختلاف اللفظ في المحاضرات [م١٩٠]، وضُبطت نسبة المكاتبة والصيغ الثلاث. لم تتيسر

إعادة فتح صفحة مرآة العقول [م٢٤٣] في هذه الجولة؛ فحُفظ توثيق المقابلة السابقة دون ادعاء فحص جديد أو تغيير الأحكام. بقيت الآيات دون تعديل.

مراجعة الاقتباسات — الدفعة الثامنة، مواضع من الفصول ٢٨–٣١: قوبل شرح اللواقح في مجمع البيان [م٤٠] وصدر سند خبري الرياح ٦٣–٦٤ [م١٧٦–م١٧٧]، واقتباس الدعاء ٣٦ [م٨٢] وشاهدا العياشي [م١٨٥]. وُضحت نسبة شرح المخاريق إلى هامش الطبعة. وقوبل ذيل خبر الزراعة [م٨٤] وشُرح انفصاله بصيغة النقل، كما قوبل تفسير الأرض الهامدة [م٢٦٢] ومكاتبة الأهواز في الفقيه والتهذيب وخبر سليمان الديلمي [م١٧٩–م١٨١ ] دون تغيير أحكام الطرق. أُعيدت قراءة تنبيه محقق كنز الدقائق [م١٨٧]، لكن لم تتيسر قراءة صفحة الفقيه المطلوبة كاملة؛ فبقي استكمال مقابلتها معلقًا. هذه مراجعة للنقول المختارة، ولم تشمل إعادة فحص جميع شروح المجلسي أو الأسانيد. حُفظت النصوص القرآنية.

مراجعة الاقتباسات — الدفعة التاسعة، مواضع من الفصول ٣٢–٣٥: قوبل خبر الأمر بين الأمرين [م٨٥] ومقتطف جواب الإمام الرضا في التوحيد [م١٣٩]، وضُبط عرض المثال دون إضافة إلى متنه. وقوبل مقتطف التنزيه وتقابل الأشياء [م١٩٤] وشرح الأزواج في التبيان [م٢٦٤] والتقدير في مجمع البيان [م٢٦٣]. روجعت أخبار حقوق الدواب وأبي ذر [م١٩٨]، وحُفظ موضع التردد قبل النسبة إلى الإمام. وقوبل خبر إبراهيم في الكافي [م١٤١] وشاهده في العياشي [م١٤٣]، مع تفصيل اختلاف صيغ الرؤية وفصل ترجيح المحقق عن المتن. لم تتيسر إعادة فتح خبر تنقض الجدر [م١٩٦] في هذه الجولة؛ بقيت مقابلته السابقة، ولم تُعد هنا دراسة جميع الأسانيد أو شروح المجلسي. حُفظت الآيات وأحكام الطرق المنقولة.

مراجعة الاقتباسات — الدفعة العاشرة، مواضع من الفصول ٣٦–٣٩: قوبل خبر ابن السكّيت [م٢٠١] وحدد انتقال الكلام من جواب الإمام إلى تعقيب السائل، مع حفظ قيد الظن في ذكر الشعر. وطوبق متنا الصدق وأداء الأمانة [م٢٠٣–م٢٠٤] مع النص العربي، دون توسيع الضمير في السند أو إعادة تحقيق أحكام الطرق. وقوبل تسلسل رصد جي دبليو-١٧٠٨١٧ بملخص الدراسة [ع٦٧] وأضيف تعيين فريق الاكتشاف الضوئي وتلسكوبه. وفي مجمع البيان [م٤٦] فُصل التعريف اللغوي للإيساع عن الأقوال التفسيرية ونسبتها. لم تُعد في هذه الجولة مقابلة شروح المجلسي أو جميع المراجع العلمية، وبقيت النصوص القرآنية كما هي.

متابعة مقابلة الاقتباسات في مواضع مختارة من الفصول ٤٠–٤٣: قوبل وصف مشروع دي شارب بملخص بحث أندروز وزملائه، فدقق نوع الانبعاث المرصود وتردده وهدف وصف توزيع الجسيمات الصلبة [ع٧٣].

وقوبلت ألفاظ عرض الحديث على الكتاب والسنة [م٢٠٧] ونفي التوقيت [م٢١١] وتسمية إسرافيل في الدعاء الثالث [م٤٨]، مع إبقاء حدود الدلالة والأحكام المنقولة. وفي خبر النفخ والبعث ضبط الفرق بين ابتداء الطريق الجديد واتصال قصة البقيع بلفظ «وقال» دون إعادة سند في الصفحة المعروضة [م٢١٤-م٢١٥]. هذه مقابلة نصية محدودة، لا استكمال لتحقيق الأسانيد أو جميع شواهد الفصول.

متابعة مقابلة اقتباسات مختارة من الفصول ٤٤-٤٨: طوبقت ألفاظ حديث الظلم [م٢١٨]، وموضع القبضة واليمين [م٢٢٣]، والتوبة النصوح [م٢٣٠]، وخبري الطعام في المحشر [م٥٢-م٥٣]، ومحاسبة النفس [م١٤٨ ] مع النصوص الإلكترونية، فلم تستدع هذه المقابلة تغيير ألفاظها. ووضح في شرح خبر التوبة أن سؤال كيفية الستر لمعاوية بن وهب. وقوبل عرض وجهي جمع الشمس والقمر بمجمع البيان [م٢١٦]. وفي خبر الموازين [م٢٣٦-م٢٣٧] أثبت اختلاف ترقيم الثقلين ورسم اسم الراوي وبطاقة الحكم عن النقل السابق؛ تعذرت إعادة فتح أصل مرآة العقول ومصدر مصباح، فبقي حسم سبب اختلاف البطاقة في سجل المتابعة. لا تتضمن هذه المرحلة تحقيقًا رجاليًا مستقلًا أو مقابلة جميع أخبار الفصول.

متابعة الخاتمة والملاحق بعد مقابلة الفصول: روجعت الخاتمة ووصف حدود العمل، فحدثت فقرة المرحلة المنجزة لتشمل مقابلة الاقتباسات المختارة ومواضع التعذر. وصحح دليل الملحق الأول ليتفق مع اسمي عمودي «السورة والآيات» و«الفصول»، مع بيان أن الإحالة فصلية. ووحد سجل خبر الموازين في الملحق الثاني مع التنبيه المثبت في الفصل ٤٨. أعيدت محاولة فتح مرآة العقول، ج ٥، ص ٣٦-٣٧، في المصادر الإلكترونية؛ أمكن الوصول إلى تعريف الجزء وفهرسه في رافد، دون متن الصفحتين، فلم يعتمد ذلك حسمًا للحكم. روجع بيان الملحق السادس فبقي وصفه للمخططات الجدولية وللرسوم التفصيلية المؤجلة مطابقًا لمحتواه. بقيت مقابلة أصل نقل الفقيه في خبر الرعد، وموضع حكم الموازين، ضمن المتابعات؛ ولم يضف ترقيم للصفحات.

متابعة أصل خبر الرعد ومعجمي المصطلحات: أمكنت قراءة الفقيه في رافد، ج ١ ص ٥٢٥-٥٢٦، ح ١٤٩٦ -١٤٩٧؛ قوبل السؤال السابق ونص العبارة ذات الضمير، وحدث الفصل ٢٩ والمرجع [م١٨٧] وسجل الروايات. أغلقت بذلك متابعة المقابلة النصية لهذا الموضع، مع بقاء تحقيق الطريق واختلاف النسخ، وفصل استظهار مرجع الضمير عن التصريح بالاسم. وفي المعجمين نقلت فقرة اتصال الطريق من الملحق العلمي إلى قسم قراءة الروايات في الملحق الرابع، وأضيف الفصل ٤٨ إلى موضع قراءة الميزان. هذه مراجعة مواضع مختارة،

ولا تعني الفراغ من مقابلة جميع تعريفات المعجمين. ما ورد في المتابعات السابقة عن تعذر أصل الفقيه يصف حالة العمل آنذاك، وقد تجاوزته المقابلة الحالية.

متابعة تعريفات مختارة من المعجم العلمي: ضبط تعريف الكون المرصود بحد وصول الإشارات حتى الزمن الحالي، مع التمييز بين قابلية الرصد وما سجلته الأجهزة بالفعل. أضيف قيد الفراغ إلى السنة الضوئية توافقًا مع شرح الفصل ٤٠. وفصل تعريف الثقب الأسود عن أفق الحدث وظله استنادًا إلى شرح ناسا [ع١٥]. وصحح تعريف الصدع في الجدول بذكر الحركة النسبية التي حدثت بين كتل الصخور، ليطابق تعريفه التفصيلي اللاحق في المعجم وشرح هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية. روجعت الإحالات الفصلية لهذه المواضع، ولم تتغير نصوص الآيات أو أعداد المراجع. تبقى بقية التعريفات ضمن مراجعة المعجم، وحكم خبر الموازين ضمن المتابعات النصية.

متابعة مصطلحات القياس والرصد وتوحيد المكرر في الملحق الخامس: دقق تعريف الطيف وبيان طيفي الامتصاص والانبعاث من شرح ناسا [ع٥٠]، وجمع تعريف عدم اليقين والفرق بينه وبين الخطأ في فقرة واحدة بالرجوع إلى المعهد الوطني للمعايير والتقنية [ع٥١]. وقوبل اصطلاح إعادة إنتاج النتائج وتكرار اختبارها بتعريف تقرير الأكاديميات الوطنية [ع١٠٣]، مع إثبات شرط اتساق النتائج ومراعاة عدم اليقين. دمج شرح الإشعاع الخلفي والمادة والطاقة المظلمتين في خلايا الجدول الأساسية، وأزيلت الفقرات المكررة لها وللسنة الضوئية وعدم اليقين، مع حفظ الإحالات والمعلومات الأساسية. بقيت الشروح المكملة التي تضيف فرقًا أو تطبيقًا، ولم تمس عناوين الملحق أو روابطها.

متابعة اتساق مصطلحات المعجم مع مواضع مختارة من الفصول ٣٨–٤١: صرح في مدخل قراءة الضوء بأن الطيف توزيع لشدة الإشعاع بحسب الطول الموجي أو التردد [ع٥٠]، وضبط بيان عدم اليقين الكمي وفصله عن الخطأ [ع٥١]، ووحد شرط اتساق النتائج في تعريف إعادة إنتاج الحساب مع المعجم [ع١٠٣]. وفي الفصل ٤٠ ميزت المنطقة المسماة ثقبًا أسود من حدها المسمى أفق الحدث، مع إبقاء قيد الوصف الكلاسيكي [ع١٥]. قورنت كذلك عبارات الخلفية الكونية والمادة والطاقة المظلمتين والانزياح في الفصل ٣٩، وإسناد الألوان والمطابقة اللفظية في الفصل ٤١، بتعريفاتها؛ فلم يظهر في المواضع المقروءة تعارض يستدعي تعديلها. بقيت الأمثلة والنتائج المؤرخة في سياقاتها، وهذه مراجعة اتساق اصطلاحي وليست تحديثًا شاملًا للقياسات العلمية.

متابعة اتساق مصطلحات الأرض والماء والظواهر الجوية في الفصول ٢٤–٣١ مع المعجم: روجعت مواضع مختارة للتجوية والتعرية، والمسامية والنفاذية، والسحاب وبخار الماء، والبرق والرعد، ومقدار الزلزال وشدته. وُضح

في المعجم الفرق بين التدرج الملحي رأسيًا أو أفقيًا والتطبق بين طبقات الماء، ودُمج تعريف المصب المكرر. كما وُحد شرح ملوحة التربة والصودية في الفصل ٣٠ والمعجم، مع إبراز زيادة الصوديوم النسبية وتمييزها من مجموع الأملاح، بالرجوع إلى المصدرين [ع٨، ع٤٦]. لم تتضمن هذه الجولة تحقيقًا روائيًا جديدًا أو استكمالًا لترقيم الصفحات.

متابعة اتساق مصطلحات المواقيت والظواهر الفلكية في الفصول ١٧–٢٣ مع المعجم: روجعت مواضع مختارة لأطوار القمر، والشهرين النجمي والاقتراني، والاقتران وإمكان الرؤية، والشفق، والاعتدالين والانقلابين، والكسوف والخسوف. وُضح أن الشهرين مدتان تقاسان بمرجعين مختلفين، واستُكمل تعريف الخسوف في المعجم بذكر شبه الظل. كما ضُبطت صياغة الميل الشمسي عند الانقلابين وحدود الشفق المسائية والصباحية في المتن والمعجم. وُسعت إحالة [ع٣] بمصدر ناسا التعليمي عن الفرق بين الدورتين، مع الاستناد إلى [ع١٩، ع٣٨، ع٣٩] في المقابلات الأخرى. اقتصرت المتابعة على هذه المواضع، ولم تتضمن تحقيقًا روائيًا جديدًا.

متابعة خبر الموازين في الفصل ٤٨: أتيح نص مرآة العقول، ج ٥، ص ٣٦، في مكتبة أهل البيت الرقمية، وقوبل ببطاقتي الثقلين ٣٥ و٣٦. ثبت أن حكم المجلسي على خبر الموازين هو المرفوع تحت الرقم ٣٦، وأن حكم المجهول يعود إلى الخبر السابق في الشرح. حُدّث الفصل والملحق الثاني والإحالتان [م٢٣٦–م٢٣٧]، وأُغلق تعليق الوصول إلى موضع الحكم. يرجح تسلسل النصوص وجود عدم مطابقة بين ترقيم الأخبار وإسناد الأحكام في البطاقتين، دون ادعاء فحص تقني لقاعدة الموقع أو إصدار حكم رجالي مستقل. تبقى أوصاف التعذر في السجلات السابقة بيانًا لحالة العمل حين كُتبت.

### سجل التحقيق والمتابعات السابقة

الفقرات التالية سجل لتتابع العمل؛ تُقرأ الأرقام والكميات المذكورة في كل متابعة بوصفها خاصة بتلك الجولة. لا يُعد العمل المؤجل منجزًا إلا إذا ورد لاحقًا بيان لما أُنجز منه، وتبقى القيود التي لم يسجل رفعها قائمة.

للاستقصاء الروائي اللاحق: بقية أبواب الكافي، والتوحيد وعلل الشرائع والأمالي ومن لا يحضره الفقيه للصدوق، والتفاسير الروائية للقمي والعياشي مع دراسة نسبة مادتها وطرقها، وسائر المصادر الأصلية المناسبة. ويستفاد من بحار الأنوار بوصفه دليل جمع وإحالة، لا بديلًا عن الأصل أو حكمًا عامًا على الصحة.

لم تُستقص هذه المراجع جميعًا في هذه النسخة، ولذلك لا توضع ضمن قائمة مصادر استُخدمت كاملة. وتبقى أعمال التحقيق الأساسية: جمع الروايات لكل فصل، مقابلة النصوص والطرق، تثبيت أحكام الرجال مع نسبة كل حكم إلى صاحبه، ومراجعة التفسير واللغة والمعلومات العلمية على يد مختصين عند إعداد نسخة للنشر.

انتهت جولة التوسعة الحالية إلى جميع الفصول، وتبقى زيادة المادة حيث يكشف التحقيق عن نقص، واستكمال الخرائط والرسوم العلمية والهوامش التفصيلية، ومراجعة النص والإخراج قبل النشر. يُقاس إنجاز كل عمل بما يثبته سجل المقابلة، لا بمجرد وجود عنوان الفصل أو بلوغ آخر الكتاب.

متابعة القلم واللوح وطرقي العرش على الماء: عُين أصل خبر أولية القلم في تفسير القمي، ج ٢، ص ١٩٨ عند سبأ ٣، وقوبل بخبر المجلسي مع حفظ الفرق بين «هشام» وتسمية أبيه [م١٥٧]. قوبل خبر القصير في ص ٣٧٩–٣٨٠، ونُقل بحث الخوئي في الاسم والطرق [م١٥٨، م١٥٩]. أضيف شاهد معاني الأخبار في اللوح والقلم والنور مع تضعيف منسوب إلى حسين الخشن [م١٦٠، م١٦١]، وقوبل تصحيح المجلسي لحديث خلق العقل [م١٥٦]. وفُصل طريقا التوحيد في العرش على الماء، مع بدء فحص طريق أبي الصلت بنقل حكم الجواهري على تميم [م١٦٢]. أضيفت أربع آيات كاملة، وحدّثت إحالات الفصول ٤ و٥ و٨ وملحقا الآيات والروايات والفهارس. بقيت مقابلة المخطوطات وصور الطبعات، ونسبة مادة تفسير القمي، واستقصاء رجال الطرق وأقوال النقاد وبقية صيغ النور. العثور على أصل خبر لا يُغلق هذه الأعمال.

متابعة تدقيق الفصول الأولى واتساق الاستشهاد: وُسع شرح مجمع البيان في الفصل الأول، وقوبلت ثلاثة أحكام إضافية للمجلسي من نص مرآة العقول الإلكتروني: خبر صفوان في الإرادة، وخبر الكون والمكان، وأول أخبار جوامع التوحيد [م١٥٣–م١٥٥]. أُثبت تنبيه الشارح إلى اختلاف «متى» و«أين»، وفُصل نقله عن غيره من تعليقه. بقيت مقابلة أصل حكم البهبودي ونسخ التوحيد والعيون المشار إليها، ومقابلة تعليق الكليني بالمطبوع، واستقصاء الطرق والرجال.

وفي نسخة العمل السابقة لهذا التحرير قوبل ١٢٢١ موضعًا محاطًا بالقوسين القرآنيين بنص تنزيل المعتمد [م١٠٣]. طابقت الكلمات بعد توحيد الرسم وإهمال فروق الضبط والوقف؛ ومن المواضع ثلاثة مقاطع تضم آيات متتالية قوبلت آيةً آية. لا يشمل هذا الفحص الاقتباسات المكتوبة بعلامات أخرى ولا تحقيق القراءات. وكانت ثمانية اقتباسات مختصرة مسبوقة بنصوص آياتها كاملة، فحُذف تكرار الاقتباس المختصر من الشرح مع إبقاء النص

الكامل والإحالة. وفُحصت رموز المراجع المفردة والمجمعة وأطراف المديات؛ لم يظهر رمز بلا تعريف في قائمة المصادر. تستمر المراجعة والتوسعة الموسوعية وسائر أعمال التحقيق المسجلة أدناه.

متابعة التحقيق بعد اكتمال المرور المرحلي على المقدمة والأبواب السبعة والفصول ١-٤٨: بدأت مراجعة الاتساق العام؛ فُحص تسلسل العناوين الفرعية ورموز المراجع المفردة، مع استمرار تحديد فجوات التوسعة والتحقيق الروائي. تبقى أعمال الأبواب السابقة المثبتة في السجل، ومنها أسانيد الروضة، وصيغ القلم والنور، ونسبة مادة تفسير القمي، واستكمال مقابلة أحكام المجلسي وطرق البيت المعمور والحجب. قوبلت في المرحلة السابقة أحكام ثمانية أخبار بالنص الإلكتروني لمرآة العقول: جنود العقل، وأيام الخلق، ومناقشة أبي قرة، والكسوف، والأمر بين الأمرين، والتفكر، وخبرا الطعام في الموقف. وأثبت في الفصل الثامن بحث المجلسي في معنى اليوم. تبقى هذه مقابلات نصية جزئية، وليست تحقيقًا مستقلًا لجميع الأسانيد. وكان سجل الباب الثالث يطلب دراسة خبر أبي ذر وابن سيابة وطرق دعاء الهلال وخبر زرارة وشاهد الخلفة وكلام المنجم؛ وترد نتيجة المتابعة الجديدة في الفقرة التالية، مع بقاء الاستقصاء الرجالي ومقابلة النسخ. وكانت مقابلة حكم خبر الرعد وخبر الزرع السادس وطرق دعاء السحاب من الأعمال المفتوحة؛ وترد نتيجة المتابعة في سجل الباب الرابع أدناه، مع بقاء الاستقصاء السندي ومقابلة النسخ. أضيف في الباب الخامس تعيين طريق حديث التفكر ونقل حكميه ثم قوبل حكم المجلسي بنص مرآة العقول الإلكتروني، وبقيت مقابلة أصل حكم البهبودي. وعُيّن طريق حديث الأمر بين الأمرين وقوبل حكم المجلسي عليه، مع بقاء دراسة سائر طرقه. وعُينت مواضع نقول إراءة الملكوت وأقوال الشخصيات في التفسير؛ ثم عُين أصل خبر أبي بصير في الكافي وقورن بشاهد العياشي، كما يفصل سجل الباب الخامس أدناه. بقي تحقيق النقل المنسوب إلى الباقر وجمع طرق أخبار الشخصيات. وفي الباب السادس أضيفت أمثلة قياس وطيف وخلفية كونية وموجات جاذبية، وصحح عرض اللغة والتفسير في موضع الإيساع دون ادعاء استقصاء أقوال المفسرين. وفي الباب السابع قوبل حكما الحديثين الأول والرابع في الطعام بالموقف بنص مرآة العقول الإلكتروني؛ وتبقى طرق الصحيفة وأخبار العوالم وتفاصيل المعاد وتعيين رجال الأعراف بحاجة إلى استقصاء وتحقيق. تستمر الحاجة إلى المراجعة العلمية واللغوية النهائية؛ ولا يعني المرور على باب إغلاق مسائل تحقيقه. وأُنجزت مراجعة مستقلة لنصوص الآيات في الفصول: أُضيف النص الكامل للإحالات الصريحة، واستُكملت الإحالات السياقية مثل «الآية التالية» والإحالات الإضافية في ملحق الآيات. أبقيت أرقام السور والآيات للتوثيق، ولا تُعد هذه الإضافة استكمالًا للتحقيق الروائي أو للمراجعة العلمية النهائية.

وفي متابعة ١٢ أكتوبر ٢٠٢٦م وُسعت الفصول ٤–٨: أضيفت آيات القلم والتعليم والنور والكتاب بنصوصها الكاملة، وعُين نقل خبر أولية القلم وفُصل عن خبر الكتابة. وقوبلت أحكام ثلاثة أخبار إضافية في مرآة العقول: مرازم في النور، ومحمد بن عطية، ومحمد بن مسلم في الماء. ووُصل تعليق سند خبر أيام الخلق بسياق الأحاديث ١١٣–١١٧، وأضيفت مناقشة المجلسي للأقوات. وكان تعيين أصل خبر القلم القصير وبحث اسم القصير من الأعمال المفتوحة؛ أُنجزت متابعة موثقة لهما في السجل المتقدم، مع بقاء نسبة مادة التفسير، واستقصاء بقية صيغ النور، ومقابلة النسخ والتحقيق الرجالي التفصيلي. لا تعني هذه المتابعة بلوغ الحجم الموسوعي أو الفراغ من بقية سجل التحقيق.

وفي المتابعة اللاحقة للباب الثاني أضيفت نصوص النحل ٤٩–٥٠، والشورى ٢٩، والرحمن ٣٣–٣٦، وفصلت ٣٧–٣٨، والتوبة ١٢٩، والبروج ١٥–١٦ كاملة. قوبلت أحكام أربعة أخبار أخرى في باب العرش والكرسي، وحكما خبري بدء البيت مع تصحيح الجزء إلى ١٧، وحكم حديث إبطال الرؤية. وفصلت أسماء حملة العلم عند الصدوق من متن الكافي، وسجل اختلاف افتتاح عدد الملائكة بين النقلين. وقوبل خبر العطارة وتعليق محققه، وكذلك تمام خبر أبي ذر في الشمس والقمر.

وفي متابعة سابقة قوبلت أخبار سعة الكرسي ٣–٥ بنظائرها في التوحيد، الباب ٥٢ [م١٦٣]، وسجل التقاء الطرق واختلاف الصياغة، مع التحقق البصري من صفحة الملف. كان حكم حديث سعة الكرسي الثالث آنذاك منقولًا بواسطة الثقلين مع مقتطف مفهرس مؤيد؛ ثم استكملت مقابلة موضع الحكم بالنص الإلكتروني لمرآة العقول، ج ٢، ص ٧٨ [م٢٤٢]. وبقيت نسبة مادة تفسير القمي والتحقيق الرجالي لخبري العطارة وأبي ذر وجمع سائر الطرق ومقابلة النسخ من الأعمال المفتوحة. لا يعد اتساع هذه المقابلات إغلاقًا لتحقيق الباب أو بلوغًا للحجم الموسوعي.

وفي متابعة الأرضين والحجب قوبل خبر زينب العطارة بروضة الكافي ح ١٤٣، وثبت حكم المجلسي بتمامه في ج ٢٦ ص ٥؛ وأضيف عرضه للخبر الآخر في ص ٦ وشرحه للانقطاع في ص ٧ [م١٦٤–م١٦٧]. سُجل اختلاف ترتيب الهواء والحجب وقُيد عددها بمصدره. بقي استقصاء الرجال والنسخ وطرق الحجب ونسبة مادة تفسير القمي.

متابعة الباب الثالث: أضيفت نصوص الفرقان ٤٥–٤٦، والنحل ٤٨، والانشقاق ١٦–١٩، ولقمان ٣٤، والمزمل ١–٨، والتوبة ٣٦–٣٧ كاملة. قوبل حكم المجلسي على خبر ابن سيابة مع تصحيح الجزء إلى ٢٦، وسجل اختلاف اللفظ وشك العدد. وقوبل تصحيحه لخبر زرارة، وعُين شاهد الخلفة في تفسير القمي وطريق خبر المنجم

في الأمالي. وأضيفت قراءة جزئية لسند الصحيفة وخبر مقابلة نسختيها، وفصل شرح البهائي عن متن الدعاء، وأدرجت أسماء المنازل كاملة ومثال قسمة الدائرة. بقي تحقيق رجال الطرق ونسبة مادة تفسير القمي ومخطوطات الصحيفة واستقصاء طرق المنجم وخبر أبي ذر؛ وكانت توسعة بقية الأبواب والمراجعة العلمية واللغوية من أعمال المتابعة آنذاك. هذه متابعة موثقة، ولا تعني اكتمال الكتاب أو بلوغ الحجم الموسوعي المطلوب.

وفي المتابعة الحالية بدأ تعيين موسى بن عمران وعمّه في طريق خبر أبي ذر بمقابلة معجم رجال الحديث [م١٦٨، م١٦٩]، وربط مقطع القمر بتمام الخبر في فصل الشمس. بقي فحص بقية الأسماء والاتصال والحكم على مجموع الطريق.

وفي متابعة النجوم قوبلت ترجمة الحسن بن أسباط في المعجم والمفيد [م١٧٠، م١٧١]، وأضيف اختلاف تعيين عمر بن سعد في نقاش الحديقة الهلالية مع الفصل بين المنقول والهامش [م١٧٢]. بقي استقصاء الطرق والأقوال.

وفي متابعة الكسوف أضيف خبر زرارة ومحمد بن مسلم [م١٧٣]، وقورنت قصة وفاة إبراهيم بموضعها المطول في الجنائز [م١٧٤]، مع بيان اختلاف اسم عمرو وتنبيه المحققين [م١٧٥]. ثم قوبل حكم الحديث الثاني من باب الكسوف [م٢٤١]، وقوبل حكم خبر الجنائز نفسه في موضعه [م٢٤٤]. وتوسعت دراسة اختلاف الأسماء إلى التهذيب وهامش الموسوعة الرجالية [م٢٤٥–م٢٤٦]؛ وبقي استقصاء الطرق وصور النسخ والتحقيق الرجالي التفصيلي.

متابعة الباب الرابع: وُسعت الفصول ٢٤–٣١ في عمارة الأرض، وصلة الجبال بالهواء والماء، والانتفاع بالبحر، وحدود المخزون الجوفي، والتلقيح، والغيث، والزرع، والإنذار الزلزالي. أضيفت تسع عشرة آية كاملة، وثبتت مقابلة ثلاثة أحكام للمجلسي: خبر الزراعة الثالث في ج ١٩ ص ٣٣١، والسادس في ص ٣٣٢، وخبر الرعد ٢٦٨ في ج ٢٦ ص ١٤١، مع قراءة تتمته في ص ١٤٢. صحح رقم الجزء في إحالة خبر الزراعة الثالث، وفصل شرح المجلسي عن متن الرواية، ووصل دعاء السحاب بالبحث الجزئي السابق لطريق الصحيفة. بقي أصل حكم البهبودي والتحقيق الرجالي وجمع الطرق ومقابلة المخطوطات وصور الطبعات. أضيفت ستة مصادر علمية أصلية وثلاثة مواضع من مرآة العقول، وحدّثت فهارس الآيات والمصطلحات وسجل الروايات. كانت توسعة الأبواب التالية والمراجعة العلمية واللغوية والتحقيق التفصيلي من أعمال المتابعة آنذاك؛ لا تعني هذه المتابعة اكتمال الكتاب أو بلوغ حجمه الموسوعي المقصود.

وفي متابعة الرياح أضيف خبر معروف بن خربوذ في الفصل ٢٨، مع بيان صدر إسناده ومقابلة موضع متنه في مرآة العقول [م١٧٦-م١٧٨] وآية يونس ٩٨ كاملة. بقي أصل حكم التصحيح آنذاك بحاجة إلى مقابلة مباشرة؛ ثم قوبلت عبارته في مرآة العقول، ج ٢٥، ص ٢١٩ [م١٧٨]. وكانت روايات الماء والرعد والزلازل وحدود الاستدلال بها من أعمال المتابعة في تلك المرحلة.

وفي متابعة الزلازل أضيف مبحثان إلى الفصل ٣١ مع ثلاثة مراجع، وقورنت ألفاظ مكاتبة الأهواز، وسجلت حدود تحقيق الطريق وحكم الغفاري المنقول بواسطة الثقلين. بقيت روايات الماء والرعد ومقابلة الطرق وأصول الأحكام من الأعمال المفتوحة آنذاك.

وفي متابعة المطر أضيف مبحثان إلى الفصل ٢٩، وعُين خبر الروضة ٣٢٦ وقوبل تضعيف المجلسي في ج ٢٦ ص ١٩٥، وصحح رقم الجزء في الإحالة الوسيطة. حفظ قيد «فيما أظن» وفصل شرح المجلسي والمازندراني عن المتن [م١٨٢-م١٨٤]. وبقي استكمال شواهد الرعد والماء وتحقيق الطرق من أعمال المتابعة آنذاك.

وفي متابعة شواهد الرعد قوبل خبرا العياشي ٢٢-٢٣ وعبارة تفسير القمي وتنبيه محقق كنز الدقائق [م١٨٥-م١٨٧]، وأضيف مثل السيل والزبد كاملًا إلى الفصل ٢٧. بقي أصل نقل الفقيه وتحقيق الطرق.

وفي متابعة حقوق الماء أضيف مبحثان إلى الفصل ٢٧ عن القنوات وفضل الماء [م١٨٨-م١٩٠]، وفصل حكم كل طريق عن الآخر، وسجل اختلاف اللفظ وتضعيف الطريق في محاضرات السيد السيستاني. ثم قوبل حكما المجلسي على الخبرين الخامس والسادس في مرآة العقول، ج ١٩، ص ٣٩٧ [م٢٤٣]. وضُبطت إحالة الحكمين المنسوبين إلى البهبودي إلى صحيح الكافي، ج ٢، ص ٣٨٨، دون توافر صورة مقروءة للصفحة في هذه المتابعة؛ فبقيت مقابلة الأصل وصور النسخ ضمن الأعمال المفتوحة.

متابعة الباب الخامس: وُسعت الفصول ٣٢-٣٧ في الاختيار والمشيئة، وعدل الميزان، واختلاف الخلق، والتسبيح، وإراءة الملكوت، وتدبير الأقوات، وحدود المعجزة، وأمانة البيان. أضيفت إحدى وعشرون آية كاملة. عُين أصل خبر أبي بصير في الكافي، وقوبل تصحيح المجلسي له، وقورن بشاهد العياشي مع فصل زيادة أسماء الطير وحدود ملاحظات المحقق. قوبل أيضًا حكم المجلسي على خبري القول بغير علم، وحكم النجفي على خبر التوحيد، مع بقاء التحقيق الرجالي المستقل وجمع الطرق ومقابلة المخطوطات وصور الطبعات. أضيفت ثمانية مراجع دينية ومرجع علمي، وصحح رقم جزء مرآة العقول في خبر الملكوت وترقيم صفحات خبر الرعد إلى ج ٢٦

ص ١٤١-١٤٢. حدثت الإحالات وفهارس الآيات والمصطلحات وسجل الروايات. كانت توسعة الأبواب التالية والتحقيق العام من أعمال المتابعة آنذاك، ولا تدل هذه الجولة وحدها على اكتمال الكتاب.

وفي متابعة الفصل ٣٢ أضيف شاهدا الرحمة والعدل من الكافي، ح ٩ وح ١١، مع مقابلة وصف المجلسي لهما «مرسل كالصحيح» مباشرة بالنص الإلكتروني لمرآة العقول. أضيف مبحثان ومراجع [م١٩١-م١٩٢]، وحدث سجل الروايات، مع الفصل بين المتن وشرح المجلسي والتطبيق الأخلاقي. تبقى مقابلة صور الطبعات والتحقيق الرجالي وجمع الطرق ضمن العمل غير المنجز.

وفي متابعة الفصل ٣٣ أضيف مبحث «ثمانية أزواج» بآيتي الأنعام ١٤٣-١٤٤ كاملتين، ومبحث تقابل المخلوقات وتنزيه الخالق. عُين شاهد التوحيد وطريقه، وفصل تعليق المحقق عن المتن، مع إبقاء دراسة السند وضبط الأسماء ومقابلة الأصل الروائي للوجه الآخر في مجمع البيان ضمن المتابعة. أضيفت المراجع [م١٩٣-م١٩٥ ] وحدثت إحالات الفصل وفهرسا الآيات والمصطلحات وسجل الروايات.

وفي متابعة الفصل ٣٤ أضيفت ثلاثة مباحث في خبر تنقّص الجدر، وصلة تسبيح الدواب بالرفق بها، وخبر أبي ذر في سقي دابته. عُينت طرق أربعة أخبار من الكافي، وقوبلت أحكام المجلسي في مرآة العقول مباشرة بالنص الإلكتروني، مع حفظ القيود والفصل بين المتن والشرح. أضيفت المراجع [م١٩٦-م١٩٨] وحدث سجل الروايات وإحالات الفصل ومدخلا التسبيح وأبي ذر. لم ينجز جمع الطرق أو التحقيق الرجالي المستقل أو مقابلة صور الطبعات.

وفي متابعة الفصل ٣٥ أضيفت الأعراف ١٨٥ كاملة ومبحثان في النظر في الملكوت وشواهد الإراءة في العياشي. عُينت الأخبار ٣٣-٣٦ من سورة الأنعام وفصلت ألفاظها، مع إبقاء استكمال الأسانيد والتحقيق الرجالي ومقابلة النسخ مفتوحًا. حدثت الإحالات وسجل الروايات وفهرسا الآيات والمصطلحات، وأضيف المرجعان [م١٩٩-م٢٠٠]، وأحيل إلى شاهد الإرادة المحقق سابقًا في الفصل الثاني.

وفي متابعة الفصل ٣٦ أضيف مبحثان عن مشهد موسى والسحرة واختلاف المعجزات، مع طه ٦٥-٧٠ كاملة. عُين خبر ابن السكّيت في الكافي، وقوبل تضعيف المجلسي وشرحه، وحفظ قيد الظن في ذكر الشعر. أضيف المرجعان [م٢٠١-م٢٠٢] وحدثت إحالات الفصل ودليل الآيات والمصطلحات وسجل الروايات. بقي جمع الطرق والتحقيق الرجالي ومقابلة صور الطبعات.

وفي متابعة الفصل ٣٧ أضيف مبحثان في أداء الأمانة وصدق العبادة في المعاملة، مع النساء ٥٨ والأنفال ٢٧ كاملتين. قوبل خبرا الكافي وحكما المجلسي عليهما: حسن وموثق، مع فصل المتن والشرح والتطبيق وحفظ تعليق طريق الخبر الثاني. أضيفت المراجع [م٢٠٣-م٢٠٥] وحدثت الإحالات والفهارس وسجل الروايات. بقي استكمال الطرق ومقابلة صور الطبعات والتحقيق الرجالي المستقل.

متابعة الباب السادس: وُسعت الفصول ٣٨-٤١ بخمسة نصوص قرآنية كاملة وأمثلة في عبور الكواكب، وتضافر قياسات الكتلة والحجم، وتقدير ثابت هابل ضمن نموذج بلانك، وإعادة بناء صورة ظل الثقب الأسود، وألوان صور ويب. قورن نص التبيان بنص مجمع البيان في الإيساع مع حفظ الأقوال ونسبتها، وأضيف مرجع تفسيري وخمسة مصادر علمية. الأرقام الواردة أمثلة من دراسات مؤرخة؛ لا تدعي حصر آخر نتائج كل مجال. حُدثت الإحالات والفهارس، وتستمر مراجعة بقية الكتاب وحدود التحقيق المسجلة.

وفي متابعة الفصل ٣٨ أضيف مبحثان عن الرصد متعدد الرسل لحدث جي دبليو-١٧٠٨١٧ ودلالة استجابة الكواشف ومعالجة الضوضاء. وثقت الأمثلة بثلاثة مصادر أصلية من الدراسة وملخصات الفريق [ع٦٧-ع٦٩]، مع تقييد الأرقام بنتائج سنة ٢٠١٧م والفصل بين الرصد والاستنتاج والمثال التعليمي. حدثت إحالات الفصل ومعجم المصطلحات وسجل الأمثلة. لم يدع تنفيذ تحليل مستقل للبيانات.

وفي متابعة الفصل ٣٩ أضيف مبحثان عن تكوّن النوى والذرات وقياس وفرة الديوتيريوم، مع المرجعين [ع٧٠ -ع٧١] وإعادة استعمال مرجع تاريخ الكون [ع١]. قُيد المثال العددي بدراسة سنة ٢٠١٨م، وميزت النسبة العددية من الكتلية، والرصد من استنتاج الوفرة البدئية. أزيل تكرار الذاريات ٤٧-٤٩ داخل الفصل مع حفظ نصوصها كاملة في المبحث التفسيري، وحدثت الإحالات والمصطلحات وسجل الأمثلة.

وفي متابعة الفصل ٤٠ أضيف مبحثان عن تفاعل المجرات والبنى المرصودة في الأقراص الكوكبية الأولية، مع المرجعين [ع٧٢-ع٧٣]. ميز اصطدام الغاز من الاصطدام المباشر للنجوم، ورصد الحلقات من تفسيرها بكواكب، وحفظ قيد اختيار عينة دي شارب. جمع التنبيه المتكرر إلى حدود ربط الأسماء الفلكية بالغيب في مبحث واحد وأعيد ترقيم العناوين. حدثت الإحالات والمصطلحات وسجل الأمثلة.

وفي متابعة الفصل ٤١ أضيف مبحثان: تطبيق على الخُنَّس والجوار الكُنَّس، ورد الحديث إلى الكتاب والسنة. أثبتت التكوير ١٥-٢١ كاملة، وقوبل مجمع البيان [م٢٠٦]، وأعيد استعمال المرجع العلمي [ع١٥] مع الفصل بين التشابه الوصفي والتعيين التفسيري. أثبت حديث الكافي [م٢٠٧] وقوبل تصحيح المجلسي وشرحه مباشرة

بالنص الإلكتروني [م٢٠٨]، مع حفظ حدود التحقيق. حدثت إحالات الفصل والفهارس وسجل الروايات والأمثلة، وأعيد ترقيم خاتمة الفصل.

متابعة الباب السابع والخاتمة: وُسعت الفصول ٤٢-٤٨ بتسعة عشر نصًا قرآنيًا كاملًا في الزمن والبعث والشهادة والنور والقدرة والبروز ومحاسبة النفس. عرض جواب الأبرش مع الفصل بين طريقَي الخبر وحكميهما، وقوبل حديث محاسبة النفس بحكم المجلسي. صحح ترقيم خبر الخصال واسم ابن أبي الخطاب، وبدأ فحص راوٍ في طريقه من معجم الرجال وموضع حكم السبزواري. أضيفت خمسة مراجع، وقوبلت صفحات خمسة مراجع سابقة وروابطها دون تغيير أحكامها. روجعت الخاتمة لتتصل بالمقدمة والإهداء ومقصد المراجعة. انتهت هذه الجولة إلى جميع الفصول؛ تبقى المراجعة المتخصصة ومقابلة صور الطبعات والمخطوطات واستقصاء الطرق في المسائل المسجلة، فلا توصف النسخة بأنها تحقيق نهائي جامع لكل الروايات.

وفي متابعة الفصل ٤٢ أضيف مبحثان عن الساعة في خطاب موسى عليه السلام، وحدود الاستشهاد بخبر التوقيت في شأن القائم عليه السلام. أثبتت طه ١٤-١٦ كاملة، وقوبل التبيان ومجمع البيان [م٢٠٩-م٢١٠]. أثبت حديث الكافي بسؤاله وطريقه [م٢١١]، وقوبل تصحيح المجلسي وشرحه مباشرة بالنص الإلكتروني [م٢١٢]، دون ادعاء استقصاء الأخبار أو إنجاز تحقيق رجالي مستقل. استكملت إحالات السور المستخدمة في الفصل، وحدثت فهارس الآيات والتفسير والمصطلحات وسجل الروايات.

وفي متابعة الفصل ٤٣ أضيف مبحثان عن الراجفة والرادفة وحدود جمع خبرين متجاورين في تفسير القمي. أثبتت النازعات ٦-١٤ كاملة، وقوبل مجمع البيان [م٢١٣]. عين مطلع خبر النفختين ونهايته وطريقه [م٢١٤]، وفصل عنه مطلع خبر المطر أربعين صباحًا [م٢١٥]، دون جعله مدة مقررة بين النفختين أو ادعاء استكمال التحقيق السندي. أثبتت عبارة إسرافيل المتصلة في الدعاء الثالث وقوبل مصدرها [م٤٨]، وروجع موضع الميزان [م١٣]. حدثت الإحالات وفهارس الآيات والتفسير والمصطلحات وسجل الروايات.

وفي متابعة الفصل ٤٤ وُسع تفسير جمع الشمس والقمر واتصاله بالحساب [م٢١٦]، وأضيف مبحث عن طمس النجوم ويوم الفصل [م٢١٧]. جمع مقطع المرسلات ٧-١٥ بنقل الآيات الموجودة وإضافة الآية ٧، ونقلت القيامة ١٣-١٥ إلى موضع شرحها دون تكرار. أضيف مبحث حديث الظلم وظلمات يوم القيامة بطريقه ومتنه [م٢١٨]، وقوبل تصحيح المجلسي ووجوه شرحه مباشرة بالنص الإلكتروني لمرآة العقول [م٢١٩]. حدثت إحالات الفصل وفهارس الآيات والتفسير والمصطلحات وسجل الروايات.

وفي متابعة الفصل ٤٥ وُسع شرح الإذن والكدح والمهل والكشط، وقوبل موضع السجل والإعادة. أضيف مبحث عن طي السماوات في الزمر ٦٧، ومبحث يقرأ انفطار السماء في المزمل ١٧-١٩ مع الوعد والتذكرة. أضيفت ثلاث آيات كاملة ونقلت الآيات الموجودة إلى سياقاتها دون تكرار داخل الفصل. أثبت موضع خبر التوحيد وطريقه وحد الاقتباس [م٢٢٣]، وسجل وصف بكر بن عبد الله بن حبيب بالمجهول عن الجواهري [م٢٢٥] دون ادعاء استكمال التحقيق السندي. أضيفت ستة مراجع وحدثت الإحالات وفهارس الآيات والتفسير والمصطلحات وسجل الروايات.

وفي متابعة الفصل ٤٦ وُسع شرح الرج والبس والهباء والقاع الصفصف وتفجير البحار من مجمع البيان [م٢٢٦-م٢٢٨]. عرض وجه جمع أوصاف الجبال مع نسبته إلى المفسر [م٢٢٩]. أضيف مبحث بروز الأرض وحضور الأعمال، وأثبتت الكهف ٤٨-٤٩ كاملة بعد ٤٧. نقلت آيات ذيل الفصل إلى مواضع شرحها دون تكرار. وأضيف مبحث التوبة والستر بمتن حديث الكافي وطريقه [م٢٣٠]، وقوبل تصحيح المجلسي مباشرة في مرآة العقول [م٢٣١]، مع إبقاء دراسة الطرق المستقلة خارج ما أنجز. أضيفت ستة مراجع وحدثت إحالات الفصل وفهارس الآيات والتفسير والمصطلحات وسجل الروايات.

وفي متابعة الفصل ٤٧ أضيف مبحث اتباع الداعي وخشوع الأصوات ونفي الهضم، ومبحث تشقق الأرض والحشر اليسير. أثبتت ست آيات جديدة كاملة، ونقلت آيات الذيل إلى مباحثها وأزيل تكرار إبراهيم ٤٨ داخل الفصل. وسع تفسير التبديل وإشراق الأرض، وأثبت متنا الكافي وطريقاهما مع تمييز سؤال الأبرش عن سؤال زرارة واعتراض القائل غير المسمى. روجع حكما المجلسي بالحسن والمجهول في موضعيهما، وبقي استقصاء الرجال والطرق خارج دعوى هذه المراجعة. أضيفت ثلاثة مراجع وحدثت إحالات الفصل وفهارس الآيات والتفسير والمصطلحات وسجل الروايات.

وفي متابعة الفصل ٤٨ وسع شرح الموازين من مجمع البيان، وأثبت خبر الأنبياء والأوصياء من الكافي بطريقه المرفوع، وقوبل وصف المجلسي وشرحه مباشرة [م٢٣٥-م٢٣٧] مع حفظ اختلاف التعيين في بعض الفهارس الإلكترونية. وصل وعد قرة الأعين بسياق الدعاء والإنفاق [م٢٣٨]، وأضيف مبحث القلب المنيب والمزيد [م٢٣٩] ومبحث الزمر وصدق الوعد وخاتمة الحمد [م٢٤٠]. أثبتت خمس آيات جديدة كاملة، ونقلت آيات ذيل الفصل إلى سياقاتها دون تكرار، وحدثت الإحالات وفهارس الآيات والتفسير والمصطلحات والرواة وسجل

الروايات. بقيت حدود التحقيق الجزئي لأخبار العوالم كما هي، وروجع اتصال الفصل بالخاتمة. انتهت هذه المتابعة إلى الفصل الثامن والأربعين.

إضافات المتابعة إلى الفهارس: أسماء الحملة في الاعتقادات، واختلاف إعراب السعة: الفصل ١٤؛ مقارنة جهة الأرضين: الفصلان ١٠ و١٥؛ تعليقات المحقق على خبر العطارة: الفصل ١٥؛ تمام خبر أبي ذر: الفصل ١٦. وفي الباب الثالث: الظلال ١٦؛ طريق الصحيفة وجهة خطاب الهلال ١٧؛ شاهد الأمالي واختلاف خبر ابن سيابة ١٨؛ أسماء المنازل ١٩؛ شاهد الخلفة وتصحيح حديث زرارة ٢١؛ شرط الاصطفاف وعدد الشهور ٢٣. وفي الباب الرابع: عمارة الأرض ٢٤؛ الرفع التضاريسي وظل المطر ٢٥؛ أثر البر في البحر ٢٦؛ استنزاف المخزون الجوفي ٢٧؛ التلقيح ٢٨؛ مقابلة خبر الرعد والغيث ٢٩؛ مقابلة أحكام الزراعة ٣٠؛ الإنذار الزلزالي ٣١. وفي الباب الخامس: القدرة الموهوبة وعدل الكيل ٣٢؛ البوزيترون وحدود المقارنة ٣٣؛ التسبيح والعمل ٣٤؛ أصل خبر الملكوت ومقارنة العياشي ٣٥؛ الأقوات والإذن بالآية ٣٦؛ أمانة البيان وقول لا أدري ٣٧. وفي الباب السادس: عبور الكوكب والكتلة والحجم ٣٨؛ مثال بلانك ووجوه الإيساع في التبيان ٣٩؛ صورة الظل ٤٠؛ مفتاح الألوان وصدق النسبة ٤١. وفي الباب السابع: العمر والغاية ٤٢؛ كشف الغطاء والشهادة ٤٣؛ النور والعمل ٤٤؛ الإتيان بخلق جديد ٤٥؛ شهادة الأرض والجوارح ٤٦؛ جواب الأبرش والبروز ٤٧؛ ضبط خبر الخصال ومحاسبة النفس ٤٨. وفي المتابعة الحالية: مواضع التقاء طرق أخبار سعة الكرسي، واختلاف صيغتها في الكافي والتوحيد، وحدود انتقال الحكم السندي بين المصدرين: الفصل ١٤. ومن متابعة الباب الثاني: عرض المجلسي لصور الأرضين ١٠؛ طريق خبر العطارة في الكافي، وحكمه بتمامه، واختلاف الحجب والهواء، وشرح الانقطاع ١٥. وفي متابعة الشمس والقمر: تعيين موسى بن عمران وعمّه ١٦؛ وحدة خبر أبي ذر ومقطع نور القمر ١٧. الحسن بن أسباط، واختلاف تعيين عمر بن سعد في نقاش قصة المنجّم: الفصل ١٨. الكسوف: مقابلة موضعي وفاة إبراهيم، واختلاف عمرو بن سعيد وعمرو بن عثمان، وخبر زرارة ومحمد بن مسلم في الانجلاء: الفصل ٢٣.

# فهرس الأعلام والشخصيات

الأرقام التالية أرقام الفصول، ولا تدل وحدها على كتابة سيرة كاملة للشخصية.


إبراهيم الخليل عليه السلام: ١٤، ١٨، ٣٥، ٣٦.

إبراهيم ابن النبي محمد صلى الله عليه وآله: ٢٣.

أبو قرة: ١٤-١٥؛ الحواران في العرش وإبطال الرؤية؛ الملحق الثاني.

أم موسى عليها السلام: ٣٦.

أيوب عليه السلام: ٣٦.

جابر بن يزيد الجعفي: ٤، ٤٨؛ الملحق الثاني.

أبو سمينة، محمد بن علي: ٤-٥؛ الملحق الثاني.

سماعة بن مهران وعلي بن حديد: ٤.

داود الرقي: ٥، ٨، ١٤؛ روايات العرش على الماء؛ الملحق الثاني.

أبو الصلت الهروي: ٥، ٨؛ الملحق الثاني.

داود عليه السلام: ٣٤، ٣٦.

ذو القرنين: ٣٦؛ ذُكر ضمن الشخصيات القرآنية دون الجزم بنبوته.

زوجة إبراهيم عليها السلام: ٣٦.

سليمان عليه السلام: ١٦، ٢٨، ٣٦؛ خبر الهدهد وتسخير الريح ومشاهد النبوة.

صالح عليه السلام: ٣٦.

عمرو بن شمر: ٤٨؛ الملحق الثاني.

عيسى عليه السلام: ١٤، ٣٦.

قارون: ٣١، ٣٦.

لوط عليه السلام: ٣٦.

محمد صلى الله عليه وآله: ٤، ١٤-١٦، ٢٣، ٣٦؛ مع تمييز الأخبار ودرجاتها في مواضعها.

مريم عليها السلام: ١٥، ٣٦.

ملكة سبأ: ١٦، ٣٦؛ مشهد الشمس والعبادة وخبر الهدهد.

موسى عليه السلام: ١١، ١٤، ٢٧، ٣٦، ٤٢؛ الربوبية والسقي والمعجزات وخطاب الساعة.

نوح عليه السلام: ١٤، ٣٦.

هود عليه السلام: ٣٦.

يوسف عليه السلام: ١٨، ٣٦.

يونس عليه السلام: ٣٦.

الإمام علي عليه السلام: ٢-٤، ١٤، ١٨-١٩؛ نهج البلاغة، وخطبة جوامع التوحيد، وخبر النور، وخبر الجاثليق، والكلام في دعوى المنجم.

الإمام محمد الباقر عليه السلام: ٤-٧، ١٥، ٤٧-٤٨؛ ومنها روايتا الماء في الروضة.

الإمام جعفر الصادق عليه السلام: المنهج؛ ٤-٥، ٧-٨، ١٤-١٥، ٢١، ٣٠؛ ومواضع النصوص في ملحق الروايات.

الإمام موسى الكاظم عليه السلام: ٢٣؛ ٤٨، حديث محاسبة النفس في الكافي [م١٤٨]، مع حكم المجلسي المنقول في موضعه [م١٤٩].

الإمام علي الرضا عليه السلام: ٣، ٥، ٨-١٢، ١٤-١٥، ٣٧.

أصحاب الكهف: ٣٦.

آدم عليه السلام: ١٥، ٣٦؛ أخبار بدء البيت والطواف، ومشهد التعليم والابتلاء.

جبرائيل عليه السلام: ١٥، في عرض تفسير آيات النجم.

الحسين بن خالد: ٩، ١٠، ١٢؛ الملحق الثاني.

صفوان بن يحيى: ٢، في خبر الإرادة؛ ١٤-١٥، في طريقي حواري أبي قرة.

زرارة بن أعين: ١٤، في أخبار سعة الكرسي.

أحمد بن محمد البرقي والجاثليق: ١٤، في خبر العرش المرفوع.

أبو عباد عمران بن عطية ومحمد بن سنان: ١٥، في طريق حديث بدء البيت الأول.

محمد بن مروان والمفضل بن صالح: ١٥، في طريق حديث بدء البيت الثاني.

علي بن إبراهيم وأبوه وعمرو بن عثمان وعلي بن عبد الله: ٢٣، في طريق خبر الكسوف؛ واختلاف عمرو بن سعيد وعلي بن أبي عبد الله بين المصادر وترجيح الصيغ؛ الملحق الثاني.

الحسين بن خالد، ومحمد بن أسلم الطبري الجبلي، وأبو سمينة محمد بن علي: ٢٣، في طريق المحاسن لخبر وفاة إبراهيم، واختصار الإسناد، وعبارتي النجاشي؛ الملحق الثاني. ومناقشة النوري والحائري، والتمييز بين الخفّاف والصيرفي في المفيد. ومقابلة أصل المعجم وهامش تنقيح المقال ونصي النجاشي والطوسي.

الزهري والبلخي: ٢٠، في الأقوال التي عرضها مجمع البيان عن تاريخ الحراسة؛ لم تنسب هذه الأقوال إلى الأئمة.

محمد بن يحيى وأحمد بن محمد بن عيسى ومحمد بن خالد وسيابة: ٣٠، في طريق خبر الزراعة والغرس.

البهبودي والمجلسي: ٣٠، في اختلاف الحكم المنقول على خبر الزراعة.

الفضيل بن يسار وزرارة بن أعين: ١٤؛ طرق أحاديث سعة الكرسي.

حنان بن سدير: ١٤؛ خبر العرش وصفته في التوحيد.

صفوان بن يحيى وأبو قرة: ١٤، ١٥؛ حوارا الحمل والرؤية.

زينب العطارة والحسين بن زيد الهاشمي: ١٠، ١٥؛ خبر حجب النور ومقابلة ألفاظه.

ملكة سبأ والهدهد وسليمان: ١٦؛ صلة الشمس بالعبادة والتثبت من الخبر في سورة النمل.

أبو ذر: ١٦-١٧؛ خبر مسير الشمس في التوحيد وحدود تحقيقه. ٣٤؛ خبر سقي الدابة بالربذة، مع حفظ عبارة «فيما أظن» وحكم المجلسي «كالموثق» [م١٩٧-م١٩٨].

عبد الرحمن بن سيابة: ١٨؛ خبر النظر إلى النجوم في روضة الكافي. مع مقابلة حكم المجلسي واختلاف اللفظ والعدد.

الشيخ البهائي، محمد بن الحسين العاملي: ١٧، ١٩؛ شرح خطاب الهلال وقائمة المنازل.

متوكل بن هارون وعمير بن متوكل: ١٧؛ طرف طريق الصحيفة وخبر مقابلة نسختيها.

يحيى بن زيد وإسماعيل بن الإمام الصادق: ١٧؛ في خبر تسليم الصحيفة وإحضار النسخة للمقابلة، بحسب رواية المقدمة.

زرارة بن أعين والإمام الباقر: ٢١؛ خبر فرض الصلاة ومواضع الآيات.

الحسين بن سعيد وابن العزرمي: ٢٩؛ طريق خبر الرعد المرفوع في الروضة.

النوفلي والسكوني: ٣٠؛ طريق خبر الزرع وإصلاحه وحق الحصاد.

موسى وامرأتا مدين: ٢٧؛ السقي ومعونة المحتاج. سليمان: ٢٨؛ تسخير الريح. قارون: ٣١؛ تغير نظر المتفرجين.

شعيب: ٣٢؛ الميزان وحقوق الناس. معمر بن خلاد: ٣٧؛ طريق حديث التفكر.

المار على القرية: ٣٦؛ اختلاف تعيينه في التفسير بين عزير وأرميا والخضر، دون حسم.

فتى موسى: ٣٦؛ تسميته يوشع بن نون في النقل التفسيري. العبد الصالح المعروف بالخضر: ٣٦؛ رحلة التعلم.

صاحب الجنتين ومحاوره: ٣٥. طالوت وجالوت: ٣٦. أصحاب الجنة وقوم سبأ: ٣٦؛ المشاهد الجماعية.

المؤمنون والمؤمنات والمنافقون والمنافقات: ٤٤؛ مشهد النور في الحديد.

رجال الأعراف: ٤٨؛ حضورهم القرآني، مع بقاء تحقيق التعيين. القرين في الصافات: ٤٨؛ دون إضافة اسم لم يذكر في السياق.

السيد الداماد: ١٤؛ تأويل الماء وتعقيب المجلسي عليه.

السيد هاشم الحسيني الطهراني: ١٥؛ تعليق محقق التوحيد على عبارة الانقطاع.

المؤلفون المحال إليهم: الكليني؛ الصدوق؛ الشريف الرضي جامع نهج البلاغة؛ الطوسي؛ الطبرسي؛ الطباطبائي؛ النجاشي؛ علي بن إبراهيم في التفسير المنسوب إليه؛ المجلسي والبهبودي في الأحكام الحديثية المنقولة مع بيان واسطتها. انظر قائمة المصادر.

أخت موسى وامرأة فرعون: ٣٦، في خبر نجاة موسى ورجوعه إلى أمه.

زوج آدم: ٣٦، في خطاب السكن والابتلاء والتوبة.

زكريا ويحيى عليهما السلام: ٣٦، في البشارة والرزق.

الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام: ٤٣؛ موضع النص في الصحيفة السجادية [م٤٨].

إسرافيل عليه السلام: ٤٣؛ التسمية في الدعاء الثالث من الصحيفة السجادية.

الأبرش الكلبي: ٤٧؛ صاحب السؤال في حديث الكافي الأول [م٥٢].

زرارة وهشام بن سالم وسليمان بن جعفر: ٤٧؛ في طريق خبر الكافي الأول.

القاسم بن عروة وعبد الله بن بكير: ٤٧؛ في طريق خبر الكافي الرابع [م٥٣].

محمد بن مسلم ومحمد بن عبد الله بن هلال والعلاء بن رزين: ٤٨؛ في طريق خبر الخصال [م٥٤].

الموؤودة: ٤٤؛ في قراءة صلة المشاهد الكونية بحق الإنسان.

فاطمة الزهراء والإمامان الحسن والحسين عليهم السلام: ٤، ضمن شاهد النور؛ والإمامان الحسن والحسين: ١٤، ضمن تسمية حملة العلم عند الصدوق.

مرازم: ٤؛ راوٍ في طريق خبر النور [م٦١].

محمد بن داود ومحمد بن عطية: ٥، ٧؛ في طريق خبر رجل الشام [م٦٢].

محمد بن مسلم: المنهج؛ ٤-٦، ٤٨؛ في أخبار الجواب والعقل والماء والخصال.

أحمد بن محمد بن أبي نصر: ٣؛ في خبر الكون والمكان [م٥٩].

عبد الله بن سنان: ٨؛ في خبر أيام الخلق [م٦٥].

أبو بصير وأبو أيوب الخزاز: ٣٥؛ أصل خبر الملكوت. سليمان بن جعفر الجعفري: ٣٢؛ خبر نفي الجبر والتفويض.

أبو عبيدة الحذاء: ٣٧؛ خبر القول بغير علم. إبراهيم بن عمر اليماني: ٤٨؛ خبر محاسبة النفس. إبراهيم الهمداني: ٤٨ ؛ الطريق المرفوع لخبر الموازين، دون الجزم بهوية لم يدرس تعيينها.

محمد بن عبد الله بن هلال ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب: ٤٨؛ ضبط طريق الخصال. المحقق السبزواري: ٤٨ ؛ نسبة الحكم على الراوي.

هشام وعبد الرحيم القصير: ٤؛ مقابلة خبري القلم وبحث اختلاف الاسم. سفيان بن سعيد الثوري: ٤؛ خبر معاني الأخبار.

تميم بن عبد الله بن تميم القرشي: ٥، ٨؛ في طريق خبر أبي الصلت. محمد الجواهري: ٥؛ الحكم المنقول على تميم. السيد الخوئي: ٤، ٤٨؛ مباحث أسماء الرواة. الشيخ حسين الخشن: ٤؛ مناقشة طريق خبر اللوح والقلم.

بلوم وفريق الدراسة: ٣٨؛ مثال الكوكب العابر. تعاونا بلانك وتلسكوب أفق الحدث: ٣٩-٤٠؛ أمثلة الرصد وتحليل البيانات.

ابن السكّيت: ٣٦؛ سؤال اختلاف المعجزات وحدود النقل عن أبي الحسن عليه السلام.

موسى بن عمران وعمّه: ١٦-١٧؛ تعيين الاسمين في طريق خبر أبي ذر وحدود التحقيق.

الحسن بن أسباط: ١٨؛ بحث تعيين الراوي في طريق خبر ابن سيابة.

معروف بن خربوذ: ٢٨؛ خبر الرياح وموضع مقابلة الطريق والحكم.

معاوية بن وهب: ٤٦؛ خبر التوبة وستر ما شهدت عليه الجوارح والأرض.

# فهرس الموضوعات والمصطلحات

الأرض والأرضون: ١٠، ٢٤، ٣١، ٤٦-٤٧؛ شكل الأرض والجيويد والدوران واليوم النجمي وحدود الاستدلال بألفاظ الفراش والمهاد والدحو: ٢٤.

الأزواج والتنوع: ٣٣؛ الإكثار الخضري وغنى الأنواع وتكافؤ الوفرة: ٣٣.

الأفلاك والبروج: ١٩.

الأمر والملك والملكوت: ٩-١١، ١٤، ٣٥.

الأيام الستة: ٨.

البحر والبرزخ: ٢٦، ٤٦.

البيت المعمور والضراح والحجب: ١٥.

التفسير العلمي: ٣٨-٤١.

التسبيح والسجود: ٣٤؛ حقيقة التسبيح وفاعل «علم» في النور ٤١: ٣٤؛ التمثيل الصوتي وموجات الضغط: ٣٤.

التوحيد والتنزيه: ٢، ١٤.

التربة والمادة العضوية والزراعة: ٣٠. الأرض الهامدة واهتزازها وربوها، وانضغاط التربة وبنيتها والتهوية، وبزوغ البادرات: ٣٠.

البرزخ والمصبات والامتزاج: ٢٦. وجوه البحرين، والتأويل المنقول في أهل البيت، والتجانس الرأسي، وخطوط تساوي الملوحة والعكارة: ٢٦.

المياه الجوفية والمنطقة المشبعة: ٢٧. المسامية والنفاذية، والضغط الارتوازي، وجفاف البئر، وتوازن المخزون وتأثر تصريف الأنهار بالضخ: ٢٧.

البرد والسحاب الركامي: ٢٩. الماء فائق التبريد، ونمو القطيرات والبلورات، وكمية المطر ومعدل الهطول: ٢٩.

الصدوع والبقع الساخنة: ٣١.

الثقوب السوداء: ١٢، ٤٠.

الجبال: ٢٥، ٤٦. الرواسي والميد، والهيمالايا والزلازل، والاتزان القشري ونفاذية الصخور والتضاريس: ٢٥.

الدخان: ٦.

الرتق والفتق: ٧.

الرعد والبرق: ٢٩. فصل الشحنات والبرق داخل السحابة وبين السحابة والأرض: ٢٩.

الروايات وتحقيقها: المنهج؛ ٢-٨، ١٤-١٥، ٢٣، ٣٧، ٤٣، ٤٧-٤٨؛ الملحق الثاني.

الرياح والسحاب: ٢٨-٢٩. تدرج الضغط وكوريوليس، واتجاه الريح والهبات وقص الرياح، والتلقيح بالرياح ومثال الجوجوبا: ٢٨.

الزمن والمواقيت: ٢١-٢٣.

الزلازل والبراكين: ٣١. المقدار اللوغاريتمي والطاقة والعزم الزلزالي، والرماد البركاني، وحدود مهلة الإنذار قرب المصدر: ٣١.

الساعة والبعث والمحشر: ٤٢-٤٨.

بغير عمد ترونها: ١٢؛ المقارنة بين الوجه اللغوي والخبر.

حجب النور: ١٥؛ خبر زينب العطارة، ومقابلة النص وتعليق المحقق؛ الملحق الثاني.

الرؤية ورؤية الآيات: ١٥؛ حوار الإمام الرضا مع أبي قرة.

شمول الربوبية والخلق بالحق: ١١؛ حوار موسى ونفي العبث.

سدرة المنتهى: ١٥.

السماوات: ٩، ١٢-١٣، ٤٥.

الشمس والقمر: ١٦-١٧، ٢٣، ٤٤.

الشهب والحفظ: ١٣، ٢٠.

العرش والكرسي: ١٤.

الفصول والمشارق: ٢٢.

القياس والرصد: ٣٨.

الكسوف والخسوف: ٢٣؛ الأنواع الأربعة للكسوف، والظل وشبه الظل، واحمرار القمر، والحجم الظاهري، واختلاف الرؤية باختلاف الموقع، وسلامة الرصد.

الماء والأنهار والعيون: ٥، ٢٧، ٢٩.

المجرات والنجوم والكواكب: ١٨، ٣٩-٤٠.

المعجزات والمشاهد النبوية: ٣٦.

الميزان والعدل: ٣٢، ٣٧؛ التقدير وعدم اليقين في القياس والتكرارية: ٣٢.

النبات والتربة والرزق: ٣٠.

النفخ في الصور: ٤٣.

نشأة الكون والتمدد: ٣، ٣٩.

العوالم الأخرى والخلق الجديد: ١٠، ٤٨.

الأهلة والاقتران وإمكان الرؤية: ١٧، ٢٣؛ الملحق الخامس.

التنجيم والهداية بالنجوم: ١٨-١٩، ٢٣؛ الملحق الثاني.

العرجون والمنازل والشهر النجمي والاقتراني: ١٧، ١٩، ٢٣.

ميل المحور والأفق المحلي والليل القطبي: ٢١-٢٢.

المستقر والخلفة: ١٦، ٢١؛ الملحق الرابع. شاهد الخلفة في تفسير القمي وبيان حد المقابلة: ٢١.

التقدير والسنن والمسؤولية: ٣٢، ٣٧.

الأمانة والتسخير والإسراف: ٣٧.

تنوع الألسنة والألوان والتعارف: ٣٣.

الرؤيا وتدبير الأقوات: ٣٦.

الرصد والنموذج وعدم اليقين: ٣٨.

التضخم والإشعاع الكوني الخلفي: ٣٩.

المادة المظلمة والطاقة المظلمة: ٣٩.

النطاق الصالح للسكن وأفق الحدث: ٤٠.

التوافق والاستئناس ودعوى الإعجاز: ٤١.

علم الساعة والعلامات وحدود التوقيت: ٤٢.

الفزع والصعق والاستثناء وإسرافيل: ٤٣.

حق الموؤودة وحضور الأعمال: ٤٤.

الوردة والدهان والسجل والكشط: ٤٥.

العهن والقاع الصفصف وحشر الوحوش: ٤٦.

الطعام في الموقف وتعدد طرق الخبر: ٤٧؛ الملحق الثاني.

الشفاعة والشهادة والرضوان والخلق الجديد: ٤٨.

الإرادة و«كن فيكون»: ٢، ٣٥.

الخلق «لا من شيء» وتعليق المصنف: ٣.

حديث خلق العقل وحديث جنوده: ٤؛ اختلاف المتن والطريق والحكم، وشرح صلة العقل بالتمييز والعمل؛ الملحق الثاني.

النور وخبر مرازم: ٤؛ الملحق الثاني.

القلم والتعليم والكتاب: ٤؛ أصل خبر الأولية عند سبأ، وخبر القصير واختلاف اسمه؛ الملحقان الأول والثاني.

اللوح المحفوظ والمداد وخبر سفيان: ٤؛ معاني الأخبار وحدود طريقه.

الزبد والرماد واختلاف المتن ووجوه الجمع: ٥؛ أصل ألفاظ الرواية وحدود شرحها.

تعليق سند أيام الخلق وتقدير الأقوات: ٨؛ سياق الأحاديث ١١٣–١١٧؛ الملحق الثاني.

ترتيب البيان والخلق والدحو: ٨.

الإسناد المعلق و«لم يخرجه»: المنهج؛ ٨؛ الملحقان الثاني والرابع.

اختلاف المنظر النجمي: ١٨، ١٩؛ الملحق الخامس.

المد والجزر وصلة القمر بالأرض: ١٧؛ الملحق الخامس.

الشفق المدني والبحري والفلكي: ٢١؛ الملحق الخامس.

الاعتدالان والانقلابان: ٢٢؛ الملحق الخامس.

الثانية والمرجع الذري: ٢٣؛ الملحق الخامس.

الوشاح وتشوه الصخر البطيء: ٢٤. التجوية والتعرية وألوان الجبال: ٢٥.

نفاذ الضوء وظلمات البحر: ٢٦. تبادل المياه الجوفية والنهر وماء مدين: ٢٧.

نسيم البحر وتسخير الريح: ٢٨. دعاء السحاب وخبر الرعد المرفوع: ٢٩؛ الملحق الثاني.

ملوحة التربة والصودية وحق الحصاد: ٣٠. مقدار الزلزال وشدة أثره وقصة قارون: ٣١.

ميزان شعيب والأمر بين الأمرين: ٣٢؛ الملحق الثاني. التنوع الحيوي وأمم الحيوان: ٣٣؛ الملحق الخامس.

تحويل البيانات إلى أصوات والطير صافات: ٣٤. إراءة الملكوت وصاحب الجنتين: ٣٥.

المار على القرية ورحلة موسى والعبد الصالح والابتلاء بالنهر: ٣٦. التفكر والعدل مع القريب والبعيد: ٣٧.

الخطوط الطيفية وعدم اليقين والخطأ: ٣٨؛ الملحق الخامس.

طيف الجسم الأسود والانزياح الكوني وخلفية الموجات الدقيقة: ٣٩.

لايغو واندماج الثقوب السوداء: ٤٠. الترجمة والانتقاء وبطاقة فحص المطابقة: ٤١.

زلزلة الساعة والحجة على البعث: ٤٢. الخروج من الأجداث والقرابة: ٤٣.

نور المؤمنين والاقتباس منه: ٤٤. اختلاف سياقات تفطر السماء: ٤٥.

أخبار الأرض والتوبة والعفو: ٤٦. الوفد والفردية في الحشر: ٤٧.

رجال الأعراف والقرين وصفاء العلاقة والسلام: ٤٨.

الرصد متعدد الرسل واستجابة الكواشف والضوضاء: ٣٨؛ مثال جي دبليو-١٧٠٨١٧.

تكوّن النوى والذرات ووفرة الديوتيريوم: ٣٩؛ المثال العددي وحدود الاستنتاج.

تفاعل المجرات والحلقات في الأقراص الكوكبية الأولية: ٤٠؛ حدود تفسير الرصد.

الخنّس والجوار الكُنَّس ورد الحديث إلى الكتاب والسنة: ٤١.

الساعة في خطاب موسى وحدود خبر التوقيت: ٤٢.

الراجفة والرادفة وخبر المطر بين مشاهد البعث: ٤٣؛ تمييز الخبرين وحدود تحديد المدة.

طمس النجوم ويوم الفصل والظلم وظلمات القيامة: ٤٤.

طي السماوات والوعد والتذكرة في المزمل: ٤٥.

بروز الأرض وحضور الأعمال والتوبة والستر: ٤٦.

خشوع الأصوات ونفي الهمس وتشقق الأرض والحشر اليسير: ٤٧.

الموازين والقلب المنيب والمزيد والزمر وصدق الوعد: ٤٨.

إعادة إنتاج الحساب واختبار النتيجة ببيانات جديدة، واختلاط الضوء والنتائج الكاذبة للعبور: ٣٨؛ الملحق الخامس.

زمن رحلة الضوء والمسافة الحالية وحقبة الإشعاع الخلفي وأهداف ويب: ٣٩؛ الملحقان الخامس والسادس.

الطيف المستمر وحرارة النجم، والتمييز بين ظل الثقب وأفقه، والمثال الافتراضي لكتلة الشمس: ٤٠.

نفي الأنساب والتساؤل: ٤٣. الغمام وأبواب السماء: ٤٥. دك الأرض ومجيء الأمر: ٤٦.

التمثيل المشروط في تفسير أخبار التبديل، والوِرد والوفد: ٤٧. الزمهرير ووجها عظم الرضوان وحدود البحث: ٤٨.

# فهرس المحتويات العام

يمكن الانتقال من بنود هذا الفهرس إلى عناوينها مباشرة، أو استخدام قائمة عناوين المستند. الأرقام المثبتة في عناوين الفصول وفهارس الأعلام والموضوعات هي أرقام فصول. أبقيتُ هذه البروفة بلا ترقيم للصفحات، ويضاف فهرس الصفحات عند اعتماد ترقيم النسخة الطباعية.


عن الكتاب وتاريخ مراجعته

الإهداء

كلمة المؤلف

المقدمة — حين يصبح النظر حكاية

مقدمة المراجعة الأولى والتحديث — ٢٠٢٣م / ١٤٤٤–١٤٤٥هـ

مقدمة المراجعة الثانية والتحديث — ٢٠٢٦م / ١٤٤٨هـ

منهج الكتاب ومصادره ومراتب الاستناد

اختلاف الروايات وحدود المعرفة وحدود الكتاب

الباب الأول — بداية الحكاية — الخلق والإيجاد

الفصل ١ — الكون في خطاب القرآن الكريم

الفصل ٢ — الله خالق كل شيء — التوحيد في قراءة الكون

الفصل ٣ — بدء الخلق وحدود السؤال عن البداية

الفصل ٤ — روايات أول المخلوقات — الجمع والتحقيق

الفصل ٥ — الماء في نصوص بدء الخلق

الفصل ٦ — الدخان في قصة خلق السماء

الفصل ٧ — الرتق والفتق — قراءة في نشأة السماوات والأرض

الفصل ٨ — خلق السماوات والأرض في ستة أيام

الباب الثاني — السماوات والأرض وما وراء المشاهدة

الفصل ٩ — السماوات السبع — النصوص وحدود التصور

الفصل ١٠ — الأرض وما ورد عن الأرضين

الفصل ١١ — ما بين السماوات والأرض

الفصل ١٢ — بناء السماء وأبوابها وطرقها

الفصل ١٣ — السماء الدنيا — الزينة والحفظ

الفصل ١٤ — العرش والكرسي وحملة العرش

الفصل ١٥ — البيت المعمور وسدرة المنتهى وما ورد عن الحجب

الباب الثالث — الأنوار والمسارات وحساب الزمن

الفصل ١٦ — الشمس — الضوء والحرارة والحساب

الفصل ١٧ — القمر — النور والأهلة والمنازل

الفصل ١٨ — النجوم والكواكب — الأسماء والدلالات

الفصل ١٩ — البروج والمنازل والأفلاك

الفصل ٢٠ — الشهب وحفظ السماء واستراق السمع

الفصل ٢١ — الليل والنهار — التعاقب والاختلاف

الفصل ٢٢ — المشارق والمغارب والفصول

الفصل ٢٣ — الزمن والمواقيت والكسوف والخسوف

الباب الرابع — الأرض — موطن الحياة ومسرح الإنسان

الفصل ٢٤ — الأرض فراشًا ومهادًا وقرارًا

الفصل ٢٥ — الجبال — الرواسي والأوتاد

الفصل ٢٦ — البحار والمحيطات وما بين البحرين

الفصل ٢٧ — الأنهار والعيون والمياه في الأرض

الفصل ٢٨ — الرياح — الحركة والتلقيح وتبدّل الأحوال

الفصل ٢٩ — السحاب والمطر والبرد والرعد والبرق

الفصل ٣٠ — الأرض الحية — التربة والإنبات والأرزاق

الفصل ٣١ — الزلازل والبراكين والتحولات الأرضية

الباب الخامس — الكون آية — النظام والمعنى ومسؤولية الإنسان

الفصل ٣٢ — الميزان والتقدير والسنن في الخلق

الفصل ٣٣ — التنوع والأزواج واختلاف المخلوقات

الفصل ٣٤ — تسبيح الموجودات وسجودها لله

الفصل ٣٥ — الخلق والأمر والملك والملكوت

الفصل ٣٦ — الكون في قصص الأنبياء ومعجزاتهم

الفصل ٣٧ — الإنسان أمام الكون — التفكر والعبادة والأمانة

الباب السادس — المعرفة العلمية وقراءة آيات الكون

الفصل ٣٨ — كيف نعرف الكون؟

الفصل ٣٩ — نشأة الكون واتساعه وتطور بنيته

الفصل ٤٠ — المجرات والنجوم والكواكب والثقوب السوداء

الفصل ٤١ — بين التفسير العلمي والتكلف في المطابقة

الباب السابع — انقلاب المشهد — الكون عند قيام الساعة

الفصل ٤٢ — الساعة وموعد التحول العظيم

الفصل ٤٣ — النفخ في الصور — الحدث وتسلسله في النصوص

الفصل ٤٤ — الشمس والقمر والنجوم في مشاهد القيامة

الفصل ٤٥ — السماء يوم القيامة — الانشقاق والطيّ والتبدل

الفصل ٤٦ — الجبال والأرض والبحار عند التحول

الفصل ٤٧ — تبديل الأرض والسماوات وأرض المحشر

الفصل ٤٨ — الكون في مشاهد الآخرة — ما نعلمه وما يبقى غيباً

الخاتمة — من التأمل في الخلق إلى معرفة الخالق

الملحق الأول — جدول الآيات الكونية مرتبة بحسب الموضوع والسورة

الملحق الثاني — جدول الروايات ومصادرها ومواضع دراستها وخلاصة الحكم عليها

الملحق الثالث — مقارنة أقوال التفاسير الشيعية في المسائل الكونية الرئيسة

الملحق الرابع — معجم المصطلحات القرآنية والروائية المتعلقة بالكون

الملحق الخامس — معجم مبسط للمصطلحات الفلكية والفيزيائية والجيولوجية المستخدمة

الملحق السادس — خرائط وجداول ورسوم توضيحية للظواهر القابلة للتمثيل العلمي

المصادر والمراجع

مظان الاستكمال والتحقيق

فهرس الأعلام والشخصيات

فهرس الموضوعات والمصطلحات

فهرس المحتويات العام

فهرس الآيات الموضوعي: الملحق الأول.

فهرس الروايات ومواضعها: الملحق الثاني.

فهرس المصطلحات: الملحقان الرابع والخامس.

فهرس المخططات التوضيحية: الملحق السادس.

# حكاية الكون

## من بدء الخلق إلى مشاهد الآخرة

رحلة في آيات الخلق وأسئلة الوجود، تجمع ما ورد عن الكون في القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام والتفاسير الشيعية.

من السماوات والأرض إلى مشاهد الآخرة، مع قراءة للمعرفة العلمية في حدود أدلتها، وعناية بأمانة النقل والتمييز بين النص والتفسير.

السيد حسام زهاء مرتضى الصراف الحسيني

سنة التأليف: ٢٠٢٠م

ISBN: 978-1-7642390-1-1

